…هُمْ وَأَسَاءَ السِّيرَةَ فِيهِمْ وَكَانَتْ لَا يَرْتَقِي حَالُهُ إِلَّا ازْدَادَ
…و(١). فَمَكَثَ(٢) عَلَى ذَٰلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ ١٣٢٢ ١٣٤٢ (ج)

وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فَيْلَسُوفٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ
…فُ بِفَضْلِهِ وَيُرْجَعُ فِي الْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا. فَلَمَّا
…ى الْمَلِكَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ فَكَّرَ فِي وَجْهِ الْحِيلَةِ
…صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَرَدِّهِ إِلَى الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ. فَجَمَعَ
…لِكَ تَلَامِذَتَهُ وَقَالَ أَتَعْلَمُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُشَاوِرَكُمْ فِيهِ. اعْلَمُوا
…نِّي أَطَلْتُ الْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ
…الْعَدْلِ وَلُزُومِ الشَّرِّ وَرَدَاءَةِ السِّيرَةِ وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ الرَّعِيَّةِ.
…نَحْنُ مَا نَرُوضُ(٣) أَنْفُسَنَا لِمِثْلِ هٰذِهِ الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ
…الْمُلُوكِ إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَلُزُومِ الْعَدْلِ. وَمَتَى أَغْفَلْنَا(٤)
…ذَٰلِكَ وَأَهْمَلْنَاهُ لَزِمَنَا مِنْ وُقُوعِ الْمَكْرُوهِ بِنَا وَبُلُوغِ الْمَحْذُورَاتِ
…إِنْ كُنَّا فِي أَنْفُسِ الْجُهَّالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ وَفِي الْعُيُونِ عِنْدَهُمْ
…مِنْهُمْ. وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْجَلَاءَ(٥) عَنِ الْوَطَنِ وَلَا يَسَعُنَا فِي
…حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيرَةِ وَقُبْحِ الطَّرِيقَةِ وَلَا
…كُنَّا نُجَاهِدُهُ(٦) بِغَيْرِ أَلْسِنَتِنَا وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا

(١) تكبّرا (٢) اقام (٣) نطوّع (٤) تركنا (٥) التفرّق (٦) مقاومته

لَمْ تَتهيأ لنا معاندته. وإن أحسّ منّا بمخالفته وإنكارنا سوء سيرته كان في ذلك بوارنا[١]. وقد تعلمون أنّ مجاورة السبع والكلب والحيّة والثور على طيب الوطن ونضارة[٢] العيش غدرٌ بالنفس وإنّ الفيلسوف لحقيق[٣] أن تكون همّته مصروفة إلى ما يحصّن به نفسه من نوازل المكروه ولواحق المحذور ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب. ولقد كنت أسمع أنّ فيلسوفا كتب إلى تلميذه يقول إنّ مجاورة رجال السوء والمصاحبة لهم كراكب البحر إن هو سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف. فإذا هو أورد نفسه[٤] موارد[٥] الهلكات ومصادر المخوفات عدّ من الحمير التي لا نفس لها. لأنّ الحيوانات البهيمية قد خصّت في طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقّى المكروه وذلك أنّا لم نرها تورد أنفسها موردا فيه هلكتها. وأنها متى أشرفت على مورد مهلك لها مالت بطبائعها التي ركّبت فيها شحًّا[٦] بأنفسها وصيانة لها إلى النفور والتباعد عنه. وقد جمعتكم لهذا الأمر لأنكم أسرتي[٧] ومكان سرّي وموضع معرفتي وبكم

(١) هلاكنا (٢) سعة (٣) لجدير (٤) احتفرها المورد (٥) جمع مورد وهو الطريق الى الماء «وهنا مستعار لغير الماء» (٦) بخلا (٧) عشيرتي

أَعْتَضِدُ(١) . وَعَلَيْكُمْ أَعْتَمِدُ(٢) . فَإِنَّ الْوَحِيدَ فِي نَفْسِهِ وَالْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ ضَائِعٌ وَلَا نَاصِرَ لَهُ . عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِحِيلَتِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِالْخَيْلِ وَالْجُنُودِ

وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ قُنْبُرَةً(٣) اتَّخَذَتْ أُدْحِيَّةً(٤) وَبَاضَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفِيلِ . وَكَانَ لِلْفِيلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ فَوَطِئَ(٥) عُشَّ الْقُنْبُرَةِ وَهَشَمَ(٦) بَيْضَهَا وَقَتَلَ فِرَاخَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَاءَهَا عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَالَهَا(٧) مِنَ الْفِيلِ لَا مِنْ غَيْرِهِ . فَطَارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ بَاكِيَةً ثُمَّ قَالَتْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمَ هَشَمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ فِرَاخِي وَأَنَا فِي جِوَارِكَ . أَفَعَلْتَ هَذَا اسْتِصْغَارًا مِنْكَ لِأَمْرِي وَاحْتِقَارًا لِشَأْنِي . قَالَ هُوَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ . فَتَرَكَتْهُ وَانْصَرَفَتْ إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ فَشَكَتْ إِلَيْهَا مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ . فَقُلْنَ لَهَا وَمَا عَسَى أَنْ نَبْلُغَ مِنْهُ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ لِلْعَقَاعِقِ(٨) وَالْغِرْبَانِ أُحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصِرْنَ مَعِي إِلَيْهِ فَتَفْقَأْنَ عَيْنَيْهِ فَإِنِّي أَحْتَالُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَبْنَهَا إِلَى ذَلِكَ وَذَهَبْنَ إِلَى الْفِيلِ فَلَمْ يَزَلْنَ يَنْقُرْنَ عَيْنَيْهِ حَتَّى ذَهَبْنَ بِهِمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ إِلَّا مَا

(١) استعين (٢) اتكل (٣) نوع من العصافير (٤) عشا (٥) داس
(٦) كسر (٧) اصابها (٨) جمع عقعق وهو طائر على قدر الحمامة

يقمه(١) من موضعه. فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير(٢) فيه ضفادع كثيرة فشكت إليها ما نالها من الفيل. قالت الضفادع ما حيلتنا نحن في عظم الفيل وأين نبلغ منه. قالت أحب منكن أن تصرن معي إلى وهدة(٣) قريبة منه فتنقن(٤) فيها وتضججن فإنه إذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوي(٥) فيها. فأجبنها إلى ذلك واجتمعن في الهاوية. فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد جهده(٦) العطش فأقبل حتى وقع في الوهدة فاغتطم(٧) فيها. وجاءت القنبرة ترفرف على رأسه وقالت أيها الطاغي(٨) المغتر بقوته المحتقر لأمري كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر همتك

فليشر كل واحد منكم بما يسنح(٩) له من الرأي. قالوا بأجمعهم أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل. أنت المقدم فينا والفاضل علينا. وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا عند فهمك. غير أننا نعلم أن السباحة في الماء مع التمساح تغرير(١٠) والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه.

(١) يأكله عن وجه الارض (٢) نهر (٣) ما انهبط من الارض (٤) النقيق صياح الضفدع (٥) فيسقط (٦) اتعبه (٧) هلك (٨) المسرف في المعاصي والظلم (٩) يعرض ويخطر (١٠) اي تعريض النفس للهلكة

وَالَّذِي يَسْتَخْرِجُ السُّمَّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيُجَرِّبَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ الذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ. وَمَنْ دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فِي غَابَتِهِ لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ. وَهٰذَا الْمَلِكُ لَمْ تُفْزِعْهُ النَّوَائِبُ وَلَمْ تُؤَدِّبْهُ التَّجَارِبُ وَلَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ مِنْ سَوْرَتِهِ[1] وَمُبَادَرَتِهِ بِسُوءٍ إِذَا لَقِيتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ. فَقَالَ الْحَكِيمُ بَيْدَبَا لَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ لٰكِنَّ ذَا الرَّأْيِ الْحَازِمِ لَا يَدَعُ أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يُكْتَفَى بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْعَامَّةِ. وَقَدْ صَحَّتْ[2] عَزِيمَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ. وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيحَتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ. غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا وَعَزَمْتُ عَزْمًا وَسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمُجَاوَبَتِي إِيَّاهُ. فَإِذَا اتَّصَلَ بِكُمْ خُرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ وَصَرَفَهُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ *

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا اخْتَارَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ. حَتَّى إِذَا كَانَ ذٰلِكَ الْوَقْتُ أَلْقَى عَلَيْهِ مُسُوحَهُ[3] وَهِيَ لِبَاسُ الْبَرَاهِمَةِ وَقَصَدَ بَابَ الْمَلِكِ وَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِ إِذْنِهِ[4] وَأُرْشِدَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ وَقَالَ لَهُ إِنِّي رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي نَصِيحَةٍ. فَدَخَلَ

(١) حدته (٢) ثبتت (٣) جمع مسح وهو ثوب من شعر (٤) حاجبه

الإذنُ على الملكِ في وقتهِ وقالَ بالبابِ رجلٌ من البراهمةِ يُقالُ لهُ بيدبا ذكرَ أنَّ معهُ للملكِ نصيحةً. فأذِنَ لهُ فدخلَ ووقفَ بينَ يديهِ وكفَّرَ(١) وسجدَ لهُ واستوى(٢) قائماً وسكتَ. وفكَّرَ دبشليمُ في سكوتهِ وقالَ إنَّ هذا لم يقصدْنا إلّا لأمرينِ. إمّا أنْ يلتمسَ منّا شيئاً يُصلحُ بهِ حالَهُ. أو لأمرٍ لحقهُ فلمْ يكنْ لهُ بهِ طاقةٌ. ثمَّ قالَ إنْ كانَ للملوكِ فضلٌ في مملكتِها فإنَّ للحكماءِ فضلاً في حكمتِها أعظمَ. لأنَّ الحكماءَ أغنياءُ عنِ الملوكِ بالعلمِ وليسَ الملوكُ بأغنياءَ عنِ الحكماءِ بالمالِ. وقدْ وجدتُ العلمَ والحياءَ إلفينِ متآلفينِ لا يفترقانِ متى فُقِدَ أحدُهما لمْ يوجدِ الآخرُ كالمتصافيينِ(٣) إنْ عُدِمَ منهما أحدٌ لمْ يطبْ صاحبُهُ نفساً بالبقاءِ بعدهُ تأسُّفاً عليهِ. ومَنْ لمْ يستحيِ(٤) منَ الحكماءِ ويُكرمْهُمْ ويعرفْ فضلَهُمْ على غيرِهِمْ ويصنْهُمْ عنِ المواقفِ الواهنةِ(٥) وينزّهْهُمْ عنِ المواطنِ الرذلةِ(٦) كانَ ممَّنْ حُرِمَ عقلَهُ وخسرَ دنياهُ وظلمَ الحكماءَ حقوقَهُمْ وعُدَّ منَ الجهّالِ

ثمَّ رفعَ رأسهُ إلى بيدبا وقالَ لهُ نظرتُ إليكَ يا بيدبا ساكتاً لا تعرضُ حاجتَكَ ولا تذكرُ بغيتَكَ فقلتُ إنَّ الذي أسكتَهُ هيبةٌ

(١) خضع وتطامن (٢) نهض (٣) المتوادّين (٤) يخجل
(٥) الضعيفة (٦) الرديئة

ساورته[(١)] أو حيرة أدركته. وتأمّلت عند ذلك في طول وقوفك وقلت لم يكن ليبدبا أن يطرقنا[(٢)] على غير عادة إلا لأمر حرّكه إلى ذلك. فإنه من أفضل أهل زمانه فهلا نسأله عن سبب دخوله فإن يكن من ضيم ناله كنت أولى من أخذ بيده[(٣)] وسارع في تشريفه وتقدم في البلوغ إلى مراده وإعزازه. وإن كانت بغيته غرضاً من أغراض الدنيا أمرت بإرضائه من ذلك فيما أحب. وإن يكن من أمر الملك ومما لا ينبغي للملوك أن يبذلوه من أنفسهم ولا ينقادوا إليه نظرت في قدر عقوبته. على أن مثله لم يكن ليجترئ[(٤)] على إدخال نفسه في باب مسألة الملوك. وإن كان شيئاً من أمور الرعية يقصد فيه أن أصرف عنايتي إليهم نظرت ماهو. فإن الحكماء لا يشيرون إلا بالخير. والجهال يشيرون بضده. وأنا قد فسحت[(٥)] لك في الكلام * فلما سمع بيدبا ذلك من الملك أفرخ[(٦)] عنه روعه[(٧)] وسري[(٨)] ما كان وقع في نفسه من خوفه وكفّر له[(٩)] وسجد ثم قام بين يديه وقال

أول ما أقول إني أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد.

---

(١) غالبته (٢) يأتينا (٣) ساعده (٤) يتشجع (٥) اي اذنت

(٦) ذهب (٧) فزعه (٨) زال (٩) خضع

وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى ٱلْأَمَدِ(١) لِأَنَّهُ قَدْ مَنَحَنِي ٱلْمَلِكُ فِي مَقَامِي هٰذَا مَحَلًّا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ، وَذِكْرًا بَاقِيًا عَلَى ٱلدَّهْرِ عِنْدَ ٱلْحُكَمَاءِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ بِوَجْهِهِ مُسْتَبْشِرًا بِهِ فَرِحًا بِمَا بَدَا لَهُ مِنْهُ وَقَالَ قَدْ عَطَفَ عَلَيَّ ٱلْمَلِكُ بِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ. وَٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي دَعَانِي إِلَى ٱلدُّخُولِ عَلَى ٱلْمَلِكِ وَحَمَلَنِي(٢) عَلَى ٱلْمُخَاطَرَةِ فِي كَلَامِهِ وَٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ نَصِيحَةٌ ٱخْتَصَصْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ. وَسَيَعْلَمُ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذٰلِكَ أَنِّي لَمْ أُقَصِّرْ عَنْ غَايَةٍ فِيمَا يَجِبُ لِلْمَوْلَى عَلَى ٱلْحُكَمَاءِ. فَإِنْ فَسَحَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ(٣) عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذٰلِكَ وَإِنْ هُوَ أَلْقَاهُ فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزَمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْحَقُنِي. قَالَ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا تَكَلَّمْ مَهْمَا شِئْتَ فَإِنَّنِي مُصْغٍ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسَامِعٌ مِنْكَ حَتَّى أَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ وَأُجَازِيكَ عَلَى ذٰلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

قَالَ بَيْدَبَا إِنِّي وَجَدْتُ ٱلْأُمُورَ ٱلَّتِي ٱخْتَصَّ بِهَا ٱلْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ ٱلْحَيَوَانِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ وَهِيَ جِمَاعُ(٤) مَا فِي ٱلْعَالَمِ. وَهِيَ ٱلْحِكْمَةُ وَٱلْعِفَّةُ وَٱلْعَقْلُ وَٱلْعَدْلُ* وَٱلْعِلْمُ وَٱلْأَدَبُ وَٱلرَّوِيَّةُ(٥) دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْحِكْمَةِ. وَٱلْحِلْمُ وَٱلصَّبْرُ وَٱلْوَقَارُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ

(١) المدى (٢) اغراني (٣) حفظه (٤) جميع (٥) اعمال الفكر

العقل. والحياء والكرم والصيانة والأنفة[١] داخلة في باب العفة. والصدق والإحسان والمراقبة[٢] وحسن الخلق داخلة في باب العدل* وهذه هي المحاسن وأضدادها هي المساوئ. فمتى كملت هذه في واحد لم يخرجه النقص في نعمته إلى سوء الحظ من دنياه ولا إلى نقص من عقباه[٣] ولم يتأسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه ولم يحزنه ما تجري به المقادير[٤] في ملكه ولم يدهش[٥] عند مكروه. فالحكمة كنز لا يفنى على الإنفاق وذخيرة لا يضرب لها بالإملاق[٦]. وحلة لا تخلق[٧] جدتها. ولذة لا تصرم[٨] مدتها* ولئن كنت عند مقامي بين يدي الملك أمسكت[٩] عن ابتدائه بالكلام فإن ذلك لم يكن مني إلا لهيبته والإجلال له. ولعمري إن الملوك لأهل أن يهابوا ولا سيما من هو في المنزلة التي جل فيها الملك عن منازل الملوك قبله. وقد قالت العلماء الزم السكوت فإن فيه السلامة. وتجنب الكلام الفارغ فإن عاقبته الندامة* وحكي أن أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم ليتكلم كل منكم بكلام

(١) الترفع عن الدنايا (٢) مخافة الله (٣) آخرته (٤) احكام الزمان (٥) يتحير (٦) الفقر اي لا يفتقر صاحبها (٧) لا تبلى (٨) لا تنقطع (٩) امتنعت

يَكُونُ أَصْلاً لِلأَدَبِ * فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَفْضَلُ خَلَّةٍ[1] الْعُلَمَاءِ السُّكُوتُ . وَقَالَ الثَّانِي إِنَّ مِنْ أَنْفَعِ الأَشْيَاءِ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ . وَقَالَ الثَّالِثُ أَنْفَعُ الأَشْيَاءِ لِلإِنْسَانِ أَنْ لاَ يَتَكَلَّمَ بِمَا لاَ يَعْنِيهِ . وَقَالَ الرَّابِعُ أَرْوَحُ[2] الأُمُورِ لِلإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ * وَاجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَقَالُوا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلٌّ مِنَّا بِكَلِمَةٍ تُدَوَّنُ عَنْهُ عَلَى غَابِرِ[3] الدَّهْرِ * قَالَ مَلِكُ الصِّينِ أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . قَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ[4] . قَالَ مَلِكُ فَارِسَ أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكْتُهَا . قَالَ مَلِكُ الرُّومِ مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا * وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الْهَذَرِ[5] الَّذِي لاَ يُرْجَعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ . وَأَعْضَلُ[6] مَا اسْتَضَلَّ[7] بِهِ الإِنْسَانُ لِسَانُهُ . غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ أَطَالَ اللهُ مُدَّتَهُ لَمَّا فَسَحَ لِي فِي الْكَلاَمِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ كَانَ أَوْلَى مَا

---

(١) خصلة (٢) تفضيل من الراحة (٣) باقي (٤) اهلكته (٥)سقط الكلام (٦) اقبح (٧) حمله على الضلال

أَبْدَأُ بِهِ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ تَكُونَ ثَمَرَةُ ذٰلِكَ لَهُ دُونِي وَأَنْ أَخْتَصَّهُ بِٱلْفَائِدَةِ قَبْلِي . عَلَى أَنَّ ٱلْعُقْبَى (١) هِيَ مَا أَقْصِدُ فِي كَلَامِي لَهُ . وَإِنَّمَا نَفْعُهُ وَشَرَفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَأَكُونُ قَدْ قَضَيْتُ فَرْضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ

أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ ٱلْجَبَابِرَةِ ٱلَّذِينَ أَسَّسُوا ٱلْمُلْكَ قَبْلَكَ وَشَيَّدُوهُ دُونَكَ وَبَنَوْا ٱلْقِلَاعَ وَٱلْحُصُونَ وَمَهَّدُوا (٢) ٱلْبِلَادَ وَقَادُوا ٱلْجُيُوشَ وَٱسْتَجَاشُوا (٣) ٱلْعُدَّةَ . وَطَالَتْ لَهُمُ ٱلْمُدَّةُ . وَٱسْتَكْثَرُوا مِنَ ٱلسِّلَاحِ وَٱلْكُرَاعِ (٤) وَعَاشُوا ٱلدُّهُورَ . فِي ٱلْغِبْطَةِ (٥) وَٱلسُّرُورِ . فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذٰلِكَ مِنِ ٱكْتِسَابِ جَمِيلِ ٱلذِّكْرِ . وَلَا قَطَعَهُمْ عَنِ ٱغْتِنَامِ ٱلشُّكْرِ . وَٱسْتِعْمَالِ ٱلْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ خَوَّلُوهُ (٦) . وَٱلرِّفْقِ بِمَنْ وَلُّوهُ (٧) . وَحُسْنِ ٱلسِّيرَةِ فِيمَا تَقَلَّدُوهُ . مَعَ عِظَمِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غِرَّةِ (٨) ٱلْمُلْكِ وَسَكْرَةِ ٱلْاِقْتِدَارِ . وَإِنَّكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ جَدُّهُ ٱلطَّالِعُ كَوْكَبُ سَعْدِهِ قَدْ وَرِثْتَ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ ٱلَّتِي كَانَتْ عُدَّتَهُمْ فَأَقَمْتَ فِيمَا خُوِّلْتَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَوَرِثْتَ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْجُنُودِ وَلَمْ

---

(١) العاقبة (٢) اصلحوا (٣) جمعوا (٤) الدواب (٥) حسن الحال
(٦) ملكوه (٧) تولوا عليه (٨) الاسم من الاغترار بمعناه

تَهِمْ فِي ذٰلِكَ بِحَقِّ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَتَوْتَ[١] وَعَلَوْتَ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَأَسَأْتَ ٱلسِّيرَةَ وَعَظُمَتْ مِنْكَ ٱلْبَلِيَّةُ. وَكَانَ ٱلْأَوْلَى وَٱلْأَشْبَهَ[٢] بِكَ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ أَسْلَافِكَ وَتَتَّبِعَ آثَارَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَكَ وَتَقْفُوَ[٣] مَحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ وَتُقْلِعَ[٤] عَمَّا عَارُهُ لَازِمٌ لَكَ وَشَيْنُهُ[٥] وَاقِعٌ بِكَ وَتُحْسِنَ ٱلنَّظَرَ بِرَعِيَّتِكَ وَتَسُنَّ لَهُمْ سُنَنَ ٱلْخَيْرِ ٱلَّذِي يَبْقَى بَعْدَكَ ذِكْرُهُ. وَيُعْقِبُكَ[٦] ٱلْجَمِيلَ فَخْرُهُ. وَيَكُونُ ذٰلِكَ أَبْقَى عَلَى ٱلسَّلَامَةِ. وَأَدْوَمَ عَلَى ٱلِاسْتِقَامَةِ. فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ ٱلْمُغْتَرَّ مَنِ ٱسْتَعْمَلَ فِي أُمُورِهِ ٱلْبَطَرَ[٧] وَٱلْأُمْنِيَّةَ[٨] وَٱلْحَازِمَ[٩] ٱللَّبِيبَ مَنْ سَاسَ ٱلْمُلْكَ بِٱلْمُدَارَاةِ وَٱلرِّفْقِ * فَٱنْظُرْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فِيمَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ. وَلَا يَثْقُلَنَّ ذٰلِكَ عَلَيْكَ. فَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِهٰذَا ٱبْتِغَاءَ غَرَضٍ تُجَازِينِي بِهِ وَلَا ٱلْتِمَاسَ مَعْرُوفٍ تَسُوقُهُ إِلَيَّ وَلٰكِنِّي أَتَيْتُكَ نَاصِحًا مُشْفِقًا عَلَيْكَ

فَلَمَّا فَرَغَ بَيْدَبَا مِنْ مَقَالَتِهِ وَقَضَى مُنَاصَحَتَهُ أَوْغَرَ قَلْبَ ٱلْمَلِكِ[١٠] فَأَغْلَظَ لَهُ فِي ٱلْجَوَابِ ٱسْتِصْغَارًا لِأَمْرِهِ وَقَالَ لَقَدْ تَكَلَّمْتَ

---

(١) استكبرت (٢) اي الاليق (٣) تتبع (٤) تكف (٥) عيبه
(٦) اي يورثك (٧) عدم القيام بحق النعمة (٨) اي التعلل بالامال
(٩) من يضبط امره ويحكمه ويأخذ فيه بالثقة (١٠) ملأه غيظًا

بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي يَسْتَقْبِلُنِي بِمِثْلِهِ وَلَا يُقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ. فَكَيْفَ أَنْتَ مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ وَضَعْفِ مُنَّتِكَ(١) وَعَجْزِ قُوَّتِكَ. وَلَقَدْ أَكْثَرْتَ إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ وَتَسَلُّطِكَ بِلِسَانِكَ فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ حَدَّكَ. وَمَا أَجِدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ(٢) فَذَلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرُومَ مَا رُمْتَ أَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ. فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فَكَّرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ(٣) عَنْهُ ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ. فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ الْمَلِكُ فِي طَلَبِ تَلَامِذَتِهِ وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ وَاعْتَصَمُوا(٤) بِجَزَائِرِ الْبِحَارِ. فَمَكَثَ بَيْدَبَا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ * حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي سَهِدَ(٥) الْمَلِكُ سُهْدًا شَدِيدًا وَطَالَ سُهْدُهُ فَمَدَّ إِلَى الْفَلَكِ بَصَرَهُ وَتَفَكَّرَ فِي تَفَلُّكِ(٦) الْفَلَكِ(٧) وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ فَأَغْرَقَ(٨) الْفِكْرَ فِيهِ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ شَيْءٍ عَرَضَ لَهُ مِنْ

(١) احسانك (٢) معاقبتك بما يجعلك عبرةً لغيرك (٣) تاخر ورجع (٤) التجأوا وامتنعوا (٥) طار نومه (٦) استدارة (٧) مدار النجوم (٨) بالغ وتعمق

أُمُورِ ٱلْفَلَكِ وَٱلْمَسْأَلَةِ عَنْهُ. فَذَكَرَ عِنْدَ ذٰلِكَ بَيْدَبَا وَتَفَكَّرَ فِيمَا كَلَّمَهُ فِيهِ فَٱرْعَوَى[1] لِذٰلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ لَقَدْ أَسَأْتُ فِيمَا صَنَعْتُ بِهٰذَا ٱلْفَيْلَسُوفِ وَضَيَّعْتُ وَاجِبَ حَقِّهِ وَمَا حَمَلَنِي عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا سُرْعَةُ ٱلْغَضَبِ. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي ٱلْمُلُوكِ. ٱلْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ ٱلْأَشْيَاءِ مَقْتًا[2]. وَٱلْبُخْلُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ[3]. وَٱلْكَذِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُجَاوِرَهُ. وَٱلْعُنْفُ[4] فِي ٱلْمُحَاوَرَةِ فَإِنَّ ٱلسَّفَهَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا وَإِنِّي أَتَى إِلَيَّ رَجُلٌ نَصَحَ لِي وَلَمْ يَكُنْ مُبَلِّغًا فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ مَا يَسْتَحِقُّ وَكَافَأْتُهُ بِخِلَافِ مَا يَسْتَوْجِبُ. وَمَا كَانَ هٰذَا جَزَاءَهُ مِنِّي بَلْ كَانَ ٱلْوَاجِبُ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَنْقَادَ لِمَا يُشِيرُ بِهِ. ثُمَّ أَنْفَذَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ.

فَلَمَّا مَثَلَ[5] بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا أَلَسْتَ ٱلَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ هِمَّتِي وَعَجَّزْتَ رَأْيِي[6] فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ آنِفًا. قَالَ لَهُ بَيْدَبَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلنَّاصِحُ ٱلشَّفِيقُ. ٱلصَّادِقُ ٱلرَّفِيقُ[7]. إِنَّمَا نَبَّأْتُكَ[8] بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَلِرَعِيَّتِكَ وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ

---

(١) رجع عن رايه (٢) بغضًا (٣) ميسرته (٤) القسوة والخشونة
(٥) وقف (٦) نسبته الى العجز (٧) من الرفق (٨) انبأتك

قَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا أَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدَعْ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِئْتَ بِهِ . فَجَعَلَ بَيْدَبَا يَنْثُرُ كَلَامَهُ وَٱلْمَلِكُ مُصْغٍ إِلَيْهِ وَجَعَلَ دَبْشَلِيمُ كُلَّمَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا يَنْكُتُ ٱلْأَرْضَ[1] بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ[2] إِلَى بَيْدَبَا وَأَمَرَهُ بِٱلْجُلُوسِ . وَقَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا إِنِّي قَدِ ٱسْتَعْذَبْتُ كَلَامَكَ وَحُسْنَ مَوْقِعِهِ فِي قَلْبِي وَأَنَا نَاظِرٌ فِي ٱلَّذِي أَشَرْتَ بِهِ وَعَامِلٌ بِمَا أَمَرْتَ . ثُمَّ أَمَرَ بِقُيُودِهِ فَحُلَّتْ وَأَلْقَى عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِهِ وَتَلَقَّاهُ بِٱلْقَبُولِ . فَقَالَ بَيْدَبَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّ فِي دُونِ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ نُهْيَةً[3] لِمِثْلِكَ . قَالَ صَدَقْتَ أَيُّهَا ٱلْحَكِيمُ ٱلْفَاضِلُ وَقَدْ وَلَّيْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي مَمْلَكَتِي . فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَعْفِنِي مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ فَإِنِّي غَيْرُ مُضْطَلِعٍ بِتَقْوِيمِهِ[4] إِلَّا بِكَ فَأَعْفَاهُ مِنْ ذٰلِكَ . فَلَمَّا ٱنْصَرَفَ عَلِمَ أَنَّ ٱلَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ . فَبَعَثَ فَرَدَّهُ وَقَالَ إِنِّي فَكَّرْتُ فِي إِعْفَائِكَ مِمَّا عَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فَوَجَدْتُهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِكَ وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ وَلَا يَضْطَلِعُ بِهِ سِوَاكَ فَلَا تُخَالِفْنِي فِيهِ فَأَجَابَهُ بَيْدَبَا إِلَى ذٰلِكَ

وَكَانَ عَادَةُ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ إِذَا ٱسْتَوْزَرُوا وَزِيرًا أَنْ يَعْقِدُوا

---

(١) يضرب بها بقضيب او نحوه حال التفكر (٢) نظره (٣) الاسم من النهي وهو ضد الامر (٤) اي غير خبير بتعديله

عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا وَيَرْكَبَ فِي أَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَيُطَافَ بِهِ فِي ٱلْمَدِينَةِ فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يفْعَلَ بِبَيْدَبَا ذٰلِكَ. فَوُضِعَ ٱلتَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ وَرَكِبَ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَرَجَعَ فَجَلَسَ بِمَجْلِسِ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ يَأْخُذُ لِلدَّنِيءِ مِنَ ٱلشَّرِيفِ. وَيُسَاوِي بَيْنَ ٱلْقَوِيّ وَٱلضَّعِيفِ. وَرَدَّ ٱلْمَظَالِمَ وَوَضَعَ سُنَنَ(١) ٱلْعَدْلِ. وَأَكْثَرَ مِنَ ٱلْعَطَاءِ وَٱلْبَذْلِ(٢). وَٱتَّصَلَ ٱلْخَبَرُ بِتَلَامِذَتِهِ فَجَاءُوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرِحِينَ بِمَا جَدَّدَ ٱللّٰهُ لَهُ مِنْ جَدِيدِ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ فِيهِ وَشَكَرُوا ٱللّٰهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِ بَيْدَبَا فِي إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ ٱلسِّيرَةِ. وَٱتَّخَذُوا ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ عِيدًا يُعَيِّدُونَ فِيهِ فَهُوَ إِلَى ٱلْيَوْمِ عِيدٌ يُعَيِّدُونَهُ فِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَمَّا أَخْلَى فِكْرَهُ مِنِ ٱشْتِغَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ تَفَرَّغَ لِوَضْعِ كُتُبِ ٱلسِّيَاسَةِ وَنَشِطَ(٣) لَهَا فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيهَا دَقَائِقُ ٱلْحِيَلِ. وَمَضَى ٱلْمَلِكُ عَلَى مَا رَسَمَ لَهُ بَيْدَبَا مِنْ حُسْنِ ٱلسِّيرَةِ وَٱلْعَدْلِ فِي ٱلرَّعِيَّةِ فَرَغِبَتْ(٤) إِلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا فِي نَوَاحِيهِ وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْأُمُورُ عَلَى ٱسْتِوَائِهَا وَفَرِحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ * ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِذَتَهُ فَأَحْسَنَ صِلَتَهُمْ وَوَعَدَهُمْ

---

(١) جمع سنة وهي الشريعة (٢) العطاء (٣) خف واسرع
(٤) اي مالت

وَعْداً جَمِيلاً وَقَالَ لَهُمْ لَسْتُ أَشُكُّ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نُفُوسِكُمْ وَقْتَ دُخُولِي عَلَى ٱلْمَلِكِ أَنْ قُلْتُمْ إِنَّ بَيْدَبَا قَدْ ضَاعَتْ حِكْمَتُهُ وَبَطَلَتْ فِكْرَتُهُ إِذْ عَزَمَ عَلَى ٱلدُّخُولِ عَلَى هٰذَا ٱلْجَبَّارِ ٱلطَّاغِي · فَقَدْ عَلِمْتُمْ نَتِيجَةَ رَأْيِي وَصِحَّةَ فِكْرِي وَأَنِّي لَمْ آتِهِ جَهْلاً بِهِ لِأَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ قَبْلِي تَقُولُ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ لَهَا سَكْرَةٌ كَسَكْرَةِ ٱلشَّرَابِ · فَٱلْمُلُوكُ لَا تُفِيقُ مِنَ ٱلسَّكْرَةِ إِلَّا بِمَوَاعِظِ ٱلْعُلَمَاءِ وَأَدَبِ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْوَاجِبُ عَلَى ٱلْمُلُوكِ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْوَاجِبُ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ تَقْوِيمُ ٱلْمُلُوكِ بِأَلْسِنَتِهَا وَتَأْدِيبُهَا بِحِكْمَتِهَا وَإِظْهَارُ ٱلْحُجَّةِ ٱلْبَيِّنَةِ ٱللَّازِمَةِ لَهُمْ لِيَرْتَدِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلِٱعْوِجَاجِ وَٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْعَدْلِ* فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ فَرْضاً وَاجِباً عَلَى ٱلْحُكَمَاءِ لِمُلُوكِهِمْ لِيُوقِظُوهُمْ مِنْ سِنَةِ(١) سَكْرَتِهِمْ · كَٱلطَّبِيبِ ٱلَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِي صِنَاعَتِهِ حِفْظُ ٱلْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدُّهَا إِلَى ٱلصِّحَّةِ فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ أَوْ أَنْ أَمُوتَ وَمَا يَبْقَى عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ بَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفُ فِي زَمَانِ دَبْشَلِيمَ ٱلطَّاغِي فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ · فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يُكَلِّمَهُ خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ قَالُوا كَانَ ٱلْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جِوَارِهِ أَوْلَى بِهِ · وَٱلِٱنْزِعَاجُ(٢)

---

(١) نوم (٢) التحول والانتقال

عَنِ ٱلْوَطَنِ شَدِيدٌ. فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَيَاتِي فَأَكُونَ قَدْ أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْحُكَمَاءِ بِعُذْرٍ عُذْرًا. فَحَمَلْتُهَا عَلَى ٱلتَّغْرِيرِ أَوِ ٱلظَّفَرِ بِمَا أُرِيدُهُ وَكَانَ مِنْ ذٰلِكَ مَا أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ. فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْثَالِ إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ. إِمَّا بِمَشَقَّةٍ تَنَالُهُ فِي نَفْسِهِ وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ[1] فِي مَالِهِ أَوْ وَكْسٍ[2] فِي دِينِهِ وَمَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ[3] * وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ بَسَطَ[4] لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِيهِ ضُرُوبُ[5] ٱلْحِكْمَةِ. فَلْيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ عَقْلِهِ وَأَيْنَ بَلَغَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ فَهْمُهُ. قَالُوا أَيُّهَا ٱلْحَكِيمُ ٱلْفَاضِلُ. وَٱللَّبِيبُ ٱلْعَاقِلُ وَٱلَّذِي وَهَبَ لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلْفَضِيلَةِ مَا خَطَرَ هٰذَا بِقُلُوبِنَا سَاعَةً قَطُّ. وَأَنْتَ رَئِيسُنَا وَفَاضِلُنَا وَبِكَ شَرَفُنَا وَعَلَى يَدِكَ ٱنْتِعَاشُنَا. وَلٰكِنْ سَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا فِيمَا أَمَرْتَ. وَمَكَثَ ٱلْمَلِكُ عَلَى ذٰلِكَ مِنْ حُسْنِ ٱلسِّيرَةِ زَمَانًا يَتَوَلَّى لَهُ ذٰلِكَ بَيْدَبَا وَيَقُومُ بِهِ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ لَمَّا ٱسْتَقَرَّ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَسَقَطَ عَنْهُ

---

(١) خسارة (٢) نقصان (٣) ما يرغب فيه (٤) اي اطلق
(٥) اصناف

ٱلنَّظَرُ فِي أُمُورِ ٱلْأَعْدَاءِ بِمَا قَدْ كَفَاهُ (١) ذٰلِكَ بَيْدَبَا. صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ ٱلْهِنْدِ لِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ (٢) أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَتُذْكَرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذُكِرَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ. فَلَمَّا عَزَمَ (٣) عَلَى ذٰلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ (٤) إِلَّا بِبَيْدَبَا. فَدَعَاهُ وَخَلَا بِهِ وَقَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا إِنَّكَ حَكِيمُ ٱلْهِنْدِ وَفَيْلَسُوفُهَا. وَإِنِّي فَكَّرْتُ وَنَظَرْتُ فِي خَزَائِنِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ وَيُنْبِئُ عَنْ أَدَبِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. فَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ ٱلْمُلُوكُ لِأَنْفُسِهَا وَذٰلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا. وَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ حُكَمَاؤُهَا وَأَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مَا لَحِقَ أُولٰئِكَ مِمَّا لَا حِيلَةَ لِي فِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي خَزَائِنِي كِتَابٌ أُذْكَرُ بِهِ بَعْدِي وَيُنْسَبُ إِلَيَّ كَمَا ذُكِرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي بِكُتُبِهِمْ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا بَلِيغًا تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةَ ٱلْعَامَّةِ وَتَأْدِيبَهَا عَلَى طَاعَةِ ٱلْمَلِكِ وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ ٱلْمُلُوكِ وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ فَيَسْقُطُ بِذٰلِكَ عَنِّي وَعَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ (٥) ٱلْمُلْكِ. وَأُرِيدُ أَنْ يَبْقَى لِي هٰذَا ٱلْكِتَابُ

---

(١) اغناه عنه (٢) اي خطر بباله (٣) صمم (٤) لا يكون (٥) معالجة

بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَابِرِ ٱلدُّهُورِ * فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا كَلَامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ جَدُّهُ . عَلَا نَجْمُكَ وَغَابَ نَحْسُكَ وَدَامَتْ أَيَّامُكَ إِنَّ ٱلَّذِي قَدْ طُبِعَ عَلَيْهِ ٱلْمَلِكُ مِنْ جُودَةِ ٱلْقَرِيحَةِ وَوُفُورِ ٱلْعَقْلِ حَرَّكَهُ إِلَى عَالِي ٱلْأُمُورِ وَسَمَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَهِمَّتُهُ إِلَى أَشْرَفِ ٱلْمَرَاتِبِ مَنْزِلَةً وَأَبْعَدِهَا غَايَةً . وَأَدَامَ ٱللهُ سَعَادَةَ ٱلْمَلِكِ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا عَزَمَ مِنْ ذٰلِكَ وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ . فَلْيَأْمُرِ ٱلْمَلِكُ بِمَا شَاءَ مِنْ ذٰلِكَ فَإِنِّي صَائِرٌ[1] إِلَى غَرَضِهِ مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي * قَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفًا بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ وَطَاعَةِ ٱلْمُلُوكِ فِي أُمُورِهِمْ . وَقَدِ ٱخْتَبَرْتُ مِنْكَ ذٰلِكَ وَٱخْتَرْتُ أَنْ تَضَعَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ وَتُعْمِلَ فِيهِ فِكْرَكَ وَتَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَكَ بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ ٱلسَّبِيلَ . وَلْيَكُنْ مُشْتَمِلًا عَلَى ٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ وَٱللَّهْوِ وَٱلْحِكْمَةِ وَٱلْفَلْسَفَةِ . فَكَفَّرَ لَهُ بَيْدَبَا وَسَجَدَ وَقَالَ قَدْ أَجَبْتُ ٱلْمَلِكَ أَدَامَ ٱللهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ وَجَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَجَلًا[2] . قَالَ وَكَمِ ٱلْأَجَلُ قَالَ سَنَةٌ . قَالَ قَدْ أَجَّلْتُكَ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ[3] تُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ ٱلْكِتَابِ * فَبَقِيَ بَيْدَبَا مُفَكِّرًا فِي ٱلْأَخْذِ فِيهِ وَفِي أَيِّ صُورَةٍ يَبْتَدِئُ بِهَا فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ

(١) منتهٍ وواصل (٢) موعدًا (٣) رفيعة

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِذَتَهُ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ ٱلْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي[١] إِلَى أَمْرٍ فِيهِ فَخْرِي وَفَخْرُكُمْ وَفَخْرُ بِلَادِكُمْ وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهٰذَا ٱلْأَمْرِ. ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ ٱلْمَلِكُ مِنْ أَمْرِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْغَرَضِ ٱلَّذِي قَصَدَ فِيهِ فَلَمْ يَقَعْ لَهُمُ ٱلْفِكْرُ فِيهِ * فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ فَكَّرَ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ أَنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ إِنَّمَا يَتِمُّ بِٱسْتِفْرَاغِ ٱلْعَقْلِ وَإِعْمَالِ ٱلْفِكْرِ. وَقَالَ أَرَى ٱلسَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ إِلَّا بِٱلْمَلَّاحِينَ[٢] لِأَنَّهُمْ يُعَدِّلُونَهَا. وَإِنَّمَا تَسْلُكُ ٱللُّجَّةَ[٣] بِمُدَبِّرِهَا ٱلَّذِي تَفَرَّدَ بِإِمْرَتِهَا[٤]. وَمَتَى شُحِنَتْ بِٱلرُّكَّابِ ٱلْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ مَلَّاحُوهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ ٱلْغَرَقِ * وَلَمْ يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيمَا يَعْمَلُهُ فِي بَابِ ٱلْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى ٱلِٱنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ كَانَ يَثِقُ بِهِ. فَخَلَا بِهِ مُنْفَرِدًا مَعَهُ بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ[٥] مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلَّذِي كَانَتْ تَكْتُبُ فِيهِ ٱلْهِنْدُ شَيْئًا وَمِنَ ٱلْقُوتِ مَا يَقُومُ بِهِ وَبِتِلْمِيذِهِ تِلْكَ ٱلْمُدَّةَ وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ[٦] وَرَدَّا عَلَيْهِمَا ٱلْبَابَ. ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ ٱلْكِتَابِ وَتَصْنِيفِهِ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُمْلِي وَتِلْمِيذُهُ يَكْتُبُ وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ حَتَّى ٱسْتَقَرَّ ٱلْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ ٱلْإِتْقَانِ

(١) دعاني (٢) النواتي (٣) معظم الماء (٤) ولايتها (٥) هيّأ
(٦) حجرة

وَٱلْإِحْكَامِ . وَرَتَّبَ فِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ بَابًا كُلُّ بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْئَلَةٌ وَٱلْجَوَابُ عَنْهَا لِيَكُونَ لِمَنْ نَظَرَ فِيهِ حَظٌّ(١) مِنَ ٱلتَّبْصِرَةِ وَٱلْهِدَايَةِ . وَضَمَّنَ تِلْكَ ٱلْأَبْوَابَ كِتَابًا وَاحِدًا وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ . ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسُنِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلسِّبَاعِ وَٱلطَّيْرِ لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ لَهْوًا لِلْخَوَاصِّ وَٱلْعَوَامِّ وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةً(٢) لِعُقُولِ ٱلْخَاصَّةِ . وَضَمَّنَهُ أَيْضًا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ وَأُولَاهُ(٣) وَيَحُضُّهُ(٤) عَلَى حُسْنِ طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيُجَنِّبُهُ مَا تَكُونُ مُجَانَبَتُهُ خَيْرًا لَهُ * ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا كَرَسْمِ سَائِرِ ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي بِرَسْمِ ٱلْحِكْمَةِ فَصَارَ ٱلْحَيَوَانُ لَهْوًا وَمَا يَنْطِقُ بِهِ حِكَمًا وَأَدَبًا * فَلَمَّا ٱبْتَدَأَ بَيْدَبَا بِذٰلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ ٱلْكِتَابِ وَصْفَ ٱلصَّدِيقِ كَيْفَ يَكُونُ ٱلصَّدِيقَانِ وَكَيْفَ تُقْطَعُ ٱلْمَوَدَّةُ ٱلثَّابِتَةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي ٱلنَّمِيمَةِ(٥) . وَأَمَرَ تِلْمِيذَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى لِسَانِ بَيْدَبَا مِثْلَ مَا كَانَ ٱلْمَلِكُ شَرَطَهُ(٦) فِي أَنْ يَجْعَلَهُ لَهْوًا وَحِكْمَةً . فَذَكَرَ بَيْدَبَا أَنَّ ٱلْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ ٱلنَّقَلَةِ

---

(١) نصيب (٢) اي تمريناً (٣) اي حياته (٤) يحثه ويدعوه
(٥) نقل الاحاديث بقصد الافساد (٦) اشترطه

أَفْسَدَهَا وَاسْتَجْهَلَ حِكْمَتَهَا

فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتِلْمِيذُهُ يُعْمِلَانِ الْفِكْرَ فِيمَا سَأَلَهُ الْمَلِكُ حَتَّى فَتَقَ[١] لَهُمَا الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ بَهِيمَتَيْنِ. فَوَقَعَ لَهُمَا مَوْضِعُ اللَّهْوِ وَالْهَزْلِ بِكَلَامِ الْبَهَائِمِ وَكَانَتِ الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ. فَأَصْغَتِ الْحُكَمَاءُ إِلَى حِكَمِهِ وَتَرَكُوا الْبَهَائِمَ وَاللَّهْوَ وَعَلِمُوا أَنَّهَا السَّبَبُ فِي الَّذِي وُضِعَ لَهُمْ وَمَالَتْ إِلَيْهِ الْجُهَّالُ عَجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتَيْنِ وَلَمْ يَشُكُّوا فِي ذَلِكَ وَاتَّخَذُوهُ لَهْوًا وَتَرَكُوا مَعْنَى الْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ الَّذِي وُضِعَ لَهُ. لِأَنَّ الْفَيْلَسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ تَوَاصُلِ الْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلَى التَّحَفُّظِ مِنْ أَهْلِ السِّعَايَةِ[٢] وَالتَّحَرُّزِ مِمَّنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْمُتَحَابِّيْنِ لِيَجُرَّ بِذَلِكَ نَفْعًا إِلَى نَفْسِهِ* فَلَمْ يَزَلْ بَيْدَبَا وَتِلْمِيذُهُ فِي الْمَقْصُورَةِ حَتَّى اسْتَتَمَّ عَمَلَ الْكِتَابِ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ

فَلَمَّا تَمَّ الْحَوْلُ[٣] أَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَمَاذَا صَنَعْتَ. فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بَيْدَبَا إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكَ فَلْيَأْمُرْنِي بِحَمْلِهِ بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هَذَا الْكِتَابَ

(١) اي كشف (٢) النميمة (٣) السنة

بِحَضْرَتِهِمْ(١)· فَلَمَّا رَجَعَ ٱلرَّسُولُ إِلَى ٱلْمَلِكِ سُرَّ بِذٰلِكَ وَوَعَدَهُ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ * ثُمَّ نَادَى فِي أَقَاصِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ ٱلْكِتَابِ· فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ وَكَرَاسِيُّ لِأَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُ· فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَامَ فَلَبِسَ ٱلثِّيَابَ ٱلَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلَى ٱلْمُلُوكِ وَهِيَ ٱلْمُسُوحُ ٱلسُّودُ وَحَمَلَ ٱلْكِتَابَ تِلْمِيذُهُ· فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ وَثَبَ ٱلْخَلَائِقُ بِأَجْمَعِهِمْ وَقَامَ ٱلْمَلِكُ شَاكِرًا فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ ٱلْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ· فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا ٱرْفَعْ رَأْسَكَ فَإِنَّ هٰذَا يَوْمُ هَنَاءٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ وَأَمَرَهُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يَجْلِسَ· فَحِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ ٱلْكِتَابِ سَأَلَهُ ٱلْمَلِكُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْكِتَابِ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ قَصَدَ فِيهِ فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ فَٱزْدَادَ ٱلْمَلِكُ مِنْهُ تَعَجُّبًا وَسُرُورًا فَقَالَ لَهُ يَا بَيْدَبَا مَا عَدَوْتَ(٢) ٱلَّذِي فِي نَفْسِي وَهٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ فَٱطْلُبْ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ· فَدَعَا لَهُ بَيْدَبَا بِٱلسَّعَادَةِ وَطُولِ ٱلْجَدِّ(٣) وَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَمَّا ٱلْمَالُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ وَأَمَّا ٱلْكِسْوَةُ فَلَا أَخْتَارُ عَلَى لِبَاسِي هٰذَا

(١) حضورهم (٢) جاوزت (٣) بمعنى السعادة

شَيْئًا وَلَسْتُ أُخْلِي ٱلْمَلِكَ(١) مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا مَا حَاجَتُكَ فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا(٢) مَقْضِيَّةٌ. قَالَ يَأْمُرُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُدَوِّنَ كِتَابِي هٰذَا كَمَا دَوَّنَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ كُتُبَهُمْ. وَيَأْمُرُ بِٱلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فَيَتَنَاوَلَهُ أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ. فَٱلْمَلِكُ يَأْمُرُ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِ ٱلْحِكْمَةِ. ثُمَّ دَعَا ٱلْمَلِكُ بِتَلَامِيذِهِ وَأَحْسَنَ لَهُمُ ٱلْجَوَائِزَ

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ وَكَانَ مُسْتَأْثِرًا(٣) بِٱلْكُتُبِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ ٱلْأَوَائِلِ وَقَعَ إِلَيْهِ(٤) خَبَرُ ٱلْكِتَابِ فَلَمْ يَقِرَّ قَرَارُهُ حَتَّى بَعَثَ بَرْزَوَيْهِ ٱلطَّبِيبَ وَتَلَطَّفَ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فَأَقَرَّهُ(٥) فِي خَزَائِنِ فَارِسَ

---

(١) اي اعفيه (٢) اي عندنا (٣) منفردًا (٤) اي بلغه (٥) اثبته

بَاب

بِعْثَةِ ٱلْمَلِكِ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ بْنِ قَبَاذَ بْنِ فَيْرُوزَ بَرْزَوَيْهِ بْنَ أَزْهَرَ ٱلطَّبِيبَ إِلَى ٱلْهِنْدِ فِي تَحْصِيلِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ غَيْبِهِ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى كُلِّ عِلْمٍ وَغَايَةٍ . ٱلدَّالِّ عَلَى ٱلْخَيْرِ ٱلْمُسَبِّبِ كُلَّ فَضِيلَةٍ . أَلْهَمَ عِبَادَهُ كُلَّ مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ نَوَافِلِ[1] ٱلْخَيْرَاتِ . وَنَوَامِي ٱلْبَرَكَاتِ . لِمَا أَمَرَ ٱللّٰهُ تَعَالَى عِبَادَهُ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِكْمَةِ إِذْ أَمَرَهُمْ بِٱلشُّكْرِ لَهُ لِيَسْتَوْجِبُوا بِذٰلِكَ ٱلْمَزِيدَ مِنْهُ وَيُسَارِعُوا فِيمَا يُرْضِيهِ عَنْهُمْ تَبَارَكَ ٱللّٰهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ

وَقَدْ جَعَلَ ٱللّٰهُ لِكُلِّ مُسَبَّبٍ عِلَّةً وَلِكُلِّ عِلَّةٍ مَجْرًى يُجْرِيهَا ٱللّٰهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى يَدِ عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِهِ وَيُقَدِّرُهَا لَهُ عَلَى أَيَّامِ دَوْلَتِهِ وَأَيَّامِ عُمْرِهِ . وَذٰلِكَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ عِلْمِ ٱنْتِسَاخِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ وَنَقْلِهِ مِنْ أَرْضِ ٱلْهِنْدِ إِلَى مَمْلَكَةِ فَارِسَ إِلْهَامٌ أَلْهَمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى

---

(١) جمع نافلة وهي ما يستحسن عمله ولا يجب

كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ لِلْبَعْثِ فِي نَقْلِهِ وَنَسْخِهِ. لِأَنَّهُ كَانَ أَكْبَرَ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ. وَأَكْثَرَهُمْ حِكْمَةً وَأَسَدَّهُمْ رَأْيًا وَأَرْشَدَهُمْ تَدْبِيرًا. وَأَحَبَّهُمْ لِلْعُلُومِ وَأَبْحَثَهُمْ عَنْ مَكَامِنِ (١) ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ. وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى ٱلْخَيْرِ وَتَقَرُّبِهِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى وَإِلَى ٱقْتِنَاءِ مَا يَزِينُهُ بِزِينَةِ ٱلْحِكْمَةِ مِنْ طَالِبِي ٱلْأَدَبِ وَٱلْعِلْمِ فِي مَعْرِفَةِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ وَٱلنَّفْعِ وَٱلضَّرِّ وَٱلصَّدِيقِ وَٱلْعَدُوِّ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذٰلِكَ إِلَّا بِنُورِ ٱللهِ تَعَالَى فِي سِيَاسَتِهِ عَبِيدَهُ وَبِلَادَهُ لِإِقَامَةِ رَعِيَّتِهِ وَأُمُورِهِ* وَهُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْمُعَظَّمُ فِي قَوْمِهِ كِسْرَى ٱلْمُتَزَيِّنُ بِزِينَةِ ٱلْبَهَاءِ. ٱلْفَاضِلُ ٱلْمَاجِدُ ٱلرَّشِيدُ ٱلسَّعِيدُ. ٱلَّذِي لَمْ يَعْدِلْهُ أَحَدٌ مِمَّنْ مَضَى قَبْلَهُ مِنْ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ. ٱلنَّاقِدُ (٢) ٱلْبَصِيرُ ٱلْكَامِلُ ٱلْأَدَبِ ٱلْمُعِينَةُ لَهُ نَفْسُهُ عَلَى ٱلْتِمَاسِ فُرُوعِ ٱلْحِكَمِ. ٱلْمُسْتَعِينُ بِنُورِ ٱلْعَقْلِ وَجُودَةِ ٱلْفِكْرِ. ٱلَّذِي ٱخْتَصَّهُ ٱللهُ تَعَالَى بِهٰذِهِ ٱلْخِصَالِ ٱلْمَحْمُودَةِ. وَزَيَّنَهُ بِزِينَةِ ٱلْكَرَامَةِ وَتَوَّجَهُ بِهٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ ٱلسَّابِغَةِ (٣). حَتَّى أَذْعَنَتْ لَهُ ٱلرَّعِيَّةُ وَطَاعَتْ لِسُلْطَانِهِ ٱلْبَرِيَّةُ. وَصَفَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَدَانَتْ (٤) لَهُ ٱلْبِلَادُ وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْمُلُوكُ وَرَكَنَتْ إِلَى طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ. وَذٰلِكَ مِنْحَةٌ (٥) مِنَ ٱلْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا قَسَمَهَا لَهُ فِي دَوْلَتِهِ وَجَمَّلَهُ بِهَا

(١) مخابي (٢) المميز (٣) اي الشامله (٤) خضعت (٥) عطية

فِي أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ

فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي عُنْفُوَانِ(١) دَوْلَتِهِ وَشَمْخِهَا(٢) وَعِزَّةِ مَمْلَكَتِهِ وَقَعْسِهَا(٣) إِذْ أَخْبَرَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ أَنَّ عِنْدَ بَعْضِ مُلُوكِ الْهِنْدِ فِي خَزَائِنِهِ كِتَابًا مِنْ تَآلِيفِ الْحُكَمَاءِ وَتَصَانِيفِ الْعُلَمَاءِ وَاسْتِنْبَاطِ الْفُضَلَاءِ . وَقَدْ فُصِّلَتْ لَهُ غَرَائِبُ مِنْ عَجَائِبِهِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْهَوَامِّ(٤) وَخَشَاشِ(٥) الْأَرْضِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فُضَلَاءُ الْمُلُوكِ لِسِيَاسَةِ رَعِيَّتِهَا وَنِظَامِ أُمُورِ مَمَالِكِهَا وَتَدْبِيرِهَا * فَدَعَتْهُ الْحَاجَةُ إِلَى اقْتِنَاءِ هٰذَا الْكِتَابِ لِكَمَالِ مُلْكِهِ . وَأَنَّهُ بِعَدَمِهِ نَاقِصٌ وَبِتَحْصِيلِهِ كَامِلٌ . وَبِاتِّبَاعِهِ يَحْصُلُ عَلَى رِضَى الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا . وَانْقِيَادِ الْمَخْلُوقِ لَهُ وَزَجْرِهِ(٦) عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي يَتَّبِعُهَا شِرَارُ(٧) الْخَلْقِ . وَيَتَجَنَّبُهَا أَصْفَاهُمْ جَوْهَرًا وَأَجْوَدُهُمْ طَبْعًا وَأَنْبَغُهُمْ(٨) حَسَبًا(٩) * وَإِنَّهُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِ وَهَمَّ بِاقْتِنَائِهِ وَنَسْخِهِ قَالَ فِي نَفْسِهِ مَنْ لِهٰذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ وَالْخَطْبِ(١٠) الْجَسِيمِ(١١) وَالْأَدَبِ النَّفِيسِ الَّذِي بِهِ تَكْمُلُ الْفَضَائِلُ .

---

(١) معظم (٢) عظمتها (٣) منعتها وعزها (٤) ما يقتل من الحشرات (٥) الحشرات مطلقاً (٦) نهيه (٧) اشرار (٨) اظهرهم (٩) الحسب ما يتشئه الرجل لنفسه من المفاخر (١٠) بمعنى الامر (١١) بمعنى العظيم

وَلَمْ تَتَزَيَّنْ بِهِ مُلُوكُ الْهِنْدِ دُونَ مُلُوكِ فَارِسَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لا أَدَعَ مَشَقَّةً وَلا صُعُوبَةً وَلا مُخَاطَرَةً حَتَّى أَبْذُلَهَا فِي طَلَبِ هٰذَا الْكِتَابِ. حَتَّى أَصِلَ إِلَى نَسْخِهِ وَاقْتِنَائِهِ عَلَى تَرْتِيبِ مَنَافِعِهِ وَعَجَائِبِهِ مِنْ أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ وَوَضْعِ الْعُلَمَاءِ . لِيَقَعَ[1] لَنَا اسْتِنْبَاطُهُ[2] دُونَ سَائِرِ الْمُلُوكِ مِنْ أَحَادِيثَ مُعْجِبَةٍ وَفَضَائِلَ مُحْكَمَةٍ[3] يَكَادُ الْعَقْلُ يَمُدُّ يَدًا إِلَى اجْتِنَاءِ ثَمَرِهَا وَيَفْتَحُ فَمًا لِلَذِيذِ مَذَاقِهَا وَيَتَعَلَّقُ بِوَثِيقِ[4] حَبْلِهَا . إِذْ يَرُوضُ[5] النَّفْسَ بِالْعُدُولِ عَنْ مَسَاوِئِهَا وَيَعْدِلُ بِهَا عَنْ تَتَبُّعِ أَهْوَائِهَا

فَلَمَّا فَحَصَ كِسْرَى رَأْيَهُ السَّدِيدَ[6] وَعَزْمَهُ الرَّشِيدَ فِيمَا صَمَّمَ عَلَيْهِ وَهَمَّ بِهِ قَالَ . الْأَمْرُ فِي ذٰلِكَ جَلِيلٌ وَالْخَطْبُ عَظِيمٌ وَالشُّقَّةُ[7] بَعِيدَةٌ وَالْمَسَافَةُ طَوِيلَةٌ شَاقَّةٌ[8] . وَلا بُدَّ مِنْ أَنْ نَنْتَحِلَ[9] مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَةِ أَصْلَبَهُمْ عُودًا[10] وَأَجْوَدَهُمْ عَزْمًا وَحَزْمًا[11] . وَهٰذَا يُوجَدُ إِمَّا فِي كُتَّابِ الدِّيوَانِ وَإِمَّا فِي طِبِّ الْخَاصِّ . لِأَنَّ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ تَجْمَعُ مَسَالِكُهُمَا جَمِيعَ الْفَضَائِلِ وَالْأَدَبِ وَفُنُونَ

---

(١) يثبت (٢) استخراجه (٣) متقنة (٤) محكم متين (٥) اي يثقف ويهذب (٦) المصيب (٧) السفر (٨) صعبة (٩) اي نختار (١٠) اي احذقهم طبعاً (١١) ضبطاً لامره

العِلْم وَمَحْض[1] الحِكَم في أَنَاةٍ[2] وَتُؤَدَةٍ[3] . وَبُلُوغ الأَغْرَاضِ لِلْمُلُوكِهَا بِحُسْنِ الحِيَلِ وَجُودَةِ الذِّهْنِ وَكَمَالِ المُرُوَّةِ وَكِتْمَانِ السِّرِّ وَإِظْهَارِ أَضْدَادِهَا

فَلَمَّا تَمَّ عَزْمُهُ وَانْتَظَمَ سَأَلَ وُزَرَاءَهُ أَنْ يَتَقَدَّمُوا وَيَجْتَهِدُوا فِي تَطَلُّبِ رَجُلٍ كَامِلٍ عَالِمٍ أَدِيبٍ . قَدْ جَمَعَ الفَضَائِلَ بِحَذَافِيرِهَا[4] وَنُسِبَ إِلَى الكَمَالِ مِنْ أَهْلِ الصِّنْفَيْنِ المَذْكُورَيْنِ . إِمَامًا كَاتِبًا نِحْرِيرًا[5] أَوْ طَبِيبًا فَيْلَسُوفًا مَاهِرًا قَدْ أَدَّبَتْهُ التَّجَارِبُ . عَارِفًا بِلِسَانِ الفَارِسِيَّةِ خَبِيرًا بِاللُّغَةِ الهِنْدِيَّةِ يَكْتُبُهُمَا جَمِيعًا حَرِيصًا عَلَى العِلْمِ مُجْتَهِدًا فِي الأَدَبِ مُوَاظِبًا عَلَى الطِّبِّ أَوِ الفَلْسَفَةِ فَيَأْتُوهُ بِهِ* فَخَرَجَ أَهْلُ مَشُورَتِهِ وَوُزَرَاؤُهُ مُسْرِعِينَ فَبَحَثُوا عَمَّنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَوَجَدُوهُ وَظَفِرُوا بِهِ . فَإِذَا هُوَ شَابٌّ جَمِيلُ الوَجْهِ كَامِلُ العَقْلِ وَالأَدَبِ ذُو حَسَبٍ وَصِنَاعَةٍ شَرِيفَةٍ يُعْرَفُ بِهَا وَهِيَ الطِّبُّ . وَكَانَ مَاهِرًا فِي الفَارِسِيَّةِ وَالهِنْدِيَّةِ وَهُوَ بَرْزَوَيْهِ بْنُ أَزْهَرَ الفَيْلَسُوفُ وَكَانَ مِنْ فُضَلَاءِ أَطِبَّاءِ فَارِسَ . فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ كِسْرَى فَخَرَّ سَاجِدًا وَعَفَّرَ[6] وَجْهَهُ طَاعَةً لِلْمَلِكِ

فَشَرَحَ لَهُ الأَمْرَ بِمَحْضَرٍ مِنْ وُزَرَائِهِ وَخَوَاصِّهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ

(١) خالص (٢) حلم (٣) تأنٍّ (٤) باسرها (٥) عالمًا متقنًا (٦) مرّغ

وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ إِنِّي تَقَدَّمْتُ إِلَى وُزَرَاءِ دَوْلَتِي وَأَهْلِ نَصِيحَتِي أَنْ يَنْظُرُوا لِي رَجُلاً كَامِلَ الْفَضْلِ قَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَاقْتِنَاءِ الْفَضَائِلِ. كَاتِمًا لِأَسْرَارِ الْمُلُوكِ أُطْلِعُهُ عَلَى مَا انْطَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرِي وَأُوصِلُهُ إِلَى مَكْنُونِ(١) سِرِّي فَيَأْخُذُ ذٰلِكَ بِقَبُولٍ وَإِقْبَالٍ وَسِيَاسَةٍ وَإِذْعَانٍ. وَيُظْهِرُ الْخِدْمَةَ وَيَمْحَضُ(٢) الْمِهْنَةَ(٣) وَيَبْذُلُ الاجْتِهَادَ فِي بُلُوغِ الْمَلِكِ مُنَاهُ وَأَمَلَهُ وَيُمَيِّزُهُ عَلَى سَائِرِ مُلُوكِ الدُّوَلِ لِيَصِلَ إِلَى مَطْلُوبِهِ وَيُكَافَأَ عَلَى ذٰلِكَ بِمَا يَبْقَى فِي عَقِبِهِ(٤) بَاذِلاً نَفْسَهُ فِيمَا لِسُلْطَانِهِ * وَقَدْ ذُكِرَ عَنْكَ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ وَحِكَمٌ شَرِيفَةٌ أَنْتَ بِفِرَاسَتِكَ(٥) أَهْلٌ لَهَا وَيَنْبُوعٌ تَصْدُرُ عَنْكَ. فَكُنْ عِنْدَ رَجَاءِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ فِيكَ(٦). وَأَنْزِلْ نَفْسَكَ هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي تَخَيَّرْتَ(٧) لَهَا وَأَنْفِقْ مِنْ سَعَةٍ(٨) وَتَسَبَّبْ بِأَسْبَابِ(٩) مَنْ صَفَا جَوْهَرُهُ وَطَابَ عُنْصُرُهُ(١٠). وَارْتَفَعَ بِعِلْمِهِ وَحِلْمِهِ وَطَاعَةِ بَارِئِهِ بِطَاعَةِ سُلْطَانِهِ الَّتِي أُمِرَ بِاتِّبَاعِهَا وَنُهِيَ وَزُجِرَ عَنِ الْخُرُوجِ عَنْهَا. فَإِنِّي قَدِ اخْتَرْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ * وَقَدْ

---

(١) مستور (٢) يخلص (٣) بمعنى الخدمة (٤) ولده من بعده (٥) بصدق نظرك (٦) اي حقق املهم فيك (٧) اصطفيت (٨) اي توسع في انفاق المال (٩) اي توسل بوسائل (١٠) اصله

بَلَغَنِي عَنْ كِتَابٍ بِالْهِنْدِ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُ . وَقَالَ لَهُ تَجَهَّزْ فَإِنِّي مُرَحِّلُكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ . فَتَلَطَّفْ فِي ذٰلِكَ بِعَقْلِكَ وَحُسْنِ أَدَبِكَ وَنَاقِدِ رَأْيِكَ لِاسْتِخْرَاجِ هٰذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ وَمِنْ قِبَلِ[١] عُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ تَامًّا كَامِلًا مَكْتُوبًا بِالْفَارِسِيَّةِ فَتَسْتَفِيدُهُ أَنْتَ وَتُفِيدُنَا إِيَّاهُ . وَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ مِمَّا لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِنْهُ شَيْءٌ فَاحْمِلْهُ مَعَكَ . وَقَدْ أَمَرْنَا أَنْ يُطْلَقَ لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تَخْتَارُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَإِذَا نَفِدَ[٢] مَا تَسْتَصْحِبُهُ فَاكْتُبْ إِلَيْنَا نُمِدَّكَ[٣] بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهِ النَّفَقَةُ فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي خَزَائِنِنَا مَبْذُولٌ لَكَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَهٰذَا الْكِتَابِ . فَطِبْ نَفْسًا وَقَرَّ[٤] عَيْنًا وَعَجِّلْ فِي ذٰلِكَ وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَاعْمَلْ عَلَى مَيْسُورِكَ[٥] إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ بَرْزَوَيْهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ عِشْتَ دَهْرًا طَوِيلًا سَعِيدًا وَمَلَكْتَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ فِي خَفْضٍ[٦] وَدَعَةٍ[٧] مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا . إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ وَسَهْمٌ مِنْ سِهَامِكَ فَلْيَرْمِ بِيَ الْمَلِكُ حَيْثُ شَاءَ

(١) جهة (٢) فرغ (٣) نساعدك (٤) ابرد يكنى بقرة العين عن السرور والغبطة (٥) اي على ما يتيسر لك (٦) سعة عيش (٧) سكينة

مِنَ ٱلْأَرْضِ. مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ ٱلْمَلِكُ أَدَامَ ٱللّٰهُ أَيَّامَهُ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ أَنْ يَعْقِدَ لِي مَجْلِساً قَبْلَ سَفَرِي يَحْضُرُهُ ٱلْخَوَاصُّ لِيَعْلَمَ أَهْلُ ٱلطَّاعَةِ وَٱلْمَمْلَكَةِ مَا ٱسْتَخَصَّنِي بِهِ ٱلْمَلِكُ وَرَآنِي أَهْلاً لَهُ وَنَوَّهَ بِٱسْمِي (١). فَلْيَفْعَلْ ذٰلِكَ مُنْعِماً عَلَى ٱلْعَبْدِ ٱلطَّائِعِ * فَقَالَ ٱلْمَلِكُ يَا بَرْزَوَيْهِ قَدْ رَأَيْتُكَ لِذٰلِكَ أَهْلاً وَأَجَبْتُكَ إِلَى مَا طَلَبْتَ وَأَذِنْتُ لَكَ فِيمَا سَأَلْتَ فَأَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكَ حَسْبَ مَا تَرَاهُ مُوَافِقاً لَكَ مُنَوِّهاً بِٱسْمِكَ ثُمَّ خَرَجَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ فَرِحاً مَسْرُوراً وَأَعَدَّ لَهُ ٱلْمَلِكُ يَوْماً أَمَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَهُ فِيهِ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَخَوَاصَّ أُمَرَاءِ دَوْلَتِهِ. ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ مِنْبَرٌ فَنُصِبَ وَرَقِيَ عَلَيْهِ بَرْزَوَيْهِ ثُمَّ قَالَ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ وَمَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ. وَرَزَقَهُمْ مِنَ ٱلْعَقْلِ مَا يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى إِصْلَاحِ مَعَايِشِهِمْ (٢) فِي ٱلدُّنْيَا وَيُدْرِكُونَ بِهِ ٱسْتِنْقَاذَ (٣) أَرْوَاحِهِمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ فِي ٱلْآخِرَةِ. وَأَفْضَلُ مَا رَزَقَهُمُ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمِ ٱلْعَقْلُ ٱلَّذِي هُوَ ٱلدِّعَامَةُ لِجَمِيعِ ٱلْأَشْيَاءِ. وَٱلَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى إِصْلَاحِ مَعِيشَتِهِ وَلَا إِحْرَازِ (٤) نَفْعٍ

(١) رفعه (٢) جمع معيشة (٣) انجاء (٤) امتلاك

وَلَا دَفْعِ ضَرَرٍ إِلَّا بِفَيْضِهِ مِنَ ٱلْخَالِقِ ٱلْمُبْدِعِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ. وَكَذٰلِكَ طَالِبُ ٱلْآخِرَةِ ٱلزَّاهِدُ ٱلْمُجْتَهِدُ فِي ٱلْعَمَلِ ٱلْمُنْجِي بِهِ نَفْسَهُ مِنْ عَمَايَةِ[1] ٱلضَّلَالِ. لَا يَقْدِرُ عَلَى إِتْمَامِ عَمَلِهِ وَإِكْمَالِهِ وَلَا يَتِمُّ لَهُ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلسَّبَبُ ٱلْمُوصِلُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَٱلْمِفْتَاحُ لِكُلِّ سَعَادَةٍ وَٱلْمُبَلِّغُ إِلَى دَارِ ٱلْخُلُودِ. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى وَلَا بِغَيْرِهِ ٱكْتِفَاءٌ. وَٱلْعَقْلُ غَرِيزِيٌّ[2] مَطْبُوعٌ وَيَتَزَايَدُ بِٱلتَّجَارِبِ وَٱلْآدَابِ. وَغَرِيزَتُهُ مَكْنُونَةٌ فِي ٱلْإِنْسَانِ كَامِنَةٌ فِيهِ كُمُونَ ٱلنَّارِ فِي ٱلْحَجَرِ. فَإِنَّ ٱلنَّارَ طَبِيعَتُهَا فِيهِ كَامِنَةٌ لَا تَظْهَرُ وَلَا يُرَى ضَوْءُهَا حَتَّى يُظْهِرَهَا قَادِحٌ مِنْ غَيْرِهَا. فَإِذَا قَدَحَهَا ظَهَرَتْ طَبِيعَتُهَا بِضَوْئِهَا وَحَرِيقِهَا. وَكَذٰلِكَ ٱلْعَقْلُ كَامِنٌ فِي ٱلْإِنْسَانِ لَا يَظْهَرُ حَتَّى يُظْهِرَهُ ٱلْأَدَبُ وَتَعْضُدَهُ[3] ٱلتَّجَارِبُ. فَإِذَا ٱسْتَحْكَمَ[4] كَانَ أَوْلَى بِٱلتَّجَارِبِ لِأَنَّهُ هُوَ ٱلْمُقَوِّي لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَٱلْمُعِينُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ رَذِيلَةٍ[5]. فَلَا شَيْءَ أَفْضَلَ مِنَ ٱلْعَقْلِ إِذَا مَنَّ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِٱلْمُوَاظَبَةِ عَلَى طُرُقِ ٱلْأَدَبِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْحِرْصِ عَلَى ذٰلِكَ. وَمَنْ رُزِقَ ٱلْعَقْلَ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِ وَأُعِينَ عَلَى صِدْقِ قَرِيحَتِهِ بِٱلْأَدَبِ

(١) ضد الهداية (٢) طبيعي (٣) تعينه (٤) تمكن (٥) ضد الفضيلة

حَرَصَ عَلَى طَلَبِ سَعْدِ جَدِّهِ[١] وَأَدْرَكَ فِي ٱلدُّنْيَا أَمَلَهُ وَحَازَ[٢] فِي ٱلْآخِرَةِ ثَوَابَ[٣] ٱلصَّالِحِينَ. فَٱلْعَقْلُ هُوَ ٱلْمُقَوِّي لِلْمَلِكِ عَلَى مُلْكِهِ فَإِنَّ ٱلسُّوقَةَ[٤] وَٱلْعَوَامَّ لَا يَصْلُحُونَ إِلَّا بِإِفَاضَةِ يَنْبُوعِ ٱلْعَدْلِ ٱلْفَائِضِ عَنِ ٱلْعَقْلِ لِأَنَّهُ سِيَاجُ ٱلدَّوْلَةِ

وَقَدْ رَزَقَ ٱللهُ مَلِكَنَا ٱلسَّعِيدَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ مِنَ ٱلْعَقْلِ أَفْضَلَ ٱلْحَظِّ وَأَجْزَلَهُ[٥] وَمِنَ ٱلْعِلْمِ أَجْمَلَهُ وَأَكْمَلَهُ. وَمِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ بِٱلْأُمُورِ أَصْوَبَهَا. وَسَدَّدَهُ[٦] مِنَ ٱلْأَفْعَالِ إِلَى أَسَدِّهَا[٧] وَمِنَ ٱلْبَحْثِ عَنِ ٱلْأُصُولِ وَٱلْفُرُوعِ إِلَى أَنْفَعِهِ. وَبَلَّغَهُ مِنْ فُنُونِ ٱخْتِلَافِ ٱلْعِلْمِ وَبُلُوغِ مَنْزِلَةِ ٱلْفَلْسَفَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَهُ. وَكَانَ هُوَ ٱلْقَابِلَ لِذَلِكَ بِجُودَةِ ٱلْمَادَّةِ ٱلْقَابِلَةِ لِٱنْطِبَاعِ ٱلصُّوَرِ. فَبَلَغَ بِذَلِكَ ٱلرُّتْبَةَ ٱلْقُصْوَى[٨] فِي ٱلْفَضْلِ عَلَى مَنْ مَضَى مِنَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَهُ. حَتَّى كَانَ فِيمَا طَلَبَ وَبَحَثَ عَنْهُ وَسَمَتْ[٩] إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنَ ٱلْعِلْمِ. أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابٍ بِٱلْهِنْدِ مِنْ كُتُبِ فَلَاسِفَتِهَا وَعُلَمَائِهَا مَخْزُونٍ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ. عَلِمَ أَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ أَدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ وَٱلدَّلِيلُ عَلَى كُلِّ مَنْفَعَةٍ. وَمِفْتَاحُ عَمَلِ

(١) عظمته (٢) نال (٣) اجر (٤) الرعية (٥) اعظمه
(٦) ارشده (٧) اصوبها (٨) مؤنث الاقصى بمعنى الابعد
(٩) مالت وارتفعت

الآخرة وعلمها ومعرفة النجاة من أهوالها. والمقوي على جميع الأمور والمعين على ما يحتاج إليه الملوك في تدبيرهم لأمور ممالكهم وآداب السوقة فيما يرضون به ملوكهم ويصلحون به معايشهم. وهو كتاب كليلة ودمنة * فلما تيقن ما بلغه عن ذلك الكتاب وكشف عما فيه من المنافع من تقوية العقل والأدب رآني أهلاً لذلك وندبني إلى استخراجه والله الموفق والسلام

فعند ذلك ظهر للملك علمه ونجابته[1] وشهامته[2] فسر بذلك سروراً شديداً. ثم أمر الملك عند ذلك بإحضار المنجمين[3] وأن يتخيروا له يوماً سعيداً وطالعاً[4] صالحاً وساعة مباركة ليتوجه فيها فاختاروا له يوماً يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها* فسار برزويه بطالع سعد وحمل معه من المال عشرين جراباً كل جراب فيه عشرة آلاف دينار وتوجه جاداً في طلب حاجته نهاراً وليلاً حتى قدم بلاد الهند. فجعل يطوف[5] بباب

---

(١) تقدمه في نظره او قوله او فعله (٢) ذكاء فؤاده (٣) الذين ينظرون في النجوم بحسب مواقعها وسيرها (٤) اي ما يتفاءل به من السعد والنحس بطلوع الكواكب والطالع عندهم جزء من منطقة البروج يكون على الافق الشرقي في وقت مخصوص (٥) يجول

ٱلْمَلِكِ وَمَجَالِسِ ٱلسُّوقَةِ . وَيُجَالِسُ ٱلْحُكَمَاءَ وَيَسْأَلُ عَنْ خَوَاصِّ ٱلْمَلِكِ وَٱلْأَشْرَافِ مِنْ جُلَسَائِهِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْفَلَاسِفَةِ . وَجَعَلَ يَغْشَاهُمْ(١) فِي مَجَالِسِهِمْ وَيَتَلَقَّاهُمْ بِٱلتَّحِيَّةِ وَٱلسَّلَامِ . وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِمَ بِلَادَهُمْ لِطَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلْبَحْثِ عَنْهُ وَرِيَاضَتِهِ(٢) بِهِ . وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فِيمَا يَطْلُبُ مِنْ ذٰلِكَ وَيَسْأَلُهُمْ بَذْلَ ٱلدُّعَاءِ لَهُ بِبُلُوغِ آمَالِهِ مَعَ شِدَّةِ كِتْمَانِهِ لِمَا قَدِمَ بِسَبَبِهِ وَدَفْنِهِ لِسِرِّهِ . فَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا يَتَأَدَّبُ عَلَى عُلَمَاءِ ٱلْهِنْدِ بِمَا هُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِهِ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ شَيْئًا . وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ يَسْتُرُ بُغْيَتَهُ(٣) وَحَاجَتَهُ وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ يَبْحَثُ فِي مَطْلُوبِهِ بِحُنْكَةٍ(٤) وَسِيَاسَةٍ وَعِفَّةٍ وَنَزَاهَةٍ(٥) . وَٱتَّخَذَ فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ لِطُولِ مُقَامِهِ أَصْدِقَاءَ أَصْفِيَاءَ(٦) كَثِيرِينَ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْهِنْدِ مِنَ ٱلْأَشْرَافِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْفَلَاسِفَةِ وَٱلسُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةٍ وَصِنَاعَةٍ

وَكَانَ قَدِ ٱتَّخَذَ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ رَجُلًا وَاحِدًا ٱصْطَفَاهُ لِسِرِّهِ وَٱخْتَصَّهُ لِمَشُورَتِهِ لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ

(١) يأتيهم (٢) تهذيب أخلاقه (٣) مطلوبه (٤) اسم من حنكت السن الرجل اي جعلته حكيماً (٥) اي طهارة (٦) مخلصين

وحكمته وفهمه وكتمانه لسرّ نفسه ولما استبان له من صحة إخائه[١]. وكان يشاوره في الأمور ويرتاح إليه[٢] في جميع ما أهمه. إلا أنه كان يكتم عنه الأمر الذي قدم من أجله حتى يبلوه[٣] ويختبره وينظر هل هو أهل أن يطلعه على سره. ولم يزل يبحث عنه ويجتهد في أمره حتى وثق به وثوق الأكفاء[٤] بالأكفاء. وعلم أنه محل لكشف الأسرار الجليلة الخطيرة[٥] وأنه مأمون على ما يستودع من ذلك غير خائن صديق صدق[٦]. ثم زاد له إلطافاً[٧] وبه احتفاء[٨] وعليه حنواً إلى أن حضر اليوم الذي رجا فيه بلوغ أمنيته[٩] والظفر بحاجته مع طول الغيبة وعظم النفقة في استلطاف الإخوان ومجالستهم على الطعام والشراب

وإنه لما وثق بصديقه الهندي الذي تقدم ذكره وأنس به وسبر[١٠] عقله واطمأن إليه[١١] في سره. قال له يوماً وهما خاليان يا أخي ما أريد أن أكتمك من أمري فوق الذي كتمتك لأنك أهل لذلك. فاعلم أني لأمر قدمت بلادكم وهو

(١) اخوّته (٢) تنبسط اليه نفسه (٣) يجرّبه (٤) الامثال والنظراء (٥) الرفيعة (٦) كامل (٧) اكراماً (٨) مبالغة في الاكرام (٩) مايتمناه (١٠) اي امتحن (١١) وثق به وركن اليه

غَيْرُ ٱلَّذِي يَظْهَرُ مِنِّي. وَٱلْعَاقِلُ يَكْتَفِي مِنَ ٱلرَّجُلِ بِٱلْعَلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ وَإِشَارَتِهِ فَيَعْلَمُ بِذَٰلِكَ سِرَّ نَفْسِهِ وَمَا يُضْمِرُهُ قَلْبُهُ. فَقَالَ لَهُ صَدِيقُهُ ٱلْهِنْدِيُّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا لَهُ جِئْتَ وَإِيَّاهُ تُرِيدُ وَإِلَيْهِ قَصَدْتَ وَأَنَّكَ تَكْتُمُ مَا تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ. فَمَا خَفِيَ عَلَيَّ ذَٰلِكَ مِنْكَ وَلَا ذَهَبَ عَنِّي مَا كَتَمْتَهُ. وَلٰكِنِّي لِرَغْبَتِي فِيكَ وَفِي إِخَائِكَ كَرِهْتُ أَنْ أُوَاجِهَكَ بِذَٰلِكَ وَأُفَاجِئَكَ(١) بِهِ لِأَنِّي قَدْ ظَهَرَ لِي مَا تَكْتُمُ وَبَانَ لِي مَا أَنْتَ لَهُ مُخْفٍ. فَأَمَّا إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذَٰلِكَ وَأَفْصَحْتَ(٢) بِهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ وَمُظْهِرٌ لَكَ سَرِيرَةَ أَمْرِكَ وَمُعْلِمُكَ عَنْ سِرِّ حَاجَتِكَ ٱلَّتِي قَدِمْتَ بِسَبَبِهَا وَأَطَلْتَ مُقَامَكَ فِي طَلَبِهَا

وَذَٰلِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا وَطِئْتَ أَرْضَنَا وَقَدِمْتَ إِلَى بِلَادِنَا لِتَسْلُبَنَا كُنُوزَنَا ٱلنَّفِيسَةَ فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ وَتَسُرَّ بِهَا مَلِكَكَ. وَكَانَ قُدُومُكَ إِلَيْنَا بِٱلْمَكْرِ وَمُصَادَقَتُكَ لَنَا بِٱلْخَدِيعَةِ. وَلٰكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ وَمُوَاظَبَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ وَٱلتَّحَفُّظَ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ فِي ٱلْكَلَامِ مَعَ طُولِ مُكْثِكَ(٣) عِنْدَنَا عَلَى كَتْمِ أَمْرِكَ بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سَرِيرَتِكَ وَأُمُورِكَ. ٱزْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ وَثِقَةً

(١) اعاجلك (٢) اي بينت مرادك (٣) اقامتك

بعقلك وأحببت مودتك ، فإني لم أر في الرجال رجلاً هو أرصن [١] منك عقلاً ولا أحسن أدباً ولا أصبر على طلب العلم ولا أكتم لسره . ولاسيما في بلاد غربة ومملكة غير مملكتك وعند قوم لا تعرف سننهم ولا شيمهم . وإن عقل الرجل ليبين في خصال ثمان . الأولى منها الرفق . والثانية أن يعرف الرجل نفسه فيحفظها . والثالثة طاعة الملوك والتحري [٢] لما يرضيهم . والرابعة معرفة الرجل موضع سره وكيف ينبغي أن يطلع عليه صديقه . والخامسة أن يكون على أبواب الملوك أديباً ملق [٣] اللسان . والسادسة أن يكون لسره ولسر غيره حافظاً . والسابعة أن يكون على لسانه قادراً فلا يتكلم إلا بما يأمن تبعته [٤] ولا يطلع على سره إلا الثقات . والثامنة أن لا يتكلم في المحافل [٥] بما لا يسأل عنه .

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي الخير إلى نفسه . وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك وبانت لي منك

---

(١) اثبت واحكم (٢) طلب الاحرى اي الأولى والافضل
(٣) من الملق وهو الود واللطف (٤) عاقبته (٥) جمع محفل وهو مجتمع القوم

فَٱللّٰهُ تَعَالَى يَحْفَظُكَ وَيُعِينُكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ وَيُظْفِرُكَ[(١)] بِحَاجَتِكَ. لِأَنَّكَ إِنَّمَا صَادَقْتَنِي لِتَسْلُبَنِي عِلْمِي وَفَخْرِي وَإِنَّكَ أَهْلٌ لِأَنْ تُسْعَفَ بِحَاجَتِكَ وَتُشْفَعَ[(٢)] بِطَلِبَتِكَ وَتُعْطَى سُؤْلَكَ[(٣)] وَلَكِنَّ حَاجَتَكَ ٱلَّتِي تَطْلُبُ قَدْ أَرْهَبَتْ نَفْسِي وَأَدْخَلَتْ عَلَيَّ ٱلْفَرَقَ[(٤)] وَٱلْخَشْيَةَ * فَلَمَّا عَرَفَ بَرْزَوَيْهِ أَنَّ ٱلْهِنْدِيَّ قَدْ عَرَفَ أَنَّ مُصَادَقَتَهُ إِنَّمَا كَانَتْ مَكْرًا وَخَدِيعَةً. وَطَلَبَ حَاجَتَهُ فَلَمْ يَزْجُرْهُ وَلَمْ يَنْتَهِرْهُ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِ رَدًّا لَيِّنًا كَرَدِّ ٱلْأَخِ عَلَى أَخِيهِ بِٱلتَّعَطُّفِ وَٱلرِّفْقِ وَثِقَ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّأْتُ كَلَامًا كَثِيرًا وَشَعَّبْتُ لَهُ شِعَابًا[(٥)] وَأَنْشَأْتُ لَهُ أُصُولًا وَطُرُقًا. فَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ فِيهِ إِلَى مَا بَادَهْتَنِي[(٦)] بِهِ مِنِ ٱطِّلَاعِكَ عَلَى أَمْرِي وَٱلَّذِي قَدِمْتُ لَهُ وَأَلْقَيْتَهُ إِلَيَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ وَرَغْبَتِكَ فِيمَا أَلْقَيْتَ مِنَ ٱلْقَوْلِ. ٱكْتَفَيْتُ بِٱلْيَسِيرِ مِنَ ٱلْخِطَابِ مَعَكَ عَمَّا كُنْتُ أَخْتَلِفُ فِيهِ. إِذْ عَرَفْتَ ٱلْكَثِيرَ مِنْ أُمُورِي بِٱلْقَلِيلِ مِنَ ٱلْكَلَامِ لِمَا قَسَمَ ٱللّٰهُ لَكَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ. فَكَفَيْتَنِي مَؤُونَةَ ٱلْكَلَامِ[(٧)] فَٱقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى ٱلْإِيجَازِ. وَرَأَيْتُ مِنْ إِسْعَافِكَ إِيَّايَ بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي

---

(١) يجعلك ظافرًا (٢) تعان (٣) مسئولك (٤) الخوف

(٥) اي فصلت له طرقًا (٦) فاجأتني (٧) اي اغنيتني عنه

عَلَى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَفَائِكَ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أُلْقِيَ إِلَى الْفَيْلَسُوفِ وَالسِّرَّ إِذَا اسْتُودِعَ اللَّبِيبَ الْحَافِظَ فَقَدْ حُصِّنَ وَبُلِغَ بِهِ نِهَايَةُ أَمَلِ صَاحِبِهِ كَمَا يُحَصَّنُ الشَّيْءُ النَّفِيسُ فِي الْقِلَاعِ الْحَصِينَةِ * فَقَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ لَا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوَدَّةِ . وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَخْلِطَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَذْخَرَ (١) عَنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْتُمَهُ سِرًّا وَلَا يَمْنَعَهُ حَاجَتَهُ وَمُرَادَهُ إِنْ قَدَرَ عَلَى ذٰلِكَ . وَرَأْسُ الْأَدَبِ حِفْظُ السِّرِّ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكَتُومِ فَقَدِ احْتُرِزَ (٢) مِنَ التَّضْيِيعِ لِأَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِهِ . وَلَا يُكْتَمُ سِرٌّ بَيْنَ اثْنَيْنِ قَدْ عَلِمَاهُ وَتَفَاوَضَا (٣) فِيهِ وَلَا يَكُونُ سِرًّا لِأَنَّ اللِّسَانَيْنِ قَدْ تَكَلَّمَا بِهِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسِّرِّ اثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةِ الْوَاحِدِ أَوْ مِنْ جِهَةِ الْآخَرِ . فَإِذَا صَارَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ (٤) وَيُكَابِرَ (٥) فِيهِ . كَالْغَيْمِ إِذَا كَانَ مُتَقَطِّعًا فِي السَّمَاءِ فَقَالَ قَائِلٌ إِنَّ هٰذَا الْغَيْمَ مُتَقَطِّعٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ

وَأَنَا فَقَدْ يُدَاخِلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ وَمُخَالَطَتِكَ مَعَ أُنْسِي بِقُرْبِكَ

---

(١) يخبأ (٢) حفظ (٣) تشاركا (٤) ينكره

(٥) ينازع ويعاند

سُرُورٌ لَا يَعْدِلُهُ(١) شَيْءٌ. وَهٰذَا ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ ٱلَّتِي لَا تُكْتَمُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشُوَ(٢) وَيَظْهَرَ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ ٱلنَّاسُ. فَإِذَا فَشَا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَاكِي هَلَاكًا لَا أَقْدِرُ عَلَى ٱلْفِدَاءِ مِنْهُ بِٱلْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ. لِأَنَّ مَلِكَنَا فَظٌّ(٣) غَلِيظٌ يُعَاقِبُ عَلَى ٱلذَّنْبِ ٱلصَّغِيرِ أَشَدَّ ٱلْعِقَابِ فَكَيْفَ مِثْلُ هٰذَا ٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ. وَإِذَا حَمَلَتْنِي ٱلْمَوَدَّةُ ٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَأَسْعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ لَمْ يَرُدَّ عِقَابَهُ عَنِّي شَيْءٌ * قَالَ بَرْزَوَيْهِ إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتِ ٱلصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى ٱلْفَوْزِ(٤). وَهٰذَا ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي قَدِمْتُ لَهُ لِمِثْلِكَ ذَخَرْتُهُ(٥) وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنَا وَاثِقٌ بِكَرَمِ طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ فِيهِ. وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنِّي مَا وَصَلَ مِنَ ٱلْمَشَقَّةِ فَأَنْعِمْ بِتَحَمُّلِ ذٰلِكَ. وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنِّي وَلَا تَخَافُ أَنْ أُبْدِيَهُ بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَلَدِكَ ٱلْمُطِيفِينَ بِكَ(٦) وَبِٱلْمَلِكِ أَنْ يَسْعَوْا بِكَ(٧) إِلَيْهِ وَيُبَلِّغُوهُ ذٰلِكَ عَنْكَ. وَأَنَا أَرْجُو(٨) أَنْ لَا يَشِيعَ شَيْءٌ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ لِأَنِّي أَنَا ظَاعِنٌ(٩) وَأَنْتَ مُقِيمٌ وَمَا أَقَمْتُ(١٠) فَلَا ثَالِثَ بَيْنَنَا. فَتَعَاهَدَا عَلَى هٰذَا جَمِيعًا

---

(١) يساويه (٢) يشيع (٣) قاسٍ (٤) الظفر بالخير (٥) خبأته
(٦) المحيطين بك (٧) ينموا عليك (٨) آمل (٩) راحل (١٠) اي مدة اقامتي

وَكَانَ ٱلْهِنْدِيُّ خَازِنَ ٱلْمَلِكِ وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ ٱلْكُتُبِ وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ • فَأَكَبَّ(١) عَلَى تَفْسِيرِهِ وَنَقْلِهِ مِنَ ٱللِّسَانِ ٱلْهِنْدِيِّ إِلَى ٱللِّسَانِ ٱلْفَارِسِيِّ • وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ وَأَنْصَبَ(٢) بَدَنَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ وَجِلٌ(٣) فَزِعٌ مِنْ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ ٱلْمَلِكُ ٱلْكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِفُهُ فِي خَزَائِنِهِ* فَلَمَّا فَرَغَ مِنِ ٱنْتِسَاخِ ٱلْكِتَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ ٱلْكُتُبِ كَتَبَ إِلَى أَنُوشِرْوَانَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ • فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ٱلْكِتَابُ سُرَّ سُرُورًا شَدِيدًا ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ ٱلْمَقَادِيرِ أَنْ تُنَغِّصَ(٤) عَلَيْهِ فَرَحَهُ وَيَنْتَقِضَ سُرُورُهُ • فَكَتَبَ إِلَى بَرْزَوَيْهِ يَأْمُرُهُ بِتَعْجِيلِ ٱلْقُدُومِ • فَسَارَ بَرْزَوَيْهِ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ كِسْرَى

فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكُ مَا قَدْ مَسَّهُ مِنَ ٱلشُّحُوبِ(٥) وَٱلْإِعْيَاءِ(٦) قَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلنَّاصِحُ(٧) ٱلَّذِي يَأْكُلُ ثَمَرَةَ مَا قَدْ غَرَسَ • أَبْشِرْ(٨) وَقَرَّ عَيْنًا فَإِنِّي مُشَرِّفُكَ وَبَالِغٌ بِكَ أَفْضَلَ دَرَجَةٍ • وَأَمَرَهُ أَنْ يُرِيحَ بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ • فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّامِنُ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ بِإِحْضَارِ

(١) اقبل (٢) اعيا (٣) خائف (٤) تكدر (٥) تغير الهيئة
(٦) شدة التعب (٧) الخالص المودّة (٨) افرح

أَشْرَافِ مَمْلَكَتِهِ وَجَمِيعِ عُلَمَاءِ مِصْرِهِ[١] وَشُعَرَائِهِ وَالْخُطَبَاءِ. فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أُحْضِرَ بَرْزَوَيْهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَجَلَسَ عَلَى مَرْتَبَةٍ أُعِدَّتْ لَهُ. ثُمَّ وَقَعَ[٢] الْكَلَامُ فِيمَا شَاهَدَهُ وَرَآهُ وَشَرَحَ قِصَّتَهُ وَحَالَهُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَقُوَّادِهَا وَأَهْلِ عُلُومِهَا عَلَى طَبَقَاتِهِمْ إِلَّا تَعَجَّبَ مِنْهُ وَمِنْ طُولِ طَرِيقِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ مَعَ صَدِيقِهِ. وَمَا وَفَى لَهُ بِهِ بِلَا عَهْدٍ[٣] مِنْهُ لَهُ وَلَا مُقَدِّمَةٍ[٤] تَقَدَّمَتْ بَيْنَهُمَا مِنْ إِفْشَاءِ سِرِّهِ لَهُ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنِ افْتِرَاقِ الْأَدْيَانِ وَتَبَايُنِ[٥] الْأَشْكَالِ وَمُنَافَرَةِ الْمَذْهَبِ. وَاسْتَعْظَمُوا مَا أَنْفَقَ عَلَى تَحْصِيلِ ذٰلِكَ وَعَظُمَ بَرْزَوَيْهِ فِي أَعْيُنِ الْحَاضِرِينَ وَكَبُرَ قَدْرُهُ عِنْدَ مَلِكِهِ *

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ صَرَفَ مَنْ حَضَرَ وَانْصَرَفَ بَرْزَوَيْهِ وَعَمَدَ الْخُطَبَاءُ[٦] يَصْنَعُونَ مُقَدِّمَاتٍ تَصْلُحُ لِحُضُورِ الْمَجْلِسِ وَتَأَهَّبُوا لِذٰلِكَ. وَعَقَدَ لَهُمُ الْمَلِكُ مَجْلِسًا وَحَضَرَ بَرْزَوَيْهِ وَخُطَبَاءُ الدَّوْلَةِ وَالْوُزَرَاءُ وَفُصَحَاءُ الْمَمْلَكَةِ وَأُحْضِرَ الْكِتَابُ وَسَائِرُ[٧] الْكُتُبِ. فَلَمَّا قُرِئَتِ الْكُتُبُ وَسَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ وَسَائِرِ

---

(١) كورته وناحيته (٢) اي التقى (٣) اي معرفة (٤) اي امر سابق (٥) تباعد (٦) اي قصدوا وشرعوا (٧) باقي

ٱلطَّرَائِفِ وَغَرَائِبِ ٱلْآدَابِ ٱسْتَبْشَرَ مَنْ حَضَرَ وَبَلَغَ ٱلْمَلِكُ أُمْنِيَّتَهُ وَمَدَحُوا بَرْزَوَيْهِ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ وَشَكَرُوهُ عَلَى مَا نَالَهُ مِنَ ٱلتَّعَبِ. فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذٰلِكَ بِٱلدُّرِّ وَٱلْجَوْهَرِ وَٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَفُتِحَتْ خَزَائِنُ ٱلْكِسْوَةِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمِيعَ ذٰلِكَ* ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ أَلْبَسَهُ ٱلتَّاجَ وَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِهِ تَشْرِيفًا لَهُ وَزِيَادَةً فِي إِجْلَالِهِ. وَلَمَّا تَمَّ لِبَرْزَوَيْهِ ذٰلِكَ خَرَّ سَاجِدًا لِلْمَلِكِ وَقَالَ:

أَكْرَمَ ٱللهُ ٱلْمَلِكَ بِأَفْضَلِ ٱلْكَرَامَاتِ بِزِيَادَتِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَخَلَّدَ مُلْكَهُ وَثَبَّتَ وَطْأَتَهُ(١) وَشَيَّدَ(٢) مَبَانِيَ مَجْدِهِ. إِنَّ ٱللهَ وَلِيُّ ٱلْحَمْدِ(٣) قَدْ أَغْنَانِي عَنِ ٱلْمَالِ بِمَا بَلَغْتُ مِنَ ٱلرُّتْبَةِ ٱلْعَلِيَّةِ ٱلسَّنِيَّةِ وَٱلْبُغْيَةِ وَٱلْأُمْنِيَّةِ بِمَا رَزَقَنِي مِنْ تَشْرِيفِ مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ لِلْعَبْدِ ٱلذَّلِيلِ. لَكِنْ إِذْ كَلَّفَنِي ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسُرُّهُ فَأَنَا آخُذُ مِمَّا أَمَرَ لِي بِهِ ٱمْتِثَالًا لِأَمْرِهِ وَطَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ. وَقَامَ فَأَخَذَ مِنْهَا تَخْتًا(٤) مِنْ طَرَائِفِ(٥) خُرَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ ٱلْمُلُوكِ* ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا مَنَحَهُ ٱللهُ تَعَالَى عَقْلًا

---

(١) اي مكن سلطته (٢) قوّى ورفع (٣) اي ربه (٤) وعاء تصان فيه الثياب (٥) جمع طريفة وهي الشيء المستحسن المعجب

وَافِرًا وَعِلْمًا رَاجِحًا وَخُلُقًا(١) رَحْبًا(٢) وَدِينًا صُلْبًا(٣) وَنِيَّةً سَالِمَةً مِنَ الْعَاهَاتِ(٤). فَلْيَشْكُرِ الصَّانِعَ الْأَزَلِيَّ سَرْمَدًا(٥) عَلَى مَا وَهَبَهُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ يَسْتَحِقُّهُ وَلَا مُقَدِّمَةٍ سَبَقَتْ لَهُ. وَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتَوْجَبَهُ تَعَبًا وَمَشَقَّةً. وَأَمَّا أَنَا فَمَهْمَا لَقِيتُهُ مِنْ عَنَاءٍ(٦) وَتَعَبٍ لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ الشَّرَفَ يَا أَهْلَ هٰذَا الْبَيْتِ فَإِنِّي لَا أَزَالُ إِلَى هٰذَا الْيَوْمِ تَابِعًا رِضَاكُمْ أَرَى الْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا وَالشَّاقَّ هَيِّنًا وَالنَّصَبَ(٧) وَالْأَذَى سُرُورًا وَلَذَّةً لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضًى وَعِنْدَكُمْ قُرْبَةً(٨) * وَلٰكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسْعِفُنِي بِهَا وَتُعْطِينِي فِيهَا سُؤْلِي فَإِنَّ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ قُلْ فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا مَقْضِيَّةٌ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَكَتَنَا فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا وَلَمْ نَرْدُدْ طَلِبَتَكَ فَكَيْفَ مَا سِوَى ذٰلِكَ فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمْ(٩) فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْذُولَةٌ لَكَ قَالَ بَرْزَوَيْهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ

---

(١) مبجية وطبعًا (٢) واسعًا (٣) اي متينًا (٤) الآفات والعوارض
(٥) دائمًا (٦) كد وجهد (٧) التعب (٨) قربًا في المنزلة
(٩) تهيب

وَانْكِمَاشِي[١] فِي طَاعَتِكَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي بَذْلُ مُهْجَتِي فِي رِضَاكَ . وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ . وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَدَ[٢] إِلَى مُجَازَاتِي وَخَصَّنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بِعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ وَرَفْعِ الدَّرَجَةِ حَتَّى لَوْ قَدَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ فَجَزَاهُ اللّٰهُ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ اذْكُرْ حَاجَتَكَ فَعَلَيَّ مَا يَسُرُّكَ . فَقَالَ بَرْزَوَيْهِ حَاجَتِي أَنْ يَخْرُجَ أَمْرُ الْمَلِكِ أَنْفَذَهُ[٣] اللّٰهُ تَعَالَى إِلَى الْحَكِيمِ الْفَاضِلِ الرَّفِيعِ الْمَقَامِ وَزِيرِهِ بُزُرْجُمِهْرَ بْنِ الْبَخْتَكَانِ أَنْ يَنْظِمَ أَمْرِي فِي نُسْخَةٍ وَيُبَوِّبَ الْكِتَابَ[٤] وَيَجْعَلَ تِلْكَ النُّسْخَةَ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصِفُ حَالِي وَلَا يَدَعُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي ذٰلِكَ أَقْصَى[٥] مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَيَأْمُرَهُ إِذَا فَرَغَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ . فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَبْقَى لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى الْأَبَدِ حَيْثُمَا قُرِئَ هٰذَا الْكِتَابُ

---

(١) إسراعي (٢) قصد (٣) جعله نافذًا اي مطاعًا (٤) يقسمه الى ابواب (٥) ابعد

فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ وَالْعُظَمَاءُ مَقَالَتَهُ وَمَا سَمَتْ[(١)] إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ مَحَبَّةِ إِبْقَاءِ الذِّكْرِ عَجِبُوا مِنْ أَدَبِهِ وَحُسْنِ عَقْلِهِ وَكِبَرِ نَفْسِهِ وَاسْتَحْسَنُوا طَلِبَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ. فَقَالَ كِسْرَى حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بَرْزَوَيْهِ إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ تُسْعَفَ بِحَاجَتِكَ فَمَا أَقَلَّ مَا قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرَهُ عِنْدَنَا وَإِنْ كَانَ خَطَرُهُ[(٢)] عِنْدَكَ عَظِيمًا* ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوشِرْوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بُزُرْجُمِهْرَ فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ مُنَاصَحَةَ بَرْزَوَيْهِ لَنَا[(٣)] وَتَجَشُّمَهُ[(٤)] الْمَخَاوِفَ وَالْمَهَالِكَ فِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنَّا وَإِتْعَابَهُ بَدَنَهُ فِيمَا يَسُرُّنَا وَمَا أَتَى إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَمَا أَفَادَنَا اللهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا فَخْرُهُ وَمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَلَمْ تَمِلْ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ. كَانَتْ بُغْيَتُهُ وَطَلِبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَآهُ هُوَ الثَّوَابَ مِنَّا لَهُ وَالْكَرَامَةَ الْجَلِيلَةَ عِنْدَهُ. فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي ذٰلِكَ وَتُسْعِفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلِبَتِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يَسُرُّنِي. وَلَا تَدَعْ شَيْئًا مِنَ الْاجْتِهَادِ وَالْمُبَالَغَةِ إِلَّا بَلَغْتَهُ وَإِنْ نَالَتْكَ[(٥)] فِيهِ مَشَقَّةٌ. وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا[(٦)] لِتِلْكَ الْأَبْوَابِ الَّتِي فِي

(١) ارتفعت (٢) شرفه (٣) معاملته ايانا بالنصح (٤) تكلفه
(٥) الحقتك (٦) مشابهاً

الْكِتَابِ وَتَذْكُرُ فِيهِ فَضْلَ بَرْزَوَيْهِ وَنَسَبَهُ وَحَسَبَهُ وَصِنَاعَتَهُ وَأَدَبَهُ وَكَيْفَ كَانَ ٱبْتِدَاءُ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَتَنْسُبُهُ إِلَيْهِ. وَتَذْكُرُ فِيهِ بَعْثَتَهُ الَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي حَاجَتِنَا وَمَا أُفِدْنَا مِنَ الْحِكَمِ عَلَى يَدِهِ مِنْ هُنَالِكَ وَشُرِّفْنَا بِهِ وَفُضِّلْنَا عَلَى غَيْرِنَا. وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُ بَعْدَ قُدُومِهِ وَمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَمْ يَقْبَلْهُ. فَقُلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْرِيظِ(١) وَالْإِطْنَابِ(٢) فِي مَدْحِهِ وَبَالِغْ فِي ذٰلِكَ أَفْضَلَ الْمُبَالَغَةِ وَاجْتَهِدْ فِي ذٰلِكَ اجْتِهَادًا يَسُرُّ بَرْزَوَيْهِ وَأَهْلَ الْمَمْلَكَةِ وَإِنَّهُ لَأَهْلٌ لِذٰلِكَ مِنْ قِبَلِي وَمِنْ قِبَلِ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَمِنْ قِبَلِكَ أَيْضًا لِمَحَبَّتِكَ لِلْعُلُومِ. وَاجْهَدْ أَنْ يَكُونَ غَرَضُ هٰذَا الْكِتَابِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَفْضَلَ مِنْ أَغْرَاضِ تِلْكَ الْأَبْوَابِ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَأَشَدَّ مُشَاكَلَةً(٣) لِحَالِ هٰذَا الْكِتَابِ. فَإِنَّكَ أَسْعَدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِذٰلِكَ لِانْفِرَادِكَ بِهِ وَاجْعَلْهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ. فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ بِحَيْثُ رَسَمْتُ لَكَ(٤) فَأَعْلِمْنِي لِأَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ وَتَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ فَيَظْهَرَ فَضْلُكَ وَاجْتِهَادُكَ فِي مَحَبَّتِنَا فَيَكُونَ لَكَ بِذٰلِكَ فَخْرٌ.

فَلَمَّا سَمِعَ بُزُرْجُمْهَرُ مَقَالَةَ الْمَلِكِ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ أَدَامَ

(١) المدح (٢) المبالغة (٣) موافقة ومشابهة (٤) اي كما رسمت لك

ٱللَّهُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْبَقَاءَ وَبَلَّغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ ٱلصَّالِحِينَ فِي ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَى لَقَدْ شَرَّفْتَنِي فِي ذٰلِكَ شَرَفًا بَاقِيًا إِلَى ٱلْأَبَدِ. ثُمَّ خَرَجَ بُزُرْجُمْهُرُ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ فَوَصَفَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ(١) أَبَوَاهُ إِلَى ٱلْمُؤَدِّبِ(٢) وَمُضِيِّهِ إِلَى بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْعَقَاقِيرِ(٣) وَٱلْأَدْوِيَةِ. وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ أَنُوشِرْوَانُ إِلَى ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْكِتَابِ. وَلَمْ يَدَعْ مِنْ فَضَائِلِ بَرْزَوَيْهِ وَحِكْمَتِهِ وَخَلَائِقِهِ وَمَذْهَبِهِ أَمْرًا إِلَّا نَسَقَهُ(٤) وَأَتَى بِهِ بِأَجْوَدِ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلشَّرْحِ. ثُمَّ أَعْلَمَ ٱلْمَلِكَ بِفَرَاغِهِ مِنْهُ فَجَمَعَ أَنُوشِرْوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بُزُرْجُمْهُرَ بِقِرَاءَةِ ٱلْكِتَابِ وَبَرْزَوَيْهِ قَائِمٌ إِلَى جَانِبِ بُزُرْجُمْهُرَ وَٱبْتَدَأَ بِوَصْفِ بَرْزَوَيْهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ. فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بُزُرْجُمْهُرُ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْعِلْمِ. ثُمَّ أَثْنَى ٱلْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ عَلَى بُزُرْجُمْهُرَ وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ وَأَمَرَ لَهُ ٱلْمَلِكُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَكُسْوَةٍ وَحُلِيٍّ(٥) وَأَوَانِي فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسْوَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ ٱلْمُلُوكِ. ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ

---

(١) سلمه (٢) المعلم (٣) النباتات التي يداوى بها (٤) نظمه

(٥) جمع حلية وهي ما يتزين به من المعادن المصوغة

بَرْزَوَيْهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ وَقَالَ أَدَامَ ٱللهُ لَكَ ٱلْمُلْكَ وَٱلسَّعَادَةَ فَقَدْ بَلَغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ ٱلشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ بُزُرْجُمْهَرَ مِنْ صَنْعَةِ ٱلْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَإِبْقَاءِ ذِكْرِي * ثُمَّ ٱنْصَرَفَ ٱلْجَمْعُ مَسْرُورِينَ مُبْتَهِجِينَ وَكَانَ يَوْماً لَا مِثَالَ لَهُ

بَاب

عَرْضِ ٱلْكِتَابِ

لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْمُقَفَّعِ مُعَرِّبِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ

هٰذَا كِتَابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ. وَهُوَ مِمَّا وَضَعَتْهُ عُلَمَاءُ ٱلْهِنْدِ مِنَ ٱلْأَمْثَالِ وَٱلْأَحَادِيثِ ٱلَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا مِنَ ٱلْقَوْلِ فِي ٱلنَّحْوِ (١) ٱلَّذِي أَرَادُوا * وَلَمْ تَزَلِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ (٢) عَنْهُمْ وَيَحْتَالُونَ لِذٰلِكَ بِصُنُوفِ ٱلْحِيَلِ وَيَبْتَغُونَ إِخْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلْعِلَلِ (٣) فِي إِظْهَارِ

---

(١) القصد (٢) اي يؤخذ ويفهم (٣) الاسباب

مَا لَدَيْهِمْ مِنَ ٱلْعُلُومِ وَٱلْحِكَمِ حَتَّى كَانَ مِنْ تِلْكَ ٱلْعِلَلِ وَضْعُ هٰذَا ٱلْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلطَّيْرِ فَٱجْتَمَعَ لَهُمْ بِذٰلِكَ خِلَالٌ(١) * أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُنْصَرَفًا(٢) فِي ٱلْقَوْلِ وَشِعَابًا(٣) يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَوُجُوهًا يَسْلُكُونَ فِيهَا. وَأَمَّا ٱلْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْوًا فَٱخْتَارَهُ ٱلْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ وَٱلْأَغْرَارُ(٤) لِلَهْوِهِ. وَٱلْمُتَعَلِّمُ مِنَ ٱلْأَحْدَاثِ(٥) نَاشِطٌ(٦) فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبَطُ فِي صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذٰلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ. وَكَانَ كَالرَّجُلِ ٱلَّذِي لَمَّا ٱسْتَكْمَلَ ٱلرُّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبَوَيْهِ قَدْ كَنَزَا لَهُ كُنُوزًا وَعَقَدَا لَهُ عُقَدًا(٧) ٱسْتَغْنَى بِهَا عَنِ ٱلْكَدْحِ(٨) فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ فَأَغْنَاهُ(٩) مَا أَشْرَفَ(١٠) عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ عَنِ ٱلْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ ٱلْأَدَبِ *

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ ٱلْوُجُوهَ ٱلَّتِي وُضِعَتْ لَهُ وَٱلرُّمُوزَ(١١) ٱلَّتِي رُمِزَتْ فِيهِ وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُؤَلِّفُهُ فِيهِ عِنْدَ مَا نَسَبَهُ إِلَى ٱلْبَهَائِمِ وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ(١٢)

---

(١) اي فضائل (٢) مذهباً ينصرفون اليه (٣) اي طرقاً (٤) من لا تجربة لهم (٥) الصغار (٦) مجتهد (٧) اي عقارات (٨) الكد والسعي (٩) الضمير للمتعلم (١٠) اي وصل (١١) الاشارات الخفية (١٢) اي غير ناطق

وغيرَ ذلك من الأوضاعِ التي جعلها أمثالاً * فإنَّ قارئَهُ متى لم يفعل ذلك لم يدرِ ما أُريدَ بتلك المعاني ولا أيَّ ثمرةٍ يجتني منها ولا أيُّ نتيجةٍ تحصلُ لهُ من مقدماتِ ما تضمَّنهُ هذا الكتابُ وإنَّهُ إن كانت غايتُهُ منهُ استتمامَ قراءتِهِ والبلوغَ إلى آخرِهِ دونَ تفهمِ ما يقرأُ منهُ لم يعدْ عليهِ شيءٌ يرجعُ إليهِ نفعهُ

ومن استكثرَ من جمعِ الكتبِ وقراءةِ العلومِ من غيرِ إعمالِ الرويّةِ فيما يقرأهُ كانَ خليقاً أن لا يصيبَهُ إلا ما أصابَ الرجلَ الذي زعمتِ العلماءُ أنهُ اجتازَ ببعضِ المفاوزِ (١) فظهرَ لهُ موضعُ آثارِ كنزٍ . فجعلَ يحفرُ ويطلبُ فوقعَ على شيءٍ من عينٍ (٢) وورِقٍ (٣) فقالَ في نفسِهِ إن أنا أخذتُ في نقلِ هذا المالِ قليلاً قليلاً طالَ عليَّ وقطعني (٤) الاشتغالُ بنقلِهِ وإحرازِهِ (٥) عن اللذةِ بما أصبتُ منهُ . ولكن سأستأجرُ أقواماً يحملونَهُ إلى منزلي وأكونُ أنا آخرَهم ولا يكونُ بقيَ ورائي شيءٌ يشغلُ فكري بنقلِهِ وأكونُ قد استظهرتُ (٦) لنفسي في إراحةِ بدني عن الكدِّ بيسيرِ أجرةٍ أعطيها لهم . ثمَّ جاءَ بالحمّالينَ فجعلَ يحملُ

(١) الفلوات لا ماء فيها (٢) نقود ذهبية (٣) نقود فضية (٤) منعني
(٥) حفظه (٦) استعنت

كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُطِيقُ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ هُوَ فَيَفُوزُ بِهِ[1] حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ الْكَنْزِ شَيْءٌ انْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا لَا كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا. وَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَمَّالِينَ قَدْ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْعَنَاءُ[2] وَالتَّعَبُ لِأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ

وَكَذَلِكَ مَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ وَلَمْ يَفْهَمْ مَا فِيهِ وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا يَبْدُو لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ كَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُدِّمَ لَهُ جَوْزٌ صَحِيحٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكْسِرَهُ وَيَسْتَخْرِجَ مَا فِيهِ * وَكَانَ أَيْضًا كَالرَّجُلِ الَّذِي طَلَبَ عِلْمَ الْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ فَأَتَى صَدِيقًا لَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَهُ عِلْمٌ بِالْفَصَاحَةِ فَأَعْلَمَهُ حَاجَتَهُ إِلَى عِلْمِ الْفَصِيحِ. فَرَسَمَ لَهُ صَدِيقُهُ فِي صَحِيفَةٍ صَفْرَاءَ فَصِيحَ الْكَلَامِ وَتَصَارِيفَهُ وَوُجُوهَهُ. فَانْصَرَفَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَجَعَلَ يُكْثِرُ قِرَاءَتَهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى مَعَانِيهَا وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا فِيهَا حَتَّى اسْتَظْهَرَهَا[3] كُلَّهَا فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِعِلْمِ مَا فِيهَا. ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَأَخَذَ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ[4] فَجَرَتْ لَهُ كَلِمَةٌ أَخْطَأَ فِيهَا فَقَالَ لَهُ بَعْضُ

(١) يستبد به (٢) المشقة (٣) حفظها غيبًا (٤) مراجعتهم في الكلام

الْجَمَاعَةِ إِنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ وَالْوَجْهُ غَيْرُ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ. فَقَالَ كَيْفَ أُخْطِئُ وَقَدْ قَرَأْتُ الصَّحِيفَةَ الصَّفْرَاءَ وَهِيَ فِي مَنْزِلِي. فَكَانَتْ مَقَالَتُهُ هٰذِهِ أَوْجَبَ لِلْحُجَّةِ[1] عَلَيْهِ وَزَادَهُ ذٰلِكَ قُرْبًا مِنَ الْجَهْلِ وَبُعْدًا مِنَ الْأَدَبِ

ثُمَّ إِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا فَهِمَ هٰذَا الْكِتَابَ وَبَلَغَ نِهَايَةَ عِلْمِهِ فِيهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عَلِمَ مِنْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَيَجْعَلَهُ مِثَالًا لَا يَحِيدُ عَنْهُ* فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ كَانَ مَثَلُهُ كَالرَّجُلِ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّ سَارِقًا تَسَوَّرَ عَلَيْهِ[2] وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَنْزِلِهِ فَعَلِمَ بِهِ فَقَالَ وَاللهِ لَأَسْكُتَنَّ حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ وَلَا أُذْعِرُهُ[3] وَلَا أُعْلِمُهُ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ بِهِ. فَإِذَا بَلَغَ مُرَادَهُ قُمْتُ إِلَيْهِ فَنَغَّصْتُ[4] ذٰلِكَ عَلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْهُ وَجَعَلَ السَّارِقُ يَتَرَدَّدُ وَطَالَ تَرَدُّدُهُ فِي جَمْعِهِ مَا يَجِدُهُ. فَغَلَبَ الرَّجُلَ النُّعَاسُ فَنَامَ وَفَرَغَ اللِّصُّ مِمَّا أَرَادَ وَأَمْكَنَهُ الذَّهَابُ وَاسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَوَجَدَ اللِّصَّ قَدْ أَخَذَ الْمَتَاعَ[5] وَفَازَ بِهِ. فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يَلُومُهَا وَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ بِاللِّصِّ إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ فِي أَمْرِهِ مَا يَجِبُ

---

(١) الاحتجاج (٢) اي دخل عليه واثباً عن سور بيته (٣) افزعه
(٤) كدّرت (٥) كل ما ينتفع به من عروض الدنيا سوى الفضة والذهب

وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَإِنَّ الْعِلْمَ كَالشَّجَرَةِ وَالْعَمَلَ بِهِ كَالثَّمَرَةِ. وَإِنَّمَا صَاحِبُ الْعِلْمِ يَقُومُ بِالْعَمَلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ مَا يَعْلَمُ فَلَيْسَ يُسَمَّى عَالِمًا. وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَالِمًا بِطَرِيقٍ مَخُوفٍ ثُمَّ سَلَكَهُ عَلَى عِلْمٍ بِهِ سُمِّيَ جَاهِلًا. وَلَعَلَّهُ إِنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ وَجَدَهَا قَدْ رَكِبَتْ أَهْوَاءً(١) هَجَمَتْ بِهَا فِيمَا هُوَ أَعْرَفُ بِضَرَرِهَا فِيهِ وَأَذَاهَا. وَمَنْ رَكِبَ(٢) هَوَاهُ وَرَفَضَ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا جَرَّبَهُ هُوَ أَوْ أَعْلَمَهُ بِهِ غَيْرُهُ كَانَ كَالْمَرِيضِ الْعَالِمِ بِرَدِيءِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَجَيِّدِهِ وَخَفِيفِهِ وَثَقِيلِهِ ثُمَّ يَحْمِلُهُ الشَّرَهُ(٣) عَلَى أَكْلِ رَدِيئِهِ وَتَرْكِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى النَّجَاةِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ عِلَّتِهِ. وَأَقَلُّ النَّاسِ عُذْرًا فِي اجْتِنَابِ مَحْمُودِ الْأَفْعَالِ وَارْتِكَابِ مَذْمُومِهَا مَنْ أَبْصَرَ ذَلِكَ وَمَيَّزَهُ وَعَرَفَ فَضْلَ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ. كَمَا أَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَصِيرٌ وَالْآخَرُ أَعْمَى سَاقَهُمَا الْأَجَلُ(٤) إِلَى حُفْرَةٍ فَوَقَعَا فِيهَا كَانَا إِذَا صَارَا فِي قَعْرِهَا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ. غَيْرَ أَنَّ الْبَصِيرَ أَقَلُّ عُذْرًا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الضَّرِيرِ إِذْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَذَاكَ بِمَا صَارَ(٥) إِلَيْهِ جَاهِلٌ غَيْرُ

---

(١) جمع هوى وهو ميل النفس (٢) اي اتبع (٣) شدة الحرص على الطعام (٤) اي انقضاء العمر (٥) انتهى ووصل

عَارِفٍ * وَعَلَى ٱلْعَالِمِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَيُؤَدِّبَهَا بِعِلْمِهِ وَلَا تَكُونَ غَايَتُهُ ٱقْتِنَاءَهُ ٱلْعِلْمَ لِمُعَاوَنَةِ غَيْرِهِ وَنَفْعِهِ بِهِ وَحِرْمَانِ نَفْسِهِ مِنْهُ. وَيَكُونَ كَٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي يَشْرَبُ ٱلنَّاسُ مَاءَهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي ذٰلِكَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَنْفَعَةِ. وَكَدُودَةِ ٱلْقَزِّ ٱلَّتِي تُحْكِمُ صَنْعَتَهُ وَلَا تَنْتَفِعُ بِهِ. فَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ أَنْ يَبْدَأَ بِعِظَةِ[1] نَفْسِهِ وَيَتَعَهَّدَهَا[2] بِرِيَاضَتِهَا ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَقْبِسَهُ[3]. فَإِنَّ خِلَالًا[4] يَنْبَغِي لِصَاحِبِ ٱلدُّنْيَا أَنْ يَقْتَنِيَهَا وَيَقْبِسَهَا. مِنْهَا ٱلْعِلْمُ وَٱلْمَالُ وَمِنْهَا ٱتِّخَاذُ ٱلْمَعْرُوفِ[5]. وَلَيْسَ لِلْعَالِمِ أَنْ يَعِيبَ ٱمْرَءًا بِشَيْءٍ فِيهِ مِثْلُهُ وَيَكُونَ كَٱلْأَعْمَى ٱلَّذِي يُعَيِّرُ ٱلْأَعْمَى بِعَمَاهُ. وَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ غَايَةٌ[6] وَنِهَايَةٌ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَيَقِفُ عِنْدَهَا وَلَا يَتَمَادَى[7] فِي ٱلطَّلَبِ. فَإِنَّهُ يُقَالُ مَنْ سَارَ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ فَيُوشِكُ أَنْ تَنْقَطِعَ[8] بِهِ مَطِيَّتُهُ[9] وَإِنَّهُ كَانَ حَقِيقًا أَلَّا[10] يُعَنِّيَ[11] نَفْسَهُ فِي طَلَبِ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَمَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَلَا يَتَأَسَّفَ عَلَيْهِ وَلَا يَكُونَ لِدُنْيَاهُ مُؤْثِرًا[12] عَلَى آخِرَتِهِ. فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُعَلِّقْ قَلْبَهُ

---

(١) وعظ (٢) يتفقدها (٣) يستفيده (٤) خصالاً (٥) اصطناعه مع الناس (٦) منفعة (٧) يلجّ ويداوم (٨) تعجز عن السير (٩) دابته (١٠) أن لا (١١) يتعب (١٢) مفضلاً

بِالْغَايَاتِ[١] قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهَا * وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُمَا يَجْمُلَانِ[٢] بِكُلِّ أَحَدٍ. أَحَدُهُمَا النُّسْكُ وَالْآخَرُ الْمَالُ الْحَلَالُ وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُمَا لَا يَجْمُلَانِ بِأَحَدٍ. الْمَلِكُ أَنْ يُشَارِكَ فِي مُلْكِهِ وَالرَّجُلُ أَنْ يُشَارِكَ فِي خَاصَّتِهِ[٣]. وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَقْنَطَ[٤] وَيَيْأَسَ[٥] مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ وَفَضْلِهِ فِيمَا لَا يَنَالُهُ فَرُبَّمَا سَاقَ الْقَدَرُ[٦] لَهُ رِزْقًا هَنِيئًا وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ لَا يَدْرِي بِهِ وَلَا يَعْلَمُ وَجْهَهُ

وَمِنْ أَمْثَالِ هٰذَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِهِ فَاقَةٌ وَجُوعٌ وَعُرْيٌ فَأَلْجَأَهُ[٧] ذٰلِكَ إِلَى أَنْ سَأَلَ بَعْضَ أَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ[٨] يَعُودُ بِهِ عَلَيْهِ[٩]. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلِهِ إِذْ بَصُرَ بِسَارِقٍ[١٠] فِي الْمَنْزِلِ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ وَاللّٰهِ مَا فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ أَخَافُ عَلَيْهِ فَلْيَجْهَدِ السَّارِقُ جُهْدَهُ[١١]. فَبَيْنَمَا السَّارِقُ يَجُولُ إِذْ وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى خَابِيَةٍ فِيهَا حِنْطَةٌ فَقَالَ السَّارِقُ وَاللّٰهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَنَائِي اللَّيْلَةَ بَاطِلًا وَلَعَلِّي لَا أَصِلُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ. وَلٰكِنْ سَأَحْمِلُ هٰذِهِ الْحِنْطَةَ خَيْرٌ مِنَ الرُّجُوعِ بِغَيْرِ شَيْءٍ.

---

(١) المطالب (٢) يحسنان (٣) ما يختص به (٤) يقطع الامل (٥) بمعنى يقنط (٦) قضاء الله (٧) اضطرّهُ ودفعه (٨) زيادةٌ عن عوزه (٩) اي يمدّه ويوسعه به (١٠) لمحه (١١) طاقته

ثُمَّ بَسَطَ رِدَاءَهُ(١) لِيَصُبَّ عَلَيْهِ الْحِنْطَةَ فَقَالَ الرَّجُلُ يَذْهَبُ هَذَا بِالْحِنْطَةِ وَلَيْسَ وَرَائِي سِوَاهَا فَيَجْتَمِعُ عَلَيَّ مَعَ الْعُرْيِ ذَهَابُ مَا كُنْتُ أَقْتَاتُ بِهِ وَمَا تَجْتَمِعُ وَاللهِ هَاتَانِ الْخَلَّتَانِ(٢) عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَكَتَاهُ. ثُمَّ صَاحَ بِالسَّارِقِ وَوَثَبَ إِلَيْهِ بِهِرَاوَةٍ(٣) كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلسَّارِقِ حِيلَةٌ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ وَتَرَكَ رِدَاءَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ وَغَدَا الرَّجُلُ بِهِ كَاسِياً(٤)

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَرْكَنَ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْمَثَلِ فَيَتَّكِلَ عَلَيْهِ وَيَدَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ لِإِصْلَاحِ مَعَاشِهِ. بَلْ أَنْ لَا يَأْلُوَ جَهْداً(٥) فِي الطَّلَبِ عَلَى قَدَرِ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يَنْظُرَ إِلَى مَنْ تُوَاتِيهِ(٦) الْمَقَادِيرُ وَتُسَاعِدُهُ عَلَى غَيْرِ الْتِمَاسٍ مِنْهُ وَلَا حَرَكَةٍ لِأَنَّ أُولَئِكَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ. وَإِنَّمَا الْجُمْهُورُ مِنْهُمْ مَنْ يَجْهَدُ نَفْسَهُ فِي الْكَدِّ وَالسَّعْيِ فِيمَا يُصْلِحُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَنَالُ بِهِ مَا يُرِيدُ * وَلْيَحْرِصْ أَنْ يَكُونَ مَكْسَبُهُ مِنْ أَطْيَبِ الْمَكَاسِبِ وَأَفْضَلِهَا وَأَنْفَعِهَا لَهُ وَلِغَيْرِهِ مَعاً مَا أَمْكَنَ. وَلَا يَتَعَرَّضْ لِمَا يَجْلِبُ عَلَيْهِ الْعَنَاءَ وَالشَّقَاءَ وَمَا يُعْقِبُهُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَلْيَحْذَرْ أَنْ يُعَاوِدَ مَا أَصَابَهُ مِنْهُ الضَّرَرُ.

---

(١) ثوب يلبس فوق الثياب (٢) العرى وعدم القوت (٣) عصاً ضخمة
(٤) مكتسياً (٥) اي لا يقصر في الجهد وهو التعب والمشقة
(٦) توافقه

وَيَنْبَغِي لَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَحْذَرَ مِمَّا يُصِيبُ غَيْرَهُ مِنَ ٱلضَّرَرِ لِئَلاَّ يُصِيبَهُ مِثْلُهُ. فَيَكُونَ كَالْحَمَامَةِ ٱلَّتِي تُفْرِخُ ٱلْفِرَاخَ فَتُؤْخَذُ(١) وَتُذْبَحُ ثُمَّ لَا يَمْنَعُهَا ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَعُودَ فَتُفْرِخَ مَوْضِعَهَا وَتُقِيمَ بِمَكَانِهَا فَتُؤْخَذُ ٱلثَّانِيَةُ مِنْ فِرَاخِهَا فَتُذْبَحُ حَتَّى تُؤْخَذَ هِيَ أَيْضاً فَتُذْبَحَ

وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً يُوقَفُ عَلَيْهِ. وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي ٱلْأَشْيَاءِ حَدَّهَا أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَهُ ٱلتَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِهَا. وَٱلْمُتَجَاوِزُ ٱلْحَدِّ وَٱلْمُقَصِّرُ عَنْهُ سِيَّانِ(٢) بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْهِ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا زَائِغٌ عَنْهُ فِي ٱلْحَالَيْنِ جَمِيعاً * وَيُقَالُ مَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ فَحَيَاتُهُ لَهُ وَعَلَيْهِ. وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِدُنْيَاهُ خَاصَّةً فَحَيَاتُهُ عَلَيْهِ وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِآخِرَتِهِ فَحَيَاتُهُ لَهُ * وَيُقَالُ فِي أَشْيَاءَ يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ ٱلدُّنْيَا إِصْلَاحُهَا وَبَذْلُ جُهْدِهِ فِيهَا. مِنْهَا أَمْرُ دِينِهِ. وَمِنْهَا أَمْرُ مَعِيشَتِهِ. وَمِنْهَا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ. وَمِنْهَا مَا يُكْسِبُهُ ٱلذِّكْرَ ٱلْجَمِيلَ بَعْدَهُ * وَقَدْ قِيلَ فِي أُمُورٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ عَمَلٌ. مِنْهَا ٱلتَّوَانِي(٣). وَمِنْهَا تَضْيِيعُ ٱلْفُرَصِ. وَمِنْهَا ٱلتَّصْدِيقُ لِكُلِّ مُخْبِرٍ. وَمِنْهَا ٱلتَّكْذِيبُ لِكُلِّ عَارِفٍ * وَرُبَّ مُخْبِرٍ

(١) اي الفراخ (٢) مثنى سي بمعنى مثل (٣) التقصير في العمل

بِشَيْءٍ عَقْلُهُ(١) وَلَا يَعْرِفُ اسْتِقَامَتَهُ فَيُصَدِّقُهُ. وَالَّذِي يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ. رَجُلٌ يُصَدِّقُ بِمَا جَرَّبَهُ غَيْرُهُ وَصَدَّقَهُ فَيُصَدِّقُهُ هُوَ وَيَتَمَادَى فِي التَّصْدِيقِ حَتَّى كَأَنَّمَا جَرَّبَهُ بِنَفْسِهِ. وَرَجُلٌ يُصَدِّقُ بِالْأُمُورِ الَّتِي جَرَّبَهَا وَلَكِنْ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِحَقِيقَتِهَا. وَرَجُلٌ تَلْتَبِسُ عَلَيْهِ الْأُمُورُ فَيُصَدِّقُ بِهَا * وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لِهَوَاهُ مُتَّهِمًا(٢) وَلَا يَقْبَلَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَدِيثًا وَلَا يَتَمَادَى فِي الْخَطَاءِ إِذَا الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَلَا يَلِجَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَلَا يُقْدِمَ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ فِيهِ وَتَسْتَوْضِحَ(٣) لَهُ الْحَقِيقَةُ. وَلَا يَكُونَ كَالرَّجُلِ الَّذِي يَزِيغُ عَنِ الطَّرِيقِ فَيَسْتَمِرُّ عَلَى الضَّلَالِ فَلَا يَزْدَادُ فِي السَّيْرِ جَهْدًا إِلَّا ازْدَادَ عَنِ الْقَصْدِ بُعْدًا. وَكَالرَّجُلِ الَّذِي تَقْذَى عَيْنُهُ(٤) فَلَا يَزَالُ يَحُكُّهَا حَتَّى رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْحَكُّ سَبَبًا فِي ذَهَابِهَا * وَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُصَدِّقَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا كُتِبَ سَوْفَ يَكُونُ وَأَنَّ مَنْ أَتَى صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَقَدْ ظَلَمَ. وَيَأْخُذَ بِالْحَزْمِ فِي أُمُورِهِ وَيُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهَ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لَهَا فَلَا يَطْلُبَ

---

(١) ادركه بعقله (٢) شاكاً في صدقه (٣) تتضح (٤) يصيبها قذى من غبار او نحوه

أَمْرًا فِيهِ مَضَرَّةٌ لِغَيْرِهِ طَلَبًا لِصَلَاحِ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ فَإِنَّ كُلَّ غَادِرٍ مَأْخُوذٌ

وَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ كَانَ خَلِيقًا أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ ٱلتَّاجِرَ مِنْ رَفِيقِهِ. فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَكَانَ لَهُ شَرِيكٌ. فَٱسْتَأْجَرَا حَانُوتًا(١) وَجَعَلَا مَتَاعَهُمَا(٢) فِيهِ. وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ ٱلْمَنْزِلِ مِنَ ٱلْحَانُوتِ فَأَضْمَرَ(٣) فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عِدْلًا(٤) مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَمَكَرَ ٱلْحِيلَةَ(٥) فِي ذٰلِكَ وَقَالَ إِنْ أَنَا أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ آمَنْ أَنْ أَحْمِلَ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِي أَوْ رِزْمَةً مِنْ رِزَمِي وَلَا أَعْرِفَهَا فَيَذْهَبَ عَنَائِي وَتَعَبِي بَاطِلًا. فَأَخَذَ رِدَاءَهُ(٦) وَأَلْقَاهُ عَلَى ٱلْعِدْلِ ٱلَّذِي أَضْمَرَ أَخْذَهُ ثُمَّ ٱنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ. وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ لِيُصْلِحَ أَعْدَالَهُ فَقَالَ وَٱللّٰهِ هٰذَا رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ. وَمَا ٱلرَّأْيُ أَنْ أَدَعَهُ هٰهُنَا وَلٰكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزَمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْتَبِقُنِي إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَيَجِدَهُ حَيْثُ يُحِبُّ. ثُمَّ أَخَذَ ٱلرِّدَاءَ فَأَلْقَاهُ عَلَى عِدْلٍ مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ ٱلْحَانُوتَ وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱللَّيْلُ أَتَى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ(٧)

---

(١) دكانًا (٢) اي بضاعتهما (٣) نوى (٤) الكيس الكبير فيه البضاعة (٥) اي اضمرها بالمكر (٦) ثوبه الذي فوق ثيابه (٧) وافقه

عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَضَمِنَ لَهُ جُعْلاً(١) عَلَى حَمْلِهِ فَصَارَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَتَحَسَّسَ(٢) ٱلرِّدَاءَ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَتَلَمَّسَهُ(٣) فَوَجَدَهُ عَلَى ٱلْعِدْلِ فَٱحْتَمَلَ ذٰلِكَ ٱلْعِدْلَ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَٱلرَّجُلُ وَجَعَلَا يَتَرَاوَحَانِ فِي حَمْلِهِ(٤) حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَرَمَى نَفْسَهُ تَعَباً. فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱفْتَقَدَهُ فَإِذَا هُوَ بَعْضُ أَعْدَالِهِ فَنَدِمَ أَشَدَّ ٱلنَّدَامَةِ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ نَحْوَ ٱلْحَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فَفَتَحَ ٱلْحَانُوتَ وَفَقَدَ ٱلْعِدْلَ فَٱغْتَمَّ لِذٰلِكَ غَمّاً شَدِيداً وَقَالَ وَا سَوْءَتَا(٥) مِنْ رَفِيقٍ صَالِحٍ قَدِ ٱئْتَمَنَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَّفَنِي(٦) فِيهِ مَاذَا يَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ. وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي تُهْمَتِهِ إِيَّايَ وَلٰكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي(٧) عَلَى غَرَامَتِهِ(٨). فَلَمَّا أَتَاهُ صَاحِبُهُ وَجَدَهُ مُغْتَمّاً فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ إِنِّي قَدِ ٱفْتَقَدْتُ ٱلْأَعْدَالَ وَفَقَدْتُ عِدْلاً مِنْ أَعْدَالِكَ وَلَا أَعْلَمُ بِسَبَبِهِ وَإِنِّي لَا أَشُكُّ فِي تُهْمَتِكَ إِيَّايَ وَإِنِّي قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ. فَقَالَ لَهُ يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ فَإِنَّ ٱلْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَهُ ٱلْإِنْسَانُ وَٱلْمَكْرُ وَٱلْخَدِيعَةُ لَا يُؤَدِّيَانِ إِلَى خَيْرٍ وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ أَبَداً وَمَا عَادَ وَبَالُ(٩) ٱلْبَغْيِ(١٠) إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ. وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ

(١) اجرة (٢) تطلبه بالحس (٣) تطلبه باللمس (٤) يحمله هذا مرة وهذا مرة (٥) السوءة الامر القبيح يريد واخجلتا (٦) استخلفني (٧) اي صممت (٨) اي تعويضه عليه (٩) اي سوء العاقبة (١٠) الظلم

وَٱحْتَالَ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ. فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ. فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ مَا مَثَلُكَ إِلَّا مَثَلُ ٱللِّصِّ وَٱلتَّاجِرِ فَقَالَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَابِيَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَمْلُوءَةٌ حِنْطَةً وَٱلْأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا. فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ ٱللُّصُوصِ زَمَانًا حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ ٱلْأَيَّامِ تَشَاغَلَ ٱلتَّاجِرُ عَنِ ٱلْمَنْزِلِ فَتَغَفَّلَهُ[١] ٱللِّصُّ وَدَخَلَ ٱلْمَنْزِلَ وَكَمَنَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ. فَلَمَّا هَمَّ بِأَخْذِ ٱلْخَابِيَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلدَّنَانِيرُ أَخَذَ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْحِنْطَةُ وَظَنَّهَا ٱلَّتِي فِيهَا ٱلذَّهَبُ. وَلَمْ يَزَلْ فِي كَدٍّ وَتَعَبٍ حَتَّى أَتَى بِهَا مَنْزِلَهُ فَلَمَّا فَتَحَهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ

قَالَ لَهُ ٱلْخَائِنُ مَا أَبْعَدْتَ ٱلْمَثَلَ وَلَا تَجَاوَزْتَ ٱلْقِيَاسَ وَقَدِ ٱعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطَاءِي عَلَيْكَ وَعَزِيزٌ[٢] عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هٰذَا كَهٰذَا غَيْرَ أَنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ[٣]. فَقَبِلَ ٱلرَّجُلُ مَعْذِرَتَهُ وَأَضْرَبَ[٤] عَنْ تَوْبِيخِهِ وَعَنِ ٱلثِّقَةِ بِهِ وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ مَا عَايَنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ[٥]

---

(١) ترقب غفلته (٢) اي صعب (٣) القبيح من الذنوب (٤) اعرض
(٥) ما قدم منه

وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي كِتَابِنَا هٰذَا أَنْ لَا تَكُونَ غَايَتُهُ ٱلتَّصَفُّحَ لِتَزَاوِيقِهِ(١) بَلْ يُشْرِفَ عَلَى مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ ٱلْأَمْثَالِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ(٢) إِلَى آخِرِهِ وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ وَيُعْمِلَ فِيهَا رَوِيَّتَهُ وَيَكُونَ مِثْلَ ثَالِثِ ٱلْإِخْوَةِ ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خَلَّفَ لَهُمْ أَبُوهُمُ ٱلْمَالَ ٱلْكَثِيرَ فَتَنَازَعُوهُ(٣) بَيْنَهُمْ. فَأَمَّا ٱلِٱثْنَانِ ٱلْكَبِيرَانِ فَإِنَّهُمَا أَسْرَعَا فِي إِتْلَافِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ. وَأَمَّا ٱلصَّغِيرُ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا نَظَرَ مَا صَارَ إِلَيْهِ أَخَوَاهُ مِنْ إِسْرَافِهِمَا(٤) وَتَخَلِّيهِمَا(٥) مِنَ ٱلْمَالِ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يُشَاوِرُهَا وَقَالَ يَا نَفْسُ إِنَّمَا ٱلْمَالُ يَطْلُبُهُ صَاحِبُهُ وَيَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ لِبَقَاءِ حَالِهِ وَصَلَاحِ مَعَاشِهِ وَدُنْيَاهُ وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ فِي أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ وَٱسْتِغْنَائِهِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ وَصَرْفِهِ فِي وَجْهِهِ مِنْ صِلَةِ ٱلرَّحِمِ(٦) وَٱلْإِنْفَاقِ عَلَى ٱلْوَلَدِ وَٱلْإِفْضَالِ عَلَى ٱلْإِخْوَانِ* فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَا يُنْفِقُهُ فِي حُقُوقِهِ كَانَ كَٱلَّذِي يُعَدُّ فَقِيرًا وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا(٧). وَإِنْ هُوَ أَحْسَنَ إِمْسَاكَهُ(٨) وَٱلْقِيَامَ عَلَيْهِ(٩) لَمْ يَعْدَمِ ٱلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مِنْ دُنْيَا تَبْقَى عَلَيْهِ وَحَمْدٍ يُضَافُ إِلَيْهِ. وَمَتَى قَصَدَ إِنْفَاقَهُ عَلَى غَيْرِ ٱلْوُجُوهِ ٱلَّتِي

(١) اي النظر فيها وذلك لانه كان في اصله مشتملاً على صور اشخاص الحوادث التي فيه (٢) يتمه (٣) اي تقاسموه (٤) تبذيرهما
(٥) تفرغهما (٦) القرابة (٧) غنيًّا (٨) ضبطه (٩) اي تدبيره

حدث(١) لم يلبث(٢) أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامة. ولكن الرأي أن أمسك هذا المال فإني أرجو أن ينفعني الله به ويغني إخوتي على يدي فإنما هو مال أبي ومال أبيهما. وإن أولى الإنفاق على صلة الرحم وإن بعدت فكيف بإخوتي. فأنفذ فأحضرهما وشاطرهما ماله(٣)

وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن أن نتيجته إنما هي الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود ويكون مثله مثل الصياد الذي كان في بعض الخلج(٤) يصيد فيه السمك في زورق. فرأى ذات يوم في عقيق(٥) الماء صدفة تتلألأ حسناً فتوهمها جوهراً له قيمة. وكان قد ألقى شبكته في البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه فخلاها وقذف(٦) نفسه في الماء ليأخذ الصدفة. فلما أخرجها وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن. فندم على ترك ما في يده للطمع وتأسف على ما فاته.

(١) اي رُسمت وفرضت (٢) يبطئ (٣) اعطاها شطره اي نصفه

(٤) جمع خليج وهو النهر او شرم من البحر (٥) مسيل (٦) رمى

فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي تَنَحَّى[١] عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَتَهُ فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا وَرَأَى أَيْضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً[٢] فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا. وَٱجْتَازَ[٣] بِهَا بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا

وَكَذٰلِكَ ٱلْجُهَّالُ عَلَى إِغْفَالِ أَمْرِ ٱلتَّفَكُّرِ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ وَٱلِٱغْتِرَارِ بِهِ وَتَرْكِ ٱلْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهِ وَٱلْأَخْذِ بِظَاهِرِهِ[٤] دُونَ ٱلْأَخْذِ بِبَاطِنِهِ. وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى ٱلنَّظَرِ فِي أَبْوَابِ ٱلْهَزْلِ مِنْهُ فَهُوَ كَرَجُلٍ أَصَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً[٥] وَحَبًّا صَحِيحًا فَزَرَعَهَا وَسَقَاهَا حَتَّى إِذَا قَرُبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا مِنَ ٱلزَّهْرِ وَقَطْعِ ٱلشَّوْكِ فَأَهْلَكَ بِتَشَاغُلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَائِدَةً وَأَجْمَلَ عَائِدَةً[٦] * وَيَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ. أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ ٱلْبَهَائِمِ غَيْرِ ٱلنَّاطِقَةِ مِنْ مُسَارَعَةِ أَهْلِ ٱلْهَزْلِ مِنَ ٱلشُّبَّانِ إِلَى قِرَاءَتِهِ فَتُسْتَمَالُ بِهِ قُلُوبُهُمْ لِأَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْغَرَضُ بِٱلنَّوَادِرِ مِنْ حِيَلِ ٱلْحَيَوَانَاتِ. وَٱلثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ ٱلْحَيَوَانَاتِ

(١) اعتزل (٢) اي كريمة (٣) مرّ (٤) اي الاعتماد عليه (٥) لا رمل فيها (٦) منفعة

بِصُنُوفِ ٱلْأَصْبَاغِ وَٱلْأَلْوَانِ لِيَكُونَ أُنْسًا لِقُلُوبِ ٱلْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ لِلنُّزْهَةِ فِي تِلْكَ ٱلصُّوَرِ (١) • وَٱلثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ فَيَتَّخِذَهُ ٱلْمُلُوكُ وَٱلسُّوقَةُ (٢) فَيَكْثُرَ بِذٰلِكَ ٱنْتِسَاخُهُ وَلَا يَبْطُلَ فَيَخْلَقَ (٣) عَلَى مُرُورِ ٱلْأَيَّامِ • وَلِيَنْتَفِعَ بِذٰلِكَ ٱلْمُصَوِّرُ وَٱلنَّاسِخُ أَبَدًا • وَٱلْغَرَضُ ٱلرَّابِعُ وَهُوَ ٱلْأَقْصَى مَخْصُوصٌ بِٱلْفَيْلَسُوفِ خَاصَّةً

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْمُقَفَّعِ لَمَّا رَأَيْتُ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ فَسَّرُوا هٰذَا ٱلْكِتَابَ مِنَ ٱلْهِنْدِيَّةِ إِلَى ٱلْفَارِسِيَّةِ وَأَلْحَقُوا بِهِ بَابًا وَهُوَ بَابُ بَرْزَوَيْهِ ٱلطَّبِيبِ وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ مَا ذَكَرْنَا فِي هٰذَا ٱلْبَابِ لِمَنْ أَرَادَ قِرَاءَتَهُ وَٱقْتِبَاسَ عُلُومِهِ وَفَوَائِدِهِ وَضَعْنَا لَهُ هٰذَا ٱلْبَابَ فَتَأَمَّلْ ذٰلِكَ تُرْشَدْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى

---

(١) لانه كان ذا صوَرٍ كما مرَّ (٢) الرعية وقد مرَّ (٣) اي فيبلى

باب

بَرْزَوَيْهِ

لبَزَرْجمهرَ بنِ الْبَخْتَكانِ

قَالَ بَرْزَوَيْهِ بنُ أَزْهَرَ رَأْسُ أَطِبَّاءِ فَارِسَ وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى انْتِسَاخَ هٰذَا الْكِتَابِ وَتَرْجَمَهُ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ * إِنَّ أَبِي كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ(١) وَكَانَتْ أُمِّي مِنْ عُظَمَاءِ بُيُوتِ الزَّمَازِمَةِ(٢) وَكَانَ مَنْشَإِي فِي نِعْمَةٍ(٣) كَامِلَةٍ وَكُنْتُ أَكْرَمَ وَلَدِ أَبَوَيَّ عَلَيْهِمَا وَكَانَا بِي أَشَدَّ احْتِفَاظًا مِنْ دُونِ إِخْوَتِي. حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ سَبْعَ سِنِينَ أَسْلَمَانِي إِلَى الْمُؤَدِّبِ. فَلَمَّا حَذَقْتُ الْكِتَابَةَ(٤) شَكَرْتُ أَبَوَيَّ وَنَظَرْتُ فِي الْعِلْمِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ عِلْمَ الطِّبِّ لِأَنِّي كُنْتُ عَرَفْتُ فَضْلَهُ. فَأَقَمْتُ فِي تَعَلُّمِهِ سَبْعَ سِنِينَ وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا ازْدَدْتُ عَلَيْهِ حِرْصًا وَلَهُ اتِّبَاعًا حَتَّى أَحَطْتُ مِنْهُ بِعِلْمٍ وَافِرٍ وَقَدَرْتُ عَلَى غَوَامِضِهِ. فَلَمَّا هَمَّتْ نَفْسِي بِمُدَاوَاةِ الْمَرْضَى

(١) اسم المقاتلين (٢) طائفة معروفة عندهم (٣) اسم من التنعم وهو الترفه (٤) تعلمتها ومهرت فيها

وَعَزَمْتُ عَلَى ذَلِكَ آمَرْتُهَا(١) ثُمَّ خَيَّرْتُهَا بَيْنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْأَرْبَعَةِ ٱلَّتِي يَطْلُبُهَا ٱلنَّاسُ وَفِيهَا يَرْغَبُونَ وَلَهَا يَسْعَوْنَ. فَقُلْتُ أَيَّ هٰذِهِ ٱلْخِلَالِ أَبْتَغِي فِي عِلْمِي وَأَيُّهَا أَحْرَى(٢) بِي فَأُدْرِكَ مِنْهُ حَاجَتِي. ٱلْمَالُ أَمِ ٱلذِّكْرُ أَمِ ٱللَّذَّاتُ أَمِ ٱلْآخِرَةُ. وَكُنْتُ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ ٱلطِّبِّ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلْأَطِبَّاءِ مَنْ وَاظَبَ عَلَى طِبِّهِ لَا يَبْتَغِي إِلَّا أَجْرَ ٱلْآخِرَةِ. فَرَأَيْتُ أَنْ أَطْلُبَ ٱلِاشْتِغَالَ بِٱلطِّبِّ ٱبْتِغَاءَ ٱلْآخِرَةِ وَرَجَاءَ أَجْرِ ٱلْمُنْقَلَبِ(٣) لَا أَبْتَغِي مُكَافَأَةَ ٱلدُّنْيَا وَلَا تَعْجِيلَهَا. لِئَلَّا أَكُونَ كَالتَّاجِرِ ٱلَّذِي بَاعَ يَاقُوتَةً ثَمِينَةً كَانَ يُصِيبُ بِثَمَنِهَا غِنَى ٱلدَّهْرِ بِخَرَزَةٍ لَا تُسَاوِي شَيْئًا. مَعَ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ ٱلْأَوَّلِينَ أَنَّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي بِطِبِّهِ أَجْرَ ٱلْآخِرَةِ لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ حَظَّهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَنَّ مَثَلَهُ مَثَلُ ٱلزَّارِعِ ٱلَّذِي يَبْذُرُ حَبَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَعْمُرُهَا(٤) ٱبْتِغَاءَ ٱلزَّرْعِ لَا ٱبْتِغَاءَ ٱلْعُشْبِ ثُمَّ هِيَ لَا مَحَالَةَ(٥) نَابِتٌ فِيهَا أَلْوَانُ(٦) ٱلْعُشْبِ مَعَ نَاضِرِ(٧) ٱلزَّرْعِ. فَأَقْبَلْتُ عَلَى مُدَاوَاةِ ٱلْمَرْضَى ٱبْتِغَاءَ أَجْرِ ٱلْآخِرَةِ فَلَمْ أَدَعْ مَرِيضًا أَرْجُو لَهُ ٱلْبُرْءَ وَآخَرَ لَا أَرْجُو لَهُ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي أَطْمَعُ أَنْ يَخِفَّ عَنْهُ

(١) شاورتها (٢) اولى (٣) اي العاقبة (٤) اي يصلحها (٥) لابد
(٦) انواع (٧) اي خصيب

بَعْضُ ٱلْمَرَضِ إِلاَّ بَالَغْتُ فِي مُدَاوَاتِهِ جُهْدِي، وَمَنْ قَدَرْتُ عَلَى ٱلْقِيَامِ عَلَيْهِ [1] قُمْتُ عَلَيْهِ بِنَفْسِي وَمَنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱلْقِيَامِ عَلَيْهِ وَصَفْتُ لَهُ مَا يُصْلِحُ وَأَعْطَيْتُهُ مِنَ ٱلدَّوَاءِ مَا يَتَعَالَجُ بِهِ وَأَمَرْتُهُ بِٱلَّذِي يَنْبَغِي وَلَمْ أُرِدْ مِمَّنْ فَعَلْتُ مَعَهُ ذٰلِكَ جَزَاءً وَلاَ مُكَافَأَةً. وَلَمْ أَغْبِطْ أَحَدًا [2] مِنْ نُظَرَائِي [3] ٱلَّذِينَ هُمْ مِثْلِي فِي ٱلْعِلْمِ وَلاَ مَنْ هُمْ فَوْقِي فِي ٱلْجَاهِ وَٱلْمَالِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا لاَ يَعُودُ بِصَلاَحٍ وَلاَ حُسْنِ سِيرَةٍ قَوْلاً وَلاَ عَمَلاً

وَلَمَّا كَانَتْ نَفْسِي تَتُوقُ [4] إِلَى ذٰلِكَ وَتُنَازِعُنِي [5] فِي أَنْ تَنَالَ مِثْلَ مَنَالِهِمْ كُنْتُ آبِيَ [6] لَهَا إِلاَّ ٱلْخُصُومَةَ [7] وَأَقُولُ لَهَا يَا نَفْسُ أَمَا تَعْرِفِينَ نَفْعَكِ مِنْ ضَرِّكِ أَلاَ تَنْتَهِينَ عَنْ طَلَبِ مَا لاَ يَنَالُهُ أَحَدٌ إِلاَّ قَلَّ ٱنْتِفَاعُهُ بِهِ وَكَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ وَٱشْتَدَّتِ ٱلْمَؤُونَةُ [8] عَلَيْهِ وَعَظُمَتِ ٱلْمَشَقَّةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ * يَا نَفْسُ أَمَا تَذْكُرِينَ مَا بَعْدَ هٰذِهِ ٱلدَّارِ فَيُنْسِيكِ مَا تَشْرَهِينَ إِلَيْهِ [9] مِنْهَا. أَلاَ تَسْتَحْيِينَ مِنْ مُشَارَكَةِ ٱلْفُجَّارِ فِي حُبِّ هٰذِهِ ٱلْعَاجِلَةِ ٱلْفَانِيَةِ ٱلَّتِي مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَيْسَ لَهُ وَلَيْسَ بِبَاقٍ عَلَيْهِ فَلاَ

(١) ملازمته والقيام بشانه (٢) اتمنى مثل حاله (٣) امثالي (٤) تشتاق
(٥) تجاذبني (٦) لا اريد (٧) المخاصمة (٨) الثقل والشدة (٩) اي تحرصين عليه حرصاً شديداً

يألفها إلا المغرورون الجاهلون * يا نفس انظري في أمرك وانصرفي عن هذا السفه(١) وأقبلي بقوتك وسعيك على تقديم الخير وإياك والتسويف(٢) . واذكري أن هذا الجسد موجود لآفات(٣) وأنه مملوء أخلاطاً فاسدة قذرة متعادية(٤) متغالبة تعقدها الحياة والحياة إلى نفاد كالصنم المفصلة أعضاؤه إذا ركبت ووضعت جميعها في مواضعها مسمار واحد يمسك بعضها على بعض فإذا أخذ ذلك المسمار تساقطت تلك الأوصال(٥) * يا نفس لا تغتري بصحبة أحبائك وخلانك ولا تحرصي على ذلك كل الحرص فإن صحبتهم على ما فيها من البهجة والسرور كثيرة المؤونة والأذى وعاقبة ذلك الفراق . ومثلها مثل المغرفة التي تستعمل في جدتها لسخونة المرق ولذعه فإذا قدمت صارت وقوداً في النار * يا نفس لا يحملنك أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين فيه إرادة صلتهم(٦) فإذا أنت كالدخنة(٧) الأرجة(٨) التي تحترق ويذهب آخرون بريحها * يا نفس لا تركني إلى هذه الدار الفانية ولا تغتري بها طمعاً في البقاء والمنزلة التي ينظر

---

(١) الخفة والجهل (٢) المطل (٣) اعراض مفسدة (٤) بينها عداوة (٥) الاعضاء (٦) اي الاحسان اليهم (٧) نوع من الطيب (٨) ذات الارج وهو طيب الرائحة

إِلَيْهَا أَهْلُهَا. فَكَأَيٍّ(١) مِمَّنْ لَا يُبْصِرُ صِغَرَ مَا يَسْتَعْظِمُ وَحَقَارَتَهُ حَتَّى يُفَارِقَهُ كَشَعَرِ ٱلرَّأْسِ ٱلَّذِي يَخْدُمُهُ صَاحِبُهُ وَيُكْرِمُهُ مَا دَامَ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا فَارَقَ رَأْسَهُ ٱسْتَقْذَرَهُ(٢) وَرَفَضَهُ * يَا نَفْسِ لَا تَمَلِّي مِنْ عِيَادَةِ(٣) ٱلْمَرْضَى وَمُدَاوَتِهِمْ وَٱعْتَبِرِي كَيْفَ يَجْهَدُ ٱلرَّجُلُ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْ مَضِيمٍ وَاحِدٍ(٤) كُرْبَةً(٥) وَاحِدَةً وَيَسْتَنْقِذَهُ مِنْهَا رَجَاءَ ٱلْأَجْرِ. فَكَيْفَ بِٱلطَّبِيبِ ٱلَّذِي يَفْعَلُ كَثِيرًا مِنْ ذٰلِكَ مَعَ كَثِيرِينَ. إِنَّ هٰذَا لَخَلِيقٌ أَنْ يَعْظُمَ رَجَاؤُهُ وَيُوثَقَ مِنْهُ بِحُسْنِ ٱلثَّوَابِ * يَا نَفْسِ لَا يَبْعُدْ عَلَيْكِ أَمْرُ ٱلْآخِرَةِ فَتَمِيلِي إِلَى ٱلْعَاجِلَةِ فِي ٱسْتِعْجَالِ ٱلْقَلِيلِ(٦) وَبَيْعِ ٱلْكَثِيرِ بِٱلْيَسِيرِ. كَٱلتَّاجِرِ ٱلَّذِي كَانَ لَهُ مِلْءُ بَيْتٍ مِنَ ٱلصَّنْدَلِ(٧) فَقَالَ إِنْ بِعْتُهُ وَزْنًا طَالَ عَلَيَّ فَبَاعَهُ جِزَافًا(٨) بِأَبْخَسِ(٩) ٱلثَّمَنِ * وَقَدْ وَجَدْتُ آرَاءَ ٱلنَّاسِ مُخْتَلِفَةً وَأَهْوَاءَهُمْ(١٠) مُتَبَايِنَةً(١١) وَكُلٌّ عَلَى كُلٍّ عَادٍ(١٢) وَلَهُ عَدُوٌّ وَمُغْتَابٌ(١٣) وَفِيهِ وَاقِعٌ(١٤)

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ لَمْ أَجِدْ إِلَى مُتَابَعَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَبِيلًا

---

(١) فكم (٢) وجده قذرًا (٣) زيارة (٤) ذي ضيم اي ظلم وجهد (٥) حزنًا (٦) طلب عجالته (٧) حب طيب الرائحة (٨) بلا وزن ولا كيل (٩) انقص (١٠) اميال نفوسهم (١١) متباعدة (١٢) ساطٍ وهاجم (١٣) قادح في عرضه وهو غائب (١٤) سابٌّ له

وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ صَدَّقْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا عِلْمَ لِي بِحَالِهِ كُنْتُ فِي ذٰلِكَ كَالْمُصَدِّقِ الْمَخْدُوعِ الَّذِي زَعَمُوا فِيهِ أَنَّ سَارِقًا عَلَا ظَهْرَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَاسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنْ وَطْئِهِمْ[1]. فَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَأَعْلَمَهَا بِذٰلِكَ وَقَالَ لَهَا رُوَيْدًا[2] إِنِّي لَأَحْسَبُ اللُّصُوصَ عَلَوْا عَلَى الْبَيْتِ. فَأَيْقِظِينِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ اللُّصُوصُ وَقُولِي أَلَا تُخْبِرُنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ عَنْ أَمْوَالِكَ هٰذِهِ الْكَثِيرَةِ وَكُنُوزِكَ الْعَظِيمَةِ مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهَا. فَإِذَا امْتَنَعْتُ عَلَيْكِ فَأَلِحِّي عَلَيَّ فِي السُّؤَالِ وَاسْتَحْلِفِينِي حَتَّى أَقُولَ لَكِ. فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذٰلِكَ وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا وَأَنْصَتَتِ[3] اللُّصُوصُ إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهِمَا. فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ قَدْ سَاقَكِ الْقَدَرُ إِلَى رِزْقٍ وَاسِعٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَلَا تَسْأَلِي عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكِ بِهِ لَمْ آمَنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ فَيَكُونَ فِي ذٰلِكَ مَا أَكْرَهُ وَتَكْرَهِينَ. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ أَخْبِرْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ فَلَعَمْرِي[4] مَا بِقُرْبِنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا. فَقَالَ لَهَا فَإِنِّي مُخْبِرُكِ أَنِّي لَمْ أَجْمَعْ هٰذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ السَّرِقَةِ. قَالَتْ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ وَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ وَأَنْتَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ

(١) دوسهم (٢) مهلاً (٣) اصغت (٤) اي قسماً بعمري

ٱلْبَرَرَةِ⁽¹⁾ ٱلصَّلَاحِ • قَالَ ذٰلِكَ لِعِلْمٍ أَصَبْتُهُ فِي ٱلسَّرِقَةِ وَكَانَ
ٱلْأَمْرُ عَلَيَّ يَسِيرًا وَأَنَا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهِمَنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتَابَ بِي •
قَالَتْ فَٱذْكُرْ لِي ذٰلِكَ • قَالَ كُنْتُ أَذْهَبُ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلْمُقْمِرَةِ
أَنَا وَأَصْحَابِي حَتَّى أَعْلُوَ دَارَ بَعْضِ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِثْلِنَا فَأَنْتَهِي⁽²⁾ إِلَى
ٱلْكُوَّةِ⁽³⁾ ٱلَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا ٱلضَّوْءُ • فَأَرْقِي⁽⁴⁾ بِهٰذِهِ ٱلرُّقْيَةِ وَهِيَ
شَوْلَمْ شَوْلَمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَأَعْتَنِقُ ٱلضَّوْءَ فَلَا يُحِسُّ بِوُقُوعِي أَحَدٌ
وَلَا يَبْقَى فِي ٱلْبَيْتِ شَيْءٌ إِلَّا أَتَانِي قَاصِدًا مُطِيعًا فَلَا أَدَعُ مَالًا
وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخَذْتُهُ • ثُمَّ أُعِيدُ ٱلْعَزِيمَةَ⁽⁵⁾ أَيْضًا وَأَعْتَنِقُ ٱلضَّوْءَ
فَيَجْذِبُنِي فَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحَابِي فَنَمْضِي سَالِمِينَ آمِنِينَ * وَلَيْسَ
عَلَى مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ جُرْأَةٌ⁽⁶⁾ فَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ إِلَى
حِبَالِ ٱلضَّوْءِ وَيَتَعَلَّقَ بِهَا وَيَنْزِلَ عَلَيْهَا • فَٱكْتُمِي ذٰلِكَ وَإِيَّاكِ
أَنْ تُعَلِّمِيهِ لِأَحَدٍ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱللُّصُوصُ ذٰلِكَ قَالُوا قَدْ ظَفِرْنَا
ٱللَّيْلَةَ بِمَا نُرِيدُ مِنَ ٱلْمَالِ • ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطَالُوا ٱلْمُكْثَ حَتَّى ظَنُّوا
أَنَّ صَاحِبَ ٱلدَّارِ وَزَوْجَتَهُ قَدْ هَجَعَا⁽⁷⁾ وَكَانَتْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةُ مُقْمِرَةً
وَلِلْبَيْتِ كُوَّةٌ نَافِذٌ مِنْهَا ٱلضَّوْءُ • فَقَامَ قَائِدُهُمْ إِلَى مَدْخَلِ ٱلضَّوْءِ

---

(١) جمع بارّ (٢) اي فأصل (٣) خرق في الحائط (٤) من اعمال السحرة (٥) الرقية (٦) شجاعة واقدام (٧) ناما

وَقَالَ شَوْلَمْ شَوْلَمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ اعْتَنَقَ الضَّوْءَ لِيَنْزِلَ إِلَى أَرْضِ الْمَنْزِلِ فَوَقَعَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ (١) مُنَكَّساً (٢) فَوَثَبَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ بِهِرَاوَتِهِ (٣) وَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا الْمُصَدِّقُ الْمَخْدُوعُ الْمُغْتَرُّ بِمَا لَا يَكُونُ أَبَداً وَهٰذِهِ ثَمَرَةُ رُقْيَتِكَ وَعَاقِبَةُ مَنْ يُصَدِّقُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ

فَلَمَّا تَحَرَّزْتُ مِنْ تَصْدِيقِ مَا لَا يَكُونُ وَلَمْ آمَنْ إِنْ صَدَّقْتُهُ أَنْ يُوقِعَنِي فِي تَهْلُكَةٍ عُدْتُ إِلَى الْبَحْثِ عَنِ الْأَدْيَانِ وَالْتِمَاسِ الْعَدْلِ (٤) مِنْهَا. فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ كَلَّمْتُهُ جَوَاباً فِيمَا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فِيهَا وَلَمْ أَرَ فِيمَا كَلَّمُونِي بِهِ شَيْئاً يَحِقُّ لِي فِي عَقْلِي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلَا أَنْ أَتْبَعَهُ. فَقُلْتُ لَمَّا لَمْ أَجِدْ ثِقَةً آخُذُ مِنْهُ فَالرَّأْيُ أَنْ أَلْزَمَ دِينَ آبَائِي وَأَجْدَادِي الَّذِي وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ وَهَمَمْتُ بِذٰلِكَ. ثُمَّ الْتَمَسْتُ لِنَفْسِي مَخْرَجاً فَقُلْتُ إِنْ كَانَ مَنْ يَفْعَلُ هٰذَا مَعْذُوراً فَإِنَّ الَّذِي يَجِدُ أَبَاهُ سَاحِراً وَيَجْرِي عَلَى مِثَالِهِ يَكُونُ غَيْرَ مَلُومٍ مَعَ أَشْبَاهِ ذٰلِكَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُهُ الْعَقْلُ. وَذَكَرْتُ فِي ذٰلِكَ قَوْلَ رَجُلٍ كَانَ فَاحِشَ الْأَكْلِ (٥) فَعُوتِبَ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ

(١) دماغه (٢) منقلباً (٣) عصاه الضخمة (٤) العادل (٥) متجاوز الحد فيه

كَذٰلِكَ كَانَ أَكْلُ أَبِي وَجَدِّي * فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُ ٱلْعُذْرَ لِنَفْسِي فِي لُزُومِ دِينِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ وَلَمْ أَجِدْ لَهَا عَلَى ٱلثُّبُوتِ عَلَى دِينِ ٱلْآبَاءِ طَاقَةً بَلْ وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلْبَحْثِ عَنِ ٱلْأَدْيَانِ وَٱلْمَسْأَلَةِ عَنْهَا وَٱلنَّظَرِ فِيهَا. هَجَسَ[1] فِي قَلْبِي وَخَطَرَ عَلَى بَالِي قُرْبُ ٱلْأَجَلِ وَسُرْعَةُ ٱنْقِطَاعِ ٱلدُّنْيَا وَٱعْتِبَاطُ[2] أَهْلِهَا وَتَخَرُّمُ[3] ٱلدَّهْرِ حَيَاتَهُمْ. فَفَكَّرْتُ فِي ذٰلِكَ وَقُلْتُ أَمَّا أَنَا فَلَعَلِّي قَدْ قَرُبَ أَجَلِي وَحَانَتْ نُقْلَتِي[4] وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُ أُمُورًا مَحْمُودَةً أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَصْلَحَ ٱلْأَعْمَالِ. وَلَعَلَّ تَرَدُّدِي شَغَلَنِي عَنْ خَيْرٍ كُنْتُ أَعْمَلُهُ فَيَكُونَ أَجَلِي دُونَ مَا تَطْمَحُ[5] إِلَيْهِ نَفْسِي وَيَطْلُبُهُ أَمَلِي. وَيُصِيبَنِي مَا أَصَابَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ تَوَاطَأَ[6] مَعَ خَادِمٍ فِي بَيْتٍ لِأَحَدِ ٱلْأَغْنِيَاءِ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ ٱلْبَيْتَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَغِيبُ أَهْلُهُ فَيَجْمَعَ لَهُ ٱلْخَادِمُ مِمَّا فِي ٱلْبَيْتِ فَيَذْهَبَ بِهِ وَيَبِيعَهُ وَيَتَشَاطَرَا ثَمَنَهُ. فَٱتَّفَقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَنْ غَابَ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ وَبَقِيَ ٱلْخَادِمُ وَحْدَهُ فَأَنْفَذَ فَأَخْبَرَ صَاحِبَهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ ٱلْبَيْتَ وَأَخَذَا فِي ٱلْجَمْعِ مِمَّا فِيهِ

(١) بمعنى خطر (٢) يقال اعتبط الموت فلانًا اخذه بلا علة (٣) استئصال
(٤) اي قرب انتقالي من هذه الدنيا (٥) اي تميل (٦) اتفق

بَيْنَا(١) هُمَا يَتَحَدَّثَانِ إِذْ قُرِعَ ٱلْبَابُ. وَكَانَ لِلْبَيْتِ بَابٌ آخَرُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ ٱلرَّجُلُ وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْبَابُ عِنْدَ جُبِّ(٢) ٱلْمَاءِ. فَقَالَ ٱلْخَادِمُ لِلرَّجُلِ عَلَى عَجَلٍ مِنْهُ وَخِيفَتِهِ بَادِرِ ٱخْرُجْ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلَّذِي عِنْدَ جُبِّ ٱلْمَاءِ وَأَشَارَ لَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ. فَانْطَلَقَ ٱلرَّجُلُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَوَجَدَ ٱلْبَابَ وَلٰكِنْ لَمْ يَجِدْ جُبَّ ٱلْمَاءِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَمَّا ٱلْبَابُ فَوَجَدْتُهُ وَأَمَّا ٱلْجُبُّ فَلَمْ أَجِدْهُ. فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَائِقُ(٣) وَمَا تَصْنَعُ بِٱلْجُبِّ أَنَا دَلَلْتُكَ بِهِ لِتَعْرِفَ ٱلْبَابَ فَإِذْ قَدْ عَرَفْتَهُ فَٱذْهَبْ عَاجِلًا. فَقَالَ لَهُ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ صِدْقًا فَلِمَ ذَكَرْتَ ٱلْجُبَّ وَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ. فَقَالَ لَهُ وَيْحَكَ(٤) أَيُّهَا ٱلْأَحْمَقُ ٱنْجُ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ ٱلْحُمْقَ وَٱلتَّرَدُّدَ. فَقَالَ لَهُ كَيْفَ أَمْضِي وَقَدْ خَلَطْتَ(٥) عَلَيَّ وَذَكَرْتَ ٱلْجُبَّ وَلَيْسَ هُنَاكَ. فَلَمْ يَزَلْ عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْحَالِ حَتَّى دَخَلَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ فَأَخَذَ بِتَلْبِيبِهِ(٦) وَأَوْجَعَهُ ضَرْبًا وَرَفَعَهُ(٧) إِلَى ٱلسُّلْطَانِ(٨)

فَلَمَّا خِفْتُ مِنَ ٱلتَّرَدُّدِ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَتَعَرَّضَ لَهُ وَلَا لِمَا أَتَخَوَّفُ مِنْهُ ٱلْمَكْرُوهَ وَأَقْتَصِرْتُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَشْهَدُ بِهِ ٱلْعُقُولُ

---

(١) بينما (٢) بئر (٣) الاحمق في غباوة (٤) ويلك (٥) اي خلطت الحق بالباطل (٦) جمع ثيابه عند صدره وعنقه ساحبًا اياه (٧) قدمه (٨) المراد به هنا الحاكم

وَتَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَدْيَانِ وَيُرَى أَنَّهُ صَوَابٌ وَحَقٌّ . فَكَفَفْتُ يَدِي عَنِ الضَّرْبِ وَالْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَزَجَرْتُ نَفْسِي عَنِ الْكِبْرِ(١) وَالْغَضَبِ وَنَزَّهْتُ قَلْبِي عَنِ الْحِقْدِ وَالْبُغْضِ وَالْخِيَانَةِ وَصُنْتُ لِسَانِي عَنِ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ(٢) وَالْغِيبَةِ(٣) وَالنَّمِيمَةِ وَكُلِّ أَمْرٍ مَكْرُوهٍ . وَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي أَنْ لَا أَبْغِيَ عَلَى أَحَدٍ وَلَا أُكَذِّبَ بِالْبَعْثِ(٤) وَلَا الْقِيَامَةِ وَلَا الثَّوَابِ وَلَا الْعِقَابِ وَأَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ(٥) يُكَافِئُ عَلَى الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ وَعَلَى الشَّرِّ بِالشَّرِّ وَأَنْ لَا بُدَّ مِنَ الْمَسْئَلَةِ وَالْحِسَابِ . وَزَايَلْتُ(٦) الْأَشْرَارَ وَحَاوَلْتُ الْجُلُوسَ مَعَ الْأَخْيَارِ بِجُهْدِي وَرَأَيْتُ كُلًّا مِنَ الصَّلَاحِ وَالْعِلْمِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ صَاحِبٌ وَلَا قَرِينٌ(٧) . وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ إِذَا وَفَّقَ اللّٰهُ وَأَعَانَ يَسِيرًا وَوَجَدْتُهُ يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ وَيُشِيرُ بِالنُّصْحِ فِعْلَ الصَّدِيقِ بِالصَّدِيقِ . وَوَجَدْتُهُ لَا يَنْقُصُ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِنْهُ بَلْ يَزْدَادُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الْاِسْتِعْمَالِ بَلْ يَجِدُّ وَيَزْهُو وَيَكْثُرُ . وَوَجَدْتُهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَغْصِبَهُ(٨) وَلَا مِنَ الْآفَاتِ أَنْ تُفْسِدَهُ وَلَا مِنَ الْمَاءِ أَنْ يُغْرِقَهُ . وَلَا مِنَ النَّارِ أَنْ تُحْرِقَهُ .

---

(١) الكبرياء (٢) القول على الناس ما لم يفعلوه (٣) الاسم من اغتابه وقد مرّ (٤) بمعنى القيامة (٥) من اسماء الله ومعناه الدائم (٦) فارقت (٧) مصاحب وعشير (٨) يأخذه قهرًا وظلمًا

وَلاَ مِنَ ٱللُّصُوصِ أَنْ تَسْرِقَهُ. وَلاَ مِنَ ٱلسِّبَاعِ وَجَوَارِحِ ٱلطَّيْرِ(١) أَنْ تُمَزِّقَهُ

وَوَجَدْتُ ٱلرَّجُلَ ٱلسَّاهِيَ ٱللاَّهِيَ ٱلْمُؤْثِرَ ٱلْيَسِيرَ يَنَالُهُ فِي يَوْمِهِ وَيَعْدَمُهُ فِي غَدِهِ عَلَى ٱلْكَثِيرِ ٱلْبَاقِي نَعِيمُهُ. يُصِيبُهُ فِيمَا ذَهَبَتْ فِيهِ أَيَّامُهُ مَا أَصَابَ ٱلتَّاجِرَ ٱلَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ فَٱسْتَأْجَرَ لِثَقْبِهِ رَجُلاً فِي ٱلْيَوْمِ عَلَى مِئَةِ دِرْهَمٍ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ وَٱنْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَعْمَلَ. وَإِذَا فِي نَاحِيَةِ ٱلْبَيْتِ صَنْجٌ(٢) مَوْضُوعٌ فَقَالَ ٱلتَّاجِرُ لِلصَّانِعِ هَلْ تُحْسِنُ ٱلضَّرْبَ بِٱلصَّنْجِ قَالَ نَعَمْ وَكَانَ بِضَرْبِهِ مَاهِرًا فَقَالَ ٱلرَّجُلُ دُونَكَ(٣) ٱلصَّنْجَ فَأَسْمِعْنَا ضَرْبَكَ بِهِ. فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ ٱلصَّنْجَ وَلَمْ يَزَلْ يُسْمِعُ ٱلتَّاجِرَ ٱلضَّرْبَ ٱلصَّحِيحَ وَٱلصَّوْتَ ٱلرَّخِيمَ وَٱلتَّاجِرُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَرَأْسِهِ طَرَبًا حَتَّى أَمْسَى. فَلَمَّا حَانَ ٱلْغُرُوبُ قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلتَّاجِرِ مُرْ لِي بِٱلْأُجْرَةِ فَقَالَ لَهُ ٱلتَّاجِرُ وَهَلْ عَمِلْتَ شَيْئًا تَسْتَحِقُّ بِهِ ٱلْأُجْرَةَ فَقَالَ لَهُ عَمِلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَنَا أَجِيرُكَ وَمَا ٱسْتَعْمَلْتَنِي(٤) عَمِلْتُ. وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى ٱسْتَوْفَى مِنْهُ مِئَةَ ٱلدِّرْهَمِ وَبَقِيَ جَوْهَرُهُ غَيْرَ مَثْقُوبٍ

---

(١) ما يصيد منها (٢) من الات الطرب (٣) اي خذ (٤) طلبت مني عمله

فَلَمْ أَزْدَدْ فِي الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا نَظَراً إِلاَّ ازْدَدْتُ فِيهَا زَهَادَةً وَمِنْهَا هَرَباً وَوَجَدْتُ النُّسْكَ هُوَ الَّذِي يُمَهِّدُ(١) لِلْمَعَادِ(٢) كَمَا يُمَهِّدُ الْوَالِدُ لِوَلَدِهِ. وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْبَابَ الْمَفْتُوحَ إِلَى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَوَجَدْتُ النَّاسِكَ قَدْ تَدَبَّرَ فِعْلَتَهُ(٣) بِالسَّكِينَةِ(٤) وَالْوَقَارِ فَشَكَرَ وَتَوَاضَعَ. وَقَنِعَ فَاسْتَغْنَى. وَرَضِيَ فَلَمْ يَهْتَمَّ. وَخَلَعَ الدُّنْيَا فَنَجَا مِنَ الشُّرُورِ. وَرَفَضَ الشَّهَوَاتِ فَصَارَ طَاهِراً. وَطَرَحَ الْحَسَدَ فَوَجَبَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ. وَانْفَرَدَ بِنَفْسِهِ فَكُفِيَ الْأَحْزَانَ وَسَخَتْ نَفْسُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَاسْتَعْمَلَ الْعَقْلَ فَأَبْصَرَ الْعَاقِبَةَ فَأَمِنَ النَّدَامَةَ. وَاعْتَزَلَ النَّاسَ(٥) فَسَلِمَ مِنْهُمْ وَلَمْ يَخَفْهُمْ

فَلَمْ أَزْدَدْ فِي أَمْرِ النُّسْكِ نَظَراً إِلاَّ ازْدَدْتُ فِيهِ رَغْبَةً حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ. ثُمَّ تَخَوَّفْتُ أَنْ لاَ أَصْبِرَ عَلَى عَيْشِ النَّاسِكِ وَلاَ أَقْوَى عَلَى عُسْرِهِ وَمَشَقَّتِهِ لِمَا اعْتَدْتُهُ وَغُذِّيتُ بِهِ مُنْذُ كُنْتُ وَلِيداً. وَلَمْ آمَنْ إِنْ تَرَكْتُ الدُّنْيَا وَأَخَذْتُ فِي النُّسْكِ أَنْ أَضْعُفَ عَنْ ذَلِكَ وَأَكُونَ قَدْ رَفَضْتُ أَعْمَالاً كُنْتُ أَرْجُو عَائِدَتَهَا(٦) وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَأَنْتَفِعُ بِهَا فِي الدُّنْيَا. فَيَكُونُ مَثَلِي فِي

---

(١) يسهل ويوطىء (٢) للآخرة (٣) اي نظر في عواقبها (٤) الطمأنينة والهدوء (٥) اي تنحى عنهم (٦) نفعها

ذٰلِكَ مَثَلَ ٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي مَرَّ بِنَهْرٍ وَفِي فِيهِ ضِلَعٌ فَرَأَى ظِلَّهَا فِي ٱلْمَاءِ فَأَهْوَى[1] لِيَأْخُذَهَا فَأَتْلَفَ مَا كَانَ مَعَهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي ٱلْمَاءِ شَيْئًا * فَهِبْتُ[2] ٱلنُّسْكَ مَهَابَةً شَدِيدَةً وَخِفْتُ مِنَ ٱلضَّجَرِ وَقِلَّةِ ٱلصَّبْرِ وَأَرَدْتُ ٱلثُّبُوتَ عَلَى حَالَتِي ٱلَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا. ثُمَّ بَدَا لِي[3] أَنْ أَقِيسَ مَا أَخَافُ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلشَّظَفِ[4] وَٱلضِّيقِ وَٱلْخُشُونَةِ فِي ٱلنُّسْكِ وَمَا يُصِيبُ صَاحِبَ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْبَلَاءِ. وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ شَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا إِلَّا وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلَى ٱلْأَذَى وَمُوَلِّدٌ لِلْحُزْنِ. فَٱلدُّنْيَا كَٱلْمَاءِ ٱلْمِلْحِ[5] ٱلَّذِي لَا يَزْدَادُ شَارِبُهُ شُرْبًا إِلَّا ٱزْدَادَ عَطَشًا. وَكَٱلْعَظْمِ ٱلَّذِي يُصِيبُهُ[6] ٱلْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ رِيحَ ٱللَّحْمِ فَلَا يَزَالُ يَطْلُبُ ذٰلِكَ ٱللَّحْمَ حَتَّى يُدْمِيَ فَاهُ[7] وَلَا يَنَالُ شَيْئًا مِمَّا طَلَبَ. وَكَٱلْحِدَأَةِ[8] ٱلَّتِي تَظْفَرُ بِٱلْبَضْعَةِ[9] مِنَ ٱللَّحْمِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا ٱلطَّيْرُ فَلَا تَزَالُ تَدُورُ وَتَدْأَبُ[10] حَتَّى تَعْيَى وَتَعْجِزَ فَإِذَا تَعِبَتْ أَلْقَتْ مَا مَعَهَا. وَكَٱلْكُوزِ مِنَ ٱلْعَسَلِ ٱلَّذِي فِي أَسْفَلِهِ ٱلسُّمُّ ٱلَّذِي يُذَاقُ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَآخِرُهُ مَوْتٌ ذُعَافٌ[11].

(١) اي مدَّ يدهُ (٢) خفت (٣) اي حدث لي رأيٌ (٤) سوء العيش وغلظه (٥) ذي الملوحة (٦) يجده (٧) يسيل منه الدم (٨) طائر (٩) القطعة (١٠) تجتهد (١١) سريع

وَكَأَحْلَامِ ٱلنَّائِمِ ٱلَّتِي يَفْرَحُ بِهَا ٱلْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ فَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ ذَهَبَ ٱلْفَرَحُ. وَكَٱلْبَرْقِ ٱلَّذِي يُضِيءُ يَسِيرًا فَيُطْمِعُ بِٱلنُّورِ ثُمَّ يَذْهَبُ بَغْتَةً وَيَرْجِعُ ٱلظَّلَامُ. وَكَدُودَةِ ٱلْقَزِّ ٱلَّتِي تَنْسِجُ نَهَارًا وَلَيْلًا وَتَهْلِكُ وَسَطَ نَسِيجِهَا ٱلَّذِي كُلَّمَا زَادَتْ مِنْهُ نَسْجًا زَادَ ٱسْتِحْكَامًا وَمَنْعًا لَهَا عَنِ ٱلْخُرُوجِ

فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ رَجَعْتُ إِلَى طَلَبِ ٱلنُّسْكِ وَهَزَّنِي ٱلْاشْتِيَاقُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَا يَلِيقُ بِي أَنْ أَقِيسَ ٱلدُّنْيَا بِٱلنُّسْكِ إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهَا وَفِي شُرُورِهَا وَأَحْزَانِهَا. ثُمَّ خَاصَمْتُ نَفْسِي إِذْ هِيَ فِي شُرُورِهَا سَارِحَةٌ وَقَدْ لَا تَثْبُتُ عَلَى أَمْرٍ تَعْزِمُ عَلَيْهِ كَقَاضٍ سَمِعَ مِنْ خَصْمٍ وَاحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ فَلَمَّا حَضَرَ ٱلْخَصْمُ ٱلثَّانِي عَادَ إِلَى ٱلْأَوَّلِ فَقَضَى عَلَيْهِ * ثُمَّ نَظَرْتُ فِي ٱلَّذِي أُكَابِدُهُ مِنِ ٱحْتِمَالِ ٱلنُّسْكِ وَضِيقِهِ فَقُلْتُ مَا أَصْغَرَ هٰذِهِ ٱلْمَشَقَّةَ فِي جَانِبِ رَوْحِ (١) ٱلْأَبَدِ وَرَاحَتِهِ. ثُمَّ نَظَرْتُ فِيمَا تَشْرَهُ إِلَيْهِ ٱلنَّفْسُ ٱلْبَهِيمِيَّةُ (٢) مِنْ لَذَّةِ ٱلدُّنْيَا فَقُلْتُ مَا أَمَرَّ هٰذَا وَأَوْجَعَهُ وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذَابِ ٱلْأَبَدِ وَأَهْوَالِهِ. وَكَيْفَ لَا يَسْتَحْلِي ٱلرَّجُلُ مَرَارَةً قَلِيلَةً تَعْقُبُهَا (٣) حَلَاوَةٌ طَوِيلَةٌ وَكَيْفَ لَا تَمَرُّ (٤) عَلَيْهِ حَلَاوَةٌ

(١) سرور (٢) اي فيما يشتد حرصها عليه (٣) تأتي بعدها (٤) من المرارة

قَلِيلَةٌ تَعْقُبُهَا مَرَارَةٌ دَائِمَةٌ . وَقُلْتُ لَوْ أَنَّ رَجُلاً عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ مِئَةَ سَنَةٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلاَّ بُضِعَ مِنْهُ بَضْعَةٌ(١) غَيْرَ أَنَّهُ يُشْرَطُ لَهُ أَنَّهُ إِذَا ٱسْتَوْفَى ٱلسِّنِينَ ٱلْمِئَةَ نَجَا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ وَأَذًى وَصَارَ إِلَى ٱلْأَمْنِ وَٱلسُّرُورِ كَانَ حَقِيقاً أَنْ لَا يَرَى تِلْكَ ٱلسِّنِينَ شَيْئاً . فَكَيْفَ يَأْبَى ٱلصَّبْرَ عَلَى أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَعِيشُهَا فِي ٱلنُّسْكِ وَأَذَى تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ قَلِيلٌ يُعْقِبُ خَيْراً كَثِيراً . أَوَ لَيْسَ أَنَّ ٱلدُّنْيَا كُلَّهَا بَلَاءٌ وَعَذَابٌ وَٱلْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي عَذَابِهَا مِنْ حِينِ يُولَدُ إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ طِفْلاً ذَاقَ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَلْوَاناً إِنْ جَاعَ فَلَيْسَ بِهِ ٱسْتِطْعَامٌ(٢) أَوْ عَطِشَ فَلَيْسَ بِهِ ٱسْتِسْقَاءٌ(٣) أَوْ وَجِعَ فَلَيْسَ بِهِ ٱسْتِغَاثَةٌ(٤) . مَعَ مَا يَلْقَى مِنَ ٱلْوَضْعِ وَٱلْحَمْلِ وَٱللَّفِّ وَٱلدَّهْنِ وَٱلْمَسْحِ إِنْ أُنِيمَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ قِيَاماً وَلَا تَقَلُّباً . ثُمَّ يَلْقَى أَصْنَافَ ٱلْعَذَابِ مَا دَامَ رَضِيعاً فَإِذَا أَفْلَتَ مِنْ عَذَابِ ٱلرَّضَاعِ أَخَذَ فِي عَذَابِ ٱلْأَدَبِ فَأُذِيقَ مِنْهُ أَلْوَاناً مِنْ عُنْفِ ٱلْمُعَلِّمِ وَضَجَرِ ٱلدَّرْسِ وَسَآمَةِ(٥) ٱلْكِتَابَةِ . ثُمَّ لَهُ مِنَ ٱلدَّوَاءِ

---

(١) قطع منه قطعة (٢) طلب طعام (٣) طلب شرب (٤) طلب معونة (٥) ملل

وَالْحِمْيَةِ[١] وَالْأَسْقَامِ وَالْأَوْجَاعِ أَوْفَى نَصِيبٍ. فَإِذَا أَدْرَكَ لَحِقَهُ هَمُّ الْأَهْلِ وَكَانَتْ هِمَّتُهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَتَرْبِيَةِ الْوَلَدِ وَمُخَاطَرَةِ الطَّلَبِ وَالسَّعْيِ وَالْكَدِّ وَالتَّعَبِ. وَهُوَ مَعَ كُلِّ ذٰلِكَ يَتَقَلَّبُ مَعَ أَعْدَائِهِ الْبَاطِنِيِّينَ اللَّازِمِينَ لَهُ وَهُمُ الْمِرَّةُ الصَّفْرَاءُ وَالْمِرَّةُ السَّوْدَاءُ وَالرِّيحُ وَالْبَلْغَمُ وَالدَّمُ مَعَ السُّمِّ الْمُمِيتِ وَالْحَيَّةِ اللَّادِغَةِ وَالْخَوْفِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْهَوَامِّ مَعَ تَقَلُّبِ الْفُصُولِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْأَمْطَارِ وَالرِّيَاحِ وَالثُّلُوجِ وَالشَّيْطَانِ الدَّائِمِ وَالْقَرِينِ السُّوءِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الطَّوَارِئِ[٢] الرَّدِيئَةِ ثُمَّ أَنْوَاعِ عَذَابِ الْهَرَمِ[٣] لِمَنْ يَبْلُغُهُ

فَلَوْ لَمْ يَخَفْ مِنْ هٰذِهِ الْأُمُورِ شَيْئًا وَكَانَ قَدْ أَمِنَ وَوَثِقَ بِالسَّلَامَةِ مِنْهَا فَلَمْ يُفَكِّرْ بِهَا لَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُفَكِّرًا فِي السَّاعَةِ الَّتِي يَحْضُرُهُ فِيهَا الْمَوْتُ وَيُفَارِقُ الدُّنْيَا فَيَذْكُرَ مَا هُوَ نَازِلٌ بِهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِمَّا هُوَ أَشَدُّ جِدًّا مِنْ ذٰلِكَ مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ وَالْأَقَارِبِ وَالْمَالِ وَكُلِّ مَضْنُونٍ[٤] بِهِ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الْإِشْرَافِ[٥] عَلَى الْهَوْلِ[٦] الْعَظِيمِ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ لَكَانَ

---

(١) منع المريض عمّا يضرّه (٢) الحوادث (٣) الشيخوخة (٤) اي كل ما يبخل به (٥) الاقبال (٦) الخوف الشديد

حَقِيقًا أَنْ يعد عَاجِزًا مُفَرِّطًا(١) مُحِبًّا لِلدَّنَاءَةِ مُسْتَحِقًّا لِلَّوْمِ * فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَعْلَمُ هٰذَا وَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَيَحْتَالُ لِغَدٍ جُهْدَهُ فِي ٱلْحِيلَةِ وَيَرْفُضُ مَا يَشْغَلُهُ وَيُلْهِيهِ مِنْ شَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا وَغُرُورِهَا. وَلَا سِيَّمَا فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ ٱلشَّبِيهِ بِٱلصَّافِي وَهُوَ كَدِرٌ. فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ ٱلْمَلِكُ حَازِمًا عَظِيمَ ٱلْمَقْدِرَةِ رَفِيعَ ٱلْهِمَّةِ بَلِيغَ ٱلْفَحْصِ عَدْلًا(٢) مَرْجُوًّا صَدُوقًا شَكُورًا رَحْبَ ٱلذِّرَاعِ(٣) مُوَاظِبًا عَلَى ٱلْحُسْنَى(٤) عَالِمًا بِٱلنَّاسِ مُهْتَمًّا بِأُمُورِ رَعِيَّتِهِ نَاظِرًا فِي أَحْوَالِهِمْ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَٱلْخَيْرِ وَٱلْأَخْيَارِ شَدِيدًا عَلَى ٱلظَّلَمَةِ(٥) غَيْرَ جَبَانٍ وَلَا خَفِيفِ ٱلْقِيَادِ(٦) رَفِيقًا بِٱلتَّوَسُّعِ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ فِيمَا يُحِبُّونَ وَٱلدَّفْعِ لِمَا يَكْرَهُونَ. فَإِنَّا قَدْ نَرَى ٱلزَّمَانَ مُدْبِرًا(٧) بِكُلِّ مَكَانٍ حَتَّى كَأَنَّ أُمُورَ ٱلصِّدْقِ قَدْ نُزِعَتْ مِنَ ٱلنَّاسِ فَأَصْبَحَ مَا كَانَ عَزِيزًا(٨) فَقْدُهُ مَفْقُودًا وَمَوْجُودًا مَا كَانَ ضَائِرًا(٩) وُجُودُهُ. وَكَأَنَّ ٱلْخَيْرَ أَصْبَحَ ذَابِلًا وَٱلشَّرَّ نَاضِرًا(١٠). وَكَأَنَّ ٱلْفَهْمَ أَصْبَحَ قَدْ زَالَتْ سُبُلُهُ وَكَأَنَّ ٱلْحَقَّ وَلَّى كَسِيرًا(١١) وَأَقْبَلَ ٱلْبَاطِلُ تَابِعَهُ.

---

(١) مقصرًا (٢) عادلاً (٣) اي واسع الخلق (٤) الاعمال الحسنة (٥) جمع ظالم (٦) اي غير سهل الانقياد (٧) موليًا (٨) اي نادرًا (٩) مضرًّا (١٠) زاهيًا (١١) اي مكسور الخاطر

وَكَانَ ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى وَإِضَاعَةُ ٱلْحُكْمِ أَصْبَحَ بِٱلْحُكَّامِ مُوَكَّلاً[١] وَأَصْبَحَ ٱلْمَظْلُومُ بِٱلْحَيْفِ[٢] مُقِرًّا وَٱلظَّالِمُ بِنَفْسِهِ مُسْتَطِيلاً[٣] وَكَانَ ٱلْحِرْصُ أَصْبَحَ فَاغِراً[٤] فَاهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَتَلَقَّفُ[٥] مَا قَرُبَ مِنْهُ وَمَا بَعُدَ. وَكَانَ ٱلرِّضَى أَصْبَحَ مَجْهُولاً وَكَانَ ٱلْأَشْرَارُ يَقْصِدُونَ ٱلسَّمَاءَ صُعُوداً وَكَانَ ٱلْأَخْيَارُ يُرِيدُونَ بَطْنَ ٱلْأَرْضِ. وَأَصْبَحَتِ ٱلْمُرُوَّةُ مَقْذُوفاً بِهَا[٦] مِنْ أَعْلَى شَرَفٍ[٧] إِلَى أَسْفَلِ دَرَكٍ[٨]. وَأَصْبَحَتِ ٱلدَّنَاءَةُ مُمَكَّنَةً وَأَصْبَحَ ٱلسُّلْطَانُ مُنْتَقِلاً عَنْ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ الى أَهْلِ ٱلنَّقْصِ. وَكَانَ ٱلدُّنْيَا جَذِلَةٌ[٩] مَسْرُورَةٌ تَقُولُ قَدْ غَيَّبْتُ ٱلْخَيْرَاتِ وَأَظْهَرْتُ ٱلسَّيِّئَاتِ

فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي ٱلدُّنْيَا وَأُمُورِهَا وَأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ هُوَ أَشْرَفُ ٱلْخَلْقِ فِيهَا وَأَفْضَلُهُ ثُمَّ هُوَ لَا يَتَقَلَّبُ إِلَّا فِي ٱلشُّرُورِ وَٱلْهُمُومِ عَجِبْتُ مِنْ ذٰلِكَ كُلَّ ٱلْعَجَبِ. وَتَحَقَّقْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ ذُو عَقْلٍ يَعْلَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ لَا يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ فِي ٱلنَّجَاةِ وَيَلْتَمِسُ ٱلْخَلَاصَ. وَإِنْ فَرَّطَ[١٠] فِي ذٰلِكَ فَهُوَ عِنْدِي عَاجِزٌ قَلِيلُ ٱلرَّأْيِ نَاقِصُ ٱلْهِمَّةِ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ. ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا ٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ مُفَرِّطُونَ فِي ذٰلِكَ مُغْفِلُونَ

---

(١) اي لازماً لهم (٢) الظلم والجور (٣) متكبراً (٤) فاتحاً
(٥) يتناول (٦) ملقاة (٧) مكان عالٍ (٨) اقصى قعر الشيء
(٩) فرحة (١٠) قصّر

لَهُ فَقَضَيْتُ ٱلْعَجَبَ(١) مِنْ ذٰلِكَ. وَٱلْتَمَسْتُ(٢) لَهُمْ عُذْرًا فِيهِ وَنَظَرْتُ فَإِذَا ٱلْإِنْسَانُ لَا يَمْنَعُهُ عَنِ ٱلِاحْتِيَالِ لِنَفْسِهِ إِلَّا لَذَّةٌ صَغِيرَةٌ حَقِيرَةٌ مِنَ ٱلنَّظَرِ وَٱلسَّمْعِ وَٱلشَّمِّ وَٱلذَّوْقِ وَٱللَّمْسِ لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَ مِنْهَا ٱلطَّفِيفَ أَوْ يَقْتَنِيَ مِنْهَا ٱلْيَسِيرَ. فَإِذَا ذٰلِكَ يَشْغَلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَنِ ٱلِاهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ وَطَلَبِ ٱلنَّجَاةِ لَهَا

فَٱلْتَمَسْتُ لِلْإِنْسَانِ مَثَلًا فَإِذَا مَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ نَجَا مِنْ خَوْفِ فِيلٍ هَائِجٍ إِلَى بِئْرٍ فَتَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى سَمَائِهَا(٣). فَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طَيِّ ٱلْبِئْرِ(٤) فَإِذَا حَيَّاتٌ أَرْبَعٌ قَدْ أَخْرَجْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ(٥). ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِي قَعْرِ ٱلْبِئْرِ تِنِّينٌ فَاتِحٌ فَاهُ مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ. فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى ٱلْغُصْنَيْنِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرَذَانِ أَسْوَدُ وَأَبْيَضُ وَهُمَا يَقْرِضَانِ ٱلْغُصْنَيْنِ دَائِبَيْنِ(٦) لَا يَفْتُرَانِ * فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ٱلنَّظَرِ لِأَمْرِهِ وَٱلِاهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ إِذْ بَصُرَ قَرِيبًا مِنْهُ بِخَلِيَّةٍ(٧) فِيهَا عَسَلٌ فَذَاقَ ٱلْعَسَلَ فَشَغَلَتْهُ حَلَاوَتُهُ وَأَلْهَتْهُ لَذَّتُهُ عَنِ ٱلْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْ يَلْتَمِسَ ٱلْخَلَاصَ لِنَفْسِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلَى

---

(١) عجبت جداً (٢) طلبت (٣) اعلاها (٤) جانبها المبني بالحجارة
(٥) الجحر بتقديم الجيم للهوام والسباع كالوكر للطير (٦) مستمرين
(٧) بيت النحل

حَيَّاتٍ أَرْبَعٍ لا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ الْجُرَذَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَطْعِ الْغُصْنَيْنِ وَمَتَى انْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى التِّنِّينِ. فَلَمْ يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا مَشْغُولًا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ التِّنِّينِ فَهَلَكَ.

فَشَبَّهْتُ بِالْبِئْرِ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا وَمَخَافَاتٍ وَعَاهَاتٍ[١]. وَشَبَّهْتُ بِالْحَيَّاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلَاطَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي فِي الْبَدَنِ فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ هَاجَ أَحَدُهَا كَانَتْ كَحُمَةِ[٢] الْأَفَاعِي[٣] وَالسُّمِّ الْمُمِيتِ. وَشَبَّهْتُ بِالْغُصْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي هُوَ إِلَى حِينٍ ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ فَنَائِهِ وَانْقِطَاعِهِ. وَشَبَّهْتُ بِالْجُرَذَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ الْأَجَلِ. وَشَبَّهْتُ بِالتِّنِّينِ الْمَصِيرَ[٤] الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ. وَشَبَّهْتُ بِالْعَسَلِ هٰذِهِ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي يَنَالُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ فَيَرَى وَيَطْعَمُ[٥] وَيَسْمَعُ وَيَشُمُّ وَيَلْمُسُ وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ فَيَنْسَى أَمْرَ الْآخِرَةِ وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ.

فَحِينَئِذٍ صَارَ أَمْرِي إِلَى الرِّضَى بِحَالِي وَإِصْلَاحِ مَا اسْتَطَعْتُ

(١) اعراضًا مفسدة (٢) الابرة التي تلسع بها (٣) الحيات
(٤) المنتهى (٥) يأكل

إِصْلاَحَهُ مِنْ عَمَلِي لَعَلّي أَنْ أُصَادِفَ بَاقِيَ أَيَّامِي زَمَانًا أُصِيبُ فِيهِ دَلِيلاً عَلَى هُدَايَ وَسُلْطَانًا عَلَى نَفْسِي وَقِوَامًا عَلَى أَمْرِي. فَأَقَمْتُ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ وَاتَّجَهْتُ إِلَى بِلاَدِ الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعَقَاقِيرِ (١) وَالْأَدْوِيَةِ. ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهَا فِي انْتِسَاخِ هٰذَا الْكِتَابِ وَانْصَرَفْتُ مِنْهَا إِلَى بِلاَدِي وَقَدِ انْتَسَخْتُ مِنْ كُتُبِهِمْ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْهَا هٰذَا الْكِتَابُ

(١) النباتات التي يتداوى بها وقد مرّ

باب

اَلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ

وَهُوَ أَوَّلُ ٱلْكِتَابِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ وَهُوَ رَأْسُ ٱلْبَرَاهِمَةِ اَضْرِبْ لِي مَثَلاً لِمُتَحَابَّيْنِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا ٱلْكَذُوبُ ٱلْمُحْتَالُ حَتَّى يَحْمِلَهُمَا عَلَى ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْبَغْضَاءِ

قَالَ بَيْدَبَا إِذَا ٱبْتُلِيَ ٱلْمُتَحَابَّانِ بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا ٱلْكَذُوبُ ٱلْمُحْتَالُ لَمْ يَلْبَثَا(١) أَنْ يَتَقَاطَعَا(٢) وَيَتَدَابَرَا(٣) وَآفَةُ(٤) ٱلْمَوَدَّةِ ٱلنَّمِيمَةُ · وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَاوَنْدَ رَجُلٌ شَيْخٌ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ · فَلَمَّا بَلَغُوا أَشُدَّهُمْ(٥) أَسْرَفُوا فِي مَالِ أَبِيهِمْ(٦) وَلَمْ يَكُونُوا ٱحْتَرَفُوا(٧) حِرْفَةً يَكْسِبُونَ بِهَا لِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا · فَلَامَهُمْ أَبُوهُمْ وَوَعَظَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِمْ · وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ يَا بَنِيَّ إِنَّ

(١) يبطأ (٢) يهجر بعضهما بعضاً (٣) يولي بعضهما عن بعض (٤) الآفة عرضٌ مفسدٌ لما اصابه وقد مرّ (٥) قوّتهم اي خرجوا من سن الصبوة (٦) بالغوا في انفاقه (٧) اي اتخذوا

صَاحِبَ ٱلدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَنْ يُدْرِكَهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ.
أَمَّا ٱلثَّلَاثَةُ ٱلَّتِي يَطْلُبُ فَٱلسَّعَةُ فِي ٱلرِّزْقِ وَٱلْمَنْزِلَةُ فِي ٱلنَّاسِ
وَٱلزَّادُ لِلْآخِرَةِ. وَأَمَّا ٱلْأَرْبَعَةُ ٱلَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرَكِ[1] هٰذِهِ
ٱلثَّلَاثَةِ فَٱكْتِسَابُ ٱلْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهٍ يَكُونُ، ثُمَّ حُسْنُ
ٱلْقِيَامِ[2] عَلَىٰ مَا ٱكْتَسَبَ مِنْهُ، ثُمَّ ٱسْتِثْمَارُهُ[3]، ثُمَّ إِنْفَاقُهُ فِيمَا
يُصْلِحُ ٱلْمَعِيشَةَ وَيُرْضِي ٱلْأَهْلَ وَٱلْإِخْوَانَ فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي
ٱلْآخِرَةِ. فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَحْوَالِ لَمْ يُدْرِكْ مَا أَرَادَ
مِنْ حَاجَتِهِ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ.
وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَٱكْتِسَابٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ ٱلْقِيَامَ عَلَيْهِ
أَوْشَكَ ٱلْمَالُ أَنْ يَفْنَىٰ وَيَبْقَىٰ مُعْدِمًا[4]. وَإِنْ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ
يَسْتَثْمِرْهُ لَمْ تَمْنَعْهُ قِلَّةُ ٱلْإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ ٱلذَّهَابِ، كَٱلْكُحْلِ
ٱلَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ ٱلْمِيلِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذٰلِكَ سَرِيعٌ فَنَاؤُهُ.
وَإِنْ هُوَ أَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَأَخْطَأَ
بِهِ مَوَاضِعَ ٱسْتِحْقَاقِهِ، صَارَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْفَقِيرِ ٱلَّذِي لَا مَالَ لَهُ، ثُمَّ لَمْ
يَمْنَعْ ذٰلِكَ أَيْضًا مَالَهُ مِنَ ٱلتَّلَفِ بِٱلْحَوَادِثِ وَٱلْعِلَلِ ٱلَّتِي تَجْرِي

(١) ادراك (٢) التدبير والسياسه (٣) استخراج ثمرة منه اي فائدة
(٤) فقيراً

عليه كحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه فإن لم يكن
له مخرج ومفاض (١) ومتنفس (٢) يخرج منه الماء بقدر ما ينبغي
خرب وسال ونز من نواح كثيرة وربما انبثق (٣) البثق العظيم
فذهب الماء ضياعا * وإن بني الشيخ اتعظوا بقول ابيهم
وأخذوا به (٤) وعلموا أن فيه الخير وعولوا (٥) عليه * فانطلق
أكبرهم نحو أرض يقال له ميون فأتى في طريقه على مكان فيه
وحل كثير. وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لاحدهما شتربة
وللآخر بندبة فوحل شتربة في ذلك المكان فعالجه (٦) الرجل
وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد (٧) فلم يقدروا على اخراجه. فذهب
الرجل وخلف عنده رجلا يشارفه (٨) لعل الوحل ينشف فيتبعه
به * فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم (٩) به واستوحش فترك
الثور والتحق بصاحبه فأخبره بأن الثور قد مات * وقال له إن
الانسان إذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وإن اجتهد في
التوقي من الامور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك
عنه (١٠) شيئا وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالا (١١) عليه.

(١) مكان يفيض منه (٢) مكان يتنفس منه اي يطفح (٣) انفجر وانفجر (٤) عملوا بموجبه (٥) اعتمدوا (٦) اي حاول اخراجه (٧) اي بلغ اقصاه (٨) يطلع عليه (٩) مل (١٠) اي لم ينفعه (١١) سوء عاقبة

كَالَّذي قِيلَ إنَّ رَجُلاً سَلَكَ مَفازَةً[1] فيها خَوْفٌ مِنَ السِّباعِ[2] وَكانَ الرَّجُلُ خَبيراً بِوَعْثِ[3] تِلْكَ الأَرْضِ وَخَوْفِها. فَلَمّا سارَ غَيْرَ بَعيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِّ الذِّئابِ وَأَضْراها[4] فَلَمّا رَأى الرَّجُلُ أَنَّ الذِّئْبَ قاصِدٌ نَحْوَهُ خافَ مِنْهُ وَنَظَرَ يَميناً وَشِمالاً لِيَجِدَ مَوْضِعاً يَتَحَرَّزُ[5] فيهِ مِنَ الذِّئْبِ فَلَمْ يَرَ إلّا قَرْيَةً خَلْفَ وادٍ فَذَهَبَ مُسْرِعاً نَحْوَ القَرْيَةِ. فَلَمّا أَتى الوادِيَ لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً وَرَأى الذِّئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ فَأَلْقى نَفْسَهُ في الماءِ وَهُوَ لا يُحْسِنُ السِّباحَةَ وَكادَ يَغْرَقُ لَوْلا أَنْ بَصُرَ بِهِ[6] قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ القَرْيَةِ فَتَواقَعوا[7] لإخْراجِهِ فَأَخْرَجوهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى الهَلاكِ[8]. فَلَمّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلى نَفْسِهِ مِنْ غائِلَةِ[9] الذِّئْبِ رَأى عَلى عُدْوَةِ[10] الوادي بَيْتاً مُفْرَداً فَقالَ أَدْخُلُ هذا البَيْتَ فَأَسْتَريحُ فيهِ. فَلَمّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَماعَةً مِنَ اللُّصوصِ قَدْ قَطَعوا الطَّريقَ عَلى رَجُلٍ مِنَ التُّجّارِ وَهُمْ يَقْتَسِمونَ مالَهُ وَيُريدونَ قَتْلَهُ. فَلَمّا رَأى الرَّجُلُ ذلِكَ خافَ عَلى نَفْسِهِ وَمَضى نَحْوَ القَرْيَةِ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إلى حائِطٍ مِنْ حيطانِها لِيَسْتَريحَ

(١) فلاة لا ماء فيها (٢) الحيوانات المفترسة (٣) وعورة (٤) تفضيل من قولهم سبع ضار (٥) يتوقى (٦) لمحه (٧) اي رموا بانفسهم (٨) اي كاد يهلك (٩) اي شر (١٠) جانب

مما حل به من الهول (1) والإعياء إذ سقط عليه الحائط فمات

قال الرجل صدقت قد بلغني هذا الحديث * وأما الثور فإنه خلص من مكانه وانبعث (2) فلم يزل في مرج مخصب كثير الماء والكلأ (3) فلما سمن وأمن جعل يخور (5) ويرفع صوته بالخوار . وكان قريباً منه أجمة (6) فيها أسد عظيم وهو ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنات آوى (7) وثعالب وفهود ونمور وكان هذا الأسد منفرداً برأيه دون أخذ برأي أحد من أصحابه * فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثوراً قط ولا سمع خواره داخله (8) منه هيبة وخشية (9) وكره أن يشعر (10) بذلك جنده فكان مقيماً مكانه لا يبرح (11) ولا ينشط (12) بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده . وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوي (13) دهاء (14) وعلم وأدب

---

(1) الخوف الشديد (2) شدة التعب (3) اسرع (4) العشب (5) من الخوار وهو صوت البقر (6) شجر كثير ملتف (7) جمع ابن آوى وهو حيوان معروف (8) داخله (9) خوف (10) يعلم (11) اي لا يتحول عن مكانه (12) اي يخرج لشأنه (13) مثنى ذو بمعنى صاحب (14) جودة راي

فَقَالَ دِمْنَةُ يَوْمًا لِأَخِيهِ كَلِيلَةَ يَا أَخِي مَا شَأْنُ(١) ٱلْأَسَدِ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ خِلَافًا لِعَادَتِهِ؛ قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَٱلْمَسْأَلَةَ عَنْ هٰذَا. نَحْنُ عَلَى بَابِ مَلِكِنَا آخِذِينَ بِمَا أَحَبَّ وَتَارِكِينَ مَا يَكْرَهُ وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ ٱلْمَرْتَبَةِ ٱلَّتِي يَتَنَاوَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ. فَأَمْسِكْ عَنْ هٰذَا. وَٱعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ شَكْلِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْقِرْدَ مِنَ ٱلنَّجَّارِ. قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا رَأَى نَجَّارًا يَشُقُّ خَشَبَةً وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا وَكُلَّمَا شَقَّ مِنْهَا ذِرَاعًا أَدْخَلَ فِيهَا وَتِدًا فَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعْجَبَهُ ذٰلِكَ. ثُمَّ أَنَّ ٱلنَّجَّارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ فَقَامَ ٱلْقِرْدُ وَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ(٢) فَرَكِبَ ٱلْخَشَبَةَ وَجَعَلَ وَجْهَهُ قِبَلَ ٱلْوَتِدِ(٣) وَظَهْرَهُ قِبَلَ طَرَفِ ٱلْخَشَبَةِ فَتَدَلَّى ذَنَبُهُ فِي ٱلشَّقِّ وَنَزَعَ ٱلْوَتِدَ فَلَزِمَ ٱلشَّقُّ عَلَيْهِ فَكَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلْأَلَمِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ وَافَاهُ(٤) فَأَصَابَهُ(٥) عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ فَكَانَ مَا لَقِيَ مِنَ ٱلنَّجَّارِ مِنَ ٱلضَّرْبِ أَشَدَّ مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ ٱلْخَشَبَةِ.

قَالَ دِمْنَةُ قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَدْنُو مِنَ ٱلْمُلُوكِ

(١) ما بال (٢) مقتضى حاله (٣) الى جهته (٤) اتاه (٥) وجده

يَقْدِرُ على صحبتهم ويفوز بقربهم؟ ولكن أعلمْ أنّ كلّ من يدنو منهم ليس يدنو منهم لبطنه فإنّ البطن يحشى بكلّ شيء. وإنّما يدنو منهم ليسرّ الصديق ويكبت(١) العدوّ. وإنّ من الناس من لا مروءة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون كالكلب الذي يصيب عظماً يابساً فيفرح به. وأمّا أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسمو(٢) بهم نفوسهم إلى ما هم أهل له وهو أيضاً لهم أهل. كالأسد الذي يفترس الأرنب فإذا رأى البعير تركها وطلب البعير. ألا ترى أنّ الكلب يبصبص بذنبه(٣) حتّى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها وتقنعه منك. وأنّ الفيل المعترف بفضله وقوّته إذا قدّم إليه علفه لا يعتلفه حتّى يمسح وجهه ويتملّق له. فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وإفضال على نفسه وأهله وإخوانه غير خامل(٤) المنزلة فهو وإن قلّ عمره طويل العمر. ومن كان في عيشه ضيق وقلّة وإمساك(٥) على نفسه وذويه وكان خامل المنزلة فالمقبور أحيا(٦) منه. ومن عمل

(١) يذلّ ويقهر (٢) يحركه (٣) خلاف مشهور (٤) بخل وشحّ
(٥) بخل (٦) تفضيل من الحياة

لِبَطْنِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَقَنِعَ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذٰلِكَ عُدَّ مِنَ ٱلْبَهَائِمِ * قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتَ فَرَاجِعْ عَقْلَكَ وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ ٱلَّتِي هُوَ فِيهَا مُتَمَاسِكًا[1] كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ. وَلَيْسَ لَنَا مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ مَا يَحُطُّ حَالَنَا ٱلَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا * ثُمَّ إِنَّ مَنْزِلَةَ ٱلْإِنْسَانِ مَقْدُورَةٌ[2] عَلَيْهِ مُنْذُ ٱلْأَزَلِ فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا ٱلرِّضَى بِهَا كَيْفَ كَانَتْ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ ٱلْمَنَازِلَ مُتَنَازَعَةٌ[3] مُشْتَرَكَةٌ عَلَى قَدْرِ ٱلْمُرُوَّةِ فَٱلْمَرْءُ تَرْفَعُهُ مُرُوَّتُهُ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْوَضِيعَةِ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلرَّفِيعَةِ وَمَنْ لَا مُرُوَّةَ لَهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلرَّفِيعَةِ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْوَضِيعَةِ. وَإِنَّ ٱلْاِرْتِفَاعَ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ وَٱلْاِنْحِطَاطَ مِنْهَا هَيِّنٌ كَٱلْحَجَرِ ٱلثَّقِيلِ رَفْعُهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ إِلَى ٱلْعَاتِقِ[4] عَسِرٌ وَوَضْعُهُ إِلَى ٱلْأَرْضِ هَيِّنٌ. فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَرُومَ مَا فَوْقَنَا مِنَ ٱلْمَنَازِلِ وَأَنْ نَلْتَمِسَ ذٰلِكَ بِمُرُوَّتِنَا. ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ بِمَنْزِلَتِنَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ ٱلتَّحَوُّلَ عَنْهَا * قَالَ كَلِيلَةُ فَمَا ٱلَّذِي ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُكَ * قَالَ دِمْنَةُ أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هٰذِهِ ٱلْفُرْصَةِ لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ ضَعِيفُ

---

(١) فقيرٌ متماسكٌ فيه (٢) مقدَّرة (٣) اي كلٌّ يطلبها (٤) ما بين العنق والكتف

الرَّأْيِ قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَعَلَى جُنْدِهِ أَيْضاً وَلَعَلِّي عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَدْنُو مِنْهُ فَأُصِيبَ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً(١) فَيَبْتَدِرُنِي بِالْكَلَامِ فَأُجِيبُهُ بِمَا تَقْدَحُهُ(٢) الْقَرِيحَةُ لَعَلَّهَا تَنْتِجُ بَيْنَنَا نَتِيجَةً تُؤَدِّي إِلَى إِظْهَارِ أَمْرٍ مَكْتُومٍ * قَالَ كَلِيلَةُ وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ * قَالَ دِمْنَةُ بِالْحِسِّ وَالرَّأْيِ أَعْلَمُ ذٰلِكَ مِنْهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الرَّأْيِ يَعْرِفُ حَالَ صَاحِبِهِ وَبَاطِنَ أَمْرِهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلِّهِ وَشَكْلِهِ(٣) * قَالَ كَلِيلَةُ فَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصَاحِبِ السُّلْطَانِ وَلَا لَكَ عِلْمٌ بِخِدْمَةِ السَّلَاطِينِ وَآدَابِهِمْ وَآدَابِ مَجَالِسِهِمْ * قَالَ دِمْنَةُ الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ لَا يَنُوءُ بِهِ(٤) الْحِمْلُ الثَّقِيلُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْحِمْلَ وَالرَّجُلُ الضَّعِيفُ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ(٥) وَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ مِنْ صِنَاعَتِهِ * قَالَ كَلِيلَةُ فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَتَوَخَّى(٦) بِكَرَامَتِهِ فُضَلَاءَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ وَلٰكِنَّهُ يُؤْثِرُ(٧) الْأَدْنَى وَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ * قَالَ دِمْنَةُ يُقَالُ إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي إِيثَارِهِ(٨) الْأَفْضَلَ دُونَ الْأَدْنَى مَثَلُ شَجَرِ الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَعْلَقُ إِلَّا بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ * قَالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ

---

(١) الرتبة (٢) تخرجه والقريحة الطبع (٣) اي هيئته وحاله (٤) اي لا يثقله (٥) اي لا يحمله وحده (٦) اي لا يقصد ويتعمد (٧) يفضل (٨) اختياره

ٱلْأَسَدِ وَلَمْ تَكُنْ دَنَوْتَ مِنْهُ مِنْ قَبْلُ

قَالَ دِمْنَةُ قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ جَمِيعَهُ وَتَدَبَّرْتُ مَا قُلْتَ(١) وَأَنْتَ صَادِقٌ. لٰكِنِ ٱعْلَمْ أَنَّ ٱلَّذِينَ لَهُمُ ٱلْمَنَازِلُ ٱلرَّفِيعَةُ عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ قَدْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَرْقَوْا(٢) إِلَيْهَا لَيْسَتْ بِحَالَتِهِمْ فَيَقْرُبُونَ بَعْدَ ٱلْبُعْدِ وَيَدْنُونَ بَعْدَ ٱلتَّنَائِي(٣) وَأَنَا مُلْتَمِسٌ بُلُوغَ مَكَانَتِهِمْ بِجُهْدِي. وَقَدْ قِيلَ لَا يُوَاظِبُ عَلَى بَابِ ٱلسُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ يَطْرَحُ ٱلْأَنَفَةَ(٤) وَيَحْمِلُ ٱلْأَذَى وَيَكْظِمُ(٥) ٱلْغَيْظَ وَيَرْفُقُ(٦) بِٱلنَّاسِ وَيَكْتُمُ ٱلسِّرَّ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى ذٰلِكَ فَقَدْ بَلَغَ مُرَادَهُ* قَالَ كَلِيلَةُ هَبْكَ(٧) وَصَلْتَ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَمَا تَوْفِيقُكَ عِنْدَهُ ٱلَّذِي تَرْجُو أَنْ تَنَالَ بِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ عِنْدَهُ وَٱلْحُظْوَةَ(٨) لَدَيْهِ* قَالَ دِمْنَةُ لَوْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ لَرَفَقْتُ فِي مُتَابَعَتِهِ وَقِلَّةِ ٱلْخِلَافِ لَهُ. وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِهِ صَوَابٌ زَيَّنْتُهُ لَهُ وَصَبَّرْتُهُ عَلَيْهِ وَعَرَّفْتُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ ٱلنَّفْعِ وَٱلْخَيْرِ وَشَجَّعْتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى ٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ حَتَّى يَزْدَادَ بِهِ سُرُورًا. وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا يُخَافُ عَلَيْهِ ضَرُّهُ وَشَيْنُهُ(٩) بَصَّرْتُهُ(١٠) بِمَا فِيهِ مِنَ ٱلضَّرَرِ وَٱلشَّيْنِ وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى مَا فِي تَرْكِهِ مِنَ ٱلنَّفْعِ وَٱلزَّيْنِ بِحَسَبِ

(١) اي نظرت في عواقبه وتفكرت فيه (٢) يصعدوا (٣) التباعد (٤) عزّة النفس (٥) يرد (٦) يلطف (٧) اي احسب نفسك (٨) الحظ والمنزلة (٩) اي عيبه (١٠) عرّفته واوضحت له

مَا أَجِدُ إِلَيْهِ ٱلسَّبِيلَ. وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَزْدَادَ بِذٰلِكَ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ مَكَانَةً وَيَرَى مِنِّي مَا لَا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي. فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْأَدِيبَ ٱلرَّفِيقَ(١) لَوْ شَاءَ أَنْ يُبْطِلَ حَقًّا أَوْ يُحِقَّ بَاطِلًا لَفَعَلَ. كَٱلْمُصَوِّرِ ٱلْمَاهِرِ(٢) ٱلَّذِي يُصَوِّرُ فِي ٱلْحِيطَانِ صُوَرًا كَأَنَّهَا خَارِجَةٌ وَلَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ. فَإِذَا هُوَ عَرَفَ مَا عِنْدِي وَبَانَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِي وَجَوْدَةُ فِكْرِي ٱلْتَمَسَ إِكْرَامِي وَقَرَّبَنِي إِلَيْهِ*

قَالَ كَلِيلَةُ أَمَّا إِنْ قُلْتَ هٰذَا أَوْ قُلْتَ هٰذَا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ خَطِرَةٌ وَأُحَذِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِي أَرَدْتَهُ لِعِظَمِ خَطَرِهِ(٣) عِنْدَكَ وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ إِنَّ ثَلَاثَةً لَا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَهْوَجُ(٤) وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ إِلَّا قَلِيلٌ. وَهِيَ صُحْبَةُ ٱلسُّلْطَانِ وَٱئْتِمَانُ ٱلنِّسَاءِ عَلَى ٱلْأَسْرَارِ وَشُرْبُ ٱلسُّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ* وَإِنَّمَا شَبَّهَ ٱلْعُلَمَاءُ ٱلسُّلْطَانَ بِٱلْجَبَلِ ٱلصَّعْبِ ٱلْمُرْتَقَى(٥) ٱلَّذِي فِيهِ ٱلثِّمَارُ ٱلطَّيِّبَةُ وَٱلْأَنْهَارُ ٱلْجَارِيَةُ وَٱلْجَوَاهِرُ ٱلنَّفِيسَةُ وَٱلْأَدْوِيَةُ ٱلنَّافِعَةُ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ مَعْدِنُ(٦) ٱلسِّبَاعِ وَٱلنُّمُورِ وَٱلذِّئَابِ وَكُلِّ

---

(١) اللطيف (٢) الحاذق العالم بالشيء (٣) شرفه (٤) احمق طائش
(٥) الصعود اليه (٦) مكان

ضارٍ(١) مخوفٍ. فالارتقاء إليه شديد والمقام(٢) فيه أشد * قال دمنة صدقت فيما ذكرت غير أنه من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب(٣) ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيما. وقد قيل إن خصالاً ثلاثة لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همة وعظيم خطر(٤). منها صحبة السلطان وتجارة البحر ومناجزة(٥) العدو. وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد(٦) إنه لا ينبغي أن يرى إلا في مكانين ولا يليق به غيرهما إما مع الملوك مكرما أو مع النساك متعبدا. كالفيل إنما جماله وبهاؤه(٧) في مكانين إما أن تراه في البرية وحشيا أو مركبا للملوك * قال كليلة خار الله لك(٨) فيما عزمت عليه *

ثم إن دمنة انطلق حتى دخل على الأسد فعفّر(٩) وجهه بين يديه وسلم عليه * فقال الأسد لبعض جلسائه من هذا * فقال هذا دمنة بن سليط * قال قد كنت أعرف أباه. ثم سأله

(١) معتدٍ كاسر (٢) الاقامة (٣) جمع رغيبة وهي الامر المرغوب فيه (٤) قدر ومنزلة (٥) مقاتلة (٦) من الرشد وهو الاستقامة على طريق الحق (٧) حسنه (٨) اي جعل لك الخير (٩) مرّغ اي خضع الى الارض بين يدي الملك

أَيْنَ تَكُونُ * قَالَ لَمْ أَزَلْ مُرَابِطًا(١) بَابَ ٱلْمَلِكِ دَاعِيًا لَهُ بِالنَّصْرِ وَدَوَامِ ٱلْبَقَاءِ رَجَاءَ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرٌ فَأُعِينَ ٱلْمَلِكَ فِيهِ بِنَفْسِي وَرَأْيِي فَإِنَّ أَبْوَابَ ٱلْمُلُوكِ تَكْثُرُ فِيهَا ٱلْأُمُورُ ٱلَّتِي رُبَّمَا يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى ٱلَّذِي لَا يُؤْبَهُ(٢) لَهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَصْغُرُ أَمْرُهُ إِلَّا وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ بَعْضُ ٱلْغَنَاءِ(٣) وَٱلْمَنَافِعِ عَلَى قَدْرِهِ حَتَّى ٱلْعُودُ ٱلْمُلْقَى فِي ٱلْأَرْضِ رُبَّمَا نَفَعَ فَيَأْخُذُهُ ٱلرَّجُلُ فَيَحُكُّ بِهِ أُذُنَهُ فَيَكُونُ عُدَّتَهُ(٤) عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَيْهِ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَعْجَبَهُ وَطَمِعَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ وَرَأْيٌ. فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ فَقَالَ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ذَا ٱلنَّبْلِ(٥) وَٱلْمُرُوَّةِ يَكُونُ خَامِلَ ٱلذِّكْرِ مُنْخَفِضَ ٱلْمَنْزِلَةِ فَتَأْبَى مَنْزِلَتُهُ إِلَّا أَنْ تَشِبَّ(٦) وَتَرْتَفِعَ كَالشُّعْلَةِ مِنَ ٱلنَّارِ يَضْرِبُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْبَى إِلَّا ٱرْتِفَاعًا *

فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةُ أَنَّ ٱلْأَسَدَ قَدْ عَجِبَ مِنْهُ وَحَسُنَ عِنْدَهُ كَلَامُهُ قَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّ رَعِيَّةَ ٱلْمَلِكِ تَحْضُرُ بَابَهُ رَجَاءَ أَنْ يَعْرِفَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَافِرٍ كَالزَّرْعِ ٱلْمَدْفُونِ ٱلَّذِي لَا يُعْرَفُ فَضْلُهُ حَتَّى يَخْرُجَ وَيَظْهَرَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ * فَيَجِبُ عَلَى ٱلْمَلِكِ

(١) ملازماً (٢) اي لا يلتفت اليه (٣) النفع والاكتفاء (٤) اي ما اعده لحوادث الدهر (٥) الذكاء (٦) تزداد

أَنْ يَبْلُغَ بِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَرْتَبَتَهُ عَلَى قَدْرِ رَأْيِهِ وَعَلَى قَدْرِ مَا يَجِدُ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمَنْفَعَةِ . وَقَدْ قِيلَ أَمْرَانِ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَأْتِيَهُمَا[١] مِثْلُ أَنْ يَجْعَلَ ٱلْخَلْخَالَ[٢] قِلَادَةً لِلْعُنُقِ وَمِثْلُ أَنْ تَجْعَلَ ٱلْقِلَادَةَ خَلْخَالاً فِي ٱلرِّجْلِ . وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ٱلْفَضْلَ فِي أَمْرَيْنِ فَضْلِ ٱلْمُقَاتِلِ عَلَى ٱلْمُقَاتِلِ وَٱلْعَالِمِ عَلَى ٱلْعَالِمِ . وَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلْأَعْوَانِ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُخْتَبَرِينَ رُبَّمَا تَكُونُ مَضَرَّةً عَلَى ٱلْعَمَلِ . فَإِنَّ ٱلْعَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثْرَةِ ٱلْأَعْوَانِ وَلٰكِنْ بِصَالِحِي ٱلْأَعْوَانِ[٣] . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَحْمِلُ ٱلْحَجَرَ ٱلثَّقِيلَ فَيَقْتُلُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ ثَمَناً . وَحَامِلُ ٱلْيَاقُوتِ وَإِنْ قَلَّ يَقْدِرُ عَلَى بَيْعِهِ بِٱلْكَثِيرِ مِنَ ٱلْمَالِ . وَٱلْعَمَلُ ٱلَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ٱلْحِيَلِ وَٱلْخِدَاعِ لَا يَقْتَحِمُهُ إِلَّا أَفْهَمُ ٱلرِّجَالِ وَأَذْكَاهُمْ . وَٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى ٱلْجُذُوعِ[٤] لَا يُجْزِئُهُ[٥] ٱلْقَصَبُ وَإِنْ كَثُرَ . فَأَنْتَ ٱلْآنَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ لَا تَحْقِرَ مُرُوَّةً أَنْتَ تَجِدُهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرِ ٱلْمَنْزِلَةِ . فَإِنَّ ٱلصَّغِيرَ رُبَّمَا عَظُمَ كَٱلْعَصَبِ[٦] ٱلَّذِي يُؤْخَذُ مِنَ ٱلْمَيْتَةِ . فَإِذَا عُمِلَتْ مِنْهُ ٱلْقَوْسُ أُكْرِمَ فَتَقْبِضُ عَلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ

(١) يفعلهما (٢) سوار يلبس في الرجل للزينة (٣) المساعدين (٤) جمع جذع وهو ساق النخلة (٥) اي لا يغنيه (٦) المراد به المعى

وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْبَأْسِ وَاللَّهْوِ.

وَأَعْجَبَ دِمْنَةَ أَنْ يَرَى الْقَوْمُ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ لِرَأْيِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذٰلِكَ أَنَّ ذٰلِكَ لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ. فَقَالَ إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يُقَرِّبُ الرِّجَالَ لِقُرْبِ آبَائِهِمْ وَلَا يُبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ وَلٰكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوَى(1) حَتَّى يُؤْذِيَهُ وَلَا يَدْفَعُ ذٰلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالدَّوَاءِ الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدٍ.

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ مَقَالَتِهِ هٰذِهِ أُعْجِبَ الْأَسَدُ بِهِ(2) إِعْجَابًا شَدِيدًا وَأَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ. ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِجُلَسَائِهِ يَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ أَنْ لَا يَلِجَّ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي الْحُقُوقِ فَإِنَّ عَاقِبَةَ ذٰلِكَ رَدِيئَةٌ(3) حَتَّى مِمَّنْ لَا يُتَوَقَّعُ(4) أَذَاهُ وَالنَّاسُ فِي ذٰلِكَ رَجُلَانِ رَجُلٌ طَبْعُهُ الشَّرَاسَةُ فَهُوَ كَالْحَيَّةِ إِنْ وَطِئَهَا(5) الْوَاطِئُ فَلَمْ تَلْدَغْهُ(6) لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغُرَّهُ ذٰلِكَ مِنْهَا فَيَعُودَ إِلَى وَطْئِهَا ثَانِيَةً فَتَلْدَغَهُ. وَرَجُلٌ أَصْلُ طِبَاعِهِ السُّهُولَةُ فَهُوَ كَالصَّنْدَلِ(7)

(1) يمرض (2) اي عجب منه وسر (3) آخرة (4) اي لا ينتظر
(5) داسها (6) تلسعه (7) خشب من الادوية القلبية احره الاحمر ثم الاصفر وابرده الابيض

الْبَارِدِ الَّذِي إِذَا أُفْرِطَ فِي حَكِّهِ صَارَ حَارًّا مُؤْذِيًا ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ اسْتَأْنَسَ بِالْأَسَدِ وَخَلَا بِهِ فَقَالَ لَهُ يَوْمًا رَأَيْتُ الْمَلِكَ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ خِلَافًا لِمَا أَلُوفَهُ[1] وَهُوَ (أَعْظَمَهُ اللهُ) مَنِيعُ الْجَانِبِ نَافِذُ الْأَمْرِ آمِنُ السَّاحَةِ. فَرَأَيْتُ أَنْ أَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ بِالِاسْتِفْهَامِ عَلَى وَجْهِ النَّصِيحَةِ فَإِنَّ الْأُمُورَ الْخَفِيَّةَ لَا يُظْهِرُهَا إِلَّا الْبَحْثُ عَنْهَا فَإِذَا أُظْهِرَتْ أُجِيلَتْ[2] الْفِكْرَةُ فِيهَا. فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذَا الْحَدِيثِ إِذْ خَارَ[3] شَتْرَبَةُ خُوَارًا شَدِيدًا فَهَيَّجَ الْأَسَدَ وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَ دِمْنَةَ بِمَا نَالَهُ. وَعَلِمَ دِمْنَةُ أَنَّ ذٰلِكَ الصَّوْتَ قَدْ أَدْخَلَ عَلَى الْأَسَدِ رِيبَةً[4] وَهَيْبَةً. فَسَأَلَهُ هَلْ رَابَ الْمَلِكَ[5] سَمَاعُ هٰذَا الصَّوْتِ قَالَ لَمْ يَرِبْنِي شَيْءٌ سِوَى ذٰلِكَ (وَهُوَ الَّذِي حَبَسَنِي هٰذِهِ الْمُدَّةَ فِي مَكَانِي. وَقَدْ صَحَّ[6] عِنْدِي مِنْ طَرِيقِ الْقِيَاسِ أَنَّ جُثَّةَ صَاحِبِ هٰذَا الصَّوْتِ الْمُنْكَرِ[7] الَّذِي لَمْ أَسْمَعْهُ قَطُّ عَظِيمَةٌ لِأَنَّ صَوْتَهُ تَابِعٌ لِبَدَنِهِ. فَإِنْ يَكُنْ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ لَنَا مَعَهُ قَرَارٌ وَلَا مُقَامٌ[8]. قَالَ دِمْنَةُ لَيْسَ الْمَلِكُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَدَعَ مَكَانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ. فَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ لَيْسَ

---

(١) من ألف المكان اذا تعوده واستأنس به (٢) أُديرت (٣) صوت الثور (٤) الشك وقلق النفس (٥) اي اوقعه في الريب اي الشك (٦) ثبت (٧) المجهول القبيح (٨) اي اقامة

مِنْ كُلِّ ٱلْأَصْوَاتِ تَجِبُ ٱلْهَيْبَةُ · قَالَ ٱلْأَسَدُ وَمَا مَثَلُ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجَمَةً(١) فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ وَكُلَّمَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ حَرَّكَتْهَا فَضَرَبَتِ ٱلطَّبْلَ فَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ بَاهِرٌ(٢) فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِأَجْلِ مَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ · فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَخْمًا فَأَيْقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ ٱلشَّحْمِ وَٱللَّحْمِ فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ لَا شَيْءَ فِيهِ قَالَ لَا أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ(٣) ٱلْأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا(٤) صَوْتًا وَأَعْظَمُهَا جُثَّةً

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ هٰذَا ٱلصَّوْتَ ٱلَّذِي رَاعَنَا(٥) لَوْ وَصَلْنَا إِلَيْهِ لَوَجَدْنَاهُ أَيْسَرَ مِمَّا فِي أَنْفُسِنَا · فَإِنْ شَاءَ ٱلْمَلِكُ بَعَثَنِي وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى آتِيَهُ بِبَيَانِ هٰذَا ٱلصَّوْتِ · فَوَافَقَ ٱلْأَسَدَ قَوْلُهُ فَأَذِنَ لَهُ فِي ٱلذَّهَابِ نَحْوَ ٱلصَّوْتِ

فَٱنْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي فِيهِ شَتْرَبَةُ · فَلَمَّا فَصَلَ(٦) دِمْنَةُ مِنْ عِنْدِ ٱلْأَسَدِ فَكَّرَ ٱلْأَسَدُ فِي أَمْرِهِ وَنَدِمَ عَلَى إِرْسَالِ دِمْنَةَ حَيْثُ أَرْسَلَهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا أَصَبْتُ فِي ٱئْتِمَانِي دِمْنَةَ

---

(١) واحدة الاجم وهو الشجر الكثير الملتف (٢) من بهر فلانًا الامر اذا كربه (٣) اضعف (٤) اعلاها (٥) افزعنا (٦) خرج

وَإِطْلَاعِهِ عَلَى سِرِّي وَقَدْ كَانَ بِبَابِي مَطْرُوحًا • فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي يَحْضُرُ بَابَ ٱلْمَلِكِ إِذَا كَانَ قَدْ أُطِيلَتْ جَفْوَتُهُ(١) مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ(٢) كَانَ مِنْهُ • أَوْ كَانَ مَبْغِيًّا عَلَيْهِ(٣) عِنْدَ سُلْطَانِهِ • أَوْ كَانَ عِنْدَهُ مَعْرُوفًا بِٱلشَّرَهِ وَٱلْحِرْصِ • أَوْ كَانَ قَدْ أَصَابَهُ ضُرٌّ وَضِيقٌ فَلَمْ يَنْعَشْهُ(٤) • أَوْ كَانَ قَدِ ٱجْتَرَمَ جُرْمًا فَهُوَ يَخَافُ ٱلْعُقُوبَةَ مِنْهُ • أَوْ كَانَ يَرْجُو شَيْئًا يَضُرُّ ٱلْمَلِكَ وَلَهُ مِنْهُ نَفْعٌ • أَوْ يَخَافُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَنْفَعُهُ ضَرًّا • أَوْ كَانَ لِعَدُوِّ ٱلْمَلِكِ سِلْمًا(٥) وَلِسِلْمِهِ حَرْبًا(٦) • أَوْ كَانَ قَدْ حِيلَ(٧) بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا فِي يَدَيْهِ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ • أَوْ بَاعَدَهُ • أَوْ طَرَدَهُ • فَلَيْسَ ٱلسُّلْطَانُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَعْجَلَ فِي ٱلِٱسْتِرْسَالِ(٨) إِلَى هٰؤُلَاءِ وَٱلثِّقَةِ بِهِمْ وَٱلِٱئْتِمَانِ لَهُمْ * وَإِنَّ دِمْنَةَ دَاهِيَةٌ(٩) أَدِيبٌ وَقَدْ كَانَ بِبَابِي مَطْرُوحًا مَجْفُوًّا • وَلَعَلَّهُ قَدِ ٱحْتَمَلَ عَلَيَّ بِذٰلِكَ ضِغْنًا(١٠) • وَلَعَلَّ ذٰلِكَ يَحْمِلُهُ عَلَى خِيَانَتِي وَإِعَانَةِ عَدُوِّي وَنَقِيصَتِي(١١) عِنْدَهُ • وَلَعَلَّهُ أَنْ يُصَادِفَ صَاحِبَ ٱلصَّوْتِ أَقْوَى سُلْطَانًا(١٢) مِنِّي فَيَرْغَبَ بِهِ عَنِّي(١٣) وَيَمِيلَ مَعَهُ عَلَيَّ • وَلَقَدْ كَانَ ٱلْوَاجِبُ أَنْ أَهْجُمَ

---

(١) نقيض المواصلة والمؤانسة (٢) ذنب (٣) اي مظلوماً (٤) اي لم يجبره بعد فقره (٥) مسالماً (٦) محارباً (٧) اعترض (٨) الانبساط والاستئناس (٩) اي ذو مكر وجودة رأي والتاء فيه للمبالغة (١٠) اي حقداً (١١) ثلبي وذمي (١٢) قدرة الملك (١٣) اي يفضله عليّ

عَلَى صَاحِبِ هٰذَا ٱلصَّوْتِ بِنَفْسِي. وَلَمْ يَزَلِ ٱلْأَسَدُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِأَمْثَالِ ذٰلِكَ حَتَّى جَعَلَ يَمْشِي وَيَنْظُرُ إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي سَارَ فِيهَا دِمْنَةُ فَلَمْ يَمْشِ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى بَصُرَ بِدِمْنَةَ(١) مُقْبِلاً نَحْوَهُ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذٰلِكَ وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ

وَدَخَلَ دِمْنَةُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ مَاذَا صَنَعْتَ وَمَاذَا رَأَيْتَ * قَالَ رَأَيْتُ ثَوْرًا وَهُوَ صَاحِبُ ٱلْخُوَارِ وَٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي سَمِعْتَهُ * قَالَ فَمَا قُوَّتُهُ * قَالَ لَا شَوْكَةَ(٢) لَهُ وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَحَاوَرْتُهُ مُحَاوَرَةَ ٱلْأَكْفَاءِ(٣) فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِي شَيْئًا * قَالَ ٱلْأَسَدُ لَا يَغُرَّنَّكَ ذٰلِكَ مِنْهُ وَلَا يَصْغُرَنَّ عِنْدَكَ أَمْرُهُ فَإِنَّ ٱلرِّيحَ ٱلشَّدِيدَةَ لَا تَعْبَأُ(٤) بِضَعِيفِ ٱلْحَشِيشِ لٰكِنَّهَا تَحْطِمُ(٥) طِوَالَ ٱلنَّخْلِ وَعَظِيمَ ٱلشَّجَرِ وَتَقْلَعُ ٱلدَّوْحَةَ(٦) ٱلْعَاتِيَةَ(٧) مِنْ مَوْضِعِهَا * قَالَ دِمْنَةُ لَا تَهَابَنَّ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ أَمْرُهُ فَأَنَا عَلَى ضَعْفِي آتِيكَ بِهِ فَيَكُونُ لَكَ عَبْدًا سَامِعًا مُطِيعًا * قَالَ ٱلْأَسَدُ دُونَكَ(٨) مَا بَدَا لَكَ وَقَدْ تَعَلَّقَ أَمَلُهُ بِهِ. فَٱنْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى ٱلثَّوْرِ فَقَالَ لَهُ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُكْتَرِثٍ إِنَّ ٱلْأَسَدَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِآتِيَهُ بِكَ

(١) لمحه (٢) اي لا قوة له ولا شجاعة في الحرب (٣) النظراء
(٤) اي لا تبالي (٥) تكسر (٦) الشجرة العظيمة من اي الشجر كانت
(٧) المجاوزة الحد في الكبر (٨) اي افعل

وَأَمَرَنِي إِنْ أَنْتَ عَجِلْتَ إِلَيْهِ أَنْ أُؤَمِّنَكَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ فِي التَّأَخُّرِ عَنْهُ وَتَرْكِكَ لِقَاءَهُ[1]. وَإِنْ أَنْتَ تَأَخَّرْتَ وَأَحْجَمْتَ[2] أَنْ أُعَجِّلَ الرَّجْعَةَ إِلَيْهِ فَأُخْبِرَهُ * قَالَ لَهُ شَتْرَبَةُ وَمَنْ هٰذَا الْأَسَدُ الَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيَّ وَأَيْنَ هُوَ وَمَا حَالُهُ * قَالَ دِمْنَةُ هُوَ مَلِكُ السِّبَاعِ وَهٰذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا لَهُ وَهُوَ بِمَكَانِ كَذَا وَمَعَهُ جُنْدٌ كَثِيرٌ مِنْ جِنْسِهِ. فَرُعِبَ[3] شَتْرَبَةُ مِنْ ذِكْرِ الْأَسَدِ وَالسِّبَاعِ وَقَالَ إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِيَ الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي أَقْبَلْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ. فَأَعْطَاهُ دِمْنَةُ مِنَ الْأَمَانِ مَا وَثِقَ بِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ وَالثَّوْرُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَا عَلَى الْأَسَدِ * فَأَحْسَنَ الْأَسَدُ إِلَى الثَّوْرِ وَقَرَّبَهُ[4] وَقَالَ لَهُ مَتَى قَدِمْتَ هٰذِهِ الْبِلَادَ وَمَا أَقْدَمَكَهَا[5]. فَقَصَّ شَتْرَبَةُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ. فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ اصْحَبْنِي وَالْزَمْنِي فَإِنِّي مُكْرِمُكَ وَمُحْسِنٌ إِلَيْكَ. فَدَعَا لَهُ الثَّوْرُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَانْصَرَفَ وَقَدْ أُعْجِبَ[6] بِهِ الْأَسَدُ إِعْجَابًا شَدِيدًا لِمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ عَقْلِهِ وَأَدَبِهِ * ثُمَّ إِنَّهُ قَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَأَنِسَ بِهِ وَائْتَمَنَهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَشَاوَرَهُ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ تَزِدْهُ الْأَيَّامُ إِلَّا عُجْبًا بِهِ[7] وَرَغْبَةً فِيهِ وَتَقْرِيبًا لَهُ حَتَّى صَارَ

(١) مقابلته (٢) كففت هيبة (٣) اي خاف (٤) قدمه في خدمته وجعله من خواصه · (٥) اي ما الذي حملك ان تاتيها (٦) اي سرّ وقد مرّ (٧) اي زهوًا وكبرًا

أَخَصَّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً *

فَلَمَّا رَأَى دِمْنَةُ أَنَّ الثَّوْرَ قَدِ اخْتَصَّ(١) بِالأَسَدِ دُونَهُ وَدُونَ أَصْحَابِهِ وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلَوَاتِهِ وَلَهْوِهِ حَسَدَهُ حَسَدًا عَظِيمًا وَبَلَغَ مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ . فَشَكَا ذٰلِكَ إِلَى أَخِيهِ كَلِيلَةَ وَقَالَ لَهُ أَلاَ تَعْجَبُ يَا أَخِي مِنْ عَجْزِ رَأْيِي وَصُنْعِي بِنَفْسِي وَنَظَرِي فِيمَا يَنْفَعُ الأَسَدَ وَأَغْفَلْتُ(٢) نَفْعَ نَفْسِي حَتَّى جَلَبْتُ إِلَى الأَسَدِ ثَوْرًا غَلَبَنِي عَلَى مَنْزِلَتِي * قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ أَصَابَكَ مَا أَصَابَ(٣) النَّاسِكَ * قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ كُسْوَةً فَاخِرَةً فَبَصُرَ بِهِ سَارِقٌ فَطَمِعَ فِي الثِّيَابِ وَعَمِلَ عَلَى(٤) سَرِقَتِهَا . فَأَتَى النَّاسِكَ وَقَالَ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكَ فَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ وَآخُذَ عَنْكَ . فَأَذِنَ لَهُ النَّاسِكُ فِي صُحْبَتِهِ فَصَحِبَهُ مُتَشَبِّهًا بِهِ وَرَفَقَ لَهُ(٥) فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى أَمِنَهُ النَّاسِكُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ(٦) . فَرَصَدَهُ(٧) حَتَّى إِذَا ظَفِرَ بِهِ وَأَمْكَنَتْهُ الْفُرْصَةُ أَخَذَ تِلْكَ الثِّيَابَ فَذَهَبَ بِهَا * فَلَمَّا فَقَدَ النَّاسِكُ ثِيَابَهُ عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ أَخَذَهَا

(١) انفرد به (٢) تركت واهملت (٣) نال (٤) اي سعى فيها
(٥) اي عامله باللطف (٦) سكن وآمن له (٧) ترقبه

فتوجه في طلبه . فمرّ في طريقه بوعلين (١) يتناطحان حتى سالت دماؤهما . فجاء ثعلب يلغ (٢) في تلك الدماء ويتحكك بهما (٣) ويزاحمهما فغضبا منه وأقبلا عليه بنطاحهما فقتلاه * فعجب الناسك من ذلك ومضى حتى دخل إحدى المدن فلم يجد فيها قرى (٤) إلا بيت امرأة فنزل بها واستضافها (٥) وكانت للمرأة جارية تؤاجرها (٦) . وكانت الجارية قد علقت (٧) رجلاً تريد أن تتخذه بعلاً لها وقد أضر ذلك بمولاتها ولم يكن لها سبيل إلى مدافعته فاحتالت لقتله في تلك الليلة التي استضافها فيها الناسك * ثم إن الرجل وافى (٨) فسقته من الخمرة حتى سكر ونام . فلما استغرق في النوم ونام من في البيت عمدت (٩) لسم كانت قد أعدته (١٠) في قصبة لتنفخه في أنف الرجل . فلما أرادت ذلك بدرت (١١) من أنفه عطسة فعكست السم إلى حلق المرأة فوقعت ميتة . وكل ذلك بعين الناسك وسمعه *

فلما رأى ذلك لم يصدق أن طلع الصباح حتى خرج

(١) مثنى وعل وهو تيس الجبل (٢) يشرب بلسانه (٣) اي يتعرض لشرهما (٤) ضيافة (٥) طلب منها ان تضيفه (٦) اي تبيحها بالاجرة (٧) احبت (٨) اتى (٩) قصدت (١٠) هيأته (١١) سبقت واسرعت

يَبْتَغِي مَنْزِلاً غَيْرَهُ. فَاسْتَضَافَ رَجُلاً إِسْكَافاً فَأَتَى بِهِ ٱمْرَأَتَهُ وَقَالَ لَهَا ٱنْظُرِي إِلَى هٰذَا ٱلنَّاسِكِ وَأَكْرِمِي مَثْوَاهُ (١) وَقُومِي بِخِدْمَتِهِ فَقَدْ دَعَانِي بَعْضُ أَصْدِقَائِي لِلشُّرْبِ عِنْدَهُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ ذَاهِبًا وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ ٱبْنَةٌ تُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَهَا لِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا يُرِيدُهُ. فَكَانَ ٱلرَّجُلُ يَخْتَلِفُ (٢) إِلَى ٱلْبَيْتِ فِي غِيَابِ زَوْجِهَا وَٱلْوَسِيطُ بَيْنَهُمَا ٱمْرَأَةُ حَجَّامٍ (٣). فَأَرْسَلَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْإِسْكَافِ إِلَى ٱمْرَأَةِ ٱلْحَجَّامِ تَأْمُرُهَا بِٱلْمَصِيرِ (٤) إِلَيْهَا وَتُعَرِّفُ ٱلرَّجُلَ غِيَابَ زَوْجِهَا وَقَالَتْ إِنَّ زَوْجِي قَدْ ذَهَبَ لِيَشْرَبَ عِنْدَ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ وَإِنْ عَادَ لَا يَعُودُ إِلَّا سَكْرَانَ فَقُولِي لَهُ يُسْرِعُ ٱلْكَرَّةَ (٥). ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ جَاءَ فَقَعَدَ عَلَى ٱلْبَابِ يَنْتَظِرُ ٱلْإِذْنَ وَوَافَقَ ذٰلِكَ مَجِيءَ ٱلْإِسْكَافِ سَكْرَانَ فَرَأَى ٱلرَّجُلَ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَٱرْتَابَ بِهِ فَلَمْ يُكَلِّمْهُ وَدَخَلَ مُغْضَبًا إِلَى ٱمْرَأَتِهِ فَأَوْجَعَهَا ضَرْبًا ثُمَّ أَوْثَقَهَا (٦) فِي أُسْطُوَانَةٍ (٧) فِي ٱلْمَنْزِلِ وَذَهَبَ فَنَامَ لَا يَعْقِلُ * وَجَاءَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ تُعْلِمُهَا أَنَّ ٱلرَّجُلَ قَدْ أَطَالَ ٱلْجُلُوسَ

(١) مقامه (٢) ياتي (٣) الحجّام هو الذي يعالج المريض بالمحجمة وهي قارورة يقال لها كاس الحجامة وهي ان يشرط الجلد بالمشراط ثم يلقى في المحجمة قرطاس ملتهب او قطن ونحوه ويلزم بها مكان الشرط فتجذب الدم بقوة (٤) اي بالرجوع (٥) الرجعة (٦) ربطها (٧) عمود

فَقَالَتْ لَهَا ٱنْظُرِي إِلَى مَا أَنَا فِيهِ بِسَبَبِهِ. فَإِنْ شِئْتِ وَأَحْسَنْتِ إِلَيَّ وَحَلَلْتِنِي وَرَبَطْتُكِ مَكَانِي حَتَّى أَنْطَلِقَ فَأَعْتَذِرَ إِلَيْهِ وَأُعَجِّلَ ٱلْعَوْدَةَ. فَأَجَابَتْهَا ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ إِلَى ذٰلِكَ وَحَلَّتْهَا وَٱنْطَلَقَتْ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَأَوْثَقَتْ هِيَ نَفْسَهَا مَكَانَهَا. فَٱسْتَيْقَظَ ٱلْإِسْكَافُ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ زَوْجَتُهُ فَنَادَاهَا بِٱسْمِهَا فَلَمْ تُجِبْهُ ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ وَخَافَتْ مِنَ ٱلْفَضِيحَةِ أَنْ يُنْكِرَ صَوْتَهَا (١). ثُمَّ دَعَاهَا ثَانِيَةً فَلَمْ تُجِبْهُ. فَٱمْتَلَأَ غَيْظًا وَحَنَقًا وَقَامَ نَحْوَهَا بِٱلشَّفْرَةِ (٢) فَجَدَعَ (٣) أَنْفَهَا وَقَالَ خُذِي هٰذَا فَأَتْحِفِي بِهِ صَدِيقَكِ وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهَا ٱمْرَأَتُهُ. ثُمَّ جَاءَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْإِسْكَافِ فَرَأَتْ صُنْعَ زَوْجِهَا (٤) بِٱمْرَأَةِ ٱلْحَجَّامِ فَسَاءَهَا ذٰلِكَ وَأَكْبَرَتْهُ (٥) وَحَلَّتْ وِثَاقَهَا (٦) فَٱنْطَلَقَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا مَجْدُوعَةَ ٱلْأَنْفِ وَكُلُّ ذٰلِكَ بِعَيْنِ ٱلنَّاسِكِ وَسَمْعِهِ. ثُمَّ إِنَّ ٱمْرَأَةَ ٱلْإِسْكَافِ جَعَلَتْ تَبْتَهِلُ (٧) وَتَدْعُو عَلَى زَوْجِهَا ٱلَّذِي ظَلَمَهَا وَتَقُولُ ٱللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ زَوْجِي قَدْ ظَلَمَنِي فَأَعِدْ عَلَيَّ أَنْفِي صَحِيحًا. ثُمَّ رَفَعَتْ صَوْتَهَا وَنَادَتْ زَوْجَهَا أَيُّهَا ٱلْفَاجِرُ ٱلظَّالِمُ قُمْ فَٱنْظُرْ كَيْفَ صُنْعُكَ بِي وَصُنْعُ ٱللّٰهِ بِي كَيْفَ

(١) اي يجهله (٢) السكين (٣) قطع (٤) اي فعله (٥) اي رأته امرًا كبيرًا وعظم عندها (٦) رباطها (٧) تتضرع الى الله

رَحِمَنِي وَرَدَّ أَنْفِي صَحِيحًا كَمَا كَانَ فَقَامَ وَأَوْقَدَ ٱلْمِصْبَاحَ وَنَظَرَ فَإِذَا أَنْفُ زَوْجَتِهِ صَحِيحٌ. فَٱسْتَغْفَرَ إِلَيْهَا وَتَابَ عَنْ ذَنْبِهِ وَٱسْتَغْفَرَ إِلَى رَبِّهِ * وَأَمَّا ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ فَإِنَّهَا لَمَّا وَصَلَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا تَفَكَّرَتْ فِي طَلَبِ ٱلْعُذْرِ عِنْدَ زَوْجِهَا وَأَهْلِهَا فِي جَدْعِ أَنْفِهَا وَرَفْعِ ٱلِٱلْتِبَاسِ * فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ ٱلسَّحَرِ ٱسْتَيْقَظَ ٱلْحَجَّامُ فَقَالَ لِٱمْرَأَتِهِ هَاتِي أَدَوَاتِي[1] كُلَّهَا فَإِنِّي أُرِيدُ ٱلْمُضِيَّ إِلَى بَعْضِ ٱلْأَشْرَافِ. فَأَتَتْهُ بِٱلْمُوسَى. فَقَالَ لَهَا هَاتِي ٱلْأَدَوَاتِ جَمِيعَهَا فَلَمْ تَأْتِهِ إِلَّا بِٱلْمُوسَى. فَغَضِبَ حِينَ أَطَالَتِ ٱلتَّكْرَارَ وَرَمَاهَا بِهِ فَوَلْوَلَتْ وَصَاحَتْ أَنْفِي أَنْفِي وَجَلَبَتْ[2] حَتَّى جَاءَ أَهْلُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا فَرَأَوْهَا عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ فَأَخَذُوا ٱلْحَجَّامَ فَٱنْطَلَقُوا بِهِ إِلَى ٱلْقَاضِي فَقَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي مَا حَمَلَكَ عَلَى جَدْعِ أَنْفِ ٱمْرَأَتِكَ. فَلَمْ تَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ يَحْتَجُّ بِهَا. فَأَمَرَ بِهِ ٱلْقَاضِي أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ[3] * فَلَمَّا قُدِّمَ لِلْقِصَاصِ وَافَى[4] ٱلنَّاسِكُ فَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْقَاضِي وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْحَاكِمُ لَا يَشْتَبِهَنَّ عَلَيْكَ هٰذَا ٱلْأَمْرُ فَإِنَّ ٱللِّصَّ لَيْسَ هُوَ ٱلَّذِي سَرَقَنِي. وَإِنَّ ٱلثَّعْلَبَ لَيْسَ ٱلْوَعِلَانِ قَتَلَاهُ. وَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ لَيْسَ ٱلسُّمُّ قَتَلَهَا.

---

(١) الات صناعتي (٢) صاحت وضجت (٣) اي يعاقب
(٤) اتى

وَإِنَّ امْرَأَةَ الْحَجَّامِ لَيْسَ زَوْجُهَا جَدَعَ أَنْفَهَا وَإِنَّمَا نَحْنُ فَعَلْنَا ذٰلِكَ بِأَنْفُسِنَا ، فَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ التَّفْسِيرِ فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ . فَأَمَرَ الْقَاضِي بِإِطْلَاقِ الْحَجَّامِ *

قَالَ دِمْنَةُ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ وَهُوَ شَبِيهٌ بِأَمْرِي . وَلَعَلِّي مَا ضَرَّنِي أَحَدٌ سِوَى نَفْسِي وَلٰكِنْ مَا الْحِيلَةُ * قَالَ كَلِيلَةُ أَخْبِرْنِي عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَعْزِمَ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ * قَالَ دِمْنَةُ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ الْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزْدَادَ مَنْزِلَتِي عِنْدَ الْأَسَدِ فَوْقَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ . وَلٰكِنْ أَلْتَمِسُ(١) أَنْ أَعُودَ إِلَى مَا كَانَتْ حَالِي عَلَيْهِ . فَإِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً الْعَاقِلُ جَدِيرٌ(٢) بِالنَّظَرِ فِيهَا وَالْاحْتِيَالِ(٣) لَهَا بِجُهْدِهِ . مِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا مَضَى مِنَ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنَ الضَّرِّ الَّذِي أَصَابَهُ فِيمَا سَلَفَ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ذٰلِكَ الضَّرِّ وَيَلْتَمِسَ النَّفْعَ الَّذِي مَضَى وَيَحْتَالَ لِمُعَاوَدَتِهِ . وَمِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ وَالْاسْتِيثَاقُ(٤) مِمَّا يَنْفَعُ وَالْهَرَبُ مِمَّا يَضُرُّ . وَمِنْهَا النَّظَرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ قِبَلِ النَّفْعِ وَمَا يَخَافُ مِنْ قِبَلِ الضَّرِّ لِيَسْتَتِمَّ مَا يَرْجُو وَيَتَوَقَّى مَا

(١) اطلب (٢) خليق (٣) الاتيان بالحيلة وهي الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف (٤) الامر الثابت المحكم

يخافُ بجهدِهِ

وَإِنِّي لمّا نظرتُ في الأمرِ الذي بهِ أرجو أن تعودَ منزلتي وما غُلبتُ عليهِ مِمّا كُنتُ فيهِ لم أجدْ حيلةً ولا وجهاً إلّا الاحتيالَ لآكلِ العشبِ (١) هذا حتّى أُفرّقَ بينهُ وبينَ الحياةِ فإنّهُ إنْ فارقَ الأسدَ عادتْ لي منزلتي. ولعلَّ ذلكَ يكونُ خيراً للأسدِ فإنَّ إفراطَهُ (٢) في تقريبِ الثورِ خليقٌ أنْ يشينَهُ ويضرَّهُ في أمرِهِ * قالَ كليلةُ ما أرى على الأسدِ في رأيهِ في الثورِ ومكانهِ منهُ ومنزلتهِ عندهُ شيئاً ولا شرّاً * قالَ دمنةُ إنّما يُؤتى السلطانُ (٣) ويفسدُ أمرُهُ منْ قبلِ ستّةِ أشياءَ. الحرمانِ والفتنةِ والهوى والفظاظةِ والزمانِ والخرقِ * فأمّا الحرمانُ فأنْ يُحرمَ منْ صالحي الأعوانِ والنُّصحاءِ والساسةِ (٤) منْ أهلِ الرأي والنجدةِ (٥) والأمانةِ وأنْ يكونَ منْ حولهُ فاسداً مانعاً منْ وصولِ أمورِ الملكِ إليهِ. وأنْ يحرمَ هوَ أهلَ النصيحةِ والصلاحِ منْ عنايتهِ والتفاتهِ إليهمْ * وأمّا الفتنةُ فهيَ تحاربُ رعيّتهِ ووقوعُ الخلافِ

(١) المراد به الثور (٢) مجاوزته الحد (٣) اي يأتي عليه الدهر فيهلكه
(٤) جمع سائس وهو من يتولى امر الرعية ويدبرها ويحسن النظر اليها
(٥) الشدة والباس

وَٱلنِّزَاعِ بَيْنَهُمْ * وَأَمَّا ٱلْهَوَى فَٱلْإِغْرَامُ(١) بِٱلنِّسَاءِ وَٱلْحَدِيثِ وَٱللَّهْوِ وَٱلشَّرَابِ وَٱلصَّيْدِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ * وَأَمَّا ٱلْفَظَاظَةُ فَهِيَ إِفْرَاطُ ٱلشِّدَّةِ حَتَّى يَجْمَحَ(٢) ٱللِّسَانُ بِٱلشَّتْمِ وَٱلْيَدُ بِٱلْبَطْشِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِمَا * وَأَمَّا ٱلزَّمَانُ فَهُوَ مَا يُصِيبُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلسِّنِينَ(٣) مِنَ ٱلْمُوتَانِ(٤) وَنَقْصِ ٱلثَّمَرَاتِ وَٱلْغَزَوَاتِ(٥) وَأَشْبَاهِ ذٰلِكَ * وَأَمَّا ٱلْخُرْقُ فَإِعْمَالُ ٱلشِّدَّةِ فِي مَوْضِعِ ٱللِّينِ وَٱللِّينِ فِي مَوْضِعِ ٱلشِّدَّةِ * وَإِنَّ ٱلْأَسَدَ قَدْ أُغْرِمَ بِٱلثَّوْرِ إِغْرَامًا شَدِيدًا هُوَ ٱلَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ * قَالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ تُطِيقُ ٱلثَّوْرَ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلَى ٱلْأَسَدِ مِنْكَ وَأَكْثَرُ أَعْوَانًا . قَالَ دِمْنَةُ لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِي وَضَعْفِي فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ لَيْسَتْ بِٱلضَّعْفِ وَلَا بِٱلْقُوَّةِ وَلَا ٱلصِّغَرِ وَلَا ٱلْكِبَرِ فِي ٱلْجُثَّةِ . فَرُبَّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِحِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ وَرَأْيِهِ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْأَقْوِيَاءِ . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ غُرَابًا ضَعِيفًا ٱحْتَالَ لِأَسْوَدَ(٦) حَتَّى قَتَلَهُ * قَالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا كَانَ لَهُ وَكْرٌ فِي شَجَرَةٍ عَلَى

(١) الولع (٢) يسرع (٣) اي التي فيها شدّة وضيق (٤) موت يقع في الماشية (٥) جمع غزوة من الغزو وهو السير الى العدو وقتالهم وانتهابهم في ديارهم (٦) حية عظيمة

جَبَلٍ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرُ ثُعْبَانٍ(١) أَسْوَدَ . فَكَانَ ٱلْغُرَابُ إِذَا أَفْرَخَ عَمَدَ ٱلْأَسْوَدُ إِلَى فِرَاخِهِ فَأَكَلَهَا . فَبَلَغَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْغُرَابِ(٢) فَأَحْزَنَهُ فَشَكَا ذٰلِكَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنَاتِ آوَى(٣) وَقَالَ لَهُ أُرِيدُ مُشَاوَرَتَكَ فِي أَمْرٍ قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ وَمَا هُوَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ إِذَا نَامَ فَأَنْقُرَ عَيْنَيْهِ فَأَفْقَأَهُمَا لَعَلِّي أَسْتَرِيحُ مِنْهُ . قَالَ ٱبْنُ آوَى بِئْسَ ٱلْحِيلَةُ ٱلَّتِي ٱحْتَلْتَ فَٱلْتَمِسْ أَمْرًا تُصِيبُ فِيهِ بُغْيَتَكَ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُغَرِّرَ بِنَفْسِكَ(٤) وَتُخَاطِرَ بِهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلَ ٱلْعُلْجُومِ(٥) ٱلَّذِي أَرَادَ قَتْلَ ٱلسَّرَطَانِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ . قَالَ ٱلْغُرَابُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱبْنُ آوَى زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَّشَ فِي أَجَمَةٍ كَثِيرَةِ ٱلسَّمَكِ فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ ٱلسَّمَكِ فَيَأْكُلُ مِنْهُ فَعَاشَ بِهَا مَا عَاشَ ثُمَّ هَرِمَ(٦) فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ . فَجَلَسَ حَزِينًا يَلْتَمِسُ ٱلْحِيلَةَ فِي أَمْرِهِ فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ(٧) فَرَأَى حَالَتَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْكَآبَةِ(٨) وَٱلْحُزْنِ . فَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ

(١) اي مكان حية ضخمة (٢) اي اشتد الامر عليه (٣) جمع ابن آوى حيوان برّي يعرف عند العامة بالواوي (٤) اي تعرضها للهلكة (٥) طائر ابيض (٦) اي بلغ اقصى الكبر (٧) حيوان من خلق الماء ويعرف عند بعض العامة بالسلطعون (٨) الغمّ

لَهُ مَالِي أَرَاكَ أَيُّهَا ٱلطَّائِرُ هٰكَذَا حَزِينًا كَئِيبًا . قَالَ ٱلْعُلْجُومُ وَكَيْفَ لَا أَحْزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ صَيْدِ مَا هٰهُنَا مِنَ ٱلسَّمَكِ وَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْيَوْمَ صَيَّادَيْنِ قَدْ مَرَّا بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ إِنَّ هٰهُنَا سَمَكًا كَثِيرًا أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوَّلًا . فَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَكَانِ كَذَا سَمَكًا أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا ٱلسَّمَكِ فَلْنَبْدَأْ بِذٰلِكَ فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْهُ جِئْنَا إِلَى هٰذَا فَأَفْنَيْنَاهُ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَغَا مِمَّا ثَمَّ⁽¹⁾ أَنْتَهَيَا إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَجَمَةِ فَأَصْطَادَا مَا فِيهَا . فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَهُوَ هَلَاكِي وَنَفَادُ مُدَّتِي⁽²⁾ * فَٱنْطَلَقَ ٱلسَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلسَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذٰلِكَ . فَأَقْبَلْنَ عَلَى ٱلْعُلْجُومِ فَٱسْتَشَرْنَهُ وَقُلْنَ لَهُ إِنَّا أَتَيْنَاكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنَا فَإِنَّ ذَا ٱلْعَقْلِ لَا يَدَعُ مُشَاوَرَةَ عَدُوِّهِ وَبَقَاؤُكَ بِبَقَائِنَا . قَالَ ٱلْعُلْجُومُ أَمَّا مُكَابَرَةُ⁽³⁾ ٱلصَّيَّادَيْنِ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهَا⁽⁴⁾ . وَلَا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا ٱلْمَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ⁽⁵⁾ قَرِيبٍ مِنْ هُنَا فِيهِ سَمَكٌ وَمِيَاهٌ كَثِيرَةٌ وَقَصَبٌ . فَإِنِ ٱسْتَطَعْتُنَّ ٱلْٱنْتِقَالَ إِلَيْهِ كَانَ فِيهِ صَلَاحُكُنَّ وَخِصْبُكُنَّ⁽⁶⁾ فَقُلْنَ لَهُ مَا يَمُنُّ عَلَيْنَا⁽⁷⁾ بِذٰلِكَ غَيْرُكَ فَجَعَلَ ٱلْعُلْجُومُ يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ

(١) اي من الذي هناك (٢) اي فنائي (٣) معاندة (٤) اي لا قدرة لي عليها (٥) نهر (٦) الخصب رفاهة العيش (٧) اي ما ينعم علينا

سَمَكَتَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمَا إِلَى بَعْضِ التِّلَالِ فَيَأْكُلَهُمَا. حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لِأَخْذِ السَّمَكَتَيْنِ فَجَاءَ السَّرَطَانُ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أَيْضًا قَدْ أَشْفَقْتُ[1] مِنْ مَكَانِي هٰذَا وَٱسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ فَٱذْهَبْ بِي إِلَى ذٰلِكَ الْغَدِيرِ. فَقَالَ لَهُ حُبًّا وَكَرَامَةً[2] وَٱحْتَمَلَهُ وَطَارَ بِهِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ التَّلِّ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ السَّمَكَ فِيهِ نَظَرَ السَّرَطَانُ فَرَأَى عِظَامَ السَّمَكِ مَجْمُوعَةً هُنَاكَ فَعَلِمَ أَنَّ الْعُلْجُومَ هُوَ صَاحِبُهَا وَأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ فِي الْمَوَاطِنِ[3] الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا هَالِكٌ سَوَاءٌ قَاتَلَ أَمْ لَمْ يُقَاتِلْ كَانَ حَقِيقًا[4] أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ كَرَمًا وَحِفَاظًا[5]. وَلَا يُمَكِّنُهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِيلَةِ فِي قِتَالِهِ. لِأَنَّهُ قَدْ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى التَّلَفِ فَلَعَلَّ خَلَاصَهُ فِي ذٰلِكَ الْقِتَالِ وَالْهَلَاكُ وَاقِعٌ بِهِ كَيْفَ كَانَ. فَلَمْ يَزَلْ يَحْتَالُ عَلَى الْعُلْجُومِ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ عُنُقِهِ فَأَهْوَى[6] بِكَلْبَتَيْهِ[7] عَلَيْهَا فَعَصَرَهَا فَمَاتَ. وَتَخَلَّصَ السَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذٰلِكَ

(١) خفت (٢) الحبّ الجرّة والكرامة غطاؤها قيل ان احدهم طلب من آخر حبًّا اي جرة فقال له حبا وكرامة اي خذ فذهب مثلاً يضرب لمن يطلب شيئًا فيعطي شيئين وقيل غير ذلك (٣) الاماكن (٤) اي الاولى به (٥) اي عزّة ودفاعًا عن نفسه (٦) اي هجم (٧) اي بظفريه

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْحِيلَةِ مُهْلِكَةٌ لِلْمُحْتَالِ . وَلٰكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ الْأَسَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ وَتَكُونُ فِيهِ سَلَامَتُكَ . قَالَ الْغُرَابُ وَمَا ذَاكَ . قَالَ ابْنُ آوَى تَنْطَلِقُ فَتَتَبَصَّرُ(١) فِي طَيَرَانِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنْ حُلِيِّ(٢) النِّسَاءِ فَتَخْطَفُهُ وَلَا تَزَالُ طَائِرًا وَاقِعًا(٣) بِحَيْثُ لَا تَفُوتُ الْعُيُونَ . فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ تَبِعُوكَ تَأْتِي جُحْرَ الْأَسْوَدِ فَتَرْمِي بِالْحُلِيِّ عِنْدَهُ : فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذٰلِكَ أَخَذُوا حُلِيَّهُمْ وَأَرَاحُوكَ مِنَ الْأَسْوَدِ . فَانْطَلَقَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا(٤) فِي السَّمَاءِ فَوَجَدَ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ الْعُظَمَاءِ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ تَغْتَسِلُ وَقَدْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وَحُلِيَّهَا نَاحِيَةً فَانْقَضَّ(٥) وَاخْتَطَفَ مِنْ حُلِيِّهَا عِقْدًا(٦) وَطَارَ بِهِ . فَتَبِعَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا وَاقِعًا بِحَيْثُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جُحْرِ الْأَسْوَدِ فَأَلْقَى الْعِقْدَ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَتَوْا أَخَذُوا الْعِقْدَ وَقَتَلُوا الْأَسْوَدَ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْحِيلَةَ تُجْزِئُ(٧)

---

(١) اي تطلب ان ترى (٢) مصاغ (٣) من وقع الطائر اذا نزل على شجر او ارض (٤) اي صرت مستديرا بطيرانه كالحلقة (٥) سقط بسرعة (٦) قلادة توضع في العنق (٧) تغني

مَا لَا تُجْزِئُ ٱلْقُوَّةُ * قَالَ كَلِيلَةُ إِنَّ ٱلثَّوْرَ لَوْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ وَلٰكِنَّ لَهُ مَعَ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْعَقْلِ فَمَاذَا تَسْتَطِيعُ لَهُ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ ٱلثَّوْرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ فِي قُوَّتِهِ وَرَأْيِهِ وَلٰكِنَّهُ مُقِرٌّ لِي بِٱلْفَضْلِ وَأَنَا خَلِيقٌ أَنْ أَصْرَعَهُ(١) كَمَا صَرَعَتِ ٱلْأَرْنَبُ ٱلْأَسَدَ. قَالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ *

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْعُشْبِ وَكَانَ فِي تِلْكَ ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْوُحُوشِ فِي سَعَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْمَرْعَى شَيْءٌ كَثِيرٌ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذٰلِكَ لِخَوْفِهَا مِنَ ٱلْأَسَدِ. فَٱجْتَمَعَتْ وَأَتَتْ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ إِنَّكَ لَتُصِيبُ مِنَّا ٱلدَّابَّةَ بَعْدَ ٱلْجَهْدِ وَٱلتَّعَبِ. وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا. فَإِنْ أَنْتَ أَمَّنْتَنَا وَلَمْ تُخِفْنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نُرْسِلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ. فَرَضِيَ ٱلْأَسَدُ بِذٰلِكَ وَصَالَحَ ٱلْوَحْشَ عَلَيْهِ وَوَفَيْنَ لَهُ بِهِ * ثُمَّ إِنَّ أَرْنَبًا أَصَابَتْهَا ٱلْقُرْعَةُ(٢) وَصَارَتْ غَدَاءَ ٱلْأَسَدِ. فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ إِنْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ(٣) بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكُنَّ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ ٱلْأَسَدِ.

---

(١) اهلكه (٢) حيلة يتعين بها سهم الانسان ونصيبه (٣) عاملتني بالرفق

فَقَالَتِ ٱلْوُحُوشُ وَمَا ٱلَّذِي تُكَلِّفِينَنَا مِنَ ٱلْأُمُورِ. قَالَتْ تَأْمُرْنَ ٱلَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى ٱلْأَسَدِ أَنْ يُمْهِلَنِي رَيْثَمَا(١) أُبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ ٱلْإِبْطَاءِ. فَقُلْنَ لَهَا ذٰلِكَ لَكِ. فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْأَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً(٢) حَتَّى جَاوَزَتِ ٱلْوَقْتَ ٱلَّذِي كَانَ يَتَغَذَّى فِيهِ ٱلْأَسَدُ. ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحْدَهَا رُوَيْدًا(٣) وَقَدْ جَاعَ فَغَضِبَ وَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا فَقَالَ لَهَا مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ. قَالَتْ أَنَا رَسُولُ ٱلْوُحُوشِ إِلَيْكَ وَقَدْ بَعَثْنَنِي وَمَعِي أَرْنَبٌ لَكَ فَتَبِعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي وَقَالَ أَنَا أَوْلَى بِهٰذِهِ ٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ ٱلْوَحْشِ. فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ هٰذَا غَدَاءُ ٱلْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ ٱلْوُحُوشُ إِلَيْهِ فَلَا تُغْضِبَنَّهُ فَسَبَّكَ وَشَتَمَكَ فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً لِأُخْبِرَكَ. فَقَالَ ٱلْأَسَدُ ٱنْطَلِقِي مَعِي فَأَرِينِي مَوْضِعَ هٰذَا ٱلْأَسَدِ. فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْأَرْنَبُ إِلَى جُبٍّ(٤) فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ(٥) صَافٍ. فَٱطَّلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ هٰذَا ٱلْمَكَانُ. فَٱطَّلَعَ ٱلْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ ٱلْأَرْنَبِ فِي ٱلْمَاءِ فَلَمْ يَشُكَّ فِي قَوْلِهَا وَوَثَبَ(٦) عَلَى ٱلْأَسَدِ لِيُقَاتِلَهُ فَغَرِقَ فِي ٱلْجُبِّ. فَٱنْقَلَبَتِ(٧) ٱلْأَرْنَبُ إِلَى ٱلْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَا(٨) بِٱلْأَسَدِ

(١) اي مقداراً من الزمان (٢) اي غير متسرعة (٣) متأنية
(٤) بئر (٥) كثير (٦) قفز (٧) رجعت (٨) فعلها

قالَ كليلةُ إنْ قدرتَ على هلاكِ الثورِ بشيءٍ ليسَ فيهِ مضرّةٌ للأسدِ فشأنك[1] فإنَّ الثورَ قد أضرَّ بي وبكَ وبغيرِنا من الجندِ وإنْ أنتَ لم تقدِرْ على ذلكَ إلاّ بهلاكِ الأسدِ فلا تُقدِمْ[2] عليهِ فإنّهُ غدرٌ مني ومنكَ

ثمَّ إنَّ دمنةَ تركَ الدخولَ على الأسدِ أيّاماً كثيرةً. ثمَّ أتاهُ على خلوةٍ منهُ فقالَ لهُ الأسدُ ما حبسكَ عني منذُ زمانٍ لم أرَكَ. ألا لخيرٍ كانَ انقطاعُكَ. قالَ دمنةُ ليكنْ خيراً أيّها الملكُ. قالَ الأسدُ وهل حدثَ أمرٌ. قالَ دمنةُ حدثَ ما لم يكنِ الملكُ يريدُهُ ولا أحدٌ من جندِهِ. قالَ وما ذاكَ. قالَ كلامٌ فظيعٌ. قالَ أخبرْني بهِ. قالَ دمنةُ إنّهُ كلُّ كلامٍ يكرهُهُ سامعُهُ لا يجسرُ[2] عليهِ قائلُهُ وإنْ كانَ ناصحاً مشفقاً[3] إلاّ إذا كانَ المقولُ لهُ عاقلاً. فإنِ اتّفقَ ذلكَ حملَ القولَ على محملِ المحبّةِ وعلمَ ما فيهِ من النصيحةِ لأنَّ ما كانَ فيهِ من نفعٍ فهوَ لهُ وإنّكَ أيّها الملكُ لذو فضيلةٍ ورأيُكَ يدلُّكَ على أنْ يُوجعني أنْ أقولَ ما تكرهُهُ وإنّي واثقٌ بكَ أنّكَ تعرفُ نصحي

(١) اي افعل ما تريد (٢) اي لا تجترىء (٣) حريصاً على اصلاحه

وَإِيثَارِي(١) إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي. وَإِنَّهُ لَيَعْرِضُ(٢) لِي أَنَّكَ غَيْرُ مُصَدِّقِي فِيمَا أُخْبِرُكَ بِهِ. وَلٰكِنِّي إِذَا تَذَكَّرْتُ وَتَفَكَّرْتُ أَنَّ نُفُوسَنَا مَعَاشِرَ الْوُحُوشِ مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَدَاءِ(٣) النُّصْحِ الَّذِي يَلْزَمُنِي وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي أَوْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْبَلَهُ مِنِّي. فَإِنَّهُ يُقَالُ مَنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ وَالْأَطِبَّاءَ مَرَضَهُ وَالْإِخْوَانَ رَأْيَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ. قَالَ الْأَسَدُ فَمَا ذَاكَ. قَالَ دِمْنَةُ حَدَّثَنِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ عِنْدِي أَنَّ شَتْرَبَةَ خَلَا بِرُؤُوسِ جُنْدِكَ وَقَالَ لَهُمْ إِنِّي قَدْ خَبَرْتُ(٤) الْأَسَدَ وَبَلَوْتُ(٥) رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ(٦) وَقُوَّتَهُ فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذٰلِكَ يَؤُولُ(٧) مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجْزٍ وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَأْنٌ(٨) مِنَ الشُّؤُونِ

فَلَمَّا بَلَغَنِي ذٰلِكَ عَلِمْتُ أَنَّ شَتْرَبَةَ خَوَّانٌ غَدَّارٌ وَأَنَّكَ أَكْرَمْتَهُ الْكَرَامَةَ كُلَّهَا وَجَعَلْتَهُ نَظِيرَ نَفْسِكَ فَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِثْلُكَ وَأَنَّكَ مَتَى زُلْتَ عَنْ مَكَانِكَ كَانَ لَهُ مُلْكُكَ. وَلَا يَدَعُ جُهْدًا(٩) إِلَّا بَلَغَهُ فِيكَ. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِذَا عَرَفَ الْمَلِكُ مِنْ أَحَدِ رَعِيَّتِهِ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْحَالِ فَلْيَصْرَعْهُ. فَإِنْ هُوَ

---

(١) تفضيلي (٢) اي يظهر (٣) ايصال (٤) امتحنت (٥) جربت
(٦) مكره وحيلته (٧) يرجع (٨) امر (٩) طاقة واحتياطا

لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذٰلِكَ كَانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ. وَشَتْرَبَةُ أَعْلَمُ بِالْأُمُورِ وَأَبْلَغُ فِيهَا. وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ وَوُقُوعِهِ. فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ وَأَنْ لَا تَسْتَدْرِكَهُ[١] * فَإِنَّهُ يُقَالُ الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ حَازِمٌ وَأَحْزَمُ مِنْهُ وَعَاجِزٌ. فَالْحَازِمُ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ[٢] لَهُ وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ شَعَاعًا[٣] وَلَمْ تَعْيَ بِهِ[٤] حِيلَتُهُ وَمَكِيدَتُهُ الَّتِي يَرْجُو بِهَا الْمَخْرَجَ مِنْهُ. وَأَحْزَمُ مِنْ هٰذَا الْمِقْدَامُ[٥] ذُو الْعُدَّةِ الَّذِي يَعْرِفُ الْابْتِلَاءَ[٦] قَبْلَ وُقُوعِهِ فَيُعْظِمُهُ[٧] إِعْظَامًا وَيَحْتَالُ لَهُ حِيلَةً حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ فَيَحْسِمُ[٨] الدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ وَيَدْفَعُ الْأَمْرَ قَبْلَ وُقُوعِهِ. وَأَمَّا الْعَاجِزُ فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوَانٍ[٩] حَتَّى يَهْلِكَ * وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ مَثَلُ السَّمَكَاتِ الثَّلَاثِ. قَالَ الْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ فِيهِ ثَلَاثٌ مِنَ السَّمَكِ كَيِّسَةٌ[١٠] وَأَكْيَسُ مِنْهَا وَعَاجِزَةٌ. وَكَانَ ذٰلِكَ الْغَدِيرُ بِنَجْوَةٍ[١١] مِنَ الْأَرْضِ لَا يَكَادُ يَقْرَبُهُ أَحَدٌ وَبِقُرْبِهِ نَهْرٌ جَارٍ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَازَ[١٢] بِذٰلِكَ النَّهْرِ صَيَّادَانِ فَأَبْصَرَا الْغَدِيرَ فَتَوَاعَدَا أَنْ يَرْجِعَا

(١) تلافاه (٢) يتحير (٣) متفرقًا (٤) تعجز (٥) الشجاع الكثير الاقدام (٦) المحنة (٧) اي يعده عظيماً (٨) يقطع (٩) فتور وتقصير (١٠) عاقلة حسنة التأني (١١) ما ارتفع من الارض (١٢) مرّ

إِلَيْهِ بِشِبَاكِهِمَا فَيَصِيدَا مَا فِيهِ مِنَ ٱلسَّمَكِ . فَسَمِعَ ٱلسَّمَكَاتُ قَوْلَهُمَا فَأَمَّا أَكْيَسُهُنَّ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُمَا ٱرْتَابَتْ(١) بِهِمَا وَتَخَوَّفَتْ مِنْهُمَا فَلَمْ تُعَرِّجْ(٢) عَلَى شَيْءٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ ٱلْمَاءُ مِنَ ٱلنَّهْرِ إِلَى ٱلْغَدِيرِ فَنَجَتْ بِنَفْسِهَا . وَأَمَّا ٱلْكَيِّسَةُ ٱلْأُخْرَى فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا وَتَهَاوَنَتْ فِي ٱلْأَمْرِ حَتَّى جَاءَ ٱلصَّيَّادَانِ . فَلَمَّا رَأَتْهُمَا وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ ٱلْمَاءُ فَإِذَا بِهِمَا قَدْ سَدَّا ذٰلِكَ ٱلْمَكَانَ فَحِينَئِذٍ قَالَتْ فَرَّطْتُ(٣) وَهٰذِهِ عَاقِبَةُ ٱلتَّفْرِيطِ فَكَيْفَ ٱلْحِيلَةُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ وَقَلَّمَا تَنْجَحُ حِيلَةُ ٱلْعَجَلَةِ وَٱلْإِرْهَاقِ(٤) * غَيْرَ أَنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَقْنَطُ(٥) مِنْ مَنَافِعِ ٱلرَّأْيِ وَلَا يَيْأَسُ عَلَى حَالٍ وَلَا يَدَعُ ٱلرَّأْيَ وَٱلْجُهْدَ . ثُمَّ إِنَّهَا تَمَاوَتَتْ(٦) فَطَفَتْ(٧) عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ مُنْقَلِبَةً عَلَى ظَهْرِهَا تَارَةً وَتَارَةً عَلَى بَطْنِهَا . فَأَخَذَهَا ٱلصَّيَّادَانِ وَظَنَّاهَا مَيِّتَةً فَوَضَعَاهَا عَلَى ٱلْأَرْضِ بَيْنَ ٱلنَّهْرِ وَٱلْغَدِيرِ فَوَثَبَتْ(٨) إِلَى ٱلنَّهْرِ فَنَجَتْ . وَأَمَّا ٱلْعَاجِزَةُ فَلَمْ تَزَلْ فِي إِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ حَتَّى صِيدَتْ *

---

(١) شكّت (٢) اي لم تقف (٣) قصرت (٤) التاخر (٥) اي لا يقطع الامل (٦) ادّعت الموت وليس بها (٧) عامت (٨) قفزت

قالَ ٱلْأَسدُ قدْ فَهِمْتُ ذٰلِكَ وَلاَ أَظُنُّ ٱلثَّوْرَ يَغشُّنِي وَلاَ يَرْجُو لِيَ ٱلْغَوَائِلَ(١) . وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ وَلَمْ يَرَ مِنِّي سُوءًا قَطُّ وَلَمْ أَدَعْ خَيْرًا إِلَّا فَعَلْتُهُ مَعَهُ وَلاَ أُمْنِيَّةً(٢) إِلَّا بَلَّغْتُهُ إِيَّاهَا . قَالَ دِمْنَةُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ(٣) عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ إِكْرَامِكَ لَهُ وَتَبْلِيغِكَ إِيَّاهُ كُلَّ مَنْزِلَةٍ خَلاَ مَنْزِلَتَكَ وَإِنَّهُ مُتَطَلِّعٌ(٤) إِلَيْهَا فَإِنَّ ٱللَّئِيمَ لاَ يَزَالُ نَافِعًا نَاصِحًا حَتَّى يُرْفَعَ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ . فَإِذَا بَلَغَهَا ٱشْرَأَبَّتْ(٥) نَفْسُهُ إِلَى مَا فَوْقَهَا وَلاَ سِيَّمَا أَهْلِ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْفُجُورِ(٦) . فَإِنَّ ٱللَّئِيمَ ٱلْفَاجِرَ لاَ يَخْدُمُ ٱلسُّلْطَانَ وَلاَ يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا مِنْ فَرَقٍ(٧) أَوْ حَاجَةٍ فَإِذَا ٱسْتَغْنَى وَذَهَبَتِ ٱلْهَيْبَةُ وَٱلْحَاجَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ(٨) . كَذَنَبِ ٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي يُرْبَطُ لِيَسْتَقِيمَ فَلاَ يَزَالُ مُسْتَوِيًا مَا دَامَ مَرْبُوطًا فَإِذَا حُلَّ ٱنْحَنَى وَتَعَوَّجَ كَمَا كَانَ .

وَٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ نُصَحَائِهِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ لَمْ يَحْمَدْ غِبَّ(٩) رَأْيِهِ . كَالْمَرِيضِ ٱلَّذِي يَدَعُ مَا يَصِفُ لَهُ ٱلطَّبِيبُ وَيَعْمِدُ لِمَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ . وَحَقٌّ عَلَى

---

(١) المهالك (٢) بغية وما يتمناه (٣) يغريه (٤) رافع بصره ينظر اليها
(٥) ارتفعت (٦) المعاصي (٧) خوف (٨) اصله (٩) عاقبة

مُؤَازِرِ [١] ٱلسُّلْطَانِ أَنْ يُبَالِغَ فِي ٱلتَّحْضِيضِ [٢] لَهُ عَلَى مَا يَزِيدُ بِهِ سُلْطَانَهُ قُوَّةً وَيَزِينُهُ وَٱلْكَفِّ عَمَّا يَضُرُّهُ وَيَشِينُهُ [٣] . وَخَيْرُ ٱلْإِخْوَانِ وَٱلْأَعْوَانِ أَقَلُّهُمْ مُدَاهَنَةً [٤] فِي ٱلنَّصِيحَةِ وَخَيْرُ ٱلْأَعْمَالِ أَحْمَدُهَا عَاقِبَةً . وَخَيْرُ ٱلنِّسَاءِ ٱلْمُوَافِقَةُ لِبَعْلِهَا . وَخَيْرُ ٱلثَّنَاءِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ ٱلْأَخْيَارِ . وَأَفْضَلُ ٱلْمُلُوكِ مَنْ لَا يُخَالِطُهُ بَطَرٌ [٥] وَلَا يَسْتَكْبِرُ عَنْ قَبُولِ ٱلنَّصِيحَةِ . وَخَيْرُ ٱلْأَخْلَاقِ أَعْوَنُهَا عَلَى ٱلْوَرَعِ [٦] * وَقَدْ قِيلَ لَوْ أَنَّ ٱمْرَءًا تَوَسَّدَ ٱلنَّارَ [٧] وَٱفْتَرَشَ ٱلْحَيَّاتِ [٨] كَانَ أَحَقَّ أَنْ يَهْنِئَهُ ٱلنَّوْمُ مِمَّنْ يُحِسُّ مِنْ صَاحِبِهِ بِعَدَاوَةٍ يُرِيدُهُ بِهَا وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ . وَأَعْجَزُ ٱلْمُلُوكِ آخَذُهُمْ [٩] بِٱلْهُوَيْنَا [١٠] وَأَقَلُّهُمْ نَظَرًا فِي مُسْتَقْبَلِ ٱلْأُمُورِ وَأَشْبَهُهُمْ بِٱلْفِيلِ ٱلْهَائِجِ ٱلَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ . فَإِنْ أَحْزَنَهُ أَمْرٌ تَهَاوَنَ بِهِ [١١] وَإِنْ أَضَاعَ ٱلْأُمُورَ حَمَلَ ذَٰلِكَ عَلَى قُرَنَائِهِ [١٢] * قَالَ ٱلْأَسَدُ لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي ٱلْقَوْلِ وَقَوْلُ ٱلنَّاصِحِ مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ وَإِنْ كَانَ شَتْرَبَةُ مُعَادِيًا لِي كَمَا تَقُولُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضُرَّنِي وَلَا أَنْ

---

(١) معاون (٢) الحث (٣) يعيبه (٤) غشا وتدليسا (٥) طغيان بالنعمة (٦) التقوى (٧) اتخذها وسادة اي مخدة (٨) اتخذها فراشا (٩) اكثرهم اخذا (١٠) الرفق والمراد بها هنا الفتور (١١) استحقره واستهزأ به (١٢) جمع قرين وهو العشير

يفتّ في ساعدي[1] وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم وإنّما هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة. ثمّ ليس إلى الغدر به سبيل بعد الأمان الذي جعلته له وبعد اكرامي له وثنائي عليه وإن غيّرت ما كان منّي وبدّلته فقد سفّهت رأيي[2] وجهّلت نفسي[3] وغدرت بذمّتي ونقضت[4] عهدي * قال دمنة لا يغرّنّك قولك هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة. فإنّ شتربة إن لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره. ويقال إن استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن أن يصيبك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث. قال الأسد وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أنّ قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهرًا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدبّ دبيبًا رفيقًا[5]. فمكثت كذلك حينًا حتّى استضافها ليلة من الليالي برغوث فقالت له بت الليلة عندنا في دم طيّب وفراش ليّن. فأقام البرغوث عندها حتّى إذا أوى الرجل إلى فراشه وثب

---

(١) يضعفني (٢) نسبته الى السفه وهو خفة الحلم او الجهل (٣) اي نسبتها الى الجهل (٤) ابطلته (٥) لطيفًا بحيث لا يشعر بها

عَلَيْهِ ٱلْبُرْغُوثُ فَلَدَغَهُ لَدْغَةً أَيْقَظَتْهُ وَأَطَارَتِ ٱلنَّوْمَ عَنْهُ فَقَامَ ٱلرَّجُلُ وَأَمَرَ أَنْ يُفَتَّشَ فِرَاشُهُ فَنُظِرَ فَلَمْ يُرَ إِلاَّ ٱلْقَمْلَةُ فَأُخِذَتْ فَقُصِعَتْ (١) وَفَرَّ ٱلْبُرْغُوثُ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ ٱلشَّرِّ لاَ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ أَحَدٌ. وَإِنْ هُوَ ضَعُفَ عَنْ ذٰلِكَ جَاءَ ٱلشَّرُّ بِسَبَبِهِ. وَإِنْ كُنْتَ لاَ تَخَافُ مِنْ شَتْرَبَةَ فَخَفْ غَيْرَهُ مِنْ جُنْدِكَ ٱلَّذِينَ قَدْ حَرَّشَهُمْ عَلَيْكَ (٢) وَحَمَلَهُمْ عَلَى عَدَاوَتِكَ * فَوَقَعَ فِي نَفْسِ ٱلْأَسَدِ كَلاَمُ دِمْنَةَ فَقَالَ فَمَا ٱلَّذِي تَرَى إِذَنْ وَبِمَاذَا تُشِيرُ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ ٱلضِّرْسَ ٱلْمَأْكُولَ (٣) لاَ يَزَالُ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي أَلَمٍ وَأَذًى حَتَّى يَقْلَعَهُ. وَٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي قَدْ عَفِنَ فِي ٱلْبَطْنِ ٱلرَّاحَةُ فِي قَذْفِهِ. وَٱلْعَدُوَّ ٱلْمُخِيفَ دَوَاؤُهُ قَتْلُهُ. قَالَ ٱلْأَسَدُ لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَكْرَهُ مُجَاوَرَةَ شَتْرَبَةَ إِيَّايَ. وَأَنَا مُرْسِلٌ إِلَيْهِ وَذَاكِرٌ لَهُ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ. ثُمَّ آمُرُهُ بِٱللَّحَاقِ (٤) حَيْثُ أَحَبَّ

فَكَرِهَ دِمْنَةُ ذٰلِكَ وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْأَسَدَ مَتَى كَلَّمَ شَتْرَبَةَ فِي ذٰلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَوَابًا عَرَفَ بَاطِلَ مَا أَتَى هُوَ بِهِ وَٱطَّلَعَ عَلَى غَدْرِهِ وَكَذِبِهِ وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ. فَقَالَ لِلْأَسَدِ أَمَّا إِرْسَالُكَ

(١) اي قتلت بالظفر (٢) اغراهم بك (٣) المنخور (٤) الادراك

إِلَى شَتْرَبَةَ فَلَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا وَلَا حَزْمًا . فَلْيَنْظُرِ الْمَلِكُ فِي ذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ لَكَ فِي نَفْسِكَ الْخِيَارُ(١) مَا دَامَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَهُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ . فَإِنَّهُ مَتَى عَلِمَ ذٰلِكَ خِفْتُ أَنْ يُعَاجِلَ الْمَلِكَ بِالْمُكَابَرَةِ(٢) . وَهُوَ إِنْ قَاتَلَكَ قَاتَلَكَ مُسْتَعِدًّا وَإِنْ فَارَقَكَ فَارَقَكَ فِرَاقًا يَلِيكَ(٣) مِنْهُ النَّقْصُ وَيَلْزَمُكَ مِنْهُ الْعَارُ . مَعَ أَنَّ ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الْمُلُوكِ لَا يُعْلِنُونَ عُقُوبَةَ مَنْ لَمْ يُعْلِنْ ذَنْبَهُ . وَلٰكِنْ لِكُلِّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ عُقُوبَةٌ . فَلِذَنْبِ الْعَلَانِيَةِ عُقُوبَةُ الْعَلَانِيَةِ وَلِذَنْبِ السِّرِّ عُقُوبَةُ السِّرِّ * قَالَ الْأَسَدُ إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا عَاقَبَ أَحَدًا عَنْ ظِنَّةٍ(٤) ظَنَّهَا مِنْ غَيْرِ تَيَقُّنٍ لِجُرْمِهِ(٥) فَنَفْسَهُ عَاقَبَ وَإِيَّاهَا ظَلَمَ وَكَانَ نَاقِصَ الْبَصِيرَةِ * قَالَ دِمْنَةُ أَمَّا إِذَا كَانَ هٰذَا رَأْيَ الْمَلِكِ فَلَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ شَتْرَبَةُ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَكَ مِنْهُ غِرَّةٌ(٦) أَوْ غَفْلَةٌ . فَإِنِّي لَا أَحْسَبُ الْمَلِكَ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظِيمَةٍ . وَمِنْ عَلَامَاتِ ذٰلِكَ أَنَّكَ تَرَى هَيْئَتَهُ مُتَغَيِّرَةً وَتَرَى أَوْصَالَهُ(٧) تُرْعَدُ(٨) وَتَرَاهُ مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا وَتَرَاهُ يُصَوِّبُ قَرْنَيْهِ(٩) فِعْلَ

(١) اي ان الامر مفوّضٌ اليك (٢) بالمعاندة (٣) يلحقك (٤) تهمة
(٥) ذنبه (٦) بمعنى الغفلة (٧) مفاصله (٨) تضطرب وتهتزّ (٩) يحكمهما نحوك

الَّذِي هَمَّ بِالنِّطَاحِ وَالْقِتَالِ * قَالَ الْأَسَدُ سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنَّ مَا فِي أَمْرِهِ شَكٌّ

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ تَحْرِيشِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ وَأَنَّ الْأَسَدَ سَيَتَحَذَّرُ مِنَ الثَّوْرِ وَيَتَهَيَّأُ لَهُ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الثَّوْرَ لِيُغْرِيَهُ بِالْأَسَدِ (١) . وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِتْيَانُهُ مِنْ قِبَلِ الْأَسَدِ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَهُ ذٰلِكَ فَيَتَأَذَّى بِهِ . فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَلَا آتِي شَتْرَبَةَ فَأَنْظُرَ إِلَى حَالِهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَعَ كَلَامَهُ لَعَلِّي أَنْ أَطَّلِعَ عَلَى سِرِّهِ فَأُطْلِعَ الْمَلِكَ عَلَى ذٰلِكَ وَعَلَى مَا يَظْهَرُ لِي مِنْهُ . فَأَذِنَ لَهُ الْأَسَدُ فِي ذٰلِكَ . فَانْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى شَتْرَبَةَ كَالْكَئِيبِ (٢) الْحَزِينِ . فَلَمَّا رَآهُ الثَّوْرُ رَحَّبَ بِهِ (٣) وَقَالَ مَا كَانَ سَبَبُ انْقِطَاعِكَ عَنِّي فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ أَسَلَامَةٌ هُوَ . قَالَ دِمْنَةُ وَمَتَى كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَأَمْرُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُوثَقُ بِهِ . وَلَا يَنْفَكُّ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ حَتَّى مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمَنُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ *

---

(١) يحرشه ويهيجه عليه (٢) اي كالمغموم المنكسر الخاطر (٣) اي قال له مرحبا

قَالَ شَتْرَبَةُ وَمَا ٱلَّذِي حَدَثَ * قَالَ دِمْنَةُ حَدَثَ مَا قُدِّرَ وَهُوَ كَائِنٌ . وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي غَالَبَ ٱلْقَدَرَ * وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي بَلَغَ مِنَ ٱلدُّنْيَا جَسِيماً مِنَ ٱلْأُمُورِ فَلَمْ يَبْطَرْ * وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي بَلَغَ مُنَاهُ فَلَمْ يَغْتَرَّ(١) * وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَخْسَرْ * وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي حَادَثَ ٱلنِّسَاءَ فَلَمْ يُصَبْ(٢) * وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي طَلَبَ مِنَ ٱللِّئَامِ(٣) فَلَمْ يُحْرَمْ * وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي خَالَطَ ٱلْأَشْرَارَ فَسَلِمَ * وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي صَحِبَ ٱلسُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ مِنْهُ ٱلْأَمْنُ وَٱلْإِحْسَانُ * وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي قَالَ مَثَلُ ٱلسَّلَاطِينِ فِي قِلَّةِ وَفَائِهِمْ لِمَنْ صَحِبَهُمْ وَسَخَاءِ أَنْفُسِهِمْ بِمَنْ فَقَدُوا مِنْ قُرَنَائِهِمْ كَمَثَلِ صَاحِبِ ٱلْخَانِ كُلَّمَا فَقَدَ وَاحِداً جَاءَ آخَرُ * قَالَ شَتْرَبَةُ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ كَلَاماً يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَابَكَ(٤) مِنَ ٱلْأَسَدِ رَائِبٌ وَهَالَكَ(٥) مِنْهُ أَمْرٌ * قَالَ دِمْنَةُ أَجَلْ(٦) لَقَدْ رَابَنِي مِنْهُ ذٰلِكَ وَلَيْسَ هُوَ فِي أَمْرِ نَفْسِي * قَالَ شَتْرَبَةُ فَفِي نَفْسِ مَنْ رَابَكَ * قَالَ دِمْنَةُ قَدْ تَعْلَمُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَتَعْلَمُ حَقَّكَ عَلَيَّ وَمَا كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ ٱلْعَهْدِ وَٱلْمِيثَاقِ أَيَّامَ أَرْسَلَنِي ٱلْأَسَدُ إِلَيْكَ . فَلَمْ أَجِدْ بُدّاً مِنْ حِفْظِكَ وَإِطْلَاعِكَ

(١) اي فلم يغفل ولم يخدع (٢) اي فلم تحل به المصائب (٣) البخلاء الادنياء (٤) اوقعك في الريب اي الشك وقلق النفس (٥) افزعك وعظم عليك (٦) نعم

عَلَى مَا ٱطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ * قَالَ شَتْرَبَةُ وَمَا ٱلَّذِي بَلَغَكَ * قَالَ دِمْنَةُ حَدَّثَنِي ٱلْخَبِيرُ ٱلصَّدُوقُ ٱلَّذِي لَا مِرْيَةَ[(١)] فِي قَوْلِهِ أَنَّ ٱلْأَسَدَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ[(٢)] قَدْ أَعْجَبَنِي سِمَنُ ٱلثَّوْرِ وَلَيْسَ لِي إِلَى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ فَأَنَا آكِلُهُ وَمُطْعِمٌ أَصْحَابِي مِنْ لَحْمِهِ. فَلَمَّا بَلَغَنِي هٰذَا ٱلْقَوْلُ وَعَرَفْتُ غَدْرَهُ وَسُوءَ عَهْدِهِ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ لِأَقْضِيَ حَقَّكَ وَتَحْتَالَ أَنْتَ لِأَمْرِكَ

فَلَمَّا سَمِعَ شَتْرَبَةُ كَلَامَ دِمْنَةَ وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ دِمْنَةُ جَعَلَ لَهُ مِنَ ٱلْعَهْدِ وَٱلْمِيثَاقِ وَفَكَّرَ فِي أَمْرِ ٱلْأَسَدِ ظَنَّ أَنَّ دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ وَنَصَحَ لَهُ وَرَأَى أَنَّ ٱلْأَمْرَ شَبِيهٌ بِمَا قَالَ دِمْنَةُ. فَأَهَمَّهُ ذٰلِكَ وَقَالَ مَا كَانَ لِلْأَسَدِ أَنْ يَغْدِرَ بِي وَلَمْ آتِ إِلَيْهِ ذَنْبًا وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ مُنْذُ صَحِبْتُهُ وَلَا أَظُنُّ ٱلْأَسَدَ إِلَّا قَدْ حُمِلَ عَلَيَّ[(٣)] بِٱلْكَذِبِ وَشُبِّهَ[(٤)] عَلَيْهِ أَمْرِي فَإِنَّ ٱلْأَسَدَ قَدْ صَحِبَهُ قَوْمُ سُوءٍ وَجَرَّبَ مِنْهُمُ ٱلْكَذِبَ وَأُمُورًا تُصَدِّقُ إِذَا بَلَغَتْهُ عَنْ غَيْرِهِمْ. فَإِنَّ صُحْبَةَ ٱلْأَشْرَارِ رُبَّمَا أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا سُوءَ ظَنٍّ بِٱلْأَخْيَارِ وَحَمَلَهُ مَا يَخْتَبِرُهُ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْخَطَاءِ فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ كَخَطَاءِ ٱلْبَطَّةِ ٱلَّتِي زَعَمُوا

(١) اي لا شك (٢) الذين يجالسون معه (٣) اي اغروه ليوقع بي
(٤) التبس

أَنَّهَا رَأَتْ فِي ٱلْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذٰلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ فَتَرَكَتْهُ. ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ سَمَكَةً فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلُ ٱلَّذِي رَأَتْهُ بِٱلْأَمْسِ فَتَرَكَتْهَا وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا *

فَإِنْ كَانَ ٱلْأَسَدُ قَدْ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبٌ فَصَدَّقَهُ عَلَيَّ وَسَمِعَهُ فِيَّ فَمَا جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَيَّ. وَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ وَأَرَادَ ٱلسُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فَإِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ أَعْجَبِ ٱلْأُمُورِ. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِنَّ مِنَ ٱلْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ ٱلرَّجُلُ رِضَى صَاحِبِهِ وَلَا يَرْضَى. وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضَاهُ فَيَسْخَطَ. فَإِذَا كَانَتِ ٱلْمَوْجِدَةُ[1] عَنْ عِلَّةٍ كَانَ ٱلرِّضَى مَوْجُودًا وَٱلْعَفْوُ مَأْمُولًا. وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ٱنْقَطَعَ ٱلرَّجَاءُ. لِأَنَّ ٱلْعِلَّةَ إِذَا كَانَتِ ٱلْمَوْجِدَةُ فِي وُرُودِهَا[2] كَانَ ٱلرِّضَى مَأْمُولًا فِي صُدُورِهَا. وَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْأَسَدِ جُرْمًا وَلَا كَبِيرَ ذَنْبٍ وَلَا صَغِيرَهُ. وَلَعَمْرِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطَالَ صُحْبَةَ صَاحِبٍ أَنْ يَحْتَرِسَ[3] فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَلَا أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ أَنْ يَكُونَ

(١) الغضب (٢) الورود بلوغ الماء والقرب منه من غير دخول وقد يحصل دخول فيه والصدور خلافه وكلاهما هنا على الاستعارة والضمير للعلة (٣) بمعنى يتحفظ

مِنْهُ كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً يَكْرَهُهَا صَاحِبُهُ. وَلَكِنَّ ٱلرَّجُلَ ذَا ٱلْعَقْلِ وَٱلْوَفَاءِ إِذَا سَقَطَ[١] عِنْدَهُ صَاحِبُهُ سَقْطَةً نَظَرَ فِيهَا وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطَائِهِ عَمْدًا[٢] كَانَ أَوْ خَطَأً. ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ فِي ٱلصَّفْحِ عَنْهُ أَمْرٌ يَخَافُ ضَرَرَهُ وَشَيْنَهُ فَلَا يُؤَاخِذُ[٣] صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ يَجِدُ فِيهِ إِلَى ٱلصَّفْحِ عَنْهُ سَبِيلًا

فَإِنْ كَانَ ٱلْأَسَدُ قَدِ ٱعْتَقَدَ عَلَيَّ ذَنْبًا فَلَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنِّي خَالَفْتُهُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ بَطَرًا[٤] مِنِّي وَنَصِيحَةً لَهُ. فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى ٱلْجَرَاءَةِ عَلَيْهِ وَٱلْمُخَالَفَةِ لَهُ. وَلَا أَجِدُ لِي فِي هٰذَا ٱلْمَحْضَرِ[٥] إِثْمًا[٦] مَا. لِأَنِّي لَمْ أُخَالِفْهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا مَا قَدْ نَدَرَ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ ٱلرُّشْدَ[٧] وَٱلْمَنْفَعَةَ وَٱلدِّينَ وَلَمْ أُجَاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى رُؤُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ أَصْحَابِهِ وَلَكِنْ كُنْتُ أَخْلُو بِهِ وَأُكَلِّمُهُ سِرًّا كَلَامَ ٱلْهَائِبِ[٨] ٱلْمُوَقِّرِ. وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَنِ ٱلْتَمَسَ ٱلرُّخَصَ[٩] مِنَ ٱلْإِخْوَانِ عِنْدَ ٱلْمُشَاوَرَةِ وَمِنَ ٱلْأَطِبَّاءِ عِنْدَ ٱلْمَرَضِ وَمِنَ ٱلْفُقَهَاءِ عِنْدَ ٱلشُّبْهَةِ فَقَدْ أَخْطَأَ مَنَافِعَ ٱلرَّأْيِ وَٱزْدَادَ

---

(١) اخطأ (٢) قصداً (٣) يلوم ويعاتب (٤) نشاطاً (٥) مكان الحضور (٦) ذنباً (٧) الاستقامة على طريق الحق (٨) فاعل من هابه اذا اجله وخافه (٩) جمع رخصة وهي اليسر والسهولة

فِيمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذٰلِكَ تَوَرُّطًا(١) وَحَمَلَ ٱلْوِزْرَ(٢) * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ مِنْ بَعْضِ سَكَرَاتِ ٱلسُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَةَ ٱلسُّلْطَانِ خَطِرَةٌ وَإِنْ صُوحِبَ بِٱلسَّلَامَةِ وَٱلثِّقَةِ وَٱلْمَوَدَّةِ وَحُسْنِ ٱلصُّحْبَةِ فَرُبَّمَا عَثَرَ(٣) مُصَاحِبُهُ ٱلْعَثْرَةَ فَلَا يَنْتَعِشُ(٤) وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ(٥) * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا فَبَعْضُ مَا أُوتِيتُ مِنَ ٱلْفَضْلِ قَدْ جَعَلَ لِي فِيهِ ٱلْهَلَاكَ وَبَعْضُ ٱلْمَحَاسِنِ آفَةٌ لِصَاحِبِهَا . فَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱللَّذِيذَةَ ٱلثَّمَرِ رُبَّمَا كَانَ أَذَاهَا فِي حَمْلِهَا فَلُوِيَتْ أَغْصَانُهَا وَهُصِرَتْ(٦) أَطْرَافُهَا حَتَّى تَتَكَسَّرَ . وَٱلطَّاوُوسُ ٱلَّذِي ذَنَبُهُ أَفْضَلُهُ يَنْسَلُ(٧) فَيُؤْلِمُهُ . وَٱلْفَرَسُ ٱلْمُطَهَّمُ(٨) ٱلْجَرِيُّ(٩) رُبَّمَا رُكِبَ حَتَّى يَنْقَطِعَ . وَٱلْبُلْبُلُ ٱلْحَسَنُ ٱلصَّوْتِ يُحْبَسُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ ٱلطَّيْرِ * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا وَلَا هٰذَا فَهُوَ إِذَنْ مِنْ مَوَاقِعِ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ ٱلَّذِي لَا يُدْفَعُ . وَٱلْقَدَرُ هُوَ ٱلَّذِي يَسْلُبُ ٱلْأَسَدَ قُوَّتَهُ وَشِدَّتَهُ وَيُدْخِلُهُ ٱلْقَبْرَ . وَهُوَ ٱلَّذِي يَحْمِلُ ٱلرَّجُلَ ٱلضَّعِيفَ عَلَى ظَهْرِ ٱلْفِيلِ ٱلْهَائِجِ وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَلِّطُ عَلَى ٱلْحَيَّةِ ذَاتِ ٱلْحُمَةِ(١٠) مَنْ يَنْزِعُ حُمَتَهَا وَيَلْعَبُ

---

(١) اي دخولاً في الورطة وهي الشدة وكل امر شاق تعسر النجاة منه (٢) الاثم (٣) سقط (٤) ينهض (٥) اي لا يرفع من سقوطه (٦) عطفت (٧) يُنتفش ويُسقط (٨) التام الخلق (٩) المقدام (١٠) الابرة التي تلدغ بها

بها . وهو الذي يصير العاجز حازماً ويثبط[1] السهم المنطلق ويوسع على المقتر[2] ويشجع الجبان ويجبن الشجاع عند ما تعتريه[3] المقادير بالعلل التي اتفقت[4] لها *

قال دمنة إن إرادة الأسد بك ليست من تحريش الأشرار ولا سكوة السلطان ولا غير ذلك . ولكنها الغدر والفجور منه فإنه فاجر خوان غدار لطعامه حلاوة وآخره سم مميت * قال شتربة فأراني قد استلذذت الحلاوة إذ ذقتها وقد انتهيت إلى آخرها الذي هو الموت . ولولا الحين[5] ما كان مقامي عند الأسد وهو آكل لحم وأنا آكل عشب . فأنا في هذه الورطة كالنحلة التي تجلس على نور[6] النيلوفر[7] إذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة عن الحين الذي ينبغي أن تطير فيه . فإذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت * ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف[8] الذي يغنيه وطمحت[9] عينه إلى ما سوى ذلك ولم يتخوف عاقبته كان كالذباب الذي لا يرضى بالشجر

---

(١) يعوق (٢) المفتقر (٣) تصيبه (٤) اي حدثت اتفاقاً (٥) وقت الاجل (٦) زهر (٧) ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة ومتى ساوى سطح الماء اورق وازهر (٨) ما كف واغنى عن الناس (٩) ارتفعت

وَالرَّيَاحِينِ وَلَا يُقْنِعُهُ ذَلِكَ حَتَّى يَطْلُبَ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ ٱلْفِيلِ فَيَضْرِبُهُ ٱلْفِيلُ بِآذَانِهِ فَيُهْلِكُهُ . وَمَنْ يَبْذُلْ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ يَبْذُرُ فِي ٱلسِّبَاخِ (١) وَمَنْ يُشِرْ عَلَى ٱلْمُعْجَبِ (٢) كَمَنْ يُشَاوِرُ ٱلْمَيْتَ أَوْ يُسَارُّ ٱلْأَصَمَّ (٣) *

قَالَ دِمْنَةُ دَعْ عَنْكَ هٰذَا ٱلْكَلَامَ وَٱحْتَلْ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ بِأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَالُ لِنَفْسِي إِذَا أَرَادَ ٱلْأَسَدُ أَكْلِي مَعَ مَا عَرَّفْتَنِي مِنْ رَأْيِ ٱلْأَسَدِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ هَلَاكِي لَقَدَرُوا عَلَى ذٰلِكَ . فَإِنَّهُ إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلْمَكَرَةُ (٤) ٱلظَّلَمَةُ عَلَى ٱلْبَرِيءِ ٱلصَّالِحِ كَانُوا خُلَقَاءَ (٥) أَنْ يُهْلِكُوهُ وَإِنْ كَانُوا ضُعَفَاءَ وَهُوَ قَوِيٌّ . كَمَا أَهْلَكَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى ٱلْجَمَلَ حِينَ ٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِٱلْمَكْرِ وَٱلْخَدِيعَةِ وَٱلْخِيَانَةِ . قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ شَتْرَبَةُ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجَمَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ ٱلنَّاسِ وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَٱبْنُ

---

(١) من الارض ما لم يُحرث ولم يُعمَّر (٢) المتكبر (٣) اي يكلمه سرًّا والاصم الاطرش (٤) جمع ماكر وهو الخادع (٥) جمع خليق ويقال فلان خليق بالشيء اي جدير به واهل له

آوى. وإنَّ رُعاةً مرُّوا بذلكَ الطَّريقِ ومعهم جِمالٌ. فتخلَّفَ[1] منها جملٌ فدخلَ تلكَ الأجمةَ حتَّى انتهى إلى الأسدِ. فقالَ لهُ الأسدُ من أينَ أقبلتَ. قالَ من موضعِ كذا. قالَ فما حاجتُكَ[2] قالَ ما يأمرني بهِ الملكُ. قالَ تقيمُ عندنا في السَّعةِ والأمنِ والخصبِ. فأقامَ الأسدُ والجملُ معهُ زمانًا طويلاً * ثمَّ إنَّ الأسدَ مضى في بعضِ الأيَّامِ لطلبِ الصَّيدِ. فلقيَ فيلاً عظيمًا فقاتلهُ قتالاً شديدًا وأفلتَ منهُ مثقلاً مثخنًا[3] بالجراحِ يسيلُ منهُ الدَّمُ وقد خدشهُ[4] الفيلُ بأنيابهِ * فلمَّا وصلَ إلى مكانهِ وقعَ لا يستطيعُ حراكًا ولا يقدرُ على طلبِ الصَّيدِ. فلبثَ الذِّئبُ والغرابُ وابنُ آوى أيَّامًا لا يجدونَ طعامًا لأنَّهم كانوا يأكلونَ من فضلاتِ الأسدِ وطعامهِ. فأصابهم وأصابهُ جوعٌ شديدٌ وهزالٌ[5] وعرفَ الأسدُ منهم ذلكَ فقالَ لقد جهدتم واحتجتم إلى ما تأكلونَ. فقالوا لا تهمُّنا أنفسنا. لكنَّا نرى الملكَ على ما نراهُ فليتنا نجدُ ما يأكلهُ ويصلحهُ. قالَ الأسدُ ما أشكُّ في نصيحتكم ولكنِ انتشروا لعلَّكم تصيبونَ صيدًا تأتوني بهِ فيصيبني ويصيبكم

---

(١) تاخر (٢) اي ماسؤلك (٣) اي مبالغًا بجراحه (٤) مزّق جلده
(٥) نقيض السمن

مِنْهُ رِزْقٌ. فَخَرَجَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ ٱلْأَسَدِ فَتَنَحَّوْا(١) وَٱئْتَمَرُوا(٢) فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا مَا لَنَا وَلِهٰذَا ٱلْآكِلِ ٱلْعُشْبَ ٱلَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا أَلَا نُزَيِّنُ(٣) لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلَهُ وَيُطْعِمَنَا مِنْ لَحْمِهِ. قَالَ ٱبْنُ آوَى هٰذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ(٤) ٱلْجَمَلَ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ. قَالَ ٱلْغُرَابُ أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ ٱلْأَسَدِ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ هَلْ أَصَبْتَ(٥) شَيْئًا. قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ. وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بِنَا مِنَ ٱلْجُوعِ. وَلٰكِنْ قَدْ وُفِّقْنَا إِلَى أَمْرٍ وَٱجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ إِنْ وَافَقَنَا ٱلْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ قَالَ ٱلْأَسَدُ وَمَا ذَاكَ. قَالَ ٱلْغُرَابُ هٰذَا ٱلْجَمَلُ آكِلُ ٱلْعُشْبِ ٱلْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدِّ عَائِدَةٍ(٦) وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً(٧) فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ ذٰلِكَ غَضِبَ وَقَالَ مَا أَخْطَأَ رَأْيَكَ وَمَا أَعْجَزَ مَقَالَكَ وَأَبْعَدَكَ عَنِ ٱلْوَفَاءِ وَٱلرَّحْمَةِ. وَمَا كُنْتَ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِئَ(٨) عَلَيَّ بِهٰذِهِ ٱلْمَقَالَةِ وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهٰذَا ٱلْخِطَابِ مَعَ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَنِّي قَدْ أَمَّنْتُ ٱلْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي. أَوَ

(١) اعتزلوا الى ناحية (٢) تشاوروا (٣) نحسن (٤) جعل له الامن وهو ضد الخوف (٥) وجدت (٦) معروف (٧) بمعنى منفعة (٨) تتشجع وتقدم

لَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقَنَ دَمًا مَهْدُورًا (١) . وَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَلَسْتُ بِغَادِرٍ بِهِ وَلَا خَافِرٍ (٢) لَهُ ذِمَّةً * قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ ٱلْمَلِكُ وَلٰكِنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ ٱلْبَيْتِ وَأَهْلُ ٱلْبَيْتِ تُفْتَدَى بِهِمِ ٱلْقَبِيلَةُ وَٱلْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ ٱلْمِصْرِ وَأَهْلُ ٱلْمِصْرِ (٣) فِدَى ٱلْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِٱلْمَلِكِ ٱلْحَاجَةُ وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ وَلَا يَلِيَهُ (٤) بِنَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرَ بِهِ أَحَدًا . وَلٰكِنَّا نَحْتَالُ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلَهُ فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ (٥) * فَسَكَتَ ٱلْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ ٱلْغُرَابِ عَنْ هٰذَا ٱلْخِطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْغُرَابُ إِقْرَارَ (٦) ٱلْأَسَدِ أَتَى صَاحِبَيْهِ فَقَالَ لَهُمَا قَدْ كَلَّمْتُ ٱلْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ ٱلْجَمَلَ عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَٱلْجَمَلُ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ فَنَذْكُرَ مَا أَصَابَهُ وَنَتَوَجَّعَ لَهُ ٱهْتِمَامًا مِنَّا بِأَمْرِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ . وَيَعْرِضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجَمُّلًا (٧) لِيَأْكُلَهُ فَيَرُدَّ ٱلْآخَرَانِ عَلَيْهِ وَيُسَفِّهَانِ رَأْيَهُ (٨) وَيُبَيِّنَانِ ٱلضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا جَاءَتْ نَوْبَةُ ٱلْجَمَلِ صَوَّبْنَا رَأْيَهُ فَهَلَكَ وَسَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ

(١) مسفوكاً باطلاً اي بلا قود ولا دية (٢) ناقض (٣) المدينة والصقع (٤) يتولاه (٥) فوز (٦) اذعان (٧) تلطفاً في الكلام (٨) اي ينسبانه الى السفاهة

ٱلْأَسَدُ عَنَّا. فَفَعَلُوا ذٰلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى ٱلْأَسَدِ * فَقَالَ ٱلْغُرَابُ قَدِ اُحْتِجْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِلَى مَا يَقُوتُكَ. وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ. فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ وَلَا لَنَا فِي ٱلْحَيَاةِ مِنْ خِيرَةٍ[1] فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ فَقَدْ طِبْتُ بِذٰلِكَ نَفْسًا. فَأَجَابَهُ ٱلذِّئْبُ وَٱبْنُ آوَى أَنِ ٱسْكُتْ فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شِبَعٌ * قَالَ ٱبْنُ آوَى لٰكِنْ أَنَا أُشْبِعُ ٱلْمَلِكَ فَلْيَأْكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذٰلِكَ وَطِبْتُ نَفْسًا. فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا إِنَّكَ لَمُنْتِنٌ[2] قَذِرٌ * قَالَ ٱلذِّئْبُ إِنِّي لَسْتُ كَذٰلِكَ فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ فَقَدْ سَمَحْتُ بِذٰلِكَ وَطَابَتْ بِهِ نَفْسِي. فَٱعْتَرَضَهُ[3] ٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى وَقَالَا قَدْ قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ * فَظَنَّ ٱلْجَمَلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى ٱلْأَكْلِ ٱلْتَمَسُوا لَهُ عُذْرًا كَمَا ٱلْتَمَسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ٱلْأَعْذَارَ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى ٱلْأَسَدُ عَنْهُ بِذٰلِكَ وَيَنْجُو مِنَ ٱلْمَهَالِكِ. فَقَالَ لٰكِنْ أَنَا فِي لِلْمَلِكِ شِبَعٌ وَرِيٌّ وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيءٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ فَلْيَأْكُلْنِي ٱلْمَلِكُ وَيُطْعِمْ أَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ فَقَدْ رَضِيتُ بِذٰلِكَ وَطَابَتْ نَفْسِي بِهِ. فَقَالَ ٱلذِّئْبُ وَٱبْنُ آوَى وَٱلْغُرَابُ لَقَدْ صَدَقَ ٱلْجَمَلُ وَكَرُمَ

(١) اي لا خير لنا في الحياة من بعدك (٢) خبيث الرائحة (٣) عابه وخطاه

وَقَالَ مَا عَرَفَ. ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَّقُوهُ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ ٱلْأَسَدِ قَدِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى هَلَاكِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتَنِعَ مِنْهُمْ وَلَا أَحْتَرِسَ وَإِنْ كَانَ رَأْيُ ٱلْأَسَدِ فِيَّ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلرَّأْيِ. فَإِنَّ ذٰلِكَ لَا يَنْفَعُنِي وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا. وَقَدْ يُقَالُ خَيْرُ ٱلسَّلَاطِينِ مَنْ أَشْبَهَ ٱلنَّسْرَ وَحَوْلَهُ ٱلْجِيَفُ لَا مَنْ أَشْبَهَ ٱلْجِيفَةَ وَحَوْلَهَا ٱلنُّسُورُ. وَلَوْ أَنَّ ٱلْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ لِي إِلَّا ٱلْخَيْرُ وَٱلرَّحْمَةُ لَغَيَّرَتْهُ كَثْرَةُ ٱلْأَقَاوِيلِ[1] فَإِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ لَمْ تَكُفَّ دُونَ أَنْ تَذْهَبَ ٱلرِّقَّةُ[2] وَٱلرَّأْفَةُ. أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْمَاءَ لَيْسَ كَٱلْقَوْلِ وَأَنَّ ٱلْحَجَرَ أَشَدُّ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ. وَٱلْمَاءُ إِذَا دَامَ ٱنْحِدَارُهُ عَلَى ٱلْحَجَرِ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى يَثْقُبَهُ وَيُؤَثِّرَ فِيهِ. وَكَذٰلِكَ ٱلْقَوْلُ فِي ٱلْإِنْسَانِ. قَالَ دِمْنَةُ فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ٱلْآنَ. قَالَ شَتْرَبَةُ مَا أَرَى إِلَّا ٱلِاجْتِهَادَ وَٱلْمُجَاهَدَةَ بِٱلْقِتَالِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ وَلَا لِلْمُحْتَسِبِ[3] فِي صَدَقَتِهِ وَلَا لِلْوَرِعِ فِي وَرَعِهِ مِنَ ٱلْأَجْرِ مَا لِلْمُجَاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا كَانَتْ مُجَاهَدَتُهُ عَلَى ٱلْحَقِّ. قَالَ دِمْنَةُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذٰلِكَ.

---

(١) الأكاذيب المبتدعة (٢) الرحمة (٣) المتصدق لوجه الله

وَلَكِنَّ ذَا ٱلرَّأْيِ جَاعِلُ ٱلْقِتَالِ آخِرَ ٱلْحِيَلِ وَبَادِىءٌ قَبْلَ ذٰلِكَ بِمَا ٱسْتَطَاعَ مِنْ رِفْقٍ وَتَمَحُّلٍ[١] . وَقَدْ قِيلَ لَا تُحَقِّرَنَّ ٱلْعَدُوَّ ٱلضَّعِيفَ ٱلْمَهِينَ[٢] وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَا حِيلَةٍ وَيَقْدِرُ عَلَى ٱلْأَعْوَانِ . فَكَيْفَ بِٱلْأَسَدِ عَلَى جَرَاءَتِهِ وَشِدَّتِهِ . فَإِنَّ مَنْ حَقَّرَ عَدُوَّهُ لِضَعْفِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ وَكِيلَ ٱلْبَحْرِ مِنَ ٱلطِّيطَوَى . قَالَ شَتْرَبَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ .

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ طَائِرًا مِنْ طُيُورِ ٱلْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ ٱلطِّيطَوَى كَانَ وَطَنُهُ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ . فَلَمَّا جَاءَ أَوَانُ إِفْرَاخِهِمَا قَالَتِ ٱلْأُنْثَى لِلذَّكَرِ لَوِ ٱلْتَمَسْنَا مَكَانًا حَرِيزًا[٣] غَيْرَ هٰذَا نُفْرِخُ فِيهِ فَإِنِّي أَخَافُ مِنَ ٱلْبَحْرِ إِذَا مَدَّ ٱلْمَاءُ أَنْ يَذْهَبَ بِفِرَاخِنَا . فَقَالَ لَهَا مَا أَرَاهُ يَحْمِلُ[٤] عَلَيْنَا فَإِنَّ وَكِيلَ ٱلْبَحْرِ يَخَافُنِي أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ فَأَفْرِخِي فِي مَكَانِكِ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَنَا وَٱلْمَاءُ وَٱلزَّهْرُ مِنَّا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ يَا غَافِلُ مَا أَشَدَّ عِنَادَكَ وَتَصَلُّبَكَ أَمَا تَذْكُرُ وَعِيدَهُ[٥] وَتَهَدُّدَهُ إِيَّاكَ . أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ فِي وَعِيدِ مَنْ لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ . فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ ٱلنَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ

---

(١) احتيال (٢) الذليل (٣) حصينًا منيعًا (٤) يكرّ (٥) الايعاد بالشر

ٱلسُّلَحْفَاةَ حِينَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ ٱلْبَطَّتَيْنِ · قَالَ ٱلذَّكَرُ وَكَيْفَ كَانَ ذَٰلِكَ

قَالَتِ ٱلْأُنْثَى زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ وَكَانَ فِيهِ بَطَّتَانِ · وَكَانَ فِي ٱلْغَدِيرِ سُلَحْفَاةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْبَطَّتَيْنِ مَوَدَّةٌ وَصَدَاقَةٌ فَٱتَّفَقَ أَنْ غِيضَ(١) ذَٰلِكَ ٱلْمَاءُ فَجَاءَتِ ٱلْبَطَّتَانِ لِوَدَاعِ ٱلسُّلَحْفَاةِ وَقَالَتَا ٱلسَّلَامُ عَلَيْكِ فَإِنَّنَا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ لِأَجْلِ نُقْصَانِ ٱلْمَاءِ عَنْهُ · فَقَالَتْ إِنَّمَا يَبِينُ نُقْصَانُ ٱلْمَاءِ عَلَى مِثْلِيَ ٱلَّتِي كَأَنِّي ٱلسَّفِينَةُ لَا أَقْدِرُ عَلَى ٱلْعَيْشِ إِلَّا بِٱلْمَاءِ · فَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَقْدِرَانِ عَلَى ٱلْعَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا · فَٱذْهَبَا بِي مَعَكُمَا · قَالَتَا نَعَمْ * قَالَتْ كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى حَمْلِي * قَالَتَا نَأْخُذُ بِطَرَفَيْ عُودٍ وَتَقْبِضِينَ بِفِيكِ عَلَى وَسَطِهِ وَنَطِيرُ بِكِ فِي ٱلْجَوِّ · وَإِيَّاكِ إِذَا سَمِعْتِ ٱلنَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ أَنْ تَنْطِقِي · ثُمَّ أَخَذَتَاهَا فَطَارَتَا بِهَا فِي ٱلْجَوِّ · فَقَالَ ٱلنَّاسُ عَجَبٌ سُلَحْفَاةٌ بَيْنَ بَطَّتَيْنِ قَدْ حَمَلَتَاهَا · فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَٰلِكَ قَالَتْ فَقَأَ(٢) ٱللهُ أَعْيُنَكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ · فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاهَا بِٱلنُّطْقِ وَقَعَتْ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَمَاتَتْ

قَالَ ٱلذَّكَرُ قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكِ فَلَا تَخَافِي وَكِيلَ ٱلْبَحْرِ · فَلَمَّا مَدَّ(٣) ٱلْمَاءُ دَنَا وَكِيلُ ٱلْبَحْرِ فَذَهَبَ بِفِرَاخِهِمَا * فَقَالَتِ ٱلْأُنْثَى

(١) نقص (٢) قلع (٣) ارتفع الى البر

قَدْ عَرَفْتُ فِي بَدْءِ ٱلْأَمْرِ أَنَّ هٰذَا كَائِنٌ وَمَا أَصَابَنَا إِنَّمَا هُوَ بِتَفْرِيطِكَ(١) * قَالَ ٱلذَّكَرُ قَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ وَأَنَا عَلَى قَوْلِي وَسَوْفَ تَرَيْنَ صُنْعِي بِهِ وَٱنْتِقَامِي مِنْهُ * ثُمَّ مَضَى إِلَى جَمَاعَةِ ٱلطَّيْرِ فَقَالَ لَهُنَّ إِنَّكُنَّ أَخَوَاتِي وَثِقَاتِي(٢) فَأَعِنَّنِي * قُلْنَ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ قَالَ تَجْتَمِعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى سَائِرِ ٱلطَّيْرِ فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ مَا لَقِيتُ مِنْ وَكِيلِ ٱلْبَحْرِ وَنَقُولُ لَهُنَّ إِنَّكُنَّ طَيْرٌ مِثْلُنَا فَأَعِنَّنَا * فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ ٱلطَّيْرِ إِنَّ ٱلْعَنْقَاءَ بِنْتَ ٱلرِّيحِ هِيَ سَيِّدَتُنَا وَمَلِكَتُنَا فَٱذْهَبْ بِنَا إِلَيْهَا حَتَّى نَصِيحَ بِهَا فَتَظْهَرَ لَنَا فَنَشْكُوَ إِلَيْهَا مَا نَالَكَ(٣) مِنْ وَكِيلِ ٱلْبَحْرِ وَنَسْأَلَهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِهَا * ثُمَّ إِنَّهُنَّ ذَهَبْنَ إِلَيْهَا مَعَ ٱلطِّيطَوَى فَٱسْتَغَثْنَهَا(٤) وَصِحْنَ بِهَا فَتَرَاءَتْ(٥) لَهُنَّ فَأَخْبَرْنَهَا بِقِصَّتِهِنَّ وَسَأَلْنَهَا أَنْ تَطِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى مُحَارَبَةِ وَكِيلِ ٱلْبَحْرِ . فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذٰلِكَ . فَلَمَّا عَلِمَ وَكِيلُ ٱلْبَحْرِ أَنَّ ٱلْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَمَاعَةِ ٱلطَّيْرِ خَافَ مِنْ مُحَارَبَةِ مَلِكٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ(٦) فَرَدَّ فِرَاخَ ٱلطِّيطَوَى وَصَالَحَهُ فَرَجَعَتِ ٱلْعَنْقَاءُ عَنْهُ *

وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْقِتَالَ مَعَ ٱلْأَسَدِ لَا

---

(١) اي بتقصيرك (٢) جمع ثقة وهو من يوثق به اي يؤتمن
(٣) اصابك (٤) اي طلبن مساعدتها (٥) ظهرت (٦) اي لا قدرة له عليه

أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا * قَالَ شَتْرَبَةُ فَمَا أَنَا بِمُقَاتِلٍ ٱلْأَسَدَ وَلَا نَاصِبٍ لَهُ ٱلْعَدَاوَةَ سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً وَلَا مُتَغَيِّرٍ لَهُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ لِي مِنْهُ مَا أَتَخَوَّفُ فَأُغَالِبُهُ * فَكَرِهَ دِمْنَةُ قَوْلَهُ وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْأَسَدَ إِنْ لَمْ يَرَ مِنَ ٱلثَّوْرِ ٱلْعَلَامَاتِ ٱلَّتِي كَانَ ذَكَرَهَا لَهُ ٱتَّهَمَهُ(١) وَأَسَاءَ بِهِ ٱلظَّنَّ. فَقَالَ لِشَتْرَبَةَ ٱذْهَبْ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَسَتَعْرِفُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ مَا يُرِيدُ مِنْكَ * قَالَ شَتْرَبَةُ وَكَيْفَ أَعْرِفُ ذٰلِكَ * قَالَ دِمْنَةُ سَتَرَى ٱلْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ مُقْعِيًا(٢) عَلَى ذَنَبِهِ رَافِعًا صَدْرَهُ إِلَيْكَ مَادًّا بَصَرَهُ نَحْوَكَ قَدْ صَرَّ(٣) أُذُنَيْهِ وَفَغَرَ(٤) فَاهُ وَٱسْتَوَى(٥) لِلْوَثْبَةِ(٦). قَالَ إِنْ رَأَيْتُ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَاتِ مِنَ ٱلْأَسَدِ عَرَفْتُ صِدْقَكَ فِي قَوْلِكَ

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ تَحْرِيشِ ٱلْأَسَدِ عَلَى ٱلثَّوْرِ وَٱلثَّوْرِ عَلَى ٱلْأَسَدِ تَوَجَّهَ إِلَى كَلِيلَةَ * فَلَمَّا ٱلْتَقَيَا قَالَ كَلِيلَةُ إِلَامَ ٱنْتَهَى عَمَلُكَ ٱلَّذِي كُنْتَ فِيهِ * قَالَ دِمْنَةُ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْفَرَاغِ عَلَى مَا أُحِبُّ وَتُحِبُّ * ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ ٱنْطَلَقَا جَمِيعًا لِيَحْضُرَا قِتَالَ ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ وَيَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا وَمَا يَؤُولُ(٧) إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا.

---

(١) شك في صدقه (٢) اسيء جالساً على استه ناصباً فخذيه كجلوس الكلب (٣) نصب (٤) فتح (٥) استعد (٦) القفزة (٧) يرجع

وَجَاءَ شَتْرَبَةُ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَرَآهُ مُقْعِياً كَمَا وَصَفَهُ لَهُ دِمْنَةُ · فَقَالَ مَا صَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ إِلَّا كَصَاحِبِ ٱلْحَيَّةِ ٱلَّتِي فِي صَدْرِهِ لَا يَدْرِي مَتَى تَهِيجُ عَلَيْهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ نَظَرَ إِلَى ٱلثَّوْرِ فَرَأَى ٱلدِّلَالَاتِ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا لَهُ دِمْنَةُ فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ جَاءَ لِقِتَالِهِ فَوَاثَبَهُ(١) وَنَشَأَتْ بَيْنَهُمَا ٱلْحَرْبُ وَٱشْتَدَّ قِتَالُ ٱلثَّوْرِ وَٱلْأَسَدِ وَطَالَ وَسَالَتْ بَيْنَهُمَا ٱلدِّمَاءُ * فَلَمَّا رَأَى كَلِيلَةُ أَنَّ ٱلْأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْقِتَالِ مَا بَلَغَ قَالَ لِدِمْنَةَ أَيُّهَا ٱلْفَسْلُ(٢) مَا أَنْكَرَ(٣) جَهْلَتَكَ وَأَسْوَأَ عَاقِبَتَكَ فِي تَدْبِيرِكَ * قَالَ دِمْنَةُ وَمَا ذَاكَ قَالَ كَلِيلَةُ جُرِحَ ٱلْأَسَدُ وَهَلَكَ ٱلثَّوْرُ · وَإِنَّ أَخْرَقَ(٤) ٱلْخُرْقِ مَنْ حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى سُوءِ ٱلْخُلُقِ وَٱلْمُبَارَزَةِ وَٱلْقِتَالِ وَهُوَ يَجِدُ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ سَبِيلاً · وَإِنَّمَا ٱلرَّجُلُ إِذَا أَمْكَنَتْهُ ٱلْفُرْصَةُ مِنْ عَدُوِّهِ يَتْرُكُهُ مَخَافَةَ ٱلتَّعَرُّضِ لَهُ بِٱلْمُجَاهَرَةِ وَرَجَاءَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ بِدُونِ ذٰلِكَ · وَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ يُدَبِّرُ ٱلْأَشْيَاءَ وَيَقِيسُهَا قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا(٥) فَمَا رَجَا أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمَ(٦) عَلَيْهِ وَمَا خَافَ أَنْ يَتَعَذَّرَ(٧) عَلَيْهِ مِنْهَا ٱنْحَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ * وَإِنِّي لَأَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هٰذَا فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ ٱلْقَوْلَ وَلَمْ

(١) اي هجم كل منهما على الاخر · (٢) الضعيف الرذل الذي لا مروءة له (٣) اقبح (٤) احمق والخرق جمعه (٥) اي قبل الابتداء بها (٦) اجترأ (٧) اي صعب وتعسر

تُحْسِنِ ٱلْعَمَلَ. أَيْنَ مُعَاهَدَتُكَ إِيَّايَ أَنَّكَ لاَ تُضِرُّ بِٱلأَسَدِ فِي تَدْبِيرِكَ * وَقَدْ قِيلَ لاَ خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ إِلاَّ مَعَ ٱلْعَمَلِ. وَلاَ فِي ٱلْفِقْهِ إِلاَّ مَعَ ٱلْوَرَعِ (١). وَلاَ فِي ٱلصَّدَقَةِ إِلاَّ مَعَ ٱلنِّيَّةِ. وَلاَ فِي ٱلْمَالِ إِلاَّ مَعَ ٱلْجُودِ. وَلاَ فِي ٱلصِّدْقِ إِلاَّ مَعَ ٱلْوَفَاءِ. وَلاَ فِي ٱلْحَيَاةِ إِلاَّ مَعَ ٱلصِّحَّةِ وَلاَ فِي ٱلأَمْنِ إِلاَّ مَعَ ٱلسُّرُورِ * وَقَدْ شَرَطْتَ أَمْرًا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلاَّ ٱلْعَاقِلُ ٱلرَّفِيقُ (٢)

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ ٱلْعَاقِلِ ٱلطَّيْشَ وَيَزِيدُ ٱلأَحْمَقَ طَيْشًا كَمَا أَنَّ ٱلنَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظَرًا وَيَزِيدُ ٱلْخُفَّاشَ (٣) سُوءَ ٱلنَّظَرِ. فَذُو ٱلْعَقْلِ لاَ يَبْطَرُ مِنْ مَنْزِلَةٍ أَصَابَهَا وَإِنْ تَعَاظَمَ أَمْرُهُ وَقَدْرُهُ وَيَكُونُ عِنْدَ ذٰلِكَ كَٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي لاَ تُحَرِّكُهُ ٱلرِّيَاحُ ٱلشَّدِيدَةُ. وَٱلسَّخِيفُ كَٱلْعُشْبِ يُحَرِّكُهُ أَدْنَى رِيحٍ * وَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرُكَ شَيْئًا سَمِعْتُهُ. فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ إِذَا كَانَ صَالِحًا وَوُزَرَاؤُهُ وُزَرَاءُ سُوءٍ مَنَعُوا خَيْرَهُ فَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ (٤) مِنْهُ. وَمَثَلُهُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْمَاءِ ٱلطَّيِّبِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلتَّمَاسِيحُ (٥) لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ وَإِنْ كَانَ إِلَى ٱلْمَاءِ مُحْتَاجًا. وَإِنَّمَا

---

(١) التقوى (٢) ضد الاحمق (٣) الوطواط (٤) يقرب (٥) جمع تمساح وهو حيوان على صورة الضب له فم واسع ولسان طويل وظهر ضخم واربع ارجل وذنب طويل صلب الجلد وهو كريه المنظر

الْمَلِكُ وَزِينَتُهُ أَنْ تَكُونَ جُنُودُهُ وَوُزَرَاؤُهُ ذَوِي صَلَاحٍ فَيَسُدُّونَ[1] أَحْوَالَ ٱلنَّاسِ وَيَنْظُرُونَ فِي صَلَاحِهِمْ. وَأَنْتَ يَادِمْنَةُ أَرَدْتَ أَنْ لَا يَدْنُوَ مِنَ ٱلْأَسَدِ أَحَدٌ سِوَاكَ وَهٰذَا أَمْرٌ لَا يَصِحُّ وَلَا يَتِمُّ أَبَدًا وَذٰلِكَ لِلْمَثَلِ ٱلْمَضْرُوبِ إِنَّ ٱلْبَحْرَ بِأَمْوَاجِهِ وَٱلسُّلْطَانَ بِأَصْحَابِهِ. وَمِنَ ٱلْحُمْقِ ٱلْحِرْصُ عَلَى ٱلْتِمَاسِ ٱلْإِخْوَانِ بِغَيْرِ ٱلْوَفَاءِ لَهُمْ. وَٱلْتِمَاسِ ٱلْآخِرَةِ بِٱلرِّيَاءِ[2]. وَمَوَدَّةِ ٱلنِّسَاءِ بِٱلْغِلْظَةِ[3]. وَنَفْعِ ٱلنَّفْسِ بِضَرِّ ٱلْغَيْرِ * وَمَا عِظَتِي وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَمَا قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلطَّائِرِ لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ وَلَا تُعَالِجْ تَأْدِيبَ مَا لَا يَتَأَدَّبُ قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْقِرَدَةِ[4] كَانُوا سَاكِنِينَ فِي جَبَلٍ. فَٱلْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا. فَرَأَوْا يَرَاعَةً[5] تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةُ نَارٍ فَظَنُّوهَا نَارًا وَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا فَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَتَرَوَّحُونَ[6] بِأَيْدِيهِمْ طَمَعًا فِي أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ[7] بِهَا مِنَ ٱلْبَرْدِ. وَكَانَ

---

(١) يقوّمون. (٢) التظاهر على خلاف ما في الباطن (٣) المداوة والفظاظة (٤) جمع قرد ويعرف عند العامة بالسعدان (٥) ذبابة تطير بالليل كأنها نار وتعرف عند بعض العامة بسراج الليل (٦) يجلبون الريح كمروحة (٧) يتدفأون

قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ لَا تَتْعَبُوا فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ. فَلَمَّا طَالَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ فَإِنَّ الْحَجَرَ الصُّلْبَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ وَالْعُودَ الَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا تُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ فَلَا تَتْعَبْ. فَأَبَى الطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرَدَةِ لِيُعَرِّفَهُمْ أَنَّ الْيَرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ الْقِرَدَةِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ * فَهٰذَا مَثَلُكَ مَعِي فِي ذٰلِكَ. ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخِبُّ(١) وَالْفُجُورُ(٢) وَهُمَا خَلَّتَا(٣) سُوءٍ وَالْخِبُّ شَرُّهُمَا عَاقِبَةً. وَلِهٰذَا مَثَلٌ *
قَالَ دِمْنَةُ وَمَا ذٰلِكَ الْمَثَلُ

قَالَ كَلِيلَةُ زَعَمُوا أَنَّ خَبًّا(٤) وَمُغَفَّلًا اشْتَرَكَا فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا. فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الطَّرِيقِ تَخَلَّفَ(٥) الْمُغَفَّلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَوَجَدَ كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَأَخَذَهُ. فَأَحَسَّ بِهِ الْخِبُّ فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا حَتَّى إِذَا دَنَوَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدَا لِاقْتِسَامِ الْمَالِ.

---

(١) الخبث والخداع والغش (٢) المعصية والكذب (٣) خصلتا
(٤) خبيثاً خدّاعاً (٥) تاخر

فَقَالَ ٱلْمُغَفَّلُ(١) خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ وَكَانَ ٱلْخَبُّ قَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِٱلْأَلْفِ جَمِيعِهَا. فَقَالَ لَا نَقْتَسِمُ فَإِنَّ ٱلشَّرِكَةَ وَٱلْمُفَاوَضَةَ(٢) أَقْرَبُ إِلَى ٱلصَّفَاءِ وَٱلْمُخَالَطَةِ. وَلٰكِنْ آخُذُ نَفَقَةً(٣) وَتَأْخُذُ مِثْلَهَا وَنَدْفِنُ ٱلْبَاقِيَ فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ فَهُوَ مَكَانٌ حَرِيزٌ(٤) وَذٰلِكَ أَكْتَمُ(٥) لِأَمْرِنَا. فَإِذَا ٱحْتَجْنَا جِئْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ. فَأَخَذَا مِنْهَا يَسِيرًا وَدَفَنَا ٱلْبَاقِيَ فِي أَصْلِ ٱلشَّجَرَةِ وَدَخَلَا ٱلْبَلَدَ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَبَّ خَالَفَ ٱلْمُغَفَّلَ إِلَى ٱلدَّنَانِيرِ(٦) فَأَخَذَهَا وَسَوَّى ٱلْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ وَجَاءَ ٱلْمُغَفَّلُ بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ لِلْخَبِّ قَدِ ٱحْتَجْتُ إِلَى نَفَقَةٍ فَٱنْطَلِقْ بِنَا نَأْخُذْ حَاجَتَنَا. فَقَامَ ٱلْخَبُّ مَعَهُ وَذَهَبَا إِلَى ٱلْمَكَانِ فَحَفَرَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا. فَأَقْبَلَ ٱلْخَبُّ عَلَى وَجْهِهِ يَلْطِمُهُ وَيَقُولُ لَا تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ. خَالَفْتَنِي إِلَى ٱلدَّنَانِيرِ فَأَخَذْتَهَا. فَجَعَلَ ٱلْمُغَفَّلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ آخِذَهَا وَلَا يَزْدَادُ ٱلْخَبُّ إِلَّا شِدَّةً فِي ٱللَّطْمِ وَقَالَ مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ وَهَلْ شَعَرَ(٧) بِهَا أَحَدٌ سِوَاكَ * ثُمَّ طَالَ بَيْنَهُمَا ذٰلِكَ فَتَرَافَعَا إِلَى ٱلْقَاضِي فَٱقْتَصَّ ٱلْقَاضِي قِصَّتَهُمَا(٨). فَٱدَّعَى ٱلْخَبُّ أَنَّ ٱلْمُغَفَّلَ

---

(١) من لافطنة له (٢) المساواة في الامر (٣) اسم من الانفاق وهو ما يصرفه الانسان من الدراهم ونحوها (٤) حصين (٥) اخفى (٦) اي قصدها بدون علمه (٧) علم (٨) اي سالهما ان يرويا القصة على وجهها

أَخَذَهَا وَجَحَدَ(١) الْمُغَفَّلُ . فَقَالَ لِلْخَبِّ أَلَكَ عَلَى دَعْوَاكَ بَيِّنَةٌ . قَالَ نَعَمِ الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتِ الدَّنَانِيرُ عِنْدَهَا تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْمُغَفَّلَ قَدْ أَخَذَهَا * وَكَانَ الْخَبُّ قَدْ أَتَى أَبَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوَارَى(٢) فِي الشَّجَرَةِ بِحَيْثُ إِذَا سُئِلَ أَجَابَ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ رُبَّ مُتَحَيِّلٍ أَوْقَعَهُ تَحَيُّلُهُ فِي وَرْطَةٍ(٣) عَظِيمَةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْخَلَاصِ مِنْهَا . فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلَ الْعُلْجُومِ . قَالَ الْخَبُّ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ أَبُوهُ زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا جَاوَرَ حَيَّةً فَكَانَ كُلَّمَا أَفْرَخَ جَاءَتْ إِلَى عُشِّهِ وَأَكَلَتْ فِرَاخَهُ . فَفَزِعَ(٤) فِي ذٰلِكَ إِلَى السَّرَطَانِ فَقَالَ لَهُ السَّرَطَانُ إِنَّ بِقُرْبِكَ جُحْرًا(٥) يَسْكُنُهُ ابْنُ عِرْسٍ(٦) وَهُوَ يَأْكُلُ الْحَيَّاتِ . فَاجْمَعْ سَمَكًا كَثِيرًا وَفَرِّقْهُ مِنْ جُحْرِ ابْنِ عِرْسٍ إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا بَدَأَ فِي أَكْلِ السَّمَكِ انْتَهَى إِلَى جُحْرِ الْحَيَّةِ فَأَكَلَهَا . فَفَعَلَ وَكَانَ كَذٰلِكَ . ثُمَّ تَدَرَّجَ ابْنُ عِرْسٍ مِنْ جُحْرِ الْحَيَّةِ فِي طَلَبِ غَيْرِهَا حَتَّى بَلَغَ إِلَى جُحْرِ الْعُلْجُومِ فَأَكَلَهُ أَيْضًا وَفِرَاخَهُ جَمِيعًا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَثَبَّتْ فِي الْحِيَلِ وَيَتَدَبَّرْهَا وَيَنْظُرْ فِيهَا أَوْقَعَتْهُ حِيلَتُهُ فِي أَشَدِّ مِمَّا يَحْتَالُ

(١) انكر (٢) يختفي (٣) شدة (٤) التجأ (٥) وكرًا (٦) دويبة كالفارة

لَهُ * قَالَ ٱلْخَبُّ قَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ وَلَكِنْ لَا تَخَفْ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَسِيرٌ حَقِيرٌ. وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى طَاوَعَهُ وَٱنْطَلَقَ مَعَهُ فَدَخَلَ جَوْفَ ٱلشَّجَرَةِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْقَاضِيَ لَمَّا سَمِعَ مِنَ ٱلْخَبِّ حَدِيثَ شَهَادَةِ ٱلشَّجَرَةِ أَكْبَرَهُ (١) وَٱنْطَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَٱلْخَبُّ وَٱلْمُغَفَّلُ مَعَهُ حَتَّى وَافَى ٱلشَّجَرَةَ (٢) فَسَأَلَهَا عَنِ ٱلْخَبَرِ. فَقَالَ ٱلشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا نَعَمِ ٱلْمُغَفَّلُ أَخَذَهَا. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْقَاضِي ذٰلِكَ ٱشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ وَجَعَلَ يَطُوفُ بِٱلشَّجَرَةِ (٣) حَتَّى بَانَ لَهُ خَرْقٌ فِيهَا فَتَأَمَّلَهُ فَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا فَدَعَا بِحَطَبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ ٱلشَّجَرَةُ فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا ٱلنِّيرَانُ. فَٱسْتَغَاثَ أَبُو ٱلْخَبِّ عِنْدَ ذٰلِكَ فَأُخْرِجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْهَلَاكِ (٤). فَسَأَلَهُ ٱلْقَاضِي عَنِ ٱلْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِٱلْخَبَرِ. فَأَوْقَعَ بِٱلْخَبِّ ضَرْبًا وَبِأَبِيهِ صَفْعًا (٥) وَأَرْكَبَهُ مَشْهُورًا وَغَرَّمَ ٱلْخَبَّ ٱلدَّنَانِيرَ (٦) فَأَخَذَهَا وَأَعْطَاهَا ٱلْمُغَفَّلَ.

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْخَبَّ وَٱلْخَدِيعَةَ رُبَّمَا كَانَ صَاحِبُهُمَا هُوَ ٱلْمَغْبُونَ. وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةُ جَامِعٌ لِلْخَبِّ وَٱلْخَدِيعَةِ وَٱلْفُجُورِ. وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَاجٍ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ. وَإِنَّمَا عُذُوبَةُ مَاءِ ٱلْأَنْهَارِ مَا

---

(١) رآه كبيرًا وعظم عنده (٢) اتى اليها (٣) يدور حولها (٤) اي اطلع عليه ونظره بعينه (٥) اي ضربًا على قفاه بجمع كفه (٦) اي الزمه دفعها

لَمْ تَبْلُغْ إِلَى ٱلْبِحَارِ. وَصَلَاحُ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمُ ٱلْمُفْسِدُ وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ ٱلْحَيَّةِ ذَاتِ ٱللِّسَانَيْنِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلسُّمُّ فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ لِسَانِكَ كَسُمِّهَا. وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ لِذٰلِكَ ٱلسُّمِّ مِنْ لِسَانِكَ خَائِفًا وَلِمَا يَحُلُّ بِكَ مُتَوَقِّعًا(١). وَٱلْمُفْسِدُ بَيْنَ ٱلْإِخْوَانِ وَٱلْأَصْحَابِ كَٱلْحَيَّةِ ٱلَّتِي يُرَبِّيهَا ٱلرَّجُلُ وَيُطْعِمُهَا وَيَمْسَحُهَا وَيُكْرِمُهَا ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ ٱللَّدْغِ(٢). وَقَدْ يُقَالُ ٱلْزَمْ ذَا ٱلْعَقْلِ وَذَا ٱلْكَرَمِ وَذَا ٱلْأَصْلِ ٱلطَّيِّبِ وَٱسْتَرْسِلْ إِلَيْهِمْ(٣) وَإِيَّاكَ وَمُفَارَقَتَهُمْ. وَٱصْحَبِ ٱلصَّاحِبَ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَرِيمًا أَوْ عَاقِلًا غَيْرَ كَرِيمٍ أَوْ كَرِيمًا غَيْرَ عَاقِلٍ فَٱلْعَاقِلُ ٱلْكَرِيمُ كَامِلٌ وَٱلْعَاقِلُ غَيْرُ ٱلْكَرِيمِ ٱصْحَبْهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَحْمُودِ ٱلْخَلِيقَةِ(٤) وَٱحْذَرْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ وَٱنْتَفِعْ بِعَقْلِهِ. وَٱلْكَرِيمُ غَيْرُ ٱلْعَاقِلِ ٱلْزَمْهُ وَلَا تَدَعْ مُوَاصَلَتَهُ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَقْلَهُ وَٱنْتَفِعْ بِكَرَمِهِ وَٱنْفَعْهُ بِعَقْلِكَ. وَٱلْفِرَارَ كُلَّ ٱلْفِرَارِ مِنَ ٱللَّئِيمِ ٱلْأَحْمَقِ. وَإِنِّي بِٱلْفِرَارِ مِنْكَ لَجَدِيرٌ. وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوَانُكَ عِنْدَكَ كَرَمًا وَوُدًّا وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِكِكَ ٱلَّذِي أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ مَا صَنَعْتَ. وَإِنَّ مَثَلَكَ مَثَلُ ٱلتَّاجِرِ ٱلَّذِي قَالَ إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ

---

(١) منتظرًا (٢) اللسع (٣) اي انبسط واستأنس بهم (٤) الطبيعة اي السجيه التي جبل عليها الانسان

جرذانها مئة منّ⁽¹⁾ حديدًا ليس بمستنكر لبزاتها⁽²⁾ أن تختطف الفيلة. قال دمنة وكيف كان ذلك

قال كليلة زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر. فأراد الخروج إلى بعض الوجوه⁽³⁾ لابتغاء⁽⁴⁾ الرزق وكان عنده مئة منّ حديدًا فأودعها رجلًا من إخوانه وذهب في وجهه⁽⁵⁾ ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد فقال له قد أكلته الجرذان. فقال قد سمعت أن لا شيء أقطع من أنيابها للحديد. ففرح الرجل بتصديقه على ما قال وادّعى. ثم إن التاجر خرج فلقي ابنًا للرجل فأخذه وذهب به إلى منزله. ثم رجع إليه الرجل من الغد فقال له هل عندك علم من ابني. فقال له التاجر إني لما خرجت من عندك بالامس رأيت بازيًا قد اختطف صبيًا صفته كذا ولعله ابنك. فلطم الرجل رأسه وقال يا قوم هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان. فقال نعم وإن أرضًا تأكل جرذانها مئة منّ حديدًا ليس بعجب أن تختطف بزاتها الفيلة. قال له الرجل أنا أكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد عليّ ابني

(١) المنّ رطلان (٢) جمع بازي وهو من جوارح الطير (٣) النواحي (٤) اي لطلب (٥) عمله

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ غَدَرَ بِمَلِكِهِ وَصَاحِبِ نُعْمَاهُ(١) فَلَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ يَغْدُرَ بِغَيْرِهِ. وَإِذَا صَاحَبَ أَحَدٌ صَاحِبًا وَغَدَرَ بِمَنْ سِوَاهُ فَقَدْ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَّةِ مَوْضِعٌ. فَلَا شَيْءَ أَضْيَعُ مِنْ مَوَدَّةٍ تُمْنَحُ مَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ وَحِبَاءٍ(٢) يُصْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ. وَأَدَبٍ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ. وَسِرٍّ يُسْتَوْدَعُ مَنْ لَا يَحْفَظُهُ * وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلْمُرَّةَ لَوْ طُلِيَتْ(٣) بِٱلْعَسَلِ لَمْ يُجْدِهَا(٤) ذٰلِكَ شَيْئًا. وَإِنَّ صُحْبَةَ ٱلْأَخْيَارِ تُورِثُ ٱلْخَيْرَ وَصُحْبَةَ ٱلْأَشْرَارِ تُورِثُ ٱلشَّرَّ. كَالرِّيحِ إِذَا مَرَّتْ بِٱلطِّيبِ حَمَلَتْ طِيبًا وَإِذَا مَرَّتْ بِٱلنَّتْنِ(٥) حَمَلَتْ نَتْنًا * وَقَدْ طَالَ وَثَقُلَ كَلَامِي عَلَيْكَ

فَٱنْتَهَى كَلِيلَةُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَقَدْ فَرَغَ ٱلْأَسَدُ مِنَ ٱلثَّوْرِ * ثُمَّ فَكَّرَ فِي قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ ٱلْغَضَبُ وَقَالَ لَقَدْ فَجَعَنِي(٦) شَتْرَبَةُ بِنَفْسِهِ وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ. وَلَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ. فَحَزِنَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. وَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وَجْهِهِ وَبَصُرَ بِهِ دِمْنَةُ

---

(١) نعمته وهي ما انعم به عليه من المال وغيره (٢) عطاء (٣) لطخت (٤) ينفعها (٥) الخبيث الرائحة (٦) من الفجع وهو ان يوجع الانسان بشيء يكرم عليه فيعدمه

فَتَرَكَ مُحَاوَرَةَ كَلِيلَةَ وَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ لِيَهْنِئْكَ ٱلظَّفَرُ. إِذَا أَهْلَكَ ٱللّٰهُ أَعْدَاءَكَ فَمَاذَا يُحْزِنُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ * قَالَ أَنَا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَتْرَبَةَ وَرَأْيِهِ وَأَدَبِهِ * قَالَ لَهُ دِمْنَةُ لَا تَرْحَمْهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَرْحَمُ مَنْ يَخَافُهُ. وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْحَازِمَ(١) رُبَّمَا أَبْغَضَ ٱلرَّجُلَ وَكَرِهَهُ ثُمَّ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ لِمَا يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْغَنَاءِ(٢) وَٱلْكِفَاءَةِ(٣). فِعْلَ ٱلرَّجُلِ ٱلْمُتَكَارِهِ(٤) عَلَى ٱلدَّوَاءِ ٱلشَّنِيعِ(٥) رَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ. وَرُبَّمَا أَحَبَّ ٱلرَّجُلَ وَعَزَّ عَلَيْهِ فَأَقْصَاهُ(٦) وَأَهْلَكَهُ مَخَافَةَ ضَرَرِهِ كَٱلَّذِي تَلْدَغُهُ ٱلْحَيَّةُ فِي إِصْبَعِهِ فَيَقْطَعُهَا وَيَتَبَرَّأُ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ يَسْرِيَ سُمُّهَا إِلَى بَدَنِهِ

فَرَضِيَ ٱلْأَسَدُ بِقَوْلِ دِمْنَةَ * ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ

ذٰلِكَ بِكَذِبِهِ وَفُجُورِهِ فَقَتَلَهُ

شَرَّ قِتْلَةٍ

Course.

---

(١) الذي يضبط امره ويحكمه وياخذ فيه بالثقة (٢) المنفعة (٣) حالة يكون بها شيءٌ مساويًا لشيءٍ اخر (٤) الذي يفعل الشيء ولا يريده (٥) الكريه الطعم (٦) ابعده

تم القسم الاول ويليه القسم الثاني وكلاهما مطبوع بالمطبعة العلمية
ليوسف ابرهيم صادر وهما مع سائر الكتب المدرسية والعلمية
تطلب من المكتبة العمومية لسليم ابرهيم صادر في بيروت

القسم الثاني

من كتاب كليلة ودمنة

باب
الفحص عن أمر دمنة

قالَ دبشليمُ الملكُ لبيدبا الفيلسوفِ قد حدَّثتني عن الواشي (١) الماهرِ المحتالِ كيف يفسدُ بالنَّميمةِ (٢) المودَّةَ الثابتةَ بينَ المتحابَّين. فحدِّثني إن رأيتَ بما كانَ من حالِ دمنةَ وإلامَ آلَ مآلُه (٣) بعدَ قتلِ شترَبةَ وما كانَ من معاذيرِه (٤) عندَ الأسدِ وأصحابِه حينَ راجعَ الأسدُ رأيَه في الثورِ وأدخلَ النميمةَ على دمنةَ وما كانت حجَّتُه (٥) التي احتجَّ (٦) بها

قالَ الفيلسوفُ إنِّي وجدتُ في حديثِ دمنةَ أنَّ الأسدَ حينَ قتلَ شتربةَ ندمَ على قتلِه وذكرَ قديمَ صحبتِه وجسيمَ خدمتِه وأنَّه كانَ أكرمَ أصحابِه عليه وأخصَّهم منزلةً لديه

(١) الكذاب الساعي بين الناس بالافساد ليوقع فتنةً او وحشة (٢) فعل النمّام وهو الذي يزين الكلام بالكذب (٣) اي رجع مرجعه (٤) جمع معذار وهو ما يحتج به الانسان لينفي عن نفسه الذنب واللوم (٥) برهانه (٦) اعتذر

وَأَقْرَبِهِمْ وَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَكَانَ يُوَاصِلُ لَهُ الْمَشُورَةَ دُونَ خَوَاصِّهِ (١) وَكَانَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّوْرِ النَّمِرُ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ أَمْسَى النَّمِرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْأَسَدِ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ جَوْفَ اللَّيْلِ (٢) يُرِيدُ مَنْزِلَهُ. فَاجْتَازَ (٣) عَلَى مَنْزِلِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ سَمِعَ كَلِيلَةَ يُعَاتِبُ دِمْنَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَيَلُومُهُ فِي النَّمِيمَةِ وَاسْتِعْمَالِهَا مَعَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ (٤) فِي حَقِّ الْخَاصَّةِ. وَعَرَفَ النَّمِرُ عِصْيَانَ دِمْنَةَ وَتَرْكَ الْقَبُولِ مِنْهُ فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا. فَكَانَ فِيمَا قَالَ كَلِيلَةُ لِدِمْنَةَ لَقَدِ ارْتَكَبْتَ مَرْكَبًا (٥) صَعْبًا وَدَخَلْتَ مَدْخَلًا ضَيِّقًا وَجَنَيْتَ (٦) عَلَى نَفْسِكَ جِنَايَةً (٧) مُوبِقَةً (٨) وَعَاقِبَتُهَا وَخِيمَةٌ (٩) وَسَوْفَ يَكُونُ مَصْرَعُكَ (١٠) شَدِيدًا إِذَا انْكَشَفَ لِلْأَسَدِ أَمْرُكَ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ وَعَرَفَ غَدْرَكَ وَمِحَالَكَ (١١) وَبَقِيتَ لَا نَاصِرَ لَكَ. فَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الْهَوَانُ وَالْقَتْلُ مَخَافَةَ شَرِّكَ وَحَذَرًا مِنْ غَوَائِلِكَ (١٢) فَلَسْتُ بِمُتَّخِذِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ خَلِيلًا وَلَا مُفْشٍ (١٣) لَكَ سِرًّا. لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا تَبَاعَدْ مِمَّنْ لَا رَغْبَةَ لَكَ

---

(١) المقربين من رجال دولته (٢) وسطه (٣) اي مرَّ (٤) القول على الناس ما لم يفعلوه (٥) اي اقتحمت امرًا مهلكاً (٦) جنى الذنب على نفسه جره اليها (٧) ذنبًا (٨) مهلكة (٩) رديئة (١٠) المصرع الطرح على الارض والمراد به هنا القتل والهلاك (١١) اي طلبك الامر بالحيل والمكر (١٢) شرورك (١٣) كاشف

فِيهِ وَأَنَا جَدِيرٌ (١) بِمُبَاعَدَتِكَ وَٱلْتِمَاسِ ٱلْخَلَاصِ لِي مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِ ٱلْأَسَدِ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّمِرُ هٰذَا مِنْ كَلَامِهِمَا قَفَلَ (٢) رَاجِعًا فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ ٱلْأَسَدِ فَأَخَذَ عَلَيْهَا ٱلْعُهُودَ وَٱلْمَوَاثِيقَ (٣) أَنَّهَا لَا تَبُوحُ (٤) بِمَا يُسِرُّ إِلَيْهَا فَعَاهَدَتْهُ عَلَى ذٰلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِمَا سَمِعَ مِنْ كَلَامِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ دَخَلَتْ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَوَجَدَتْهُ كَئِيبًا (٥) حَزِينًا مَهْمُومًا لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ شَتْرَبَةَ * فَقَالَتْ لَهُ مَا هٰذَا ٱلْهَمُّ ٱلَّذِي أَخَذَ مِنْكَ (٦) وَغَلَبَ عَلَيْكَ * قَالَ يُحْزِنُنِي قَتْلُ شَتْرَبَةَ إِذَا تَذَكَّرْتُ صُحْبَتَهُ وَمُوَاظَبَتَهُ مَعِي وَمَا كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ مُؤَامَرَتِهِ (٧) وَأَسْكُنُ (٨) إِلَيْهِ فِي مُشَاوَرَتِهِ وَأَقْبَلُ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ (٩) * قَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّ لَكَ فِي قَتْلِهِ فَرَجًا فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْزَنَ . وَإِلَّا فَقَلْبُكَ يَشْهَدُ أَنَّ عَمَلَكَ ٱلَّذِي عَمِلْتَهُ لَمْ يَكُنْ صَوَابًا وَلَا عَدْلًا . لِأَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ عَدُوَّكَ مِنْ صَدِيقِكَ فَتَفَكَّرْ فِي نَفْسِكَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ لَهُ سَلِيمًا فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ كَذٰلِكَ

فَٱنْظُرِ ٱلْآنَ وَٱبْحَثْ فِي ذَاتِ نَفْسِكَ (١٠) هَلْ تَرَى ضَمِيرَكَ

(١) اولى واحق (٢) رجع (٣) جمع ميثاق بمعنى العهد (٤) لا تظهر ولا تكشف (٥) مغموماً (٦) اثر فيك (٧) مشاورته (٨) ارتاح (٩) اي وعظه (١٠) سريرتك

يشهد لك أن الذي فعلته بالثور كان عدلاً أم ظلماً * فقال
الأسد إن صح ما تقولين فإني لم أقتل الثور إلا ظلماً لأني قد
بحثت في نفسي كما تقولين فلم أجد فيها إلا ما يدل على براءة
شتربة وقتله ظلماً وبغياً(١) مكذوباً عليه من الأشرار . وإن
كثرة البحث عن الأمور تحق الحق وتبطل الباطل . وإن
حديثك ليدل على مكنون(٢) أمر . أفبلغك شيء عن هذا الأمر *
فقالت أم الأسد إن أشد ما شهد امرؤ على نفسه . وهذا خطأ
عظيم كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين . ولولا ما
قالت العلماء من إذاعة الأسرار وما فيها من الإثم والشنار(٣)
لذكرت لك وأخبرتك بما علمت . فإن العلماء قد قالوا إن
أحمد الناس عاقبة في الدنيا والآخرة أكتمهم للسر * قال
الأسد إن أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان متباينة .
فإنهم قد قالوا أيضاً من اطلع على ذنوب المذنبين فكتمها عن
السلطان فلم يعاقبوا على ذنوبهم عوقب هو يوم القيامة . وإن
الذي أطلعك على هذا السر العظيم لم يطلعك عليه إلا
لتعلميني به فأطلعيني على ما أسر إليك من ذلك وأخبريني به

(١) تعدياً (٢) مستور (٣) العار

ولا تطويه (١) عني * فأخبرته بجميع ما ألقاه إليها (٢) النمر من غير أن تخبره باسمه وقالت إني لم أجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار في إذاعة الأسرار . ولكنني أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة (٣) لك . فقد قالت العلماء إن فساد عامة الأشياء يكون من حالتين إحداهما إفشاء السر والأخرى ترك عقوبة من يستوجب العقوبة ولإفشاء السر خير من أن يبقى (٤) على هذا الخائن دمنة الذي أدخل الفساد بينك وبين الثور بمكره وفجوره . فلو كنتم أمره لنجا من العقاب على فعله ولخيف منه أكبر من هذه الفعلة من مثله . وقد أمر العلماء بالعفو عن الجاني (٥) والصفح عن المذنب ولكنهم قد نهوا عن اغتفار الجرم (٦) العظيم والذنب الكبير فلما قضت أم الأسد هذا الكلام صح (٧) عند الأسد ما فعل دمنة فاستدعى أصحابه وجنده فأدخلوا عليه . ثم أمر أن يؤتى بدمنة . فلما حضر دمنة نكس الأسد رأسه (٨) إلى الأرض مليًّا (٩) * فالتفت دمنة إلى بعض الحاضرين فقال ما الذي حدث

---

(١) تكتميه (٢) ابلغها اياه (٣) اي بما يترتب على الفعل ويبعث على الصلاح (٤) يحفظ ويرحم (٥) المذنب (٦) تغطية الذنب والستر عليه (٧) ثبت وتأكد (٨) طأطأه (٩) طويلاً

وَعلامَ اجتمعتم وما الذي أحزن الملك * فالتفتت أم الأسد إليه وقالت له أحزن الملك بقاؤك ولو طرفة عين[1] ولن يدعك بعد اليوم حيًّا * قال دمنة وما حدث من أمري حتى وجب به قتلي * قالت إنه قد بان للملك كذبك وفجورك وخديعتك في قتل الثور من غير ذنب كان منه فلست حقيقًا[2] أن تترك بالحياة طرفة عين * قال دمنة ما ترك الأول للآخر شيئًا لأنه يقال أشد الناس في توقّي الشر[3] يصيبه الشر قبل المستسلم[4] له فلا يكونن الملك وخاصته وجنوده المثل السوء. ولقد صدق من قال كلما ازداد الإنسان في الخير اجتهادًا كان الشر إليه أسرع. وقد قيل من صحب الأشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من نفسه. ولذلك انقطعت[5] النساك بأنفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها. ومن يجزي بالخير خيرًا وبالإحسان إحسانًا إلا الله. ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقًا أن يخطى بالحرمان إذ يخطئ الصواب[6] في خلوص العمل لغير الله

(١) اي مقدار تحريك جفنيها (٢) اي مستاهلاً (٣) التحفظ والتحذر منه (٤) المنقاد (٥) انفردت (٦) اي يحيد عنه

وَطَلَبِ ٱلْجَزَاءِ مِنَ ٱلنَّاسِ. وَلَكِنَّ عَاقِبَةَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَاقَبَ بِهِ ٱلْفُجَّارُ يُصَابُ بِهِ ٱلْأَخْيَارُ. وَهٰذَا ٱلْأَمْرُ شَبِيهٌ بِشَأْنِي[1] لِأَنَّنِي حَمَلَنِي[2] حُبُّ ٱلْمَلِكِ وَنُصْحِي لَهُ وَإِشْفَاقِي[3] عَلَيْهِ أَنْ أُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّ عَدُوِّهِ ٱلْخَائِنِ. وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ قَدْ شَاهَدَ مِنْهُ ذٰلِكَ عِيَانًا وَظَهَرَتْ لَهُ مِنْهُ ٱلْعَلَامَاتُ ٱلَّتِي ذَكَرْتُهَا لَهُ. أَفَهٰذَا جَزَائِي مِنْهُ أَنْ أُقْتَلَ

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ دِمْنَةَ أَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ لِيَجْتَهِدَ فِي ٱلْفَحْصِ عَنْهُ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ٱلْعَجَلَةِ وَٱلنَّدَامَةِ * فَعِنْدَ ذٰلِكَ سَجَدَ دِمْنَةُ لِلْأَسَدِ شُكْرًا لَهُ وَدَعَا لَهُ وَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَعْجَلْ فِي قَتْلِي وَلَا تَسْمَعْ فِيَّ كَلَامَ ٱلْأَشْرَارِ وَلْيَبْحَثِ ٱلْمَلِكُ عَنْ أَمْرِي حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ صِدْقِي. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ إِنَّ ٱلنَّارَ أُخْفِيَتْ فِي ٱلْحِجَارَةِ فَلَا تُسْتَخْرَجُ مِنْهَا إِلَّا بِٱلْمُعَالَجَةِ وَٱلْقَدْحِ[4]. وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ لِنَفْسِي ذَنْبًا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْمَلِكِ لَمْ أَقُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ. وَأَنَا أَرْغَبُ[5] إِلَى ٱلْمَلِكِ إِنْ كَانَ

---

(١) بامري (٢) دفعني (٣) خوفي (٤) القدح عند العرب يكون بضرب عود على عود آخر فتقدح النار من شدة اصطكاكهما وعند اهل المدن بضرب قطعة من الفولاذ على حجر او بضرب حجر عليها فتخرج النار (٥) ابتهل واتضرع

فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِي أَنْ يَأْمُرَ بِٱلنَّظَرِ فِيهِ وَيَكُونَ مَنْ يَتَوَلَّى ذٰلِكَ لَا تَأْخُذُهُ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ [1] وَإِلَّا فَلَا مَلْجَأَ لِي فِي ذٰلِكَ إِلَّا ٱللهُ وَهُوَ ٱلَّذِي يَعْلَمُ سَرَائِرَ ٱلْعِبَادِ وَمَا تُكِنُّ [2] صُدُورُهُمْ. وَإِنَّ أَحَقَّ مَا رَغِبَتْ فِيهِ رَعِيَّةُ ٱلْمَلِكِ هُوَ مَحَاسِنُ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَوَاقِعُ ٱلصَّوَابِ وَجَمِيلُ ٱلسِّيَرِ [3]. وَإِنَّ ٱلْبَاطِلَ قَدْ يَتَلَبَّسُ [4] بِٱلْحَقِّ حَتَّى يَتَشَابَهَا كَمَا أَصَابَ ٱلْخَازِنَ ٱلَّذِي فَضَحَ سِرَّهُ بِٱلتَّلْبِيسِ [5] عَلَيْهِ.
قَالَ ٱلْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ تَاجِرٌ وَكَانَ لَهُ خَازِنٌ [6] لِبَيْتِ مَالِهِ. وَإِنَّ ٱلْخَازِنَ أَرَادَ ٱخْتِلَاسَ [7] شَيْءٍ مِنَ ٱلْمَالِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِأَنَّ ٱلتَّاجِرَ كَانَ إِذَا دَخَلَ ٱلْخَازِنُ بَيْتَ ٱلْمَالِ أَقْفَلَ عَلَيْهِ ٱلْبَابَ. فَإِذَا أَرَادَ ٱلْخُرُوجَ أَتَى فَفَتَحَ لَهُ وَفَتَّشَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ. وَكَانَ إِلَى جَنْبِ ٱلتَّاجِرِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ مَاهِرٌ وَكَانَ هُوَ لِلْخَازِنِ صَدِيقًا. فَقَالَ لَهُ ٱلْخَازِنُ يَوْمًا هَلْ لَكَ [8] أَنْ تُوَاطِئَنِي [9] عَلَى ٱلِٱخْتِلَاسِ مِنْ هٰذَا ٱلْمَالِ. قَالَ نَعَمْ. قَالَ وَمَا ٱلْحِيلَةُ وَلَا سَبِيلَ لِي إِلَى ٱلْخُرُوجِ إِلَيْكَ وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى ٱلدُّخُولِ إِلَيَّ

(١) اي لا يخاف فيه اللوم (٢) تخفي (٣) جمع سيرة السلطان وهي طريقته التي يحمل عليها رعيته من عدلٍ او جور (٤) يختلط (٥) الخلط (٦) امين يتولى حفظ ماله (٧) سلب (٨) اي هل تريد (٩) توافقني

وَذَكَرَ لَهُ حَالَهُ مَعَ ٱلتَّاجِرِ. قَالَ ٱلْمُصَوِّرُ أَوَمَا لِبَيْتِ ٱلْمَالِ كُوَّةٌ إِلَى ٱلْخَارِجِ تُنَاوِلُنِي مِنْهَا شَيْئًا فِي ٱلظَّلَامِ. قَالَ بَلَى وَلٰكِنْ أَخْشَى أَنْ يَرَانَا أَحَدٌ. قَالَ فَأَنَا أَمُرُّ قَرِيبًا مِنَ ٱلْكُوَّةِ إِذَا ٱبْتَدَأَ ٱلظَّلَامُ فَأَصْفِرُ لَكَ أَوْ أُومِئُ[1] إِلَيْكَ فَتَرْمِي لِي بِصُرَّةٍ فَآخُذُهَا وَلَا يَشْعُرُ بِنَا[2]. فَرَضِيَ ٱلْخَازِنُ بِذٰلِكَ وَأَعْجَبَهُ وَأَقَامَا عَلَيْهِ حِينًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَازِنَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِلْمُصَوِّرِ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَالَ بِحِيلَةٍ أَعْلَمُ بِهَا مَجِيئَكَ مِنْ غَيْرِ صَفْرٍ وَلَا إِيمَاءٍ وَلَا مَا يُرْتَابُ بِهِ مِنْ فِعْلِكَ وَفِعْلِي فَإِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يُحِسَّ بِنَا أَحَدٌ. قَالَ ٱلْمُصَوِّرُ عِنْدِي مِنَ ٱلْحِيلَةِ مَا سَأَلْتَ. إِنَّ عِنْدِي مُلَاءَةً[3] فِيهَا مِنْ تَهَاوِيلِ ٱلصُّوَرِ[4] وَتَمَاثِيلِ ٱلصَّنْعَةِ فَإِنِّي أَلْبَسُهَا حِينَ مَجِيئِي وَأَتَرَاءَى[5] لَكَ فِيهَا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْمُصَوِّرَ لَبِسَ ٱلْمُلَاءَةَ وَتَرَاءَى لَهُ فَرَمَى لَهُ بِٱلصُّرَّةِ فَتَنَاوَلَهَا. وَلَمْ يَزَالَا عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى بَصُرَ بِهِمَا فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ جَارٌ لِلْمُصَوِّرِ. وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَادِمِ لِلْمُصَوِّرِ صَدَاقَةٌ. فَطَلَبَ ٱلْمُلَاءَةَ مِنْهُ وَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أُرِيَهَا صَدِيقًا لِي لِأَسُرَّهُ بِذٰلِكَ وَأُسْرِعُ ٱلْكَرَّةَ[6] بِرَدِّهَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِذٰلِكَ مَوْلَاكَ فَأَعْطَاهُ

---

(١) اشير (٢) اي لا يعلم او لا يحسّ (٣) كساء يلتف به (٤) زينتها
(٥) اي اتصدى لك لتراني (٦) الرجوع

إِيَّاهَا. وَلَمَّا أَتَى ٱللَّيْلُ أَسْرَعَ فَلَبِسَهَا وَمَرَّ مِنْ حَيْثُ كَانَ يَمُرُّ ٱلْمُصَوِّرُ فَلَمَّا رَآهُ ٱلْخَازِنُ لَمْ يَشُكَّ فِي مَجِيئِهِ فَرَمَى لَهُ بِٱلصُّرَّةِ فَتَنَاوَلَهَا وَٱنْطَلَقَ فَرَجَعَ بِٱلْمُلَاءَةِ إِلَى خَادِمِ ٱلْمُصَوِّرِ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَوَضَعَهَا مَوْضِعَهَا وَكَانَ ٱلْمُصَوِّرُ عَنْ بَيْتِهِ غَائِبًا * فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ لَبِسَ ٱلْمُلَاءَةَ عَلَى عَادَتِهِ وَتَرَاءَى لِلْخَازِنِ فَعَجِبَ مِنْ رُجُوعِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَرْمِي لَهُ بِهِ وَٱنْصَرَفَ ٱلْمُصَوِّرُ بِلَا شَيْءٍ. ثُمَّ تَلَاقَيَا بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ لَهُ ٱلْمُصَوِّرُ لِمَ لَمْ تَرْمِ لِي بِٱلصُّرَّةِ. قَالَ أَوَلَمْ تَمُرَّ قُبَيْلَ مُرُورِكَ وَرَمَيْتُ لَكَ بِهَا. فَرَجَعَ ٱلْمُصَوِّرُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَدَعَا خَادِمَهُ وَتَوَعَّدَهُ[١] بِٱلْقَتْلِ أَوْ يُخْبِرَهُ بِٱلْحَقِيقَةِ فَأَخْبَرَهُ بِٱلْقِصَّةِ فَأَخَذَ ٱلْمُلَاءَةَ فَأَحْرَقَهَا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ إِرَادَةَ أَنْ لَا يَعْجَلَ ٱلْمَلِكُ فِي أَمْرِي بِشُبْهَةٍ. وَلَسْتُ أَقُولُ هٰذَا كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَرِيهًا لَا مَنْجَى مِنْهُ وَكُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ. وَإِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا مَنِ ٱقْتَرَفَ[٢] خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ أَسْلَمَ نَفْسَهُ إِلَى ٱلْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَى ذٰلِكَ عَفَا ٱللهُ عَنْهُ وَأَنْجَاهُ[٣] فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ ٱلنَّارِ. وَلَوْ كَانَتْ لِي مِئَةُ نَفْسٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَوَى ٱلْمَلِكِ

---

(١) تهدده (٢) فعل (٣) خلصه

في إتلافهن طبت له بذلك نفساً * فقال بعض الجند لم ينطق بهذا لحبه الملك ولكن لخلاص نفسه والتماس[1] العذر لها. فقال له دمنة ويلك وهل علي في التماس العذر لنفسي عيب وهل أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه. وإذا لم يلتمس لها العذر فمن يلتمسه. لقد ظهر منك ما لم تكن تملك كتمانه من الحسد والبغضاء. ولقد عرف من سمع منك أنك لا تحب لأحد خيراً وأنك عدو نفسك فمن سواها بالأولى. فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلاً عن أن يكون مع الملك وأن يكون ببابه * فلما أجابه دمنة بذلك خرج مكتئباً[2] حزيناً مستحيياً. فقالت أم الأسد لدمنة لقد عجبت منك أيها المحتال في قلة حيائك وكثرة قحتك[3] وسرعة جوابك لمن كلمك. قال دمنة لأنك تنظرين إلي بعين واحدة وتسمعين بأذن واحدة مع أن شقاوة جدي[4] قد زوت[5] عني كل شيء حتى لقد سعوا[6] إلى الملك بالنميمة علي

وإني أرى كل شيء قد تنكر[7] حتى صار الناس لا ينطقون

(١) طلب (٢) مغتماً (٣) بمعنى قلة الحياء (٤) حظي (٥) منعت
(٦) اي مشوا بالمفاسد ليوقعوا فتنة بيني وبينه (٧) تغير عن حاله

بِالْحَقِّ وَصَارَ مَنْ بِبَابِ الْمَلِكِ لِاسْتِخْفَافِهِمْ بِهِ وَطُولِ كَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ وَالنِّعْمَةِ لَا يَدْرُونَ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَنْبَغِي لَهُمُ الْكَلَامُ وَلَا مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمِ السُّكُوتُ * قَالَتْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هٰذَا الْخَبِيثِ مَعَ عِظَمِ ذَنْبِهِ كَيْفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ بَرِيئًا كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ غَيْرَ أَعْمَالِهِمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ كَالَّذِي يَضَعُ الرَّمَادَ مَوْضِعًا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ الرَّمْلَ وَيَسْتَعْمِلَ فِيهِ السِّرْجِينَ[1] · وَالرَّجُلُ الَّذِي يَلْبَسُ لِبَاسَ الْمَرْأَةِ · وَالْمَرْأَةِ الَّتِي تَلْبَسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ · وَالضَّيْفِ الَّذِي يَقُولُ أَنَا رَبُّ الْبَيْتِ · وَالَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ بِمَا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ · وَإِنَّمَا الْخَبِيثُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأُمُورَ وَلَا أَحْوَالَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ * قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَتَظُنُّ أَيُّهَا الْغَادِرُ[2] الْمُحْتَالُ بِقَوْلِكَ هٰذَا أَنَّكَ تَخْدَعُ الْمَلِكَ وَلَا يَسْجُنُكَ * قَالَ دِمْنَةُ الْغَادِرُ هُوَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ عَدُوُّهُ مَكْرَهُ وَإِذَا اسْتَمْكَنَ مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ * قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَيُّهَا الْغَادِرُ الْكَذُوبُ أَتَظُنُّ أَنَّكَ نَاجٍ مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ وَأَنَّ مِحَالَكَ[3] هٰذَا

---

(١) الزبل (٢) الخائن الناقض العهد (٣) طلبك الامر بالحيل والمكر وقد مرّ

يَنْفَعُكَ مَعْ عِظَمِ جُرْمِكَ(١) * قَالَ دِمْنَةُ ٱلْكَذُوبُ هُوَ ٱلَّذِي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ وَيَأْتِي بِمَا لَمْ يَقُلْ وَلَمْ يَفْعَلْ. وَأَمَّا أَنَا فَكَلَامِي حَقٌّ وَٱلْمَلِكُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ كُنْتُ كَاذِبًا لَمْ يَكُنْ لِي جُرْأَةٌ(٢) أَنْ أَتَكَلَّمَ هٰذَا ٱلْكَلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ لَيْسَ أَشْجَعُ مِنْ بَرِيءٍ وَلَا أَذْلَقُ(٣) لِسَانًا مِنْ ذِي حَقٍّ * قَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْكُمْ هُمُ ٱلَّذِينَ يُوضِحُونَ أَمْرَهُ بِفَصْلِ ٱلْخِطَابِ(٤). ثُمَّ نَهَضَتْ فَخَرَجَتْ فَدَفَعَ ٱلْأَسَدُ دِمْنَةَ إِلَى ٱلْقَاضِي فَأَمَرَ ٱلْقَاضِي بِسَجْنِهِ فَأُلْقِيَ فِي عُنُقِهِ غُلٌّ(٥) وَٱنْطُلِقَ بِهِ إِلَى ٱلسِّجْنِ

فَلَمَّا ٱنْتَصَفَ ٱللَّيْلُ أُخْبِرَ كَلِيلَةُ أَنَّ دِمْنَةَ فِي ٱلسِّجْنِ. فَأَتَاهُ مُسْتَخْفِيًا فَلَمَّا رَآهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضِيقِ ٱلْقُيُودِ وَحَرَجِ(٦) ٱلْمَكَانِ بَكَى. وَقَالَ مَا وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا لِٱسْتِعْمَالِكَ ٱلْخَدِيعَةَ وَٱلْمَكْرَ وَإِضْرَابِكَ(٧) عَنِ ٱلْعِظَةِ وَٱلنُّصْحِ. وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ فِيمَا مَضَى مِنْ إِنْذَارِكَ(٨) وَٱلنَّصِيحَةِ لَكَ وَٱلْمُسَارَعَةِ إِلَيْكَ فِي خُلُوصِ ٱلرَّغْبَةِ فِيكَ. فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مَجَالٌ(٩). وَلَوْ كُنْتُ قَصَّرْتُ فِي عِظَتِكَ حِينَ كُنْتَ فِي عَافِيَةٍ لَكُنْتُ

---

(١) ذنبك وقد مرّ ايضًا (٢) شجاعة (٣) احدّ (٤) الفصل بين الحق والباطل (٥) طوق من حديد او قدٌّ من جلد (٦) ضيق (٧) اعراضك وصدك (٨) تحذرك من عاقبة الامر قبل حلوله (٩) طريق

ٱلْيَوْمَ شَرِيكَكَ فِي ذَنْبِكَ • غَيْرَ أَنَّ ٱلْعُجْبَ(١) دَخَلَ مِنْكَ مَدْخَلاً قَهَرَ رَأْيَكَ وَغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ • وَكُنْتُ أَضْرِبُ(٢) لَكَ ٱلْأَمْثَالَ كَثِيرًا وَأُذَكِّرُكَ قَوْلَ ٱلْعُلَمَاءِ وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ إِنَّ ٱلْمُحْتَالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ(٣) * قَالَ دِمْنَةُ قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ مَقَالِكَ • وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ لَا تَجْزَعْ مِنَ ٱلْعَذَابِ إِذَا وَقَفْتَ مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَلَأَنْ تُعَذَّبَ فِي ٱلدُّنْيَا بِجُرْمِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَذَّبَ فِي ٱلْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ مَعَ ٱلْإِثْمِ * قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ • وَلَكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ وَعِقَابُ ٱلْأَسَدِ شَدِيدٌ أَلِيمٌ * وَكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي ٱلسِّجْنِ فَهْدٌ مُعْتَقَلٌ(٤) يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَلَا يَرَيَانِهِ • فَعَرَفَ مُعَاتَبَةَ كَلِيلَةَ لِدِمْنَةَ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَأَنَّ دِمْنَةَ مُقِرٌّ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَعَظِيمِ ذَنْبِهِ فَحَفِظَ ٱلْمُحَاوَرَةَ بَيْنَهُمَا وَكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا * ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ ٱنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَدَخَلَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ حُوشِيتَ(٥) أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ بِٱلْأَمْسِ وَأَنَّكَ أَمَرْتَ بِهِ لِوَقْتِهِ وَأَرْضَيْتَ بِهِ رَبَّ ٱلْعِبَادِ • وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى(٦) فِي ٱلْجِدِّ لِلتَّقْوَى

---

(١) الزهو والكبر (٢) اقول واصف (٣) وقته المعين (٤) محبوس
(٥) نزّهت (٦) يقصر ولم يهتمّ

بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَنْبِ ٱلْأَثِيمِ[١] * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ كَلَامَ أُمِّهِ أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ ٱلنَّمِرُ وَهُوَ صَاحِبُ ٱلْقَضَاءِ. فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ وَلِلْجَوَّاسِ[٢] ٱلْعَادِلِ اجْلِسَا فِي مَوْضِعِ ٱلْحُكْمِ وَنَادِيَا فِي ٱلْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ أَنْ يَحْضُرُوا وَيَنْظُرُوا فِي حَالِ دِمْنَةَ وَيَبْحَثُوا عَنْ شَأْنِهِ وَيَفْحَصُوا عَنْ ذَنْبِهِ وَيُثْبِتُوا[٣] قَوْلَهُ وَعُذْرَهُ فِي كُتُبِ ٱلْقَضَاءِ وَٱرْفَعَا إِلَيَّ ذٰلِكَ يَوْمًا فَيَوْمًا. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّمِرُ ذٰلِكَ وَٱلْجَوَّاسُ ٱلْعَادِلُ وَكَانَ هٰذَا ٱلْجَوَّاسُ عَمَّ ٱلْأَسَدِ قَالَا سَمْعًا وَطَاعَةً لِمَا أَمَرَ ٱلْمَلِكُ وَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِلَا بِمُقْتَضَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ. حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي جَلَسُوا فِيهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ أَمَرَ ٱلْقَاضِي أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ فَأُتِيَ بِهِ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَٱلْجَمَاعَةُ حُضُورٌ

فَلَمَّا ٱسْتَقَرَّ[٤] بِهِ ٱلْمَكَانُ نَادَى سَيِّدُ ٱلْجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَيُّهَا ٱلْجَمْعُ إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ ٱلسِّبَاعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قَتْلِ شَتْرَبَةَ خَاثِرَ[٥] ٱلنَّفْسِ كَثِيرَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ شَتْرَبَةَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَأَنَّهُ أَخَذَهُ بِكَذِبِ دِمْنَةَ وَنَمِيمَتِهِ. وَهٰذَا ٱلْقَاضِي قَدْ

---

(١) المذنب (٢) مبالغة من جاس الشيء اذا طلبه بالاستقصاء (والاسد)
(٣) اي يأكدوه بالبينة (٤) ثبت وتمكن (٥) مضطرب ومرتبك

أُمِرَ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسَ الْقَضَاءِ وَيَبْحَثَ عَنْ شَأْنِ دِمْنَةَ. فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَمْرِ دِمْنَةَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَلْيَقُلْ ذٰلِكَ وَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْجَمْعِ وَالْأَشْهَادِ(١) لِيَكُونَ الْقَضَاءُ(٢) فِي أَمْرِهِ بِحَسَبِ ذٰلِكَ. فَإِذَا اسْتَوْجَبَ الْقَتْلَ فَالتَّثَبُّتُ(٣) فِي أَمْرِهِ أَوْلَى وَالْعَجَلَةُ مِنَ الْهَوَى(٤) وَمُتَابَعَةُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْبَاطِلِ ذُلٌّ* فَعِنْدَهَا قَالَ الْقَاضِي أَيُّهَا الْجَمْعُ اسْمَعُوا قَوْلَ سَيِّدِكُمْ وَلَا تَكْتُمُوا مَا عَرَفْتُمْ مِنْ أَمْرِهِ. وَاعْتَبِرُوا فِي تَجَنُّبِ السَّتْرِ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ. أَمَّا إِحْدَاهُنَّ وَهِيَ أَهَمُّهُنَّ فَأَلَّا تَزْدَرُوا(٥) فِعْلَهُ وَلَا تَعُدُّوهُ يَسِيرًا(٦) فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا قَتْلُ الْبَرِيءِ الَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ بِالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ. وَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هٰذَا الْكَذَّابِ الَّذِي اتَّهَمَ الْبَرِيءَ بِكَذِبِهِ وَنَمِيمَتِهِ شَيْئًا فَسَتَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَرِيكُهُ فِي الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ* وَالثَّانِيَةُ أَنَّهُ إِذَا اعْتَرَفَ الْمُذْنِبُ بِذَنْبِهِ كَانَ أَسْلَمَ لَهُ وَالْأَحْرَى(٧) بِالْمَلِكِ وَجُنْدِهِ أَنْ يَعْفُوا عَنْهُ وَيَصْفَحُوا* وَالثَّالِثَةُ تَرْكُ مُرَاعَاةِ أَهْلِ الذَّمِّ وَالْفُجُورِ وَقَطْعُ أَسْبَابِ مُوَاصَلَتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ* فَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هٰذَا الْمُحْتَالِ شَيْئًا فَلْيَتَكَلَّمْ

---

(١) جمع شاهد وهو الذي يخبر بما عنده خبرًا قاطعًا (٢) الحكم (٣) التأني (٤) ميلان النفس الى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع (٥) اي فان لا تحتقروا (٦) قليلاً (٧) الاولى

بِهِ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَشْهَادِ مِمَّنْ حَضَرَ لِيَكُونَ ذٰلِكَ حُجَّةً(١) عَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهَادَةَ مَيْتٍ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَلْيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا عَلِمَ * فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ ٱلْجَمْعُ كَلَامَهُ أَمْسَكُوا(٢) عَنِ ٱلْقَوْلِ . فَقَالَ دِمْنَةُ مَا يُسْكِتُكُمْ تَكَلَّمُوا بِمَا عَلِمْتُمْ وَٱعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ جَوَابًا . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ مَنْ يَشْهَدْ بِمَا لَمْ يَرَ وَيَقُلْ مَا لَا يَعْلَمُ يُصِبْهُ مَا أَصَابَ ٱلطَّبِيبَ ٱلَّذِي قَالَ لِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِنِّي أَعْلَمُهُ . قَالَتِ ٱلْجَمَاعَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ طَبِيبٌ لَهُ رِفْقٌ(٣) وَعِلْمٌ . وَكَانَ ذَا فِطْنَةٍ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ مِنَ ٱلْمُعَالَجَاتِ . فَكَبِرَ ذٰلِكَ ٱلطَّبِيبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ . وَكَانَ لِمَلِكِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ ٱبْنٌ وَحِيدٌ . فَأَصَابَهُ مَرَضٌ فَجِيءَ بِهٰذَا ٱلطَّبِيبِ . فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَ ٱلْفَتَى عَنْ وَجَعِهِ وَمَا يَجِدُ فَأَخْبَرَهُ فَعَرَفَ دَاءَهُ وَدَوَاءَهُ وَقَالَ لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لَجَمَعْتُ ٱلْأَخْلَاطَ(٤) عَلَى مَعْرِفَتِي بِأَجْنَاسِهَا وَلَا أَثِقُ فِي ذٰلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِي . وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ جَاهِلٌ فَبَلَغَهُ ٱلْخَبَرُ فَأَتَاهُمْ وَٱدَّعَى عِلْمَ ٱلطِّبِّ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِمَعْرِفَةِ أَخْلَاطِ ٱلْأَدْوِيَةِ

---

(١) برهانًا ودليلاً (٢) سكتوا (٣) لطف (٤) الادوية المركبة من اجزاء

وَٱلْعَقَاقِيرِ[١] عَارِفٌ بِطَبَائِعِ ٱلْأَدْوِيَةِ ٱلْمُرَكَّبَةِ وَٱلْمُفْرَدَةِ. فَأَمَرَهُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يَدْخُلَ خِزَانَةَ ٱلْأَدْوِيَةِ فَيَأْخُذَ مِنْ أَخْلَاطِ ٱلدَّوَاءِ حَاجَتَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْجَاهِلُ ٱلْخِزَانَةَ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَدْوِيَةُ وَلَا يَدْرِي مَا هِيَ وَلَا لَهُ بِهَا مَعْرِفَةٌ أَخَذَ فِي جُمْلَةِ مَا أَخَذَ مِنْهَا صُرَّةً فِيهَا سُمٌّ قَاتِلٌ لِوَقْتِهِ وَدَافَهُ[٢] بِٱلْأَدْوِيَةِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ بِجِنْسِهِ. فَلَمَّا تَمَّتْ أَخْلَاطُ ٱلْأَدْوِيَةِ سَقَى ٱلْفَتَى مِنْهُ فَمَاتَ لِوَقْتِهِ. فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ دَعَا بِٱلْجَاهِلِ فَسَقَاهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلدَّوَاءِ فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكُمْ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا مَا يَدْخُلُ عَلَى ٱلْقَائِلِ وَٱلْعَامِلِ مِنَ ٱلذِّلَّةِ بِٱلشُّبْهَةِ[٣] فِي ٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْحَدِّ. فَمَنْ خَرَجَ مِنْكُمْ عَنْ حَدِّهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ذٰلِكَ ٱلْجَاهِلَ وَنَفْسُهُ ٱلْمَلُومَةُ* وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ رُبَّمَا جُزِيَ ٱلْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ. وَٱلْكَلَامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَٱنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ* فَتَكَلَّمَ سَيِّدُ ٱلْخَنَازِيرِ لِإِدْلَالِهِ[٤] وَتِيهِهِ[٥] بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ. فَقَالَ يَا أَهْلَ ٱلشَّرَفِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ أَسْمِعُوا مَقَالَتِي وَعُوا[٦] بِأَحْلَامِكُمْ[٧] كَلَامِي فَٱلْعُلَمَاءُ قَالُوا فِي

---

(١) ما يتداوى به من النباتات (٢) خلطه (٣) ما بين الخطا والصواب
(٤) اي جراءته ودالته (٥) كبريائه (٦) احفظوا (٧) عقولكم

شَأنِ ٱلصَّالِحِينَ إِنَّهُمْ يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمْ (١). وَأَنْتُمْ مَعَاشِرَ ذَوِي ٱلْاِقْتِدَارِ بِحُسْنِ صُنْعِ ٱللهِ لَكُمْ وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ تَعْرِفُونَ ٱلصَّالِحِينَ بِسِيمَاهُمْ وَصُوَرِهِمْ وَتَخْبُرُونَ ٱلشَّيْءَ (٢) ٱلْكَبِيرَ بِٱلشَّيْءِ ٱلصَّغِيرِ. وَهٰهُنَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى هٰذَا ٱلْخَبِيثِ دِمْنَةَ وَتُخْبِرُ عَنْ شَرِّهِ فَٱطْلُبُوهَا عَلَى ظَاهِرِ جِسْمِهِ لِتَسْتَيْقِنُوا وَتَسْكُنُوا (٣) إِلَى ذٰلِكَ. قَالَ ٱلْقَاضِي لِسَيِّدِ ٱلْخَنَازِيرِ قَدْ عَلِمْتُ وَعَلِمَ ٱلْجَمَاعَةُ ٱلْحَاضِرُونَ أَنَّكَ عَارِفٌ بِمَا فِي ٱلصُّوَرِ مِنْ عَلَامَاتِ ٱلسُّوءِ فَفَسِّرْ لَنَا مَا تَقُولُ وَأَطْلِعْنَا عَلَى مَا تَرَى فِي صُورَةِ هٰذَا ٱلْخَبِيثِ. فَأَخَذَ سَيِّدُ ٱلْخَنَازِيرِ يَذُمُّ دِمْنَةَ وَقَالَ إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ كَتَبُوا وَأَخْبَرُوا أَنَّهُ مَنْ كَانَتْ عَيْنُهُ ٱلْيُسْرَى أَصْغَرَ مِنْ عَيْنِهِ ٱلْيُمْنَى وَهِيَ لَا تَزَالُ تَخْتَلِجُ (٤) وَكَانَ أَنْفُهُ مَائِلًا إِلَى جَنْبِهِ ٱلْأَيْمَنِ فَهُوَ خَبِيثٌ جَامِعٌ لِلْخِبِّ (٥) وَٱلْفُجُورِ. وَكَانَ دِمْنَةُ عَلَى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ * فَلَمَّا سَمِعَ دِمْنَةُ ذٰلِكَ قَالَ مِنْ هٰهُنَا تَقِيسُونَ ٱلْكَلَامَ وَتَتْرُكُونَ ٱلْعِلْمَ فَٱسْمَعُوا مِنِّي مَا أَقُولُهُ لَكُمْ وَتَدَبَّرُوا (٦) بِعُقُولِكُمْ فَقَدْ وَعَيْتُمْ (٧) مَا قَالَ هٰذَا. فَإِنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ مَا فِي جِسْمِي مِنْ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَاتِ هُوَ ٱلدَّلِيلُ

(١) اي بعلاماتهم الحسنة (٢) اي تعلمونه بحقيقته (٣) لترتاحوا
(٤) تنتفض اجفانها بحركة اضطرارية (٥) الخداع والمكر (٦) اي تبصروا وتاملوا (٧) حفظتم وتدبرتم

عَلَى صِدْقِ مَا رُمِيتُ[١] بِهِ فَإِنِّي إِذَنْ أَكُونُ قَدْ وُسِمْتُ بِسِمَاتٍ[٢] وَعَلَامَاتٍ اضْطَرَّتْنِي[٣] إِلَى الْإِثْمِ فَعَمِلْتُ بِهَا مَا عَمِلْتُ. فَفِي ذٰلِكَ بَرَاءَةٌ لِي وَعُذْرٌ مِمَّا عَمِلْتُهُ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ وَقَالَ فَقَدْ بَانَ لِمَنْ حَضَرَ قِلَّةُ عَقْلِكَ وَمَا مَثَلُكَ فِي ذٰلِكَ إِلَّا مَثَلُ رَجُلٍ قَالَ لِامْرَأَتِهِ انْظُرِي إِلَى عُرْيِكِ وَبَعْدَ ذٰلِكَ انْظُرِي إِلَى عُرْيِ غَيْرِكِ قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ مَدِينَةً أَغَارَ عَلَيْهَا الْعَدُوُّ فَقَتَلَ وَسَبَى[٤] وَغَنِمَ وَانْطَلَقَ إِلَى بِلَادِهِ. فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ جُنْدِيٍّ مِمَّا وَقَعَ فِي قِسْمَتِهِ رَجُلٌ حَرَّاثٌ[٥] وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ لَهُ. وَكَانَ هٰذَا الْجُنْدِيُّ يُسِيءُ إِلَيْهِمْ فِي الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ. فَذَهَبَ الْحَرَّاثُ ذَاتَ يَوْمٍ وَمَعَهُ امْرَأَتَاهُ يَحْتَطِبُونَ[٦] لِلْجُنْدِيِّ وَهُمْ عُرَاةٌ. فَأَصَابَتْ[٧] إِحْدَى الْمَرْأَتَيْنِ فِي طَرِيقِهَا خِرْقَةً بَالِيَةً فَاسْتَتَرَتْ بِهَا. ثُمَّ قَالَتْ لِزَوْجِهَا أَلَا تَنْظُرُ إِلَى هٰذِهِ الْقَبِيحَةِ كَيْفَ لَا تَسْتَحِي وَتَسْتَتِرُ. قَالَ لَهَا زَوْجُهَا لَوْ بَدَأْتِ بِالنَّظَرِ إِلَى نَفْسِكِ وَأَنَّ جِسْمَكِ كُلَّهُ عَارٍ لَمَا عَيَّرْتِ صَاحِبَتَكِ بِمَا هُوَ بِعَيْنِهِ فِيكِ

---

(١) اُتهمت (٢) اي عُرِّفت بعلامات (٣) دفعتني جبراً (٤) اسر
(٥) زرّاع (٦) اي يجمعون حطباً (٧) وجدت

وَشَأْنُكَ عَجَبٌ أَيُّهَا الْقَذِرُ(١) ذُو الْعَلَامَاتِ الْفَاضِحَةِ الْقَبِيحَةِ. ثُمَّ الْعَجَبُ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى طَعَامِ الْمَلِكِ وَقِيَامِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ مَا بِجِسْمِكَ مِنَ الْقَذَرِ وَالْقُبْحِ وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ وَيَعْرِفُهُ غَيْرُكَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ. أَفَتَتَكَلَّمُ فِي النَّقِيِّ الْجِسْمِ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ. وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَطَّلِعُ عَلَى عَيْبِكَ لَكِنَّ جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذٰلِكَ. وَقَدْ كَانَ يَحْجُزُنِي(٢) عَنْ إِظْهَارِهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصَّدَاقَةِ. فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَيَّ وَبَهَتَّنِي(٣) فِي وَجْهِي وَقُمْتَ بِعَدَاوَتِي فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فِيَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَعَلَى رُؤُوسِ الْحَاضِرِينَ فَإِنِّي أَقْتَصِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا أَعْرِفُ مِنْ عُيُوبِكَ وَتَعْرِفُهُ الْجَمَاعَةُ. وَحَقَّ عَلَى مَنْ عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ أَنْ يَمْنَعَ الْمَلِكَ مِنِ اسْتِعْمَالِهِ إِيَّاكَ عَلَى طَعَامِهِ. فَلَوْ كُلِّفْتَ أَنْ تَعْمَلَ الزِّرَاعَةَ لَكُنْتَ جَدِيرًا بِالْخِذْلَانِ(٤) فِيهَا. فَالْأَحْرَى بِكَ أَنْ لَا تَدْنُوَ إِلَى عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَأَنْ لَا تَكُونَ دَبَّاغًا وَلَا حَجَّامًا لِعَامِيٍّ فَضْلًا عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ الْمَلِكِ * قَالَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ أَوَلِي تَقُولُ هٰذِهِ الْمَقَالَةَ وَتَلْقَانِي بِهٰذَا الْمَلْقَى. قَالَ دِمْنَةُ نَعَمْ وَحَقًّا قُلْتُ فِيكَ وَإِيَّاكَ

---

(١) الوسخ (٢) يمنعني (٣) اي قلت عليَّ ما ليس فيَّ
(٤) الخيبة

أَعْنِي أَيُّهَا ٱلْأَعْرَجُ ٱلْمَكْسُورُ ٱلَّذِي فِي وَرِكِهِ ٱلنَّاسُورُ[١] ٱلْأَفْدَعُ[٢] ٱلرِّجْلِ ٱلْمَنْفُوخُ ٱلْبَطْنِ ٱلْأَفْلَجُ[٣] ٱلشَّفَتَيْنِ ٱلسَّيِّءُ ٱلْمَنْظَرِ وَٱلْمَخْبَرِ[٤] * فَلَمَّا قَالَ دِمْنَةُ ذٰلِكَ تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ ٱلْخَنَازِيرِ وَٱسْتَعْبَرَ[٥] وَٱسْتَحْيَا وَتَلَجْلَجَ[٦] لِسَانُهُ وَٱسْتَكَانَ[٧] وَفَتَرَ نَشَاطُهُ فَقَالَ دِمْنَةُ حِينَ رَأَى ٱنْكِسَارَهُ وَبُكَاءَهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَطُولَ بُكَاؤُكَ إِذَا ٱطَّلَعَ ٱلْمَلِكُ عَلَى قَذَرِكَ وَعُيُوبِكَ فَعَزَلَكَ عَنْ طَعَامِهِ وَحَالَ[٨] بَيْنَكَ وَبَيْنَ خِدْمَتِهِ وَأَبْعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ * ثُمَّ إِنَّ شَعْهَرًا[٩] كَانَ ٱلْأَسَدُ قَدْ جَرَّبَهُ فَوَجَدَ فِيهِ أَمَانَةً وَصِدْقًا فَرَتَّبَهُ فِي خِدْمَتِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ وَيُطْلِعَهُ عَلَيْهِ. فَقَامَ ٱلشَّعْهَرُ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَحَدَّثَهُ بِٱلْحَدِيثِ كُلِّهِ عَلَى جَلِيَّتِهِ. فَأَمَرَ ٱلْأَسَدُ بِعَزْلِ سَيِّدِ ٱلْخَنَازِيرِ عَنْ عَمَلِهِ وَأَمَرَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ وَلَا يَرَى وَجْهَهُ. وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُرَدَّ إِلَى ٱلسِّجْنِ وَقَدْ مَضَى مِنَ ٱلنَّهَارِ أَكْثَرُهُ وَجَمِيعُ مَا جَرَى وَقَالُوا وَقَالَ كُتِبَ وَخُتِمَ عَلَيْهِ

(١) هو عرق غَبِرَ في باطنه فساد كلما برئ اعلاه رجع غبرًا اي فاسدًا والغَبِر المندمل على فساد (٢) من به فدع وهو اعوجاج الرسغ من اليد او الرجل حتى ينقلب الكف او القدم الى انسيهما (٣) المشقوق (٤) خلاف المظهر اي قبيح الظاهر والباطن (٥) جرت عبرته اي دمعته وحزن (٦) تردد في الكلام (٧) ذلّ (٨) اعترض (٩) اي ابن آوى

بِخَاتَمِ ٱلنَّمِرِ وَرَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ

ثُمَّ إِنَّ شَعْهَرًا يُقَالُ لَهُ رَوْزَبَةُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِيلَةَ إِخَاءٌ(١) وَمَوَدَّةٌ وَكَانَ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ وَجِيهًا وَعَلَيْهِ كَرِيمًا. وَٱتَّفَقَ أَنَّ كَلِيلَةَ أَخَذَهُ ٱلْوَجْدُ(٢) إِشْفَاقًا(٣) مِنْ أَنْ يَلْتَطِخَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ أَخِيهِ وَحَذَرًا عَلَيْهِ وَكَانَ بِهِ مَرَضٌ فَهَاجَ(٤) بِهِ مَرَضُهُ وَمَاتَ * فَٱنْطَلَقَ هٰذَا ٱلشَّعْهَرُ إِلَى دِمْنَةَ فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ كَلِيلَةَ فَبَكَى وَحَزِنَ وَقَالَ مَا أَصْنَعُ بِٱلدُّنْيَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ ٱلْأَخِ ٱلصَّفِيِّ(٥). وَاحَرَّ قَلْبَاهُ(٦) إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا ٱبْتُلِيَ بِبَلِيَّةٍ أَتَاهُ ٱلشَّرُّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَٱكْتَنَفَهُ(٧) ٱلْهَمُّ وَٱلْحُزْنُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. وَلَكِنْ أَحْمَدُ ٱللّٰهَ تَعَالَى إِذْ لَمْ يُمِتْ كَلِيلَةَ حَتَّى أَبْقَى لِي مِنْ ذَوِي قَرَابَتِي(٨) أَخًا مِثْلَكَ. فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ بِنِعْمَةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ فِيمَا رَأَيْتُ مِنِ ٱهْتِمَامِكَ بِي وَمُرَاعَاتِكَ(٩) لِي وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجَائِي وَرُكْنِي(١٠) فِيمَا أَنَا فِيهِ. فَأُرِيدُ مِنْ إِنْعَامِكَ أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَى مَكَانِ كَذَا فَتَنْظُرَ إِلَى مَا جَمَعْتُهُ أَنَا وَأَخِي بِحِيلَتِنَا وَسَعْيِنَا وَمَشِيئَةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى فَتَأْتِيَنِي بِهِ.

---

(١) صداقة (٢) الحزن (٣) خوفًا (٤) تحرّك واشتدّ (٥) الصادق الاخاء (٦) كلمة تقال عند التوجع والشكوى (٧) احاط به (٨) اقاربي (٩) ملاحظتك (١٠) سندي وعمدتي

فَفَعَلَ ٱلشَّعْهَرُ مَا أَمَرَهُ بِهِ دِمْنَةُ * فَلَمَّا وَضَعَ ٱلْمَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْطَاهُ شَطْرَهُ[١] وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ عَلَى ٱلدُّخُولِ وَٱلْخُرُوجِ عَلَى ٱلْأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ . فَتَفَرَّغْ لِشَأْنِي[٢] وَٱصْرِفِ ٱهْتِمَامَكَ إِلَيَّ وَٱسْمَعْ مَا أُذْكَرُ بِهِ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ إِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ مَا يَجْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْخُصُومِ . وَمَا يَبْدُو[٣] مِنْ أَمْرِ ٱلْأَسَدِ فِي حَقِّي وَمَا تَرَى مِنْ مُتَابَعَةِ ٱلْأَسَدِ لَهَا وَمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهَا فِي أَمْرِي وَٱحْفَظْ ذٰلِكَ كُلَّهُ . فَأَخَذَ ٱلشَّعْهَرُ مَا أَعْطَاهُ دِمْنَةُ وَٱنْصَرَفَ عَنْهُ عَلَى هٰذَا ٱلْعَهْدِ . فَٱنْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَضَعَ ٱلْمَالَ فِيهِ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ بَكَّرَ مِنَ ٱلْغَدِ فَجَلَسَ . حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ ٱلنَّهَارِ سَاعَتَانِ ٱسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فِي ٱلدُّخُولِ فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا ٱلْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا عَرَفَ قَوْلَهُمْ وَقَوْلَ دِمْنَةَ دَعَا بِأُمِّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهَا ذٰلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَتْ مَا فِي ٱلْكِتَابِ نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا إِنْ أَنَا أَغْلَظْتُ[٤] فِي ٱلْقَوْلِ فَلَا تَلُمْنِي فَإِنَّكَ لَسْتَ تَعْرِفُ ضَرَّكَ مِنْ نَفْعِكَ . أَلَيْسَ هٰذَا مِمَّا كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ سَمَاعِهِ لِأَنَّهُ كَلَامُ هٰذَا ٱلْمُجْرِمِ ٱلْمُسِيءِ إِلَيْنَا ٱلْغَادِرِ بِذِمَّتِنَا . ثُمَّ إِنَّهَا خَرَجَتْ مُغْضَبَةً وَذٰلِكَ بِعَيْنِ ٱلشَّعْهَرِ ٱلَّذِي آخَاهُ دِمْنَةُ

---

(١) نصفه (٢) لامري (٣) يظهر (٤) خشنت وعنفت

وَبِسَمْعِهِ فَخَرَجَ فِي إِثْرِهَا(١) مُسْرِعًا حَتَّى أَتَى دِمْنَةَ فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ. فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ إِذْ جَاءَ فَيْجُ(٢) الْأَسَدِ فَانْطَلَقَ بِدِمْنَةَ إِلَى الْمَجْمَعِ عِنْدَ الْقَاضِي

فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي اسْتَفْتَحَ سَيِّدُ الْمَجْلِسِ فَقَالَ يَا دِمْنَةُ قَدْ أَنْبَأَنِي عَنْ خَبَرِكَ الْأَمِينُ الصَّادِقُ وَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَفْحَصَ عَنْ شَأْنِكَ أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا. لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا سَبَبًا(٣) إِلَى الْآخِرَةِ وَمِصْدَاقًا(٤) لَهَا لِأَنَّهَا دَارُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الدَّالِّينَ عَلَى الْخَيْرِ الْهَادِينَ إِلَى الْجَنَّةِ الدَّاعِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللّٰهِ تَعَالَى. وَقَدْ ثَبَتَ شَأْنُكَ(٥) عِنْدَنَا وَأَخْبَرَنَا عَنْكَ مَنْ وَثِقْنَا بِقَوْلِهِ. إِلَّا أَنَّ سَيِّدَنَا أَمَرَنَا بِالْعَوْدِ إِلَى أَمْرِكَ وَالْفَحْصِ عَنْ شَأْنِكَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ظَاهِرًا بَيِّنًا. قَالَ دِمْنَةُ أَرَاكَ أَيُّهَا الْقَاضِي لَمْ تَتَعَوَّدِ الْعَدْلَ فِي الْقَضَاءِ. وَلَيْسَ فِي عَدْلِ الْمُلُوكِ دَفْعُ الْمَظْلُومِينَ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَى قَاضٍ غَيْرِ عَادِلٍ بَلِ الْمُخَاصَمَةُ لَهُمْ وَالذَّوْدُ(٦) عَنْ حُقُوقِهِمْ. فَكَيْفَ تَرَى أَنْ أُقْتَلَ وَلَمْ أُخَاصِمْ(٧). وَتُعَجِّلَ ذٰلِكَ مُوَافَقَةً لِهَوَاكَ وَلَمْ تَمْضِ بَعْدُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. وَلٰكِنْ

---

(١) وراءها (٢) رسول (٣) طريقاً (٤) اي شاهداً صادقاً
(٥) امرك (٦) الدفاع والمحاماة (٧) اجادل

صَدَقَ ٱلَّذِي قَالَ إِنَّ ٱلَّذِي تَعَوَّدَ عَمَلَ ٱلْبِرِّ هَيِّنٌ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَإِنْ أَضَرَّ بِهِ * قَالَ ٱلْقَاضِي إِنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِ ٱلْأَوَّلِينَ أَنَّ ٱلْقَاضِيَ ٱلْعَدْلَ(١) يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَ ٱلْمُحْسِنِ وَٱلْمُسِيءِ لِيُجَازِيَ ٱلْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَٱلْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ. فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى هٰذَا ٱزْدَادَ ٱلْمُحْسِنُونَ حِرْصاً عَلَى ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْمُسِيئُونَ ٱجْتِنَاباً لِلذُّنُوبِ. وَٱلرَّأْيُ إِلَيْكَ(٢) يَا دِمْنَةُ أَنْ تَنْظُرَ ٱلَّذِي وَقَعْتَ فِيهِ وَتَعْتَرِفَ بِذَنْبِكَ وَتُقِرَّ بِهِ وَتَتُوبَ. فَلَأَنْ يُعَاقَبَ ٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ عِقَابِ ٱلْآخِرَةِ. فَأَجَابَهُ دِمْنَةُ إِنَّ صَالِحِي ٱلْقُضَاةِ لَا يَقْطَعُونَ(٣) بِٱلظَّنِّ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ لَا فِي ٱلْخَاصَّةِ وَلَا فِي ٱلْعَامَّةِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي(٤) مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً. وَأَنْتُمْ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فِيمَا فَعَلْتُ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكُمْ وَعِلْمِي بِنَفْسِي يَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَعِلْمُكُمْ بِي غَايَةُ ٱلشَّكِّ * وَإِنَّمَا قَبُحَ أَمْرِي عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ بِغَيْرِي(٥) فَمَا عُذْرِي عِنْدَكُمْ إِذَا سَعَيْتُ بِنَفْسِي كَاذِباً عَلَيْهَا فَأَسْلَمْتُهَا إِلَى ٱلْقَتْلِ وَٱلْعَطَبِ(٦) عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِبَرَاءَتِي وَسَلَامَتِي مِمَّا قُرِفْتُ(٧) بِهِ وَنَفْسِي أَعْظَمُ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيَّ حُرْمَةً(٨) وَأَوْجَبُهَا حَقّاً.

---

(١) العادل (٢) اي مفوض اليك (٣) اي لا يحكمون حكماً قاطعاً
(٤) لا يُنقص (٥) اي بلغت الحديث عنه على وجه الافساد (٦) الهلاك
(٧) عبت واتهمت (٨) عهداً ورعاية

فَلَوْ فَعَلْتُ هٰذَا بِأَقْصَاكُمْ[1] وَأَدْنَاكُمْ[2] لَمَا وَسِعَنِي[3] فِي دِينِي وَلَا حَسُنَ بِي فِي مُرُوَّتِي وَلَا حَقَّ لِي أَنْ أَفْعَلَهُ فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي . فَاكْفُفْ[4] أَيُّهَا ٱلْقَاضِي عَنْ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ نَصِيحَةً فَقَدْ أَخْطَأَتْ مَوْضِعَهَا[5] . وَإِنْ كَانَتْ خَدِيعَةً فَإِنَّ أَقْبَحَ ٱلْخِدَاعِ مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ . مَعَ أَنَّ ٱلْخِدَاعَ وَٱلْمَكْرَ لَيْسَا مِنْ أَعْمَالِ صَالِحِي ٱلْقُضَاةِ وَلَا ثِقَاتِ[6] ٱلْوُلَاةِ * وَٱعْلَمْ أَنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ ٱلْجُهَّالُ وَٱلْأَشْرَارُ سُنَّةً[7] يَقْتَدُونَ بِهَا لِأَنَّ أُمُورَ ٱلْقَضَاءِ يَأْخُذُ بِصَوَابِهَا أَهْلُ ٱلصَّوَابِ وَبِخَطَائِهَا أَهْلُ ٱلْخَطَاءِ وَٱلْبَاطِلِ وَٱلْقَلِيلُو ٱلْوَرَعِ . وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلْقَاضِي مِنْ مَقَالَتِكَ هٰذِهِ أَعْظَمَ ٱلرَّزَايَا وَٱلْبَلَايَا . وَلَيْسَ مِنَ ٱلْبَلَاءِ وَٱلْمُصِيبَةِ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ ٱلْمَلِكِ وَٱلْجُنْدِ وَٱلْخَاصَّةِ وَٱلْعَامَّةِ فَاضِلًا فِي رَأْيِكَ مُقْنِعًا فِي عَقْلِكَ مَرْضِيًّا فِي حُكْمِكَ وَعَفَافِكَ وَفَضْلِكَ . وَإِنَّمَا ٱلْبَلَاءُ كَيْفَ أُنْسِيتَ ذٰلِكَ فِي أَمْرِي . أَوَ مَا بَلَغَكَ عَنِ ٱلْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنِ ٱدَّعَى عِلْمَ مَا لَا يَعْلَمُ وَشَهِدَ عَلَى ٱلْغَيْبِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْبَازِيَارَ[8] قَالَ ٱلْقَاضِي وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

---

(١) بابعدكم (٢) واقربكم (٣) اي لما جاز لي (٤) اي انصرف وامتنع
(٥) اي لم تصبه (٦) جمع ثقة وهو الموثوق به المؤتمن (٧) طريقة
(٨) حامل البازي ويقال البازدار ايضاً

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ رَجُلٌ مِنَ ٱلْمَرَازِبَةِ(١) مَذْكُورٌ. وَكَانَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَعَفَافٍ. وَكَانَ لِلرَّجُلِ بَازِيَارٌ مَاهِرٌ خَبِيرٌ بِعِلَاجِ ٱلْبُزَاةِ وَسِيَاسَتِهَا. وَكَانَ هٰذَا ٱلْبَازِيَارُ عِنْدَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ بِمَكَانٍ خَلِيلٍ(٢) بِحَيْثُ أَدْخَلَهُ دَارَهُ وَجَعَلَهُ كَوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهَا. فَٱتَّفَقَ أَنْ وَقَعَتْ كَلِمَةٌ مِنَ ٱلْبَازِيَارِ فَتَسَخَّطَتْ لَهَا زَوْجَةُ مَوْلَاهُ وَنَفَرَتْ فَغَضِبَ وَعَمِلَ عَلَى(٣) أَنْ يَكِيدَهَا بِمَكِيدَةٍ. فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى ٱلصَّيْدِ عَلَى عَادَتِهِ فَأَصَابَ فَرْخَيْ بَبْغَاءَ(٤) فَأَخَذَهُمَا وَجَاءَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَرَبَّاهُمَا. فَلَمَّا كَبِرَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَجَعَلَهُمَا فِي قَفَصَيْنِ(٥) وَعَلَّمَ أَحَدَهُمَا أَنْ يَقُولَ رَأَيْتُ رِيبَةً(٦) فِي بَيْتِ مَوْلَايَ وَعَلَّمَ ٱلْآخَرَ أَنْ يَقُولَ أَمَّا أَنَا فَلَا أَقُولُ شَيْئًا. ثُمَّ أَدَّبَهُمَا عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى أَتْقَنَاهُ وَحَذَقَاهُ(٧) فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ. فَلَمَّا بَلَغَ ٱلَّذِي أَرَادَ مِنْهُمَا حَمَلَهُمَا إِلَى مَوْلَاهُ فَلَمَّا رَآهُمَا أَعْجَبَاهُ وَنَطَقَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَطْرَبَاهُ. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ مَا يَقُولَانِ لِأَنَّ ٱلْبَازِيَارَ كَانَ قَدْ عَلَّمَهُمَا بِلُغَةِ ٱلْبَلْخِيِّينَ. وَإِنَّ ٱلْمَرْزُبَانَ أُعْجِبَ بِهِمَا إِعْجَابًا شَدِيدًا وَحَظِيَ ٱلْبَازِيَارُ عِنْدَهُ بِذٰلِكَ حَظْوَةً(٨)

(١) جمع مرزبان وهو رئيس الفرس (٢) صديق (٣) سعى في (٤) طائر معروف يسمع كلام الناس فيعيده (٥) مثنى قفص وهو محبس الطير (٦) شكاً وتهمة (٧) تعلماه ومهرا فيه (٨) اي صار ذا مكانة وحظ ومنزلة

كَرِيمَةٌ فَأَمَرَ ٱمْرَأَتَهُ بِٱلِٱحْتِيَاطِ عَلَيْهِمَا وَٱلِٱحْتِفَاظِ بِهِمَا فَفَعَلَتِ ٱلْمَرْأَةُ ذٰلِكَ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ بَعْدَ مُدَّةٍ قَدِمَ عَلَى ٱلرَّجُلِ قَوْمٌ مِنْ عُظَمَاءِ بَلْخَ فَتَأَنَّقَ لَهُمْ فِي ٱلطَّعَامِ[1] وَٱلشَّرَابِ وَجَمَعَ مِنْ أَصْنَافِ ٱلْفَوَاكِهِ وَٱلتُّحَفِ شَيْئًا كَثِيرًا وَحَضَرَ ٱلْقَوْمُ . فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ ٱلطَّعَامِ وَشَرَعُوا[2] فِي ٱلْحَدِيثِ أَشَارَ ٱلْمَرْزُبَانُ إِلَى ٱلْبَازِيَارِ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْبَبْغَاءَيْنِ فَأَحْضَرَهُمَا . فَلَمَّا وُضِعَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ صَاحَتَا بِمَا كَانَتَا عُلِّمَتَاهُ . فَعَرَفَ أُولٰئِكَ ٱلْعُظَمَاءُ مَا قَالَتَا فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَنَكَسُوا[3] رُؤُوسَهُمْ حَيَاءً وَخَجَلًا وَجَعَلَ يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ مَا أَعْلَمُ مَا تَقُولَانِ وَلٰكِنْ يُعْجِبُنِي ذٰلِكَ مِنْهُمَا وَسَأَلَهُمْ عَمَّا تَقُولَانِ فَٱمْتَنَعُوا أَنْ يَقُولُوا مَا قَالَتَا فَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ وَأَكْثَرَ ٱلسُّؤَالَ عَمَّا قَالَتَا . فَقَالُوا إِنَّمَا تَقُولَانِ كَذَا وَكَذَا وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا إِنْ نَأْكُلَ مِنْ بَيْتٍ يُعْمَلُ فِيهِ ٱلْفُجُورُ . فَلَمَّا قَالُوا ذٰلِكَ سَأَلَهُمُ ٱلرَّجُلُ أَنْ يُكَلِّمُوهُمَا بِلِسَانِ ٱلْبَلْخِيَّةِ بِغَيْرِ مَا نَطَقَتَا بِهِ . فَفَعَلُوا ذٰلِكَ فَلَمْ يَجِدُوهُمَا تَعْرِفَانِ غَيْرَ مَا تَكَلَّمَتَا بِهِ وَبَانَ لَهُمْ وَلِلْجَمَاعَةِ بَرَاءَةُ ٱلْبَيْتِ مِمَّا رُمِيَ[4] بِهِ وَوَضَحَ كَذِبُ ٱلْبَازِيَارِ .

---

(١) اي عمله بالاتقان (٢) خاضوا (٣) خفضوا (٤) اي مما أعيب واتهم

فَأَمَرَ بِالْبَازِيَارِ أَنْ يُدْخَلَ عَلَيْهِ وَكَانَ عَلَى يَدِهِ بَازٌ أَشْهَبُ[١] فَصَاحَتْ بِهِ امْرَأَةُ الْمَرْزُبَانِ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ أَيُّهَا الْعَدُوُّ لِنَفْسِهِ أَنْتَ رَأَيْتَ فِي الْبَيْتِ مَا ذَكَرْتَ وَعَلِمْتَ بِهِ الْبَبْغَاءَيْنِ . قَالَ نَعَمْ أَنَا رَأَيْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا تَقُولَانِ . فَوَثَبَ[٢] الْبَازِي إِلَى وَجْهِهِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ بِمَخَالِبِهِ[٣] . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ بِحَقٍّ أَصَابَكَ هٰذَا إِنَّهُ لَجَزَاءٌ مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى لِشَهَادَتِكَ بِمَا لَمْ تَرَهُ عَيْنُكَ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ أَيُّهَا الْقَاضِي لِتَزْدَادَ عِلْمًا بِوَخَامَةِ[٤] عَاقِبَةِ الشَّهَادَةِ بِالْكَذِبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي ذٰلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةَ نَهَضَ فَرَفَعَهُ إِلَى الْأَسَدِ عَلَى وَجْهِهِ[٥] فَنَظَرَ فِيهِ الْأَسَدُ فَدَعَا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ حِينَ تَدَبَّرَتْ[٦] كَلَامَ دِمْنَةَ لَقَدْ صَارَ اهْتِمَامِي بِمَا أَتَخَوَّفُ مِنِ احْتِيَالِ دِمْنَةَ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهَائِهِ[٧] حَتَّى يَقْتُلَكَ أَوْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ أَمْرَكَ أَعْظَمَ مِنِ اهْتِمَامِي بِمَا سَلَفَ[٨] مِنْ ذَنْبِهِ إِلَيْكَ فِي الْغِشِّ وَالسِّعَايَةِ[٩] حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ . فَوَقَعَ قَوْلُهَا فِي نَفْسِهِ[١٠]

---

(١) اي بياضه غالب على سواده (٢) قفز (٣) اظافره (٤) اي برداءة
(٥) اي على حكمه بدون مبالاة (٦) تاملت (٧) واحتياله (٨) اي بماضى
(٩) النميمة والوشاية (١٠) اي اثر فيها

فَقَالَ لَهَا أَخْبِرِينِي عَنِ ٱلَّذِي أَخْبَرَكِ عَنْ دِمْنَةَ بِمَا أَخْبَرَكِ فَيَكُونَ حُجَّةً(١) لِي فِي قَتْلِي دِمْنَةَ. فَقَالَتْ لَأَكْرَهُ إِفْشَاءَ(٢) سِرِّ مَنِ ٱسْتَكْتَمَنِيهِ(٣) فَلَا يَهْنِئُنِي سُرُورِي بِقَتْلِ دِمْنَةَ إِذَا تَذَكَّرْتُ أَنِّي ٱسْتَظْهَرْتُ(٤) عَلَيْهِ بِرُكُوبِ(٥) مَا نَهَتْ عَنْهُ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ كَشْفِ ٱلسِّرِّ. وَلَكِنِّي أُطَالِبُ ٱلَّذِي ٱسْتَوْدَعَنِيهِ أَنْ يُحِلَّنِي(٦) مِنْ ذِكْرِهِ وَيَقُومَ هُوَ بِعِلْمِهِ وَمَا سَمِعَ مِنْهُ. ثُمَّ ٱنْصَرَفَتْ وَأَرْسَلَتْ إِلَى ٱلنَّمِرِ وَذَكَرَتْ لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّزْيِينِ لِلْأَسَدِ وَحُسْنِ مُعَاوَنَتِهِ عَلَى ٱلْحَقِّ وَإِخْرَاجِ نَفْسِهِ مِنَ ٱلشَّهَادَةِ ٱلَّتِي لَا يَكْتُمُهَا مِثْلُهُ مَعَ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ ٱلْمَظْلُومِينَ وَتَثْبِيتِ حُجَّةِ ٱلْحَقِّ فِي ٱلْحَيَاةِ وَٱلْمَمَاتِ. فَإِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالَتْ مَنْ كَتَمَ حُجَّةَ مَيْتٍ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ(٧) يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ. فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِ دِمْنَةَ

فَلَمَّا شَهِدَ ٱلنَّمِرُ بِذَلِكَ أَرْسَلَ ٱلْفَهْدُ(٨) ٱلْمَسْجُونُ ٱلَّذِي سَمِعَ إِقْرَارَ دِمْنَةَ وَحَفِظَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي شَهَادَةً فَأَخْرَجُوهُ

---

(١) برهان (٢) اظهار (٣) اي من طلب مني كتمه (٤) استعنت (٥) ارتكاب (٦) يخرجني (٧) اي فاته الصواب فيها (٨) هو حيوان من السباع ضيق الخلق شديد الغضب ذو وثبات بعيدة كثير النوم قيل هو متولد من الاسد والنمر

فَشَهِدَ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِهِ. فَقَالَ لَهُمَا ٱلْأَسَدُ مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تَقُومَا بِشَهَادَتِكُمَا وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَمْرَنَا وَٱهْتِمَامَنَا بِٱلْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ. فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شَهَادَةَ ٱلْوَاحِدِ لَا تُوجِبُ حُكْمًا فَكَرِهْتُ ٱلتَّعَرُّضَ لِغَيْرِ مَا يَمْضِي بِهِ ٱلْحُكْمُ. حَتَّى إِذَا شَهِدَ أَحَدُنَا قَامَ ٱلْآخَرُ. فَقَبِلَ ٱلْأَسَدُ قَوْلَهُمَا وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَشْهَادِ. وَنَادَى ٱلْمُنَادِي هٰذَا جَزَاءُ مَنْ يَسْعَى[1] بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ وَبَيْنَ أَجْنَادِهِمْ وَبِطَانَتِهِمْ[2] بِٱلْكَذِبِ وَٱلْبُهْتَانِ

فَمَنْ نَظَرَ فِي هٰذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ
بِضَرِّ غَيْرِهِ بِٱلْخِلَابَةِ[3] وَٱلْمَكْرِ فَإِنَّهُ سَيُجْزَى
عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ

---

(١) يفسد (٢) بطانة الرجل خاصته الذي يعرفه سرّه ثقةً بمودته
(٣) اي بالخديعة باللسان

باب
الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ الْمُتَحَابَّيْنِ كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ وَإِلَى مَاذَا صَارَ[١] عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ * فَحَدِّثْنِي إِنْ رَأَيْتَ عَنْ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ كَيْفَ يَبْتَدِئُ تَوَاصُلُهُمْ وَيَسْتَمْتِعُ[٢] بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ * قَالَ الْفَيْلَسُوفُ إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِالْإِخْوَانِ شَيْئًا. فَالْإِخْوَانُ هُمُ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْمُؤَاسُونَ[٣] عِنْدَ مَا يَنُوبُ[٤] مِنَ الْمَكْرُوهِ. وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ وَالْجُرَذِ وَالظَّبْيِ[٥] وَالْغُرَابِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهَرَ مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ يَنْتَابُهُ[٦] الصَّيَّادُونَ. وَكَانَ فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ الْوَرَقِ فِيهَا وَكْرُ غُرَابٍ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ

---

(١) انتهى (٢) ينتفع (٣) من المؤاساة وهي ان ينزل الانسان غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه (٤) يصيب (٥) الغزال (٦) اي ياتي اليه مرة بعد اخرى

سَيِّءُ ٱلْخَلْقِ وَقُبْحُ مَنْظَرِهِ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ مَخْبَرِهِ[١] عَلَى عَاتِقِهِ[٢] شَبَكَةٌ وَفِي يَدِهِ عَصاً مُقْبِلاً نَحْوَ ٱلشَّجَرَةِ . فَذُعِرَ[٣] مِنْهُ ٱلْغُرَابُ وَقَالَ لَقَدْ سَاقَ هٰذَا ٱلرَّجُلَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ إِمَّا حَيْنِي[٤] وَإِمَّا حَيْنُ غَيْرِي فَلَأَثْبُتَنَّ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ * ثُمَّ إِنَّ ٱلصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ وَنَثَرَ عَلَيْهَا ٱلْحَبَّ وَكَمَنَ[٥] قَرِيباً مِنْهَا فَلَمْ يَلْبَثْ[٦] إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا ٱلْمُطَوَّقَةُ وَكَانَتْ سَيِّدَةَ ٱلْحَمَامِ وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ . فَعَمِيَتْ هِيَ وَصَاحِبَاتُهَا عَنِ ٱلشَّرَكِ فَوَقَعْنَ[٧] عَلَى ٱلْحَبِّ يَلْتَقِطْنَهُ فَعَلِقْنَ فِي ٱلشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ وَأَقْبَلَ ٱلصَّيَّادُ فَرِحاً مَسْرُوراً . فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ تَتَلَجْلَجُ[٨] فِي حَبَائِلِهَا[٩] وَتَلْتَمِسُ ٱلْخَلَاصَ لِنَفْسِهَا * قَالَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ لَا تَخَاذَلْنَ[١٠] فِي ٱلْمُعَالَجَةِ[١١] وَلَا تَكُنْ نَفْسُ إِحْدَاكُنَّ أَهَمَّ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ صَاحِبَتِهَا . وَلٰكِنْ نَتَعَاوَنُ جَمِيعاً وَنَطِيرُ كَطَائِرٍ وَاحِدٍ فَيَنْجُو بَعْضُنَا بِبَعْضٍ فَجَمَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَوَثَبْنَ[١٢] وَثْبَةً وَاحِدَةً فَقَلَعْنَ ٱلشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعَاوُنِهِنَّ وَعَلَوْنَ بِهَا فِي ٱلْجَوِّ . وَلَمْ يَقْطَعِ ٱلصَّيَّادُ رَجَاءَهُ مِنْهُنَّ

---

(١) تجربته واختباره (٢) ما بين الكتف والعنق (٣) خاف

(٤) هلاكي (٥) استخفى (٦) اي فلم يقم (٧) نزلن (٨) تهتز وتضطرب

(٩) جمع حبالة وهي ما يصاد به الصيد (١٠) اي لا تتركن المعاونة

(١١) ممارسة العمل (١٢) قفزن وطفرن

وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لاَ يُجَاوِزْنَ(١) إِلاَّ قَرِيباً حَتَّى يَقَعْنَ. فَقَالَ الْغُرَابُ لَأَتَّبِعُهُنَّ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ. فَالْتَفَتَتِ الْمُطَوَّقَةُ فَرَأَتِ الصَّيَّادَ يَتْبَعُهُنَّ فَقَالَتْ لِلْحَمَامِ هٰذَا الصَّيَّادُ جَادٌّ(٢) فِي طَلَبِكُنَّ فَإِنْ نَحْنُ أَخَذْنَا فِي الْفَضَاءِ(٣) لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَلَمْ يَزَلْ يَتْبَعُنَا. وَإِنْ نَحْنُ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْعُمْرَانِ(٤) خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَانْصَرَفَ. وَبِمَكَانِ كَذَا جُرَذٌ هُوَ لِي أَخٌ فَلَوِ انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هٰذَا الشَّرَكَ. فَفَعَلْنَ ذٰلِكَ وَأَيِسَ(٥) الصَّيَّادُ مِنْهُنَّ وَانْصَرَفَ. وَتَبِعَهُنَّ الْغُرَابُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِنَّ لَعَلَّهُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُنَّ حِيلَةً تَكُونُ لَهُ عُدَّةً(٦) عِنْدَ الْحَاجَةِ. فَلَمَّا انْتَهَتِ الْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ إِلَى الْجُرَذِ أَمَرَتِ الْحَمَامَ أَنْ يَقَعْنَ فَوَقَعْنَ

وَكَانَ لِلْجُرَذِ مِئَةُ جُحْرٍ أَعَدَّهَا لِلْمَخَاوِفِ. فَنَادَتْهُ الْمُطَوَّقَةُ بِاسْمِهِ وَكَانَ اسْمُهُ زِيرَكَ فَأَجَابَهَا الْجُرَذُ مِنْ جُحْرِهِ مَنْ أَنْتِ قَالَتْ أَنَا خَلِيلَتُكَ الْمُطَوَّقَةُ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الْجُرَذُ يَسْعَى فَقَالَ لَهَا مَا أَوْقَعَكِ فِي هٰذِهِ الْوَرْطَةِ. قَالَتْ لَهُ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ شَيْءٌ إِلاَّ وَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَى مَنْ تُصِيبُهُ الْمَقَادِيرُ(٧) وَهِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْنِي

(١) اي لا يقطعن (٢) اي مجتهد في سيره (٣) ما اتسع من الارض (٤) اسم للبنيان (٥) قطع الامل (٦) عدة الشيء ما اعددته اي هيأته لحوادث الدهر (٧) جمع مقدور وهو الامر المحتوم

فِي هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ. فَقَدْ لاَ يَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْقَدَرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا. وَقَدْ تَنْكَسِفُ ٱلشَّمْسُ وَيَنْخَسِفُ ٱلْقَمَرُ إِذَا قُضِيَ ذٰلِكَ عَلَيْهِمَا* ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ[١] ٱلْعُقَدِ[٢] ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْمُطَوَّقَةُ. فَقَالَتْ لَهُ ٱلْمُطَوَّقَةُ ٱبْدَأْ بِقَطْعِ عُقَدِ سَائِرِ[٣] ٱلْحَمَامِ وَبَعْدَ ذٰلِكَ أَقْبِلْ عَلَى عُقَدِي. فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ ذٰلِكَ مِرَارًا وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا. فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ قَالَ لَهَا لَقَدْ كَرَّرْتِ ٱلْقَوْلَ عَلَيَّ كَأَنَّكِ لَيْسَ لَكِ فِي نَفْسِكِ حَاجَةٌ وَلاَ لَكِ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ وَلاَ تَرْعَيْنَ[٤] لَهَا حَقًّا. قَالَتْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِقَطْعِ عُقَدِي أَنْ تَمَلَّ وَتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ مَا بَقِيَ. وَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَّ قَبْلِي وَكُنْتُ أَنَا ٱلْأَخِيرَةَ لَمْ تَرْضَ وَإِنْ أَدْرَكَكَ ٱلْفُتُورُ[٥] أَنْ أَبْقَى فِي ٱلشَّرَكِ. قَالَ ٱلْجُرَذُ هٰذَا مِمَّا يَزِيدُ ٱلرَّغْبَةَ فِيكِ وَٱلْمَوَدَّةَ لَكِ. ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ ٱلشَّبَكَةِ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا. فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا

فَلَمَّا رَأَى ٱلْغُرَابُ صُنْعَ ٱلْجُرَذِ رَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ فَجَاءَ وَنَادَاهُ بِٱسْمِهِ فَأَخْرَجَ ٱلْجُرَذُ رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ مَا حَاجَتُكَ. قَالَ إِنِّي

(١) قطع (٢) حبل الشرك (٣) باقي (٤) اي لا تحفظين (٥) انكسار الحدة والنشاط

أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ . قَالَ ٱلْجُرَذُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَوَاصُلٌ[١] وَإِنَّمَا ٱلْعَاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ مَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَيَتْرُكَ ٱلْتِمَاسَ مَا لَيْسَ لَهُ إِلَيْهِ سَبِيلٌ . كَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ ٱلسُّفُنَ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْعَجَلَ[٢] فِي ٱلْبَحْرِ فَإِنْ[٣] أَنْتَ إِلَّا آكِلٌ وَأَنَا طَعَامٌ لَكَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ وَإِنْ كُنْتَ لِي طَعَامًا مِمَّا لَا يُغْنِي عَنِّي[٤] شَيْئًا . وَإِنَّ مَوَدَّتَكَ آنَسُ[٥] لِي مِمَّا ذَكَرْتَ . وَلَسْتَ بِحَقِيقٍ إِذَا جِئْتُ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ أَنْ تَرُدَّنِي خَائِبًا . فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ مَا رَغَّبَنِي فِيكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسُ إِظْهَارَ ذٰلِكَ . فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَخْفَى فَضْلُهُ وَإِنْ هُوَ أَخْفَاهُ كَٱلْمِسْكِ ٱلَّذِي يُكْتَمُ ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّشْرِ[٦] ٱلطَّيِّبِ وَٱلْأَرَجِ[٧] ٱلْفَائِحِ * قَالَ ٱلْجُرَذُ إِنَّ أَشَدَّ ٱلْعَدَاوَةِ عَدَاوَةُ ٱلْجَوْهَرِ[٨] وَهِيَ عَدَاوَتَانِ مِنْهَا مَا هُوَ مُتَكَافِئٌ[٩] كَعَدَاوَةِ ٱلْفِيلِ وَٱلْأَسَدِ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا قَتَلَ ٱلْأَسَدُ ٱلْفِيلَ أَوِ ٱلْفِيلُ ٱلْأَسَدَ . وَمِنْهَا مَا قُوَّتُهُ مِنْ أَحَدِ ٱلْجَانِبَيْنِ عَلَى ٱلْآخَرِ كَٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلسِّنَّوْرِ[١٠] وَبَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَإِنَّ ٱلْعَدَاوَةَ ٱلَّتِي بَيْنَنَا لَيْسَتْ

---

(١) اي علاقة (٢) جمع عجلة وهي آلة يجرّها الثور محمولاً عليها الاثقال (٣) حرف نفي بمعنى ما (٤) اي لا ينفعني (٥) تفضيل من الانس وهو ضد الوحشة (٦) الريح (٧) ذكاء الرائحة (٨) الاصل (٩) متماثل (١٠) الهرّ وهو حيوان اهلي مولع باكل الفار ويعرف عند العامة بالبسين

تَضُرُّكَ وَإِنَّمَا ضَرَرُهَا عَلَيَّ . فَإِنَّ ٱلْمَاءَ لَوْ أُطِيلَ إِسْخَانُهُ لَمْ يَمْنَعْهُ ذٰلِكَ مِنْ إِطْفَائِهِ ٱلنَّارَ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا مُصَاحِبُ ٱلْعَدُوِّ وَمُصَالِحُهُ كَصَاحِبِ ٱلْحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِي كُمِّهِ . وَٱلْعَاقِلُ لَا يَسْتَأْنِسُ إِلَى ٱلْعَدُوِّ ٱلْأَرِيبِ[١] ❊ قَالَ ٱلْغُرَابُ قَدْ فَهِمْتُ مَا تَقُولُ وَأَنْتَ خَلِيقٌ[٢] أَنْ تَأْخُذَ[٣] بِفَضْلِ خَلِيقَتِكَ[٤] وَتَعْرِفَ صِدْقَ مَقَالِي وَلَا تُصَعِّبَ عَلَيَّ ٱلْأَمْرَ بِقَوْلِكَ لَيْسَ إِلَى ٱلتَّوَاصُلِ بَيْنَنَا سَبِيلٌ . فَإِنَّ ٱلْعُقَلَاءَ ٱلْكِرَامَ لَا يَبْتَغُونَ[٥] عَلَى مَعْرُوفٍ جَزَاءً . وَٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ ٱلصَّالِحِينَ سَرِيعٌ ٱتِّصَالُهَا بَطِيءٌ ٱنْقِطَاعُهَا . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْكُوزِ ٱلذَّهَبِ بَطِيءُ ٱلِٱنْكِسَارِ سَرِيعُ ٱلْإِعَادَةِ هَيِّنُ ٱلْإِصْلَاحِ إِنْ أَصَابَهُ ثَلْمٌ[٦] أَوْ كَسْرٌ . وَٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ ٱلْأَشْرَارِ سَرِيعٌ ٱنْقِطَاعُهَا بَطِيءٌ ٱتِّصَالُهَا . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْكُوزِ ٱلْفَخَّارِ سَرِيعُ ٱلِٱنْكِسَارِ يَنْكَسِرُ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ وَلَا وَصْلَ لَهُ أَبَدًا . وَٱلْكَرِيمُ يَوَدُّ ٱلْكَرِيمَ وَٱللَّئِيمُ لَا يَوَدُّ أَحَدًا إِلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ[٧] . وَأَنَا إِلَى وُدِّكَ وَمَعْرُوفِكَ مُحْتَاجٌ لِأَنَّكَ كَرِيمٌ . وَأَنَا مُلَازِمٌ لِبَابِكَ غَيْرُ ذَائِقٍ طَعَامًا حَتَّى تُؤَاخِيَنِي[٨] ❊ وَٱعْلَمْ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَشَاءُ ضَرَّكَ لَفَعَلْتُ حِينَ كُنْتُ

---

(١) العاقل (٢) اي اهلٌ (٣) تعمل (٤) طبيعتك (٥) اسي لا يطلبون (٦) الثلم كسر الحرف (٧) خوف (٨) اي تصيرني لك اخًا او صديقًا

محلقاً (١) فوق رأسك عندما كنت تقطع حبائل الحمام ❊

قال الجرذ قد قبلت إخاءك فإني لم أردد أحداً عن حاجة قط وإنما بلوتك (٢) بما بلوتك به إرادة التوثق (٣) لنفسي فإن أنت غدرت بي لم تقل إني وجدت الجرذ ضعيف الرأي سريع الانخداع ، ثم خرج من جحره فوقف عند الباب ❊ فقال له الغراب ما يمنعك من الخروج إلي والاستئناس بي أو في نفسك بعد مني ريبة (٤) ، قال الجرذ إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهما ذات النفس (٥) وذات اليد (٦) ، فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء (٧) ، وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ، ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصياد وإلقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وإنما يريد نفع نفسه ، فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد ، وإني واثق منك بذات نفسك ومنحتك (٨) من نفسي مثل ذلك ، وليس يمنعني من الخروج

(١) مرتفعاً ودائراً كالحلقة (٢) امتحنتك (٣) التثبت والتحفظ (٤) شك
(٥) السريرة المضمرة (٦) ما ملكته اليد (٧) الاحباء الصادقون
(٨) اعطيتك

إِلَيْكَ سُوءُ ظَنٍّ بِكَ • وَلٰكِنْ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ لَكَ أَصْحَابًا جَوْهَرُهُمْ كَجَوْهَرِكَ وَلَيْسَ رَأْيُهُمْ فِيَّ كَرَأْيِكَ * قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّ مِنْ عَلَامَةِ ٱلصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا وَلِعَدُوِّ صَدِيقِهِ عَدُوًّا • وَلَيْسَ لِي بِصَاحِبٍ وَلَا صَدِيقٍ مَنْ لَا يَكُونُ لَكَ مُحِبًّا • وَإِنَّهُ يَهُونُ عَلَيَّ قَطِيعَةُ(١) مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ مِنْ جَوْهَرِي • فَإِنَّ زَارِعَ ٱلرَّيْحَانِ إِذَا رَأَى بَيْنَهُ عُشْبًا يُفْسِدُهُ قَلَعَهُ وَرَمَى بِهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ خَرَجَ إِلَى ٱلْغُرَابِ فَتَصَافَحَا(٢) وَتَصَافَيَا(٣) وَأَنِسَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ حَتَّى إِذَا مَضَتْ لَهُمْ أَيَّامٌ قَالَ ٱلْغُرَابُ لِلْجُرَذِ إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ ٱلنَّاسِ وَأَخَافُ أَنْ يَرْمِيَكَ بَعْضُ ٱلصِّبْيَانِ بِحَجَرٍ • وَلِي مَكَانٌ فِي عُزْلَةٍ(٤) وَلِي فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ ٱلسَّلَاحِفِ وَهُوَ مُخْصِبٌ مِنَ ٱلسَّمَكِ وَنَحْنُ وَاجِدُونَ هُنَاكَ مَا نَأْكُلُ فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى هُنَاكَ لِنَعِيشَ آمِنِينَ • قَالَ ٱلْجُرَذُ وَإِنِّي أَيْضًا كَارِهٌ لِمَكَانِي هٰذَا وَلِي أَخْبَارٌ وَقِصَصٌ سَأَقُصُّهَا عَلَيْكَ إِذَا ٱنْتَهَيْنَا حَيْثُ تُرِيدُ فَٱفْعَلْ مَا تَشَاءُ • فَأَخَذَ ٱلْغُرَابُ بِذَنَبِ ٱلْجُرَذِ وَطَارَ بِهِ حَتَّى بَلَغَ حَيْثُ أَرَادَ • فَلَمَّا دَنَا مِنَ ٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلسُّلَحْفَاةُ بَصُرَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ

(١) هجران (٢) اي اخذ كل منهما يد صاحبه والقى كفه على كفه كما يفعل عند الملاقاة والتسليم (٣) اخلصا المودة لبعضهما (٤) اي في ناحية منفردة

بِغُرَابٍ وَمَعَهُ جُرَذٌ فَذُعِرَتْ[1] مِنْهُ وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُهَا. فَنَادَاهَا فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَسَأَلَتْهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ فَأَخْبَرَهَا بِقِصَّتِهِ حِينَ تَبِعَ الْحَمَامَ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْجُرَذِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا. فَلَمَّا سَمِعَتِ السُّلَحْفَاةُ شَأْنَ الْجُرَذِ عَجِبَتْ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفَائِهِ وَرَحَّبَتْ[2] بِهِ وَقَالَتْ لَهُ مَا سَاقَكَ إِلَى هٰذِهِ الْأَرْضِ. قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرَذِ أَقْصِصْ عَلَيَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي قُلْتَ إِنَّكَ تُحَدِّثُنِي بِهَا فَأَخْبِرْنِي بِهَا مَعَ جَوَابِ مَا سَأَلَتِ السُّلَحْفَاةُ فَإِنَّهَا عِنْدَكَ بِمَنْزِلَتِي. فَبَدَأَ الْجُرَذُ وَقَالَ

كَانَ مَنْزِلِي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدِينَةِ مَارُوتَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ نَاسِكٍ وَكَانَ خَالِيًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ. وَكَانَ يُؤْتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ بِجُونَةٍ[3] مِنَ الطَّعَامِ فَيَأْكُلُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَيُعَلِّقُ الْبَاقِيَ. وَكُنْتُ أَرْصُدُ[4] النَّاسِكَ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَثِبُ[5] إِلَى الْجُونَةِ فَلَا أَدَعُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا أَكَلْتُهُ وَرَمَيْتُ مِنْهُ إِلَى الْجِرْذَانِ. فَجَهِدَ[6] النَّاسِكُ مِرَارًا أَنْ يُعَلِّقَ الْجُونَةَ فِي مَكَانٍ لَا أَنَالُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذٰلِكَ * حَتَّى نَزَلَ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ضَيْفٌ فَأَكَلَا جَمِيعًا ثُمَّ أَخَذَا فِي الْحَدِيثِ. فَقَالَ النَّاسِكُ لِلضَّيْفِ مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَقْبَلْتَ وَأَيْنَ تُرِيدُ الْآنَ.

---

(١) تخافت (٢) اي قالت له مرحبًا بك (٣) سلة صغيرة مغشاة بجلد
(٤) ارقب (٥) اقفز (٦) أتعب وتحمل المشقة

وَكَانَ ٱلرَّجلُ قَدْ جَابَ[١] ٱلآفَاقَ[٢] وَرَأَى عَجَائِبَ فَأَنْشَأَ[٣] يُحَدِّثُ ٱلنَّاسِكَ عَمَّا وَطِئَ[٤] مِنَ ٱلْبِلَادِ وَرَأَى مِنَ ٱلْعَجَائِبِ وَجَعَلَ ٱلنَّاسِكُ خِلَالَ[٥] هٰذَا يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ لِيُنَفِّرَ[٦] عَنِ ٱلْجُونَةِ. فَغَضِبَ ٱلضَّيْفُ وَقَالَ أَنَا أُحَدِّثُكَ وَأَنْتَ تَهْزَأُ بِحَدِيثِي فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَأَلْتَنِي. فَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسِكُ وَقَالَ إِنَّمَا أُصَفِّقُ بِيَدِي لِأُنَفِّرَ جُرَذًا قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِهِ وَلَسْتُ أَضَعُ فِي ٱلْبَيْتِ شَيْئًا إِلَّا أَكَلَهُ. فَقَالَ جُرَذٌ وَاحِدٌ يَفْعَلُ ذٰلِكَ أَمْ جِرْذَانٌ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ ٱلنَّاسِكُ جِرْذَانُ ٱلْبَيْتِ كَثِيرَةٌ لٰكِنَّ فِيهَا جُرَذًا وَاحِدًا هُوَ ٱلَّذِي غَلَبَنِي فَمَا أَسْتَطِيعُ لَهُ حِيلَةً. قَالَ ٱلضَّيْفُ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي قَوْلَ ٱلَّذِي قَالَ لِأَمْرٍ مَا بَاعَتْ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةُ سِمْسِمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ قَالَ ٱلنَّاسِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلضَّيْفُ نَزَلْتُ مَرَّةً عَلَى رَجُلٍ بِمَكَانِ كَذَا فَتَعَشَّيْنَا ثُمَّ فَرَشَ لِي وَٱنْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي آخِرِ ٱللَّيْلِ لِٱمْرَأَتِهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ غَدًا رَهْطًا[٧] لِيَأْكُلُوا عِنْدَنَا فَٱصْنَعِي لَهُمْ طَعَامًا. فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ كَيْفَ تَدْعُو ٱلنَّاسَ إِلَى طَعَامِكَ وَلَيْسَ

---

(١) قطع (٢) النواحي (٣) ابتدأ (٤) داس (٥) اي في وسط
(٦) يشردني ويبعدني (٧) جماعة من ثلثة الى عشرة

أَذْنَبَ غَيْرُهُ كَانَ هُوَ لِلتُّهْمَةِ مَوْضِعًا . وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ[١] هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ ذَمٌّ . فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ أَهْوَجُ[٢] وَإِنْ كَانَ جَوَادًا[٣] سُمِّيَ مُبَذِّرًا[٤] وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا[٥] وَإِنْ كَانَ صَمُوتًا[٦] سُمِّيَ عَيِيًّا[٧] وَإِنْ كَانَ لَسِنًا[٨] سُمِّيَ مِهْذَارًا[٩] . فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الْحَاجَةِ[١٠] الَّتِي تُحْوِجُ صَاحِبَهَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ[١١] وَلَا سِيَّمَا مَسْأَلَةِ الْأَشِحَّاءِ[١٢] وَاللِّئَامِ . فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ كُلِّفَ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِي فَمِ الْأَفْعَى فَيُخْرِجَ مِنْهُ سُمًّا فَيَبْتَلِعَهُ كَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَسْأَلَةِ الْبَخِيلِ اللَّئِيمِ . حَتَّى لَقَدْ جَاءَ فِي قَدِيمِ الْأَقَاوِيلِ إِنَّ مَنِ ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ فِي جَسَدِهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ مِنَ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ

وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ الضَّيْفَ حِينَ أَخَذَ الدَّنَانِيرَ فَقَاسَمَهَا النَّاسِكَ جَعَلَ النَّاسِكُ نَصِيبَهُ فِي خَرِيطَةٍ[١٣] عِنْدَ رَأْسِهِ لَمَّا جَنَّ[١٤]

---

(١) خصلة (٢) احمق طائش (٣) كريمًا (٤) مفرقًا ماله على غير طاعة (٥) فاتر الطبع (٦) كثير الصمت الى السكوت (٧) اي عاجزًا غير قادر على النطق (٨) فصيح اللسان (٩) كثير الكلام في الخطإ والباطل (١٠) الفقر (١١) الطلب على سبيل التكرّم (١٢) البخلاء (١٣) وعاء من جلد او غيره (١٤) اظلم

اللَّيلُ. فطمعتُ أن أصيبَ منها شيئاً فأَرُدَّهُ إلى جُحْري ورجوتُ أن يزيدَ ذلكَ في قوَّتي أو يُراجعني بسببهِ بعضُ أصدقائي * فانطلقتُ إلى النَّاسكِ وهو نائمٌ حتَّى انتهيتُ عندَ رأسهِ فوجدتُ الضَّيفَ يقظانَ(١) وبيدهِ قضيبٌ فضربني على رأسي ضربةً موجعةً فانقلبتُ راجعاً إلى جُحْري. فلمَّا سكنَ عنِّي الألمُ هيَّجني الحرصُ والشَّرهُ فخرجتُ طمعاً كطمعي الأوَّلِ. وإذا الضَّيفُ يرصدُني فضربني بالقضيبِ ضربةً أسالتْ منِّي الدَّمَ فتحاملتُ على نفسي(٢) وتقلَّبتُ ظهراً لبطنٍ إلى جُحْري فخررتُ(٣) مغشيّاً عليَّ فأصابني من الوجعِ ما بغَّضَ إليَّ المالَ حتَّى لا أسمعُ بذكرهِ إلَّا تداخلني من ذكرِ المالِ رعدةٌ(٤) وهيبةٌ * ثمَّ تذكَّرتُ فوجدتُ البلاءَ في الدُّنيا إنَّما يسوقهُ الحرصُ والشَّرهُ لأنَّهما لا يزالانِ يُدخلانِ صاحبهما من شيءٍ إلى شيءٍ والأشياءُ لا تنفدُ(٥) ولا تنتهي ولا يزالُ صاحبُ الدُّنيا في بليَّةٍ وتعبٍ ونصبٍ(٦). ووجدتُ ركوبَ الأهوالِ وتجشُّمَ(٧) الأسفارِ البعيدةِ في طلبِ الدُّنيا أهونَ عليَّ من بسطِ اليدِ إلى السَّخيِّ(٨) بالمالِ فكيفَ

(١) اي غير نائم (٢) جرت عليها وكلفتها ما لا تطيق (٣) اي سقطت (٤) اضطراب (٥) لا تفنى (٦) اي كدّ وجدّ (٧) تكلف (٨) الكريم

بِالشَّحِيحِ (١) بِهِ وَلَمْ أَرَ كَالرِّضَى شَيْئًا. وَوَجَدْتُ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا لا عقلَ كَالتَّدْبِيرِ وَلا وَرَعَ كَكَفِّ الأَذَى (٢) وَلا حَسَبَ (٣) كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَلا غِنَى كَالرِّضَى. وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ الإِنْسَانُ عَلَى الشَّيْءِ نَفْسُهُ. وَأَفْضَلُ الْبِرِّ الرَّحْمَةُ. وَرَأْسُ الْمَوَدَّةِ الاسْتِرْسَالُ (٤). وَرَأْسُ الْعَقْلِ مَعْرِفَةُ مَا يَكُونُ مِمَّا لا يَكُونُ. وَقَالُوا الْخَرَسُ خَيْرٌ مِنَ اللِّسَانِ الْكَذُوبِ وَالضُّرُّ (٥) وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنَ النَّعْمَةِ (٦) وَالسَّعَةِ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ * فَصَارَ أَمْرِي إِلَى أَنْ رَضِيتُ وَقَنِعْتُ وَانْتَقَلْتُ مِنْ بَيْتِ النَّاسِكِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ لِي صَدِيقٌ مِنَ الْحَمَامِ فَسِيقَتْ (٧) إِلَيَّ بِصَدَاقَتِهِ صَدَاقَةُ الْغُرَابِ. وَالْتَفَتَ إِلَى السُّلَحْفَاةِ فَقَالَ ثُمَّ ذَكَرَ لِيَ الْغُرَابُ مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُرِيدُ إِتْيَانَكِ (٨) فَأَحْبَبْتُ أَنْ آتِيَكِ مَعَهُ. وَكَرِهْتُ الْوَحْدَةَ (٩) فَإِنَّهُ لا شَيْءَ مِنْ سُرُورِ الدُّنْيَا يَعْدِلُ صُحْبَةَ الإِخْوَانِ وَلا غَمَّ فِيهَا يَعْدِلُ الْبُعْدَ عَنْهُمْ. وَجَرَّبْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي الْمُلْتَمِسِ (١٠) مِنَ الدُّنْيَا غَيْرُ الْكَفَافِ (١١) الَّذِي يَدْفَعُ بِهِ الأَذَى عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ

---

(١) البخيل الحريص (٢) التعدي (٣) كرم (٤) حسن الثقة بالصديق والاستئناس به (٥) سوء الحال والشدة (٦) التلذذ (٧) أُرسلت (٨) المجيء اليك (٩) الانفراد (١٠) الطالب (١١) مقدار الحاجة فقط

يَسِيرٌ[١] مِنَ ٱلْمَطْعَمِ وَٱلْمَشْرَبِ إِذَا أُعِينَ بِصِحَّةٍ وَسَعَةٍ · وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا وُهِبَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لَمْ يَكُنْ يَنْتَفِعُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْقَلِيلِ ٱلَّذِي يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ٱلْحَاجَةَ وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا مَا لِغَيْرِهِ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهِ حَسْبُ[٢]

فَلَمَّا فَرَغَ ٱلْجُرَذُ مِنْ كَلَامِهِ أَجَابَتْهُ ٱلسُّلَحْفَاةُ بِكَلَامٍ رَقِيقٍ[٣] وَقَالَتْ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ وَمَا أَحْسَنَ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ · إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُكَ تَذْكُرُ بَقَايَا أُمُورٍ هِيَ فِي نَفْسِكَ مِنْ حَيْثُ قِلَّةُ مَالِكَ وَسُوءُ حَالِكَ وَٱغْتِرَابُكَ عَنْ مَوْطِنِكَ[٤] · فَٱطْرَحْ ذٰلِكَ عَنْ قَلْبِكَ وَٱعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ ٱلْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ ٱلْعَمَلِ وَأَنَّ ٱلْمَرِيضَ ٱلَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَاءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوَ بِهِ لَمْ يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئًا وَلَمْ يَجِدْ لِدَائِهِ رَاحَةً وَلَا خِفَّةً · فَٱسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ وَلَا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ ٱلْمَالِ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ذَا ٱلْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَٱلْأَسَدِ ٱلَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضًا[٥] · وَٱلْغَنِيُّ ٱلَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ ٱلْمَالِ كَٱلْكَلْبِ لَا يُحْفَلُ[٦] بِهِ وَإِنْ طُوِّقَ وَخُلْخِلَ بِٱلذَّهَبِ · فَلَا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا غُرْبَةَ

---

(١) قليل (٢) فقط (٣) عذب لطيف (٤) محل سكنك (٥) باركاً
(٦) اي لا يكترث

لَهُ كَالأَسَدِ الَّذِي لاَ يَنْقَلِبُ[١] إِلاَّ مَعَهُ قُوَّتُهُ * فَلْتُحْسِنْ تَعَهُّدَكَ[٢] لِنَفْسِكَ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ جَاءَكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءُ انْحِدَارَهُ[٣] وَإِنَّمَا جُعِلَ الْفَضْلُ لِلْحَازِمِ الْبَصِيرِ[٤] وَأَمَّا الْكَسْلاَنُ الْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ الْفَضْلَ لاَ يَصْحَبُهُ * وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلاَ بَقَاءٌ . ظِلُّ الْغَمَامَةِ[٥] فِي الصَّيْفِ وَخُلَّةِ[٦] الأَشْرَارِ . وَعِشْقُ النِّسَاءِ . وَالنَّبَإِ[٧] الْكَاذِبِ . وَالْمَالِ الْكَثِيرِ * فَالْعَاقِلُ لاَ يَحْزَنُ لِقِلَّتِهِ وَلَكِنَّ مَالَهُ عَقْلُهُ وَمَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ . فَهُوَ وَاثِقٌ أَنَّهُ لاَ يُسْلَبُ مَا عَمِلَ وَلاَ يُؤَاخَذُ[٨] بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ . وَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ لاَ يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بَغْتَةً وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ أَجَلٌ[٩] مَعْلُومٌ وَأَنْتَ عَنْ مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ . وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْضِيَ مِنْ حَقِّكَ فَأَنْتَ أَخُونَا وَمَا قِبَلَنَا[١٠] مَبْذُولٌ لَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْغُرَابُ كَلاَمَ السُّلَحْفَاةِ لِلْجُرَذِ وَمَرْدُودَهَا عَلَيْهِ وَإِلْطَافَهَا[١١] إِيَّاهُ فَرِحَ بِذٰلِكَ وَقَالَ لَقَدْ سَرَرْتِنِي وَأَنْعَمْتِ عَلَيَّ

---

(١) اي لا يرجع (٢) تفقدك (٣) انحطاطه من علو الى اسفل
(٤) العاقل الفطن (٥) السحابة (٦) مصادقة واخاء (٧) الخبر
(٨) اي لا يلام ولا يعاتب (٩) ميعاد (١٠) اسيء وما عندنا
(١١) اكرامها وبرّها

وَأَنْتِ جَدِيرَةٌ أَنْ تَسُرِّي نَفْسَكِ بِمِثْلِ مَا سَرَرْتِنِي . وَإِنَّ أَوْلَى أَهْلِ ٱلدُّنْيَا بِشِدَّةِ ٱلسُّرُورِ مَنْ لَا يَزَالُ رَبْعُهُ[1] مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ مَعْمُورًا وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَسُرُّهُمْ وَيَسُرُّونَهُ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ أُمُورِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ بِٱلْمِرْصَادِ[2] فَإِنَّ حُسْنَ ٱلثَّنَاءِ لَا يَزَالُ صَاحِبُهُ فِي عَاقِبَتِهِ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ . فَإِنَّ ٱلْكَرِيمَ إِذَا عَثَرَ لَا يُقِيلُ عَثْرَتَهُ[3] وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَّا ٱلْكِرَامُ كَٱلْفِيلِ إِذَا وَحِلَ[4] لَا تُخْرِجُهُ إِلَّا ٱلْفِيَلَةُ * فَبَيْنَمَا ٱلْغُرَابُ فِي كَلَامِهِ وَٱلثَّلَاثَةُ مُسْتَأْنِسُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ إِذْ أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبْيٌ يَسْعَى مَذْعُورًا[5] فَذُعِرَتْ مِنْهُ ٱلسُّلَحْفَاةُ فَغَاصَتْ فِي ٱلْمَاءِ وَدَخَلَ ٱلْجُرَذُ بَعْضَ ٱلْأَجْحَارِ وَطَارَ ٱلْغُرَابُ فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ وَٱنْتَهَى ٱلظَّبْيُ إِلَى ٱلْمَاءِ فَشَرِبَ مِنْهُ يَسِيرًا ثُمَّ وَقَفَ خَائِفًا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْغُرَابَ حَلَّقَ[6] فِي ٱلسَّمَاءِ لِيَنْظُرَ هَلْ لِلظَّبْيِ طَالِبٌ . فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَنَادَى ٱلْجُرَذَ وَٱلسُّلَحْفَاةَ فَخَرَجَا فَقَالَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ لِلظَّبْيِ حِينَ رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى ٱلْمَاءِ وَلَا يَقْرَبُهُ ٱشْرَبْ إِنْ كَانَ بِكَ عَطَشٌ وَلَا تَخَفْ فَإِنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ . فَدَنَا

---

(١) منزله (٢) اي بالطريق والمكان والمراد ان يكون مراقبًا لهم (٣) اي لا يرفعه من سقوطه (٤) وقع في الوحل (٥) خائفًا (٦) ارتفع في طيرانه واستدار كالحلقة

الظَّبْيُ فَرَحَّبَتْ بِهِ السُّلَحْفَاةُ وَحَيَّتْهُ وَقَالَتْ لَهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ كُنْتُ بِهٰذِهِ الصَّحَارَى(١) رَاتِعًا(٢). فَلَمْ تَزَلِ الْأَسَاوِرَةُ(٣) تَطْرُدُنِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَبَحًا(٤) فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَانِصًا. قَالَتْ لَا تَخَفْ فَإِنَّا لَمْ نَرَ هٰهُنَا قَانِصًا قَطُّ وَنَحْنُ فِي هٰذَا الْمَكَانِ مُجْتَمِعُونَ نَتَحَدَّثُ وَنَتَآنَسُ وَنَحْنُ نَبْذُلُ لَكَ وُدَّنَا وَمَكَانَنَا وَالْمَاءُ وَالْمَرْعَى كَثِيرٌ عِنْدَنَا فَارْغَبْ فِي صُحْبَتِنَا. فَأَقَامَ الظَّبْيُ مَعَهُمْ وَكَانَ لَهُمْ عَرِيشٌ(٥) يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَتَسَاقَطُونَ(٦) الْأَحَادِيثَ وَالْأَخْبَارَ. فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ وَالْجُرَذُ وَالسُّلَحْفَاةُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْعَرِيشِ إِذْ غَابَ الظَّبْيُ فَتَوَقَّعُوهُ(٧) سَاعَةً فَلَمْ يَأْتِ. فَلَمَّا أَبْطَأَ(٨) أَشْفَقُوا(٩) أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ عَنَتٌ(١٠). فَقَالَ الْجُرَذُ وَالسُّلَحْفَاةُ لِلْغُرَابِ انْظُرْ هَلْ تَرَى مِمَّا يَلِينَا(١١) شَيْئًا. فَحَلَّقَ الْغُرَابُ فِي السَّمَاءِ فَنَظَرَ فَإِذَا الظَّبْيُ فِي الْحَبَائِلِ(١٢) مُقْتَنَصًا(١٣) فَانْقَضَّ(١٤) مُسْرِعًا فَأَخْبَرَهُمَا بِذٰلِكَ. فَقَالَتِ السُّلَحْفَاةُ وَالْغُرَابُ

---

(١) جمع صحراء وهي الفضاء الواسع لا نبات فيه (٢) آكلاً وشارباً ما شاء في خصب وسعة (٣) جمع اسوار وهو الجيد الرمي بالسهام (٤) شخصاً (٥) مكان يستظل به (٦) يتبادلون ويتناوبون (٧) اي انتظروا مجيئه (٨) تاخر (٩) خافوا (١٠) وقوع في شاق (١١) اي في ما حولنا (١٢) المصايد (١٣) مصطاداً (١٤) وقع بسرعة

لِلْجُرَذِ هٰذَا أَمْرٌ لَا يُرْجَى فِيهِ غَيْرُكَ فَأَغِثْ[١] أَخَاكَ . فَسَعَى ٱلْجُرَذُ مُسْرِعًا فَأَتَى ٱلظَّبْيَ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ[٢] وَأَنْتَ مِنَ ٱلْأَكْيَاسِ[٣] . قَالَ ٱلظَّبْيُ مَا يُغْنِي[٤] حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ[٥] وَلَا يُجْدِي[٦] ٱلْكَيْسُ مَعَ ٱلْمَقَادِيرِ شَيْئًا .

فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ٱلْحَدِيثِ إِذْ وَافَتْهُمَا ٱلسُّلَحْفَاةُ فَقَالَ لَهَا ٱلظَّبْيُ مَا أَصَبْتِ بِمَجِيئِكِ إِلَيْنَا فَإِنَّ ٱلْقَانِصَ[٧] لَوِ ٱنْتَهَى إِلَيْنَا وَقَدْ قَطَعَ ٱلْجُرَذُ ٱلْحَبَائِلَ سَبَقْتُهُ عَدْوًا[٨] . وَلِلْجُرَذِ أَجْحَارٌ كَثِيرَةٌ وَٱلْغُرَابُ يَطِيرُ وَأَنْتِ . ثَقِيلَةٌ لَا سَعْيَ لَكِ وَلَا حَرَكَةَ وَأَخَافُ عَلَيْكِ ٱلْقَانِصَ . قَالَتْ لَا عَيْشَ بَعْدَ فِرَاقِ ٱلْأَحِبَّةِ . وَإِذَا فَارَقَ ٱلْأَلِيفُ أَلِيفَهُ فَقَدْ سُلِبَ فُؤَادَهُ وَحُرِمَ سُرُورَهُ وَغُشِيَ عَلَى بَصَرِهِ . فَلَمْ يَنْتَهِ كَلَامُهَا حَتَّى وَافَى[٩] ٱلْقَانِصُ وَوَافَقَ ذٰلِكَ فَرَاغَ ٱلْجُرَذِ مِنْ قَطْعِ ٱلشَّرَكِ . فَنَجَا ٱلظَّبْيُ بِنَفْسِهِ وَطَارَ ٱلْغُرَابُ مُحَلِّقًا وَدَخَلَ ٱلْجُرَذُ بَعْضَ ٱلْأَجْحَارِ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ ٱلسُّلَحْفَاةِ وَدَنَا ٱلصَّيَّادُ فَوَجَدَ حَبَائِلَهُ مُقَطَّعَةً . فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ ٱلسُّلَحْفَاةِ تَدِبُّ فَأَخَذَهَا وَرَبَطَهَا . فَلَمْ يَلْبَثِ[١٠] ٱلْغُرَابُ وَٱلْجُرَذُ وَٱلظَّبْيُ أَنِ ٱجْتَمَعُوا

---

(١) اي فأعن (٢) الشدة (٣) جمع كيس وهو الظريف الفطن
(٤) اي ما يمنع (٥) اي من قضاء الله (٦) ينفع (٧) الصياد (٨) ركضاً
(٩) اتى (١٠) اي فلم يبطئ

فَنَظَرُوا ٱلْقَانِصَ قَدْ رَبَطَ ٱلسُّلَحْفَاةَ فَٱشْتَدَّ حُزْنُهُمْ. وَقَالَ ٱلْجُرَذُ مَا أَرَانَا[1] نُجَاوِزُ عَقَبَةً[2] مِنَ ٱلْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا إِلَى أَشَدَّ مِنْهَا. وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي قَالَ لَا يَزَالُ ٱلْإِنْسَانُ مُسْتَمِرًّا فِي إِقْبَالِهِ مَا لَمْ يَعْثُرْ.[3] فَإِذَا عَثَرَ لَجَّ[4] بِهِ ٱلْعِثَارُ وَإِنْ مَشَى فِي جَدَدِ[5] ٱلْأَرْضِ. وَحَذَرِي عَلَى ٱلسُّلَحْفَاةِ خَيْرِ ٱلْأَصْدِقَاءِ ٱلَّتِي خُلَّتُهَا[6] لَيْسَتْ لِلْمُجَازَاةِ وَلَا لِٱلْتِمَاسِ مُكَافَأَةٍ وَلٰكِنَّهَا خُلَّةُ ٱلْكَرَمِ وَٱلشَّرَفِ. خُلَّةٌ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ خُلَّةِ ٱلْوَالِدِ لِوَلَدِهِ. خُلَّةٌ لَا يُزِيلُهَا إِلَّا ٱلْمَوْتُ. وَيْحٌ[7] لِهٰذَا ٱلْجَسَدِ ٱلْمُوَكَّلِ بِهِ ٱلْبَلَاءُ ٱلَّذِي لَا يَزَالُ فِي تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ وَلَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ وَلَا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ كَمَا لَا يَدُومُ لِلطَّالِعِ مِنَ ٱلنُّجُومِ طُلُوعٌ وَلَا لِلْآفِلِ[8] مِنْهَا أُفُولٌ لٰكِنْ لَا يَزَالُ ٱلطَّالِعُ مِنْهَا آفِلًا وَٱلْآفِلُ طَالِعًا. وَكَمَا تَكُونُ آلَامُ ٱلْكُلُومِ[9] وَٱنْتِقَاضُ ٱلْجِرَاحَاتِ[10] كَذٰلِكَ حَالِي أَنَا ٱلَّذِي ذَكَّرَنِي هٰذَا ٱلْبَلَاءُ سَابِقَ أَحْوَالِي. كَٱلْجُرْحِ ٱلْمُنْدَمِلِ[11] تُصِيبُهُ ٱلضَّرْبَةُ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَلَمَانِ

(١) اي ما ارى انفسنا (٢) العقبة المرقى الصعب في الجبال والمراد بها هنا الشدة والمعنى اننا لم نتخلص من شدّة الا وقعنا في اشد منها (٣) اي ما لم يزل ويسقط (٤) تمادى (٥) الارض الغليظة المستوية وعليها قولهم في المثل من سلك الجدد أمِنَ العثار (٦) مصادقتها واخاؤها (٧) بمعنى ويل (٨) الغارب اي البعيد المتواري عن العين (٩) الجراح (١٠) انتكاسها وفسادها بعد برئها (١١) الذي برئ

أَلَمُ ٱلضَّرْبَةِ وَأَلَمُ ٱلْجُرْحِ . وَأَخَافُ بِمَنْ[1] فَقَدَ إِخْوَانَهُ بَعْدَ ٱجْتِمَاعِهِ بِهِمْ أَنْ لَا يَزَالَ مُنْقَصِمَ[2] ٱلظَّهْرِ حَزِينَ ٱلنَّفْسِ

فَقَالَ ٱلظَّبْيُ وَٱلْغُرَابُ لِلْجُرَذِ إِنَّ حَذَرَنَا وَحَذَرَكَ وَكَلَامَكَ وَإِنْ كَانَ بَلِيغًا لَا يُغْنِي عَنِ ٱلسُّلَحْفَاةِ شَيْئًا . وَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ إِنَّمَا ٱلنَّاسُ عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ وَذُو ٱلْأَمَانَةِ عِنْدَ ٱلْأَخْذِ وَٱلْعَطَاءِ وَٱلْأَهْلُ وَٱلْوَلَدُ عِنْدَ ٱلْفَاقَةِ وَٱلْإِخْوَانُ عِنْدَ ٱلنَّوَائِبِ[3] . قَالَ ٱلْجُرَذُ أَرَى مِنَ ٱلْحِيلَةِ أَنْ تَذْهَبَ أَيُّهَا ٱلظَّبْيُ فَتَقَعَ بِمَنْظَرٍ مِنَ ٱلْقَانِصِ[4] كَأَنَّكَ جَرِيحٌ وَيَقَعَ ٱلْغُرَابُ عَلَيْكَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْكَ . وَأَسْعَى أَنَا فَأَكُونُ قَرِيبًا مِنَ ٱلْقَانِصِ مُرَاقِبًا لَهُ لَعَلَّهُ يَرْمِي مَا مَعَهُ مِنَ ٱلْآلَةِ وَيَدَعُ ٱلسُّلَحْفَاةَ وَيَقْصِدُكَ طَامِعًا فِيكَ رَاجِيًا تَحْصِيلَكَ . فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَفِرَّ عَنْهُ رُوَيْدًا بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ فِيكَ وَأَمْكِنْهُ مِنْ أَخْذِكَ[5] مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يَبْعُدَ عَنَّا . وَٱنْحُ مِنْهُ هٰذَا ٱلنَّحْوَ[6] مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنِّي أَرْجُو أَلَّا يَنْصَرِفَ إِلَّا وَقَدْ قَطَعْتُ ٱلْحَبَائِلَ عَنِ ٱلسُّلَحْفَاةِ وَأَنْجُو بِهَا . فَفَعَلَ ٱلظَّبْيُ وَٱلْغُرَابُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ ٱلْجُرَذُ وَتَبِعَهُمَا ٱلْقَانِصُ فَٱسْتَطْرَدَ لَهُ[7] ٱلظَّبْيُ حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ

(١) اي ما اخافه بمعنى ما اجدره (٢) منكسر (٣) المصائب (٤) اي بحيث ينظرك (٥) اي سهله عليه (٦) اي وافعل معه هكذا (٧) اي اظهر له الانهزام مكيدة

الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة. وعاد القانص مجهوداً لاغباً(١) فوجد حبائله مقطعة. ففكر في أمره مع الظبي فظن أنه خولط(٢) في عقله. وفكر في الظبي والغراب الذي كان كأنه يأكل منه(٣) وتقريض حبائله فاستوحش من الأرض وقال هذه أرض جن أو سحرة. فرجع مولياً لا يلتمس شيئاً ولا يلتفت إليه. واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة إلى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه

فإذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه عليها واستمتاع(٤) بعضه ببعض. فالإنسان الذي قد أعطي العقل والفهم وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد(٥)

فهذا مثل إخوان الصفاء ائتلافهم في الصحبة

---

(١) تعباً جداً (٢) ضرب [illegible] (٣) أي من الظبي (٤) انتفاع
(٥) التعاون

باب

البُومِ وَالْغِرْبَانِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ[١] وَتَعَاوُنِهِمْ. فَاضْرِبْ[٢] لِي مَثَلَ الْعَدُوِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِ وَإِنْ أَظْهَرَ تَضَرُّعًا وَمَلَقًا[٣]. وَأَخْبِرْنِي عَنِ الْعَدُوِّ هَلْ يَصِيرُ صَدِيقًا وَهَلْ يُوثَقُ مِنْ أَمْرِهِ بِشَيْءٍ وَكَيْفَ الْعَدَاوَةُ وَمَا ضَرَرُهَا وَكَيْفَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْنَعَ إِذَا طَلَبَ عَدُوُّهُ مُصَالَحَتَهُ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ مَنِ اغْتَرَّ بِالْعَدُوِّ الَّذِي لَا يَزَالُ عَدُوًّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْبُومَ مِنَ الْغِرْبَانِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الدَّوْحِ[٤] فِيهَا وَكْرُ أَلْفِ غُرَابٍ وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ. وَكَانَ عِنْدَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ كَهْفٌ[٥] فِيهِ أَلْفُ بُومَةٍ وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْهُنَّ. فَخَرَجَ مَلِكُ الْبُومِ لِبَعْضِ غَدَوَاتِهِ[٦] وَرَوْحَاتِهِ[٧] وَفِي نَفْسِهِ الْعَدَاوَةُ لِمَلِكِ الْغِرْبَانِ وَفِي نَفْسِ الْغِرْبَانِ وَمَلِكِهَا مِثْلُ ذٰلِكَ

---

(١) الاخلاص والمودّة (٢) قُل اوصف (٣) تودّداً وتلطفاً (٤) جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة (٥) بيت منقور في الجبل الا انه واسع (٦) سفراته صباحاً (٧) سفراته مساء

لِلْبُومِ . فَأَغَارَ(١) مَلِكُ ٱلْبُومِ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى ٱلْغِرْبَانِ فِي أَوْكَارِهَا فَقَتَلَ وَسَبَى مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَكَانَتِ ٱلْغَارَةُ لَيْلًا . فَلَمَّا أَصْبَحَتِ ٱلْغِرْبَانُ ٱجْتَمَعَتْ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَا لَقِينَا ٱللَّيْلَةَ مِنْ مَلِكِ ٱلْبُومِ وَمَا مِنَّا إِلَّا مَنْ أَصْبَحَ قَتِيلًا أَوْ جَرِيحًا أَوْ مَكْسُورَ ٱلْجَنَاحِ أَوْ مَنْتُوفَ ٱلرِّيشِ أَوْ مَهْلُوبَ(٢) ٱلذَّنَبِ . وَأَشَدُّ مَا أَصَابَنَا ضَرًّا جَرَاءَتُهُنَّ عَلَيْنَا وَعِلْمُهُنَّ بِمَكَانِنَا وَهُنَّ عَائِدَاتٌ(٣) إِلَيْنَا غَيْرُ مُنْقَطِعَاتٍ عَنَّا لِعِلْمِهِنَّ بِمَكَانِنَا فَإِنَّمَا نَحْنُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فَٱنْظُرْ لَنَا وَلِنَفْسِكَ * وَكَانَ فِي ٱلْغِرْبَانِ خَمْسَةٌ مُعْتَرَفٌ لَهُنَّ بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ يُسْنَدُ إِلَيْهِنَّ(٤) فِي ٱلْأُمُورِ وَتُلْقَى إِلَيْهِنَّ مَقَالِيدُ(٥) ٱلْأَحْوَالِ . وَكَانَ ٱلْمَلِكُ كَثِيرًا مَا يُشَاوِرُهُنَّ فِي ٱلْأُمُورِ وَيَأْخُذُ آرَاءَهُنَّ فِي ٱلْحَوَادِثِ وَٱلنَّوَازِلِ(٦) * فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِلْأَوَّلِ مِنَ ٱلْخَمْسَةِ مَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ . قَالَ رَأْيٌ قَدْ سَبَقَتْنَا إِلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ لِلْعَدُوِّ ٱلْحَنِقِ(٧) ٱلَّذِي لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ إِلَّا ٱلْهَرَبُ مِنْهُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لِلثَّانِي مَا رَأْيُكَ أَنْتَ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ . قَالَ مَا رَأَى هٰذَا مِنَ ٱلْهَرَبِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَا أَرَى لَكُمَا ذٰلِكَ

---

(١) هجم (٢) منتوف الهلب وهو شعر الذنب (٣) مرتدات (٤) اي يعتمد عليهنّ (٥) مفاتيح (٦) الشدائد (٧) الشديد الغيظ

رَأْيًا أَنْ نَرْحَلَ عَنْ أَوْطَانِنَا وَنُخْلِيَهَا لِعَدُوِّنَا مِنْ أَوَّلِ نَكْبَةٍ(١) أَصَابَتْنَا مِنْهُ وَلا يَنْبَغِي لَنَا ذٰلِكَ فَنَكُونُ بِهِ لَهُمْ عَوْنًا عَلَيْنَا. وَلٰكِنْ نَجْمَعُ أَمْرَنَا وَنَسْتَعِدُّ لِعَدُوِّنَا وَنُذْكِي(٢) نَارَ الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا وَنَحْتَرِسُ مِنَ الْغِرَّةِ(٣) إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَنَلْقَاهُ مُسْتَعِدِّينَ وَنُقَاتِلُهُ قِتَالاً غَيْرَ مُرَاجِعِينَ فِيهِ وَلاَ حَامِينَ(٤) مِنْهُ وَتَلْقَى أَطْرَافُنَا أَطْرَافَ الْعَدُوِّ وَنَتَحَرَّزُ(٥) بِحُصُونِنَا وَنُدَافِعُ عَدُوَّنَا بِالْأَنَاةِ(٦) مَرَّةً وَبِالْجِلاَدِ(٧) أُخْرَى حَيْثُ نُصِيبُ فُرْصَتَنَا وَبُغْيَتَنَا وَقَدْ ثَنَيْنَا(٨) عَدُوَّنَا عَنَّا

ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّالِثِ مَا رَأْيُكَ أَنْتَ. قَالَ لاَ أَرَى مَا قَالاَ رَأْيًا وَلٰكِنْ نَبُثُّ(٩) الْعُيُونَ(١٠) وَنَبْعَثُ الْجَوَاسِيسَ وَنُرْسِلُ الطَّلاَئِعَ(١١) بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا فَنَعْلَمُ هَلْ يُرِيدُ صُلْحَنَا أَمْ يُرِيدُ حَرْبَنَا أَمْ يُرِيدُ الْفِدْيَةَ(١٢). فَإِنْ رَأَيْنَا أَمْرَهُ أَمْرَ طَامِعٍ فِي مَالٍ لَمْ نَكْرَهِ الصُّلْحَ عَلَى خَرَاجٍ نُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَدْفَعُ بِهِ عَنْ أَنْفُسِنَا وَنَطْمَئِنُّ فِي أَوْطَانِنَا. فَإِنَّ مِنْ آرَاءِ الْمُلُوكِ إِذَا

(١) مصيبة (٢) نوقد (٣) الغفلة (٤) اي غير آنفين ولا يداخلنا عار بذلك (٥) نحفظ (٦) الرفق والانتظار (٧) المضاربة بالسيوف (٨) رددنا (٩) نفرّق (١٠) الرقباء (١١) جماعات من الجيش تبعث قدامه لتطّلع على اخبار العدو (١٢) ما يعطى من المال عوض المفدي

اشتدت شوكة (١) عدوهم فخافوا على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الأموال جنة (٢) البلاد والملك والرعية * قال الملك للرابع فما رأيك في هذا الصلح . قال لا أراه رأيا بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا (٣) ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه . مع أن البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا إلا بالشطط (٤) . ويقال في الأمثال قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ (٥) عليك ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أملتها قليلا زاد ظلها وإذا جاوزت بها الحد في إمالتها (٦) نقص الظل . وليس عدونا راضيا منا بالدون في المقاربة فالرأي لنا ولك المحاربة * قال الملك للخامس ما تقول أنت وماذا ترى أالقتال أم الصلح أم الجلاء (٧) عن الوطن . قال أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه . وقد يقال إنه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها (٨) مع أن

---

(١) قدرة (٢) سترة (٣) مفاخرنا (٤) مجاوزة الحد (٥) يتشجع ويتقوى (٦) اي امالتك اياها (٧) التفرق (٨) هلاكها

ٱلْعَاقِلَ لَا يَسْتَصْغِرُ عَدُوًّا. فَإِنَّ مَنِ ٱسْتَصْغَرَ عَدُوَّهُ ٱغْتَرَّ بِهِ وَمَنِ ٱغْتَرَّ[1] بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ. وَأَنَا لِلْبُومِ شَدِيدُ ٱلْهَيْبَةِ وَإِنْ أَضْرَبْنَ[2] عَنْ قِتَالِنَا وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا قَبْلَ ذٰلِكَ. فَإِنَّ ٱلْحَازِمَ[3] لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ. فَإِنْ كَانَ بَعِيدًا لَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتَهُ وَإِنْ كَانَ مُكْثِبًا[4] لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ[5] وَإِنْ كَانَ وَحِيدًا لَمْ يَأْمَنْ مَكْرَهُ. وَأَحْزَمُ ٱلْأَقْوَامِ وَأَكْيَسُهُمْ[6] مَنْ كَرِهَ ٱلْقِتَالَ لِأَجْلِ ٱلنَّفَقَةِ فِيهِ. فَإِنَّ مَا دُونَ ٱلْقِتَالِ ٱلنَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ. وَٱلْقِتَالَ ٱلنَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ ٱلْأَنْفُسِ وَٱلْأَبْدَانِ وَرُبَّمَا ٱكْتُفِيَ عَنْهُ بِٱلنَّفَقَةِ ٱلْيَسِيرَةِ وَٱلْكَلَامِ ٱللَّيِّنِ. فَلَا يَكُونَنَّ ٱلْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ. فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ. فَإِذَا كَانَ ٱلْمَلِكُ مُحَصِّنًا[7] لِلْأَسْرَارِ مُتَخَيِّرًا[8] لِلْوُزَرَاءِ مَهِيبًا فِي أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ بَعِيدًا مِنْ أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ كَانَ خَلِيقًا أَنْ لَا يُسْلَبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ[9] مِنَ ٱلْخَيْرِ. وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ كَذٰلِكَ وَٱلْمَلِكُ يَزْدَادُ بِرَأْيِ وُزَرَائِهِ بَصِيرَةً كَمَا يَزِيدُ ٱلْبَحْرُ بِمُجَاوِرِهِ مِنَ ٱلْأَنْهَارِ * وَقَدِ ٱسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرٍ جَوَابُكَ مِنِّي عَنْهُ فِي بَعْضِهِ عَلَنِيَّ

---

(١) انخدع (٢) انصرفن (٣) الذي يضبط امره و يحكمه و ياخذ فيه بالثقة (٤) قريباً (٥) ظفرته (٦) اعقلهم (٧) اي كاتما (٨) منتقياً (٩) أُعطي

وَقَدْ أَجَبْتُكَ بِهِ وَفِي بَعْضِهِ سِرِّيٌّ. وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّهْطُ(١) وَمِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ فِيهِ بِالْقَوْمِ وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّجُلَانِ. وَلَسْتُ أَرَى لِهٰذَا السِّرِّ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ آذَانٍ وَلِسَانَانِ. فَنَهَضَ الْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ وَخَلَا(٢) بِهِ فَاسْتَشَارَهُ. فَكَانَ أَوَّلُ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ الْمَلِكُ أَنَّهُ قَالَ هَلْ تَعْلَمُ ابْتِدَاءَ الْعَدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ. قَالَ نَعَمْ كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِهَا غُرَابٌ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ الْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْكَرَاكِيِّ(٣) لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ فَأَجْمَعَتْ أَمْرَهَا عَلَى أَنْ تُمَلِّكَ عَلَيْهَا مَلِكَ الْبُومِ. فَبَيْنَمَا هِيَ فِي مَجْمَعِهَا إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ. فَقَالَتْ لَوْ جَاءَنَا هٰذَا الْغُرَابُ لَاسْتَشَرْنَاهُ فِي أَمْرِنَا. فَلَمْ يَلْبَثْنَ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ الْغُرَابُ فَاسْتَشَرْنَهُ. فَقَالَ لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ بَادَتْ(٤) مِنَ الْأَقَالِيمِ(٥) وَفُقِدَ الطَّاوُوسُ وَالْبَطُّ وَالنَّعَامُ وَالْحَمَامُ مِنَ الْعَالَمِ لَمَا اضْطُرِرْتُنَّ إِلَى أَنْ تُمَلِّكْنَ عَلَيْكُنَّ الْبُومَ الَّتِي هِيَ أَقْبَحُ الطَّيْرِ مَنْظَرًا وَأَسْوَأُهَا خَلْقًا وَأَقَلُّهَا عَقْلًا وَأَشَدُّهَا غَضَبًا وَأَبْعَدُهَا مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ مَعَ

---

(١) قوم الرجل (٢) انفرد (٣) جمع كركيّ وهو طائر يقرب من الوز
(٤) انقطعت (٥) البلدان

عَماهَا وَمَا بِهَا مِنَ ٱلْعَشَا(١) فِي ٱلنَّهَارِ وَنَتْنِ رَائِحَتِهَا حَتَّى لَا يُطِيقُ طَائِرٌ أَنْ يَتَقَرَّبَ مِنْهَا وَأَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ وَأَقْبَحُ أُمُورِهَا سَفَهُهَا(٢) وَسُوءُ أَخْلَاقِهَا. إِلَّا أَنْ تَرَيْنَ أَنْ تُمَلِّكْنَهَا وَتَكُنَّ أَنْتُنَّ تُدَبِّرْنَ ٱلْأُمُورَ دُونَهَا بِرَأْيِكُنَّ وَعُقُولِكُنَّ: فَإِنَّ وُزَرَاءَ ٱلْمَلِكِ إِذَا كَانُوا صَالِحِينَ وَكَانَ يُطِيعُهُمْ فِي آرَائِهِمْ لَمْ يَضُرَّ فِي مُلْكِهِ كَوْنُهُ جَاهِلًا وَاسْتِقَامَ أَمْرُهُ. كَمَا فَعَلَتِ ٱلْأَرْنَبُ ٱلَّتِي زَعَمَتْ أَنَّ ٱلْقَمَرَ مَلِكُهَا وَعَمِلَتْ بِرَأْيِهَا. قَالَتِ ٱلطَّيْرُ: وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرَاضِي ٱلْفِيَلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا ٱلسِّنُونَ(٣) وَأَجْدَبَتْ(٤) وَقَلَّ مَاؤُهَا وَغَارَتْ عُيُونُهَا وَذَوَى(٥) نَبْتُهَا وَيَبِسَ شَجَرُهَا فَأَصَابَ ٱلْفِيَلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ. فَشَكَوْنَ ذٰلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُوَّادَهُ(٦) فِي طَلَبِ ٱلْمَاءِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ. فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلرُّسُلِ فَقَالَ لَهُ إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانِ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ ٱلْقَمَرِ كَثِيرَةُ ٱلْمَاءِ. فَتَوَجَّهَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ ٱلْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا هُوَ وَفِيَلَتُهُ. وَكَانَتِ ٱلْعَيْنُ فِي أَرْضٍ لِلْأَرَانِبِ فَوَطِئْنَ(٧) ٱلْأَرَانِبَ فِي أَجْحَارِهِنَّ

(١) ضعف البصر (٢) خفتها وطيشها (٣) جمع سنة وهي الجدب والمحل (٤) امحلت (٥) ذبل (٦) جمع رائد وهو الذي يرسله القوم لينظر لهم مكانًا ينزلون فيه (٧) دسن

فأهلكن منهن كثيراً. فاجتمعت الأرانب إلى ملكها فقلن له قد علمت ما أصابنا من الفيلة. فقال ليحضر منكن كل ذي رأي رأيه * فتقدمت أرنب من الأرانب يقال لها فيروز وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب. فقالت إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أميناً ليسمع ويرى ما أقول ويرفعه[1] إلى الملك. فقال لها الملك أنت أمينة ونرضى بقولك فانطلقي إلى الفيلة وبلغي عني ما تريدين. واعلمي أن الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل. فعليك باللين والرفق والحلم والتأني فإن الرسول هو الذي يلين الصدور إذا رفق[2] ويخشن الصدور إذا خرق[3] * ثم إن الأرنب انطلقت في ليلة قمراء[4] * حتى انتهت إلى الفيلة. وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها وإن كن غير متعمدات[5]. فأشرفت[6] على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له إن القمر أرسلني إليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة فما الرسالة.

---

(١) يقرّبه (٢) لطف ولان (٣) جهل وحمق (٤) اي مضيء فيها القمر
(٥) قاصدات (٦) اطلّت

قَالَتْ يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ فَٱغْتَرَّ فِي ذٰلِكَ بِٱلْأَقْوِيَاءِ قِيَاساً لَهُمْ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالاً(١) عَلَيْهِ. وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى ٱلدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذٰلِكَ فَعَمَدْتَ(٢) إِلَى ٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي تُسَمَّى بِٱسْمِي فَشَرِبْتَ مِنْهَا وَرَنَّقْتَهَا(٣). فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ فَأُنْذِرُكَ(٤) أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ. وَأَنَّهُ إِنْ فَعَلْتَ يُغَشِّي(٥) عَلَى بَصَرِكَ وَيُتْلِفُ(٦) نَفْسَكَ. وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي فَهَلُمَّ إِلَى ٱلْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنَّهُ مُوَافِيكَ(٧) بِهَا. فَعَجِبَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ مِنْ قَوْلِ ٱلْأَرْنَبِ فَٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ ٱلرَّسُولِ. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ ٱلْقَمَرِ فِيهَا فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ ٱلرَّسُولُ خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ ٱلْمَاءِ فَٱغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَٱسْجُدْ لِلْقَمَرِ. فَأَدْخَلَ ٱلْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي ٱلْمَاءِ فَتَحَرَّكَ فَخُيِّلَ(٨) إِلَى ٱلْفِيلِ أَنَّ ٱلْقَمَرَ ٱرْتَعَدَ. فَقَالَ مَا شَأْنُ ٱلْقَمَرِ ٱرْتَعَدَ أَتُرَيْنَهُ(٩) غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي خُرْطُومِي فِي ٱلْمَاءِ. قَالَتْ فَيْرُوزُ ٱلْأَرْنَبُ نَعَمْ. فَسَجَدَ ٱلْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى وَتَابَ إِلَيْهِ(١٠) مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذٰلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ فِيَلَتِهِ

(١) شدة ووخامة (٢) قصدت (٣) كدّرتها (٤) احذرك
(٥) يغطي (٦) يهلك (٧) ملاقيك (٨) توهم (٩) اي اتظنينه
(١٠) اي رجع عن المعصية وندم على ذنبه

قَالَ ٱلْغُرَابُ وَمَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ ٱلْبُومِ فَإِنَّ فِيهَا ٱلْخِبَّ(١) وَٱلْمَكْرَ وَٱلْخَدِيعَةَ وَشَرُّ ٱلْمُلُوكِ ٱلْمُخَادِعُ . وَمَنِ ٱبْتُلِيَ(٢) بِسُلْطَانٍ مُخَادِعٍ وَخَدَمَهُ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْأَرْنَبَ وَٱلصِّفْرِدَ(٣) حِينَ ٱحْتَكَمَا إِلَى ٱلسِّنَّوْرِ(٤) . قَالَتِ ٱلْكَرَاكِيُّ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ كَانَ لِي جَارٌ مِنَ ٱلصَّفَارِدَةِ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَكْرِي وَكَانَ يُكْثِرُ مُوَاصَلَتِي . ثُمَّ فَقَدْتُهُ فَلَمْ أَعْلَمْ أَيْنَ غَابَ وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنِّي . فَجَاءَتْ أَرْنَبٌ إِلَى مَكَانِ ٱلصِّفْرِدِ فَسَكَنَتْهُ . فَكَرِهْتُ أَنْ أُخَاصِمَ ٱلْأَرْنَبَ فَلَبِثَتْ(٥) فِيهِ زَمَانًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلصِّفْرِدَ عَادَ بَعْدَ زَمَانٍ فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ٱلْأَرْنَبَ فَقَالَ لَهَا هٰذَا ٱلْمَكَانُ لِي فَٱنْتَقِلِي مِنْهُ . قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ ٱلْمَسْكَنُ لِي وَتَحْتَ يَدِي وَأَنْتَ مُدَّعٍ لَهُ . فَإِنْ كَانَ لَكَ حَقٌّ فَٱسْتَعْدِ(٦) عَلَيَّ . قَالَ ٱلصِّفْرِدُ ٱلْقَاضِي مِنَّا قَرِيبٌ فَهَلُمِّي بِنَا إِلَيْهِ . قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ وَمَنِ ٱلْقَاضِي . قَالَ ٱلصِّفْرِدُ إِنَّ بِسَاحِلِ ٱلْبَحْرِ سِنَّوْرًا مُتَعَبِّدًا يَصُومُ

(١) الخبث والخداع (٢) استعرف (٣) طائر من خشاشي الطير تكنّيه العامة ابا المليح يضرب به المثل في الجبن (٤) الهرّ (٥) اقامت (٦) استعن

ٱلنَّهَارَ وَيَقُومُ ٱللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَا يُؤْذِي دَابَّةً وَلَا يُهْرِيقُ[(١)] دَمًا. عَيْشُهُ مِنَ ٱلْحَشِيشِ وَمِمَّا يَقْذِفُهُ[(٢)] إِلَيْهِ ٱلْبَحْرُ. فَإِنْ أَحْبَبْتَ تَحَاكَمْنَا إِلَيْهِ وَرَضِينَا بِهِ. قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ مَا أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْتَ فَٱنْطَلَقَا إِلَيْهِ. فَتَبِعْتُهُمَا لِأَنْظُرَ إِلَى حُكُومَةِ ٱلصَّوَّامِ ٱلْقَوَّامِ[(٣)] *

ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ فَلَمَّا بَصُرَ ٱلسِّنَّوْرُ بِٱلْأَرْنَبِ وَٱلصِّفْرِدِ مُقْبِلَيْنِ نَحْوَهُ ٱنْتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّي وَأَظْهَرَ ٱلْخُشُوعَ وَٱلتَّنَسُّكَ. فَعَجِبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ وَدَنَوَا مِنْهُ هَائِبَيْنِ لَهُ[(٤)] وَسَلَّمَا عَلَيْهِ وَسَأَلَاهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا. فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقُصَّا عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ فَفَعَلَا. فَقَالَ لَهُمَا قَدْ بَلَغَنِي ٱلْكِبَرُ وَثَقُلَتْ أُذُنَايَ[(٥)] فَٱدْنُوَا مِنِّي فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولَانِ فَدَنَوَا مِنْهُ وَأَعَادَا عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ وَسَأَلَاهُ ٱلْحُكْمَ. فَقَالَ قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتُمَا وَأَنَا مُبْتَدِئُكُمَا بِٱلنَّصِيحَةِ قَبْلَ ٱلْحُكُومَةِ. فَأَنَا آمُرُكُمَا بِتَقْوَى ٱللهِ. وَأَنْ لَا تَطْلُبَا إِلَّا ٱلْحَقَّ. فَإِنَّ طَالِبَ ٱلْحَقِّ هُوَ ٱلَّذِي يُفْلِحُ[(٦)] وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ وَطَالِبَ ٱلْبَاطِلِ مَخْصُومٌ[(٧)] وَإِنْ قُضِيَ لَهُ. وَلَيْسَ لِصَاحِبِ ٱلدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ لَا مَالٌ وَلَا

---

(١) يريق (٢) يطرحه (٣) يريد السنور (٤) اي معظمين اياه
(٥) اي ضعف سمعي (٦) يفوز بطلبه وينجح في سعيه (٧) مغلوب في الخصومة

صَدِيقٌ سِوَى ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ. فَذُو ٱلْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ سَعْيُهُ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا وَأَنْ يَمْقُتَ(١) بِسَعْيِهِ مَا سِوَى ذٰلِكَ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا. فَإِنَّ مَنْزِلَةَ ٱلْمَالِ عِنْدَ ٱلْعَاقِلِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَدَرِ(٢) وَمَنْزِلَةَ ٱلنَّاسِ عِنْدَهُ فِيمَا يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَيَكْرَهُ مِنَ ٱلشَّرِّ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلسِّنَّوْرَ لَمْ يَزَلْ يَقُصُّ عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسِ هٰذَا وَأَشْبَاهِهِ حَتَّى أَنِسَا إِلَيْهِ وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ وَدَنَوَا(٣) مِنْهُ فَوَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا

قَالَ ٱلْغُرَابُ ثُمَّ إِنَّ ٱلْبُومَ تَجْمَعُ مَعَ مَا وَصَفْتُ لَكُنَّ مِنَ ٱلشُّؤْمِ(٤) سَائِرَ ٱلْعُيُوبِ فَلَا يَكُونَنَّ تَمْلِيكُ ٱلْبُومِ مِنْ رَأْيِكُنَّ * فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلْكَرَاكِيُّ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ ٱلْغُرَابِ أَضْرَبْنَ عَنْ تَمْلِيكِ ٱلْبُومِ * وَكَانَ هُنَاكَ بُومٌ حَاضِرٌ قَدْ سَمِعَ مَا قَالُوا فَقَالَ لِلْغُرَابِ لَقَدْ وَتَرْتَنِي(٥) أَعْظَمَ ٱلتِّرَةِ(٦) وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْجَبَ هٰذَا * وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ ٱلْفَأْسَ يُقْطَعُ بِهَا ٱلشَّجَرُ فَيَعُودُ يَنْبُتُ وَٱلسَّيْفَ يَقْطَعُ ٱللَّحْمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَنْدَمِلُ(٧). وَٱللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلَا تُؤْسَى(٨) مَقَاطِعُهُ(٩). وَٱلنَّصْلُ(١٠) مِنَ ٱلسَّهْمِ

(١) يبغض شديداً (٢) التراب المتلبد (٣) قربا (٤) ضدّ البركة
(٥) اصبتني بعداوة وحقد (٦) مصد وتر (٧) يلتئم (٨) تداوى
(٩) مواضع قطعه (١٠) حديد السهم ونحوه

يَغِيبُ فِي ٱللَّحْمِ ثُمَّ يُنْزَعُ(١) فَيَخْرُجُ. وَأَشْبَاهُ ٱلنَّصْلِ مِنَ ٱلْكَلَامِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى ٱلْقَلْبِ لَمْ تُنْزَعْ وَلَمْ تُسْتَخْرَجْ. وَلِكُلِّ حَرِيقٍ مُطْفِئٌ فَلِلنَّارِ ٱلْمَاءُ وَلِلسُّمِّ ٱلدَّوَاءُ وَلِلْحُزْنِ ٱلصَّبْرُ وَلِلْعِشْقِ ٱلْفُرْقَةُ. وَنَارُ ٱلْحِقْدِ لَا تَخْبُو(٢) أَبَدًا. وَقَدْ غَرَسْتُمْ مَعَاشِرَ ٱلْغِرْبَانِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ شَجَرَ ٱلْحِقْدِ وَٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْبَغْضَاءِ * فَلَمَّا قَضَى ٱلْبُومُ مَقَالَتَهُ وَلَّى مُغْضَبًا فَأَخْبَرَ مَلِكَ ٱلْبُومِ بِمَا جَرَى وَبِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ ٱلْغُرَابِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْغُرَابَ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ وَقَالَ وَٱللّٰهِ لَقَدْ خَرِقْتُ(٣) فِي قَوْلِيَ ٱلَّذِي جَلَبْتُ بِهِ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ عَلَى نَفْسِي وَقَوْمِي وَلَيْتَنِي لَمْ أُخْبِرِ ٱلْكَرَاكِيَّ بِهٰذِهِ ٱلْحَالِ وَلَمْ أُعْلِمْهَا بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ. وَلَعَلَّ أَكْثَرَ ٱلطَّيْرِ قَدْ رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ وَعَلِمَ أَضْعَافَ مَا عَلِمْتُ فَمَنَعَهَا مِنَ ٱلْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتُ ٱتِّقَاءُ(٤) مَا لَمْ أَتَّقِ وَٱلنَّظَرُ فِيمَا لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حِذَارِ ٱلْعَوَاقِبِ. وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ٱلْكَلَامُ أَفْظَعَ(٥) كَلَامٍ يَلْقَى مِنْهُ سَامِعُهُ وَقَائِلُهُ ٱلْمَكْرُوهَ مِمَّا يُورِثُ ٱلْحِقْدَ وَٱلضَّغِينَةَ(٦). فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُسَمَّى أَشْبَاهُ هٰذَا ٱلْكَلَامِ كَلَامًا وَلٰكِنْ سِهَامًا. وَإِنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلرَّدِيءَ هُوَ ٱلَّذِي يَرْمِي صَاحِبَهُ فِي ٱلْحِقْدِ وَٱلْعَدَاوَةِ. وَٱلْعَاقِلُ إِنْ كَانَ وَاثِقًا بِقُوَّتِهِ

(١) يقلع (٢) اي لا تطفا (٣) حمقت او لم احسن التصرف (٤) خوف
(٥) اشنع (٦) بمعنى الحقد

وَفَضْلِهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَهُ ذٰلِكَ عَلَى أَنْ يَجْلُبَ ٱلْعَدَاوَةَ عَلَى نَفْسِهِ ٱتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْقُوَّةِ. كَمَا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ٱلتِّرْيَاقُ[1] لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْرَبَ ٱلسُّمَّ ٱتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ. وَصَاحِبُ ٱلْعَمَلِ وَإِنْ قَصَّرَ بِهِ ٱلْقَوْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ ٱلْأَمْرِ كَانَ فَضْلُهُ بَيِّنًا وَاضِحًا فِي ٱلْعَاقِبَةِ وَٱلِٱخْتِبَارِ. وَصَاحِبُ حُسْنِ ٱلْقَوْلِ وَإِنْ أَعْجَبَ ٱلنَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ صِفَتِهِ لِلْأُمُورِ لَمْ تُحْمَدْ مَغَبَّةُ[2] أَمْرِهِ. وَأَنَا صَاحِبُ ٱلْقَوْلِ ٱلَّذِي لَا عَاقِبَةَ لَهُ مَحْمُودَةً. أَوَلَيْسَ مِنْ سَفَهِي[3] ٱجْتِرَائِي عَلَى ٱلتَّكَلُّمِ فِي أَمْرٍ لَمْ أَسْتَشِرْ فِيهِ أَحَدًا وَلَمْ أُعْمِلْ فِيهِ رَأْيًا. وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرِ ٱلنُّصَحَاءَ وَٱلْأَوْلِيَاءَ[4] وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْرَارِ ٱلنَّظَرِ وَٱلرَّوِيَّةِ[5] لَمْ يَغْتَبِطْ[6] بِمَوَاقِعِ رَأْيِهِ فَمَا كَانَ أَغْنَانِي عَمَّا كَسَبْتُ يَوْمِي هٰذَا وَمَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ ٱلْهَمِّ * وَعَاتَبَ ٱلْغُرَابُ نَفْسَهُ بِهٰذَا ٱلْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ وَذَهَبَ

هٰذَا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنِ ٱبْتِدَاءِ ٱلْعَدَاوَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ. وَأَمَّا ٱلْقِتَالُ فَقَدْ عَلِمْتَ رَأْيِي فِيهِ وَكَرَاهَتِي لَهُ. وَلٰكِنْ عِنْدِي مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْحِيلَةِ غَيْرَ ٱلْقِتَالِ مَا يَكُونُ فِيهِ ٱلْفَرَجُ[7] إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ

(١) دواء مركب من اجزاء عديدة يدفع السموم (٢) عاقبة (٣) خفتي وطيشي (٤) الاصدقاء (٥) التفكير في الامور (٦) اي لم يجد نفسه سعيدًا (٧) اسم للراحة من كرب او حزن ونحو ذلك

تَعَالَى . فَإِنَّهُ رُبَّ قَوْمٍ قَدِ ٱحْتَالُوا بِآرَائِهِمْ حَتَّى ظَفِرُوا بِمَا أَرَادُوا وَمِنْ ذٰلِكَ حَدِيثُ ٱلْجَمَاعَةِ ٱلَّذِينَ ظَفِرُوا بِٱلنَّاسِكِ وَأَخَذُوا عَرِيضَهُ(١) . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا ٱشْتَرَى عَرِيضًا ضَخْمًا(٢) لِيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا(٤) . فَٱنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلْمَكَرَةِ فَٱئْتَمَرُوا(٥) بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنَ ٱلنَّاسِكِ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلنَّاسِكُ مَا هٰذَا ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي مَعَكَ . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ ٱلْآخَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ مَا هٰذَا نَاسِكًا لِأَنَّ ٱلنَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا . فَلَمْ يَزَالُوا مَعَ ٱلنَّاسِكِ عَلَى هٰذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشُكَّ أَنَّ ٱلَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ وَأَنَّ ٱلَّذِي بَاعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنَيْهِ . فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ ٱلْجَمَاعَةُ ٱلْمُحْتَالُونَ وَمَضَوْا بِهِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِمَا أَرْجُو أَنْ نُصِيبَ(٦) مِنْ حَاجَتِنَا بِٱلرِّفْقِ وَٱلْحِيلَةِ . وَإِنِّي أُرِيدُ مِنَ ٱلْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي(٧) عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَشْهَادِ وَيَنْتِفَ رِيشِي وَذَنَبِي ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ وَيَرْتَحِلَ ٱلْمَلِكُ وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانِ كَذَا . فَإِنِّي

---

(١) العريض من المعزما اتى عليه سنة وتناول النبت بعرض شدقه
(٢) اي عظيم الجرم كثير اللحم (٣) تقدمة لله (٤) تشاوروا (٥) ننال وقد مرّ (٦) يعيبني ويضربني

أَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ وَأَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ فَأُخَادِعُهُمْ وَآتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجُمَ عَلَيْهِمْ وَنَنَالَ مِنْهُمْ غَرَضَنَا إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى . قَالَ ٱلْمَلِكُ أَتَطِيبُ نَفْسُكَ لِذٰلِكَ . قَالَ نَعَمْ وَكَيْفَ لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذٰلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ ٱلرَّاحَاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ . فَفَعَلَ ٱلْمَلِكُ بِٱلْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ثُمَّ ٱرْتَحَلَ عَنْهُ * فَلَمَّا جَنَّ(١) ٱللَّيْلُ أَقْبَلَ مَلِكُ ٱلْبُومِ وَجُنْدُهُ لِيُوقِعَ(٢) بِٱلْغِرْبَانِ فَلَمْ يَجِدْهُمْ وَهَمَّ بِٱلِٱنْصِرَافِ . فَجَعَلَ ٱلْغُرَابُ يَئِنُّ وَيَهْمِسُ(٣) حَتَّى سَمِعَتْهُ ٱلْبُومُ وَرَأَيْنَهُ يَئِنُّ فَأَخْبَرْنَ مَلِكَهُنَّ بِذٰلِكَ . فَقَصَدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ ٱلْغِرْبَانِ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَمَرَ بُومًا أَنْ يَسْأَلَهُ . فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ ٱلْغِرْبَانُ . فَقَالَ أَمَّا ٱسْمِي فَفُلَانٌ . وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَإِنِّي أَحْسَبُكَ تَرَى أَنَّ حَالِي حَالُ مَنْ لَا يَعْلَمُ ٱلْأَسْرَارَ . فَقِيلَ لِمَلِكِ ٱلْبُومِ هٰذَا وَزِيرُ مَلِكِ ٱلْغِرْبَانِ وَصَاحِبُ رَأْيِهِ فَنَسْأَلُهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صُنِعَ بِهِ مَا صُنِعَ . فَسُئِلَ ٱلْغُرَابُ عَنْ أَمْرِهِ . فَقَالَ إِنَّ مَلِكَنَا ٱسْتَشَارَ جَمَاعَتَنَا فِيكُنَّ وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِمَحْضَرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ(٤) . فَقَالَ أَيُّهَا ٱلْغِرْبَانُ مَا تَرَوْنَ فِي ذٰلِكَ . فَقُلْتُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَالِ

(١) اظلم (٢) اي ليبالغ في قتالهم (٣) يتكلم بصوت خفيّ
(٤) اي حاضرًا له

ٱلْبُومِ لِأَنَّهُنَّ أَشَدُّ بَطْشًا(١) وَأَحَدُّ قَلْبًا مِنَّا وَلٰكِنْ أَرَى أَنْ نَلْتَمِسَ(٢) ٱلصُّلْحَ ثُمَّ نَبْذُلَ(٣) ٱلْفِدْيَةَ فِي ذٰلِكَ فَإِنْ قَبِلَتِ ٱلْبُومُ ذٰلِكَ مِنَّا وَإِلَّا هَرَبْنَا فِي ٱلْبِلَادِ. وَإِذَا كَانَ ٱلْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ كَانَ خَيْرًا لَهُنَّ وَشَرًّا لَنَا. فَٱلصُّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْخُصُومَةِ. وَأَمَرْتُهُنَّ بِٱلرُّجُوعِ عَنِ ٱلْحَرْبِ وَضَرَبْتُ لَهُنَّ ٱلْأَمْثَالَ فِي ذٰلِكَ وَقُلْتُ لَهُنَّ إِنَّ ٱلْعَدُوَّ ٱلشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بَأْسَهُ مِثْلُ ٱلْخُضُوعِ لَهُ. أَلَا تَرَيْنَ إِلَى ٱلْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ ٱلرِّيحِ لِلِينِهِ وَمَيْلِهِ مَعَهَا حَيْثُ مَالَتْ وَٱلشَّجَرُ ٱلْعَاتِي(٤) يُكَسِّرُهَا وَيُحَطِّمُ. فَعَصَيْنَنِي فِي ذٰلِكَ وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يُرِدْنَ ٱلْقِتَالَ وَٱتَّهَمْنَنِي فِيمَا قُلْتُ وَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ مَالَأْتَ(٥) ٱلْبُومَ عَلَيْنَا. وَرَدَدْنَ قَوْلِي وَنَصِيحَتِي وَعَذَّبْنَنِي بِهٰذَا ٱلْعَذَابِ وَتَرَكَنِي ٱلْمَلِكُ وَجُنُودُهُ وَٱرْتَحَلَ وَلَا عِلْمَ لِي بِهِنَّ بَعْدَ ذٰلِكَ.

فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ ٱلْبُومِ مَقَالَةَ ٱلْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وُزَرَائِهِ مَا تَقُولُ فِي ٱلْغُرَابِ وَمَا تَرَى فِيهِ. قَالَ مَا أَرَى إِلَّا ٱلْمُعَاجَلَةَ لَهُ بِٱلْقَتْلِ فَإِنَّ هٰذَا أَفْضَلُ عُدَدِ(٦) ٱلْغِرْبَانِ وَفِي قَتْلِهِ لَنَا رَاحَةٌ مِنْ

---

(١) بأساً (٢) نطلب (٣) نعطي (٤) المرتفع القاسي (٥) ساعدت
(٦) ما يعدونه ويعتمدون عليه

مَكْرِهِ وَفَقْدُهُ عَلَى الْغِرْبَانِ شَدِيدٌ. فَإِذَا قُتِلَ ثُلَّ(١) مُلْكُهُمْ وَتَقَوَّضَ(٢) وَمَا أَرَاهُ إِلاَّ فَتْحًا(٣) قَدْ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْكَ. وَيُقَالُ مَنْ ظَفِرَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا يَنْجَحُ الْعَمَلُ ثُمَّ لاَ يُعَاجِلُهُ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ فَإِنَّ الْأُمُورَ مَرْهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا. وَمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ فَأَمْكَنَهُ ذٰلِكَ فَأَغْفَلَهُ(٤) فَاتَهُ الْأَمْرُ. وَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ لاَ تَعُودَ الْفُرْصَةُ ثَانِيَةً. وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعِيفًا وَلَمْ يُنْجِزْ(٥) قَتْلَهُ نَدِمَ إِذَا اسْتَقْوَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ * قَالَ الْمَلِكُ لِوَزِيرٍ آخَرَ مَا تَرَى أَنْتَ فِي هٰذَا الْغُرَابِ. قَالَ أَرَى أَنْ لاَ تَقْتُلَهُ لِأَنَّهُ قَدْ لَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا تَرَاهُ فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ دَلِيلاً لَكَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ(٦) وَمُعِينًا لَكَ عَلَى مَا فِيهِ هَلاَكُهُمْ. وَإِنَّ الْعَدُوَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لاَ نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤَمَّنَ وَلاَ سِيَّمَا الْمُسْتَجِيرُ(٧) الْخَائِفُ. وَالْعَدُوُّ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الْمَنْفَعَةُ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ(٨) لَهَا أَهْلٌ(٩) لِأَنْ يُصْفَحَ عَنْهُ بِسَبَبِهَا. كَالتَّاجِرِ الَّذِي عَطَفَ عَلَى سَارِقٍ لِاصْطِلاَحِهِ مَعَ امْرَأَتِهِ بِسَبَبِهِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

---

(١) أُذهب (٢) انهدم (٣) نصرًا وظفرًا (٤) تركه اهمالاً (٥) يعجل
(٦) جمع عورة وهي الخلل في الثغر وغيره يخاف فيه وكل مكمن للستر
(٧) الطالب المعونة (٨) قاصد (٩) مستحق

قالَ ٱلْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ تاجِرٌ كَثِيرُ ٱلْمالِ وَٱلْمَتاعِ وَكانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱمْرَأَتِهِ وَحْشَةٌ (١) . وَإِنَّ سارِقًا تَسَوَّرَ بَيْتَ ٱلتّاجِرِ (٢) فَدَخَلَ فَوَجَدَهُ نائِمًا وَوَجَدَ ٱمْرَأَتَهُ مُسْتَيْقِظَةً فَذُعِرَتْ (٣) مِنَ ٱلسّارِقِ وَوَثَبَتْ إِلَى ٱلتّاجِرِ فَٱلْتَزَمَتْهُ (٤) وَأَيْقَظَتْهُ وَلَمْ يَكُنْ يَجْرِي بَيْنَهُما كَلامٌ فَٱسْتَيْقَظَ ٱلتّاجِرُ وَتَكالَما وَٱنْحَلَّتِ ٱلْوَحْشَةُ مِنْ بَيْنِهِما . ثُمَّ بَصُرَ بِٱلسّارِقِ فَقالَ أَيُّها ٱلسّارِقُ أَنْتَ في حِلٍّ مِمّا أَخَذْتَ (٥) مِنْ مالي وَمَتاعي وَلَكَ ٱلْفَضْلُ بِما أَصْلَحْتَ بَيْنَنا * قالَ مَلِكُ ٱلْبُومِ لِوَزِيرٍ آخَرَ مِنْ وُزَرائِهِ ما تَقُولُ في أَمْرِ ٱلْغُرابِ . قالَ أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ (٦) وَتُحْسِنَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ . وَٱلْعاقِلُ يَرَى مُعاداةَ بَعْضِ أَعْدائِهِ بَعْضًا ظَفَرًا حَسَنًا . وَيَرَى ٱشْتِغالَ بَعْضِ أَعْدائِهِ بِبَعْضٍ خَلاصًا لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ وَنَجاةً كَنَجاةِ ٱلنّاسِكِ مِنَ ٱللِّصِّ وَٱلشَّيْطانِ حِينَ ٱخْتَلَفا عَلَيْهِ . قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّ ناسِكًا أَصابَ مِنْ رَجُلٍ بَقَرَةً حَلُوبَةً فَٱنْطَلَقَ بِها يَقُودُها إِلَى مَنْزِلِهِ . فَعَرَضَ لَهُ لِصٌّ أَرادَ سَرِقَتَها وَتَبِعَهُ

---

(١) نفور (٢) اي صعد على حائطه (٣) خافت وقد مر (٤) اعتنقته
(٥) اي ما اخذته حلال لك (٦) اي تعفو عنه فلم نقتله

شَيْطَانٌ يُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ وَقَدْ تَزَيَّا(١) لَهُ بِزِيِّ إِنْسَانٍ. فَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لِلِّصِّ مَنْ أَنْتَ. قَالَ أَنَا ٱللِّصُّ أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ هٰذِهِ ٱلْبَقَرَةَ مِنَ ٱلنَّاسِكِ إِذَا نَامَ فَمَنْ أَنْتَ. قَالَ أَنَا ٱلشَّيْطَانُ أُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبُ بِهِ. فَٱنْتَهَيَا عَلَى هٰذَا إِلَى ٱلْمَنْزِلِ فَدَخَلَ ٱلنَّاسِكُ مَنْزِلَهُ وَدَخَلَا خَلْفَهُ وَأَدْخَلَ ٱلْبَقَرَةَ فَرَبَطَهَا فِي زَاوِيَةِ ٱلْمَنْزِلِ وَتَعَشَّى وَنَامَ. فَأَقْبَلَ ٱللِّصُّ وَٱلشَّيْطَانُ يَأْتَمِرَانِ(٢) فِيهِ وَٱخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِشُغْلِهِ أَوَّلًا. فَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِأَخْذِ ٱلْبَقَرَةِ رُبَّمَا ٱسْتَيْقَظَ وَصَاحَ وَٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ فَأَنْظِرْنِي رَيْثَمَا(٣) آخُذُهُ وَشَأْنَكَ وَمَا تُرِيدُ. فَأَشْفَقَ(٤) ٱللِّصُّ إِنْ بَدَأَ ٱلشَّيْطَانُ بِٱخْتِطَافِهِ أَنْ يَسْتَيْقِظَ فَلَا يَقْدِرَ عَلَى أَخْذِ ٱلْبَقَرَةِ فَقَالَ لَا بَلْ أَنْظِرْنِي(٥) أَنْتَ حَتَّى آخُذَ ٱلْبَقَرَةَ وَشَأْنَكَ وَمَا تُرِيدُ. قَالَ ٱلشَّيْطَانُ رُوَيْدًا(٦) حَتَّى يَسْتَغْرِقَ(٧) ٱلنَّاسُ فِي ٱلنَّوْمِ فَنَظْفَرَ بِهِمَا جَمِيعًا. فَلَمْ يَزَالَا فِي ٱلْمُجَادَلَةِ هٰكَذَا حَتَّى نَادَى ٱللِّصُّ أَيُّهَا ٱلنَّاسِكُ ٱنْتَبِهْ فَهٰذَا ٱلشَّيْطَانُ يُرِيدُ ٱخْتِطَافَكَ وَنَادَى ٱلشَّيْطَانُ أَيُّهَا ٱلنَّاسِكُ ٱنْتَبِهْ فَهٰذَا ٱللِّصُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ بَقَرَتَكَ. فَٱنْتَبَهَ ٱلنَّاسِكُ

---

(١) اي ظهر بهيئة (٢) يتشاوران (٣) اي مقدار مدة اخذه (٤) خاف
(٥) امهلني (٦) مهلاً (٧) يستثقل

وَجِيرَانُهُ بِأَصْوَاتِهِمَا وَهَرَبَ ٱلْخَبِيثَانِ

فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ ٱلْغُرَابِ أَظُنُّ أَنَّ ٱلْغُرَابَ قَدْ خَدَعَكَ وَوَقَعَ[1] كَلَامُهُ فِي نَفْسِ ٱلْغَبِيِّ مِنْكَ مَوْقِعَهُ فَتُرِيدُ أَنْ تَضَعَ ٱلرَّأْيَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ . فَمَهْلًا مَهْلًا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عَنْ هٰذَا ٱلرَّأْيِ وَلَا تَكُونَنَّ لِمَا تَسْمَعُ أَشَدَّ تَصْدِيقًا مِنْكَ لِمَا تَرَى كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي كَذَّبَ بِمَا رَأَى وَصَدَّقَ بِمَا سَمِعَ وَٱنْخَدَعَ بِٱلْمُحَالِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْوَزِيرُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ نَائِمًا وَحْدَهُ إِحْدَى ٱللَّيَالِي فِي بَيْتِهِ وَإِذَا لُصُوصٌ قَدْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ٱلْبَيْتَ وَأَخَذُوا فِي جَمْعِ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْمَتَاعِ حَتَّى أَفْضَوْا[2] إِلَى حَيْثُ هُوَ نَائِمٌ . فَٱنْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وَخَافَ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِمْ حِذَارَ أَنْ يَبْطِشُوا بِهِ[3] . وَكَانَ لِلْحُجْرَةِ[4] ٱلَّتِي هُوَ فِيهَا بَابٌ آخَرُ إِلَى ٱلطَّرِيقِ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ ٱلرَّأْيُ أَنْ لَا أُشْعِرَهُمْ بِٱنْتِبَاهِي وَلَا أَذْعَرَهُمْ حَتَّى يَفْرَغُوا مِمَّا يُرِيدُونَ أَخْذَهُ وَيُخْرِجُوهُ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُونَ ٱحْتِمَالَهُ فَأَخْرُجُ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلْآخَرِ وَأَدْعُو ٱلْجِيرَانَ فَنَفْجَأُهُمْ[5] وَنُوقِعُ

(١) أثّر (٢) وصلوا (٣) اي يأخذوه بالعنف والسطوة (٤) العلية
(٥) اي فنهجم عليهم بغتةً

بهم(١). فلبث على فراشه متناوماً(٢) حتى فرغ اللصوص مما أرادوا جمعه وخرجوا يريدون حمله. فهمّ الرجل بالقيام فشعروا بحركة منه فهمس إليهم(٣) رئيسهم أن قفوا ولا ترتاعوا(٤) وتعالوا نحتل له بحيلة نخدعه بها ولا يذهب تعبنا ضياعاً. وأنا الآن رافع صوتي ومخاطبكم بشيء فصوّبوا فيه رأيي وأجيبوني إليه. قالوا نعم. فرفع اللص صوته بحيث يسمع الرجل وقال لأصحابه إني أرى هذه الأحمال ثقيلة شاقة(٥) وما أرى قيمتها تفي بحملها والمخاطرة فيها. وقد ظهر لي أن هذا الرجل سيّئ الحال وقد أخذتني عليه الشفقة والرأفة وراجعت رأيي فيه فرأيت أن ندع له متاعه فإنه يحسب علينا سرقة وما هو بشيء يستحق العناء(٦) ولا لنا فيه كبير فائدة. وقد كنت أسمع من بعض مشاهير اللصوص يقول من عفّ(٧) عن متاع فقير فلم يسرقه وهو قادر عليه غفر له ذلك سرقة مئة غنيّ * وإن أولى السرقة وأحلّها سرقة الأغنياء ولا سيما ذوي البخل والحرص منهم الذين ما بيوتهم وخزائنهم إلا مدافن لأموال حبسوها فلا انتفعوا بها ولا تركوها

(١) اي نبالغ في قتالهم (٢) متظاهراً بالنوم (٣) اي كلمهم بصوت خفي
(٤) اي لا تخافوا (٥) صعبة (٦) التعب (٧) من العفة وهي الكف عما لا يحل

لِلنَّاسِ . فَهَلُمَّ بِنا إِلَى أَحَدِ هٰؤُلاءِ وَدَعُوا هٰذا الْحُطامَ[(١)] الَّذِي لا خَيْرَ فِيهِ وَاغْتَنِمُوا[(٢)] أَجْرَ هٰذا الرَّجُلِ الْمِسْكِينِ . فَقالُوا كُلُّهُمْ صَدَقْتَ وَأَحْسَنْتَ وَتَظاهَرُوا أَنَّهُمْ يَفُكُّونَ الْأَحْمالَ وَخَرَجُوا وَكَمَنُوا يَنْتَظِرُونَ نَوْمَ الرَّجُلِ . وَإِنَّ الرَّجُلَ لَمَّا سَمِعَ كَلامَهُمْ وَثِقَ بِهِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَاعْتَقَدَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَسَكَنَ وَنامَ . وَلَبِثَ[(٣)] اللُّصُوصُ حَتَّى أَيْقَنُوا أَنَّهُ قَدْ نامَ فَثارُوا[(٤)] إِلَى الْأَحْمالِ فَاحْتَمَلُوها وَفازُوا بِها

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا الْمَثَلَ إِرادَةَ أَنْ لا تَكُونَ كَذٰلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي كَذَّبَ بِما رَأَى وَصَدَّقَ بِما سَمِعَ * فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْمَلِكُ إِلَى قَوْلِهِ وَأَمَرَ بِالْغُرابِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَنازِلِ الْبُومِ وَيُكْرَمَ وَيُسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا * ثُمَّ إِنَّ الْغُرابَ قالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ جَماعَةٌ مِنَ الْبُومِ وَفِيهِنَّ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشارَ بِقَتْلِهِ أَيُّها الْمَلِكُ قَدْ عَلِمْتَ ما جَرَى عَلَيَّ مِنَ الْغِرْبانِ وَإِنَّهُ لا يَسْتَرِيحُ قَلْبِي دُونَ الْأَخْذِ بِثَأْرِي مِنْهُنَّ . وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي ذٰلِكَ فَإِذا بِي لا أَقْدِرُ عَلَى ما رُمْتُ[(٥)] لِأَنِّي غُرابٌ . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْعُلَماءِ أَنَّهُمْ

---

(١) اي الشيء الخسيس (٢) اكسبوا (٣) اقام (٤) نهضوا او وثبوا
(٥) قصدت

قَالُوا مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يُحْرِقَهَا فَقَدْ قَرَّبَ لِلّٰهِ أَعْظَمَ ٱلْقُرْبَانِ لَا يَدْعُو عِنْدَ ذٰلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا أُسْتُجِيبَ لَهُ. فَإِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَأْمُرَنِي فَأُحْرِقَ نَفْسِي وَأَدْعُوَ رَبِّي أَنْ يُحَوِّلَنِي بُومًا فَأَكُونَ أَشَدَّ عَدَاوَةً لِلْغِرْبَانِ وَأَقْوَى بَأْسًا عَلَيْهِنَّ لَعَلِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ[1].

فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ ٱلَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ مَا أُشَبِّهُكَ فِي خَيْرِ مَا تُظْهِرُ وَشَرِّ مَا تُضْمِرُ بِٱلْخَمْرَةِ ٱلطَّيِّبَةِ ٱلطَّعْمِ وَٱلرِّيحِ ٱلْمُنْقَعِ[2] فِيهَا ٱلسُّمُّ. أَرَأَيْتَ لَوْ أَحْرَقْنَا جِسْمَكَ بِٱلنَّارِ أَنَّ جَوْهَرَكَ وَطَبْعَكَ مُتَغَيِّرٌ. أَوَلَيْسَتْ أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُ دُرْتَ وَتَصِيرُ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى أَصْلِكَ وَطِينَتِكَ[3] كَٱلْفَأْرَةِ ٱلَّتِي خُيِّرَتْ[4] فِي ٱلْأَزْوَاجِ بَيْنَ ٱلشَّمْسِ وَٱلرِّيحِ وَٱلسَّحَابِ وَٱلْجَبَلِ فَلَمْ تَزَلْ تَتَخَيَّرُهُمْ[5] حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى أَصْلِهَا وَتَزَوَّجَتِ ٱلْجُرَذَ. قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ مُسْتَجَابُ ٱلدَّعْوَةِ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَأَةٌ[6] فِي رِجْلِهَا دِرْصٌ[7] فَأْرَةٍ. فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ ٱلنَّاسِكِ وَأَدْرَكَتْهُ لَهَا رَحْمَةٌ فَأَخَذَهَا وَلَفَّهَا فِي وَرَقَةٍ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ. ثُمَّ خَافَ أَنْ

---

(١) اي اعاقبهنّ (٢) المجتمع (٣) خلقتك وجبلتك (٤) فُوض اليها
(٥) اي تنتقي منهم (٦) طائر يصطاد الجرذان ويعرف عند العامة بالشوحة
(٧) ولد فارة

تَشُقُّ[1] على أهلِهِ تربيتُها فدعا ربَّهُ أن يحوِّلها جاريةً فتحوَّلت جاريةً حسناءَ. فانطلق بها إلى امرأتِهِ فقال لها هذِهِ ابنتي فاصنعي معها صنيعَكِ بولدي* فلمَّا كبرت قال لها الناسكُ يا بنيَّة اختاري من أحببتِ حتَّى أزوِّجكِ إيَّاهُ. فقالت أمَّا إذا خيَّرتني فإنِّي أختارُ زوجًا يكونُ أقوى الأشياءِ. فقال الناسكُ لعلَّكِ تريدينَ الشمسَ. ثمَّ انطلقَ إلى الشمسِ فقال أيُّها الخَلقُ العظيمُ لي جاريةٌ وقد طلبتْ زوجًا يكونُ أقوى الأشياءِ فهل أنتَ متزوِّجُها. فقالتِ الشمسُ أنا أدلُّكَ على من هو أقوى منِّي. السحابُ الَّذي يغطِّيني ويردُّ حرَّ شعاعي ويكسفُ أشعَّةَ أنواري. فذهبَ الناسكُ إلى السحابِ فقال لهُ ما قال للشمسِ. فقالَ السحابُ[2] وأنا أدلُّكَ على من هو أقوى منِّي فاذهبْ إلى الرِّيحِ الَّتي تُقبِلُ بي وتُدبِرُ[3] وتذهبُ بي شرقًا وغربًا. فجاءَ الناسكُ إلى الرِّيحِ فقال لها كقولِهِ للسحابِ. فقالت وأنا أدلُّكَ على من هو أقوى منِّي وهو الجبلُ الَّذي لا أقدِرُ على تحريكِهِ. فمضى إلى الجبلِ فقال لهُ القولَ فأجابهُ الجبلُ وقال لهُ أنا أدلُّكَ على من هو أقوى منِّي. الجُرَذُ الَّذي لا أستطيعُ الامتناعَ منهُ

(١) تصعب (٢) الغيم الممطر (٣) اي تأتي وتؤتي

إِذَا خَرَقَنِي وَاتَّخَذَنِي مَسْكَنًا . فَانْطَلَقَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُرَذِ فَقَالَ لَهُ هَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجٌ هٰذِهِ الْجَارِيَةَ . فَقَالَ وَكَيْفَ أَتَزَوَّجُهَا وَمَسْكَنِي ضَيِّقٌ . وَإِنَّمَا يَتَزَوَّجُ الْجُرَذُ الْفَأْرَةَ . فَدَعَا النَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا فَأْرَةً كَمَا كَانَتْ وَذٰلِكَ بِرِضَى الْجَارِيَةِ . فَأَعَادَهَا اللهُ إِلَى عُنْصُرِهَا[1] الْأَوَّلِ فَانْطَلَقَتْ مَعَ الْجُرَذِ

فَهٰذَا مَثَلُكَ أَيُّهَا الْمُخَادِعُ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ الْبُومِ إِلَى ذٰلِكَ الْقَوْلِ وَرَفَقَ[2] بِالْغُرَابِ وَلَمْ يَزْدَدْ لَهُ إِلَّا إِكْرَامًا . حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ وَنَبَتَ رِيشُهُ وَاطَّلَعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ رَاغَ[3] رَوْغَةً فَأَتَى أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ * فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ فَرَغْتُ مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ . قَالَ لَهُ أَنَا وَالْجُنْدُ تَحْتَ أَمْرِكَ فَاحْتَكِمْ[4] كَيْفَ شِئْتَ . قَالَ الْغُرَابُ إِنَّ الْبُومَ بِمَكَانِ كَذَا فِي جَبَلٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ . وَفِي ذٰلِكَ الْمَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ مَعَ رَجُلٍ رَاعٍ . وَنَحْنُ مُصِيبُونَ[5] هُنَاكَ نَارًا وَنُلْقِيهَا فِي أَثْقَابِ[6] الْبُومِ وَنَقْذِفُ عَلَيْهَا مِنْ يَابِسِ الْحَطَبِ وَنَتَرَوَّحُ عَلَيْهَا[7] ضَرْبًا بِأَجْنِحَتِنَا حَتَّى تَضْطَرِمَ النَّارُ فِي الْحَطَبِ فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُنَّ

---

(١) اصلها (٢) لطف (٣) مال بحيلة (٤) اي اطلب منا ما تريد
(٥) واجدون (٦) جمع ثقب وهو الخرق (٧) اي نجلب اليها الريح

أُحْتَرَقَ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَاتَ بِٱلدُّخَانِ مَوْضِعَهُ. فَفَعَلَ ٱلْغِرْبَانُ ذَٰلِكَ فَأَهْلَكْنَ ٱلْبُومَ قَاطِبَةً[١] وَرَجَعْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ سَالِمَاتٍ آمِنَاتٍ

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ ٱلْغِرْبَانِ قَالَ لِذَٰلِكَ ٱلْغُرَابِ كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى صُحْبَةِ ٱلْبُومِ وَلَا صَبْرَ لِلْأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ ٱلْأَشْرَارِ. قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّ مَا قُلْتَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَكَذَٰلِكَ. فَإِنَّهُ يُقَالُ لَذْعُ[٢] ٱلنَّارِ أَيْسَرُ عَلَى ٱلْمَرْءِ مِنْ صُحْبَةِ ٱلْأَشْرَارِ وَٱلْإِقَامَةِ مَعَهُمْ. وَلَكِنَّ ٱلْعَاقِلَ إِذَا أَتَاهُ ٱلْأَمْرُ ٱلْفَظِيعُ[٣] ٱلْعَظِيمُ ٱلَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحَمُّلِهِ ٱلْجَائِحَةَ[٤] عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ لَمْ يَجْزَعْ[٥] مِنْ شِدَّةِ ٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو مِنْ أَنْ يُعْقِبَهُ صَبْرُهُ حُسْنَ ٱلْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ ٱلْخَيْرِ. فَلَمْ يَجِدْ لِذَٰلِكَ أَلَمًا وَلَمْ تَكْرَهْ نَفْسُهُ ٱلْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ فَيَغْتَبِطَ[٦] بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ * فَقَالَ ٱلْمَلِكُ أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ ٱلْبُومِ. قَالَ ٱلْغُرَابُ لَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ عَاقِلًا إِلَّا ٱلَّذِي كَانَ يَحُثُّهُنَّ عَلَى قَتْلِي وَكَانَ حَرَّضَهُنَّ عَلَى ذَٰلِكَ مِرَارًا فَكُنَّ أَضْعَفَ شَيْءٍ رَأْيًا فَلَمْ يَنْظُرْنَ فِي أَمْرِي وَيَذْكُرْنَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا

---

(١) جميعًا (٢) حرق (٣) الشنيع (٤) المصيبة العظيمة التي تهلك الناس (٥) اي لم يُظهر الحزن والاضطراب (٦) اي يتحسن حاله ويسر

مَنْزِلَةٍ فِي ٱلْغِرْبَانِ وَأَنِّي أُعَدُّ مِنْ ذَوِي ٱلرَّأْيِ . وَلَمْ يَتَخَوَّفْنَ مَكْرِي وَحِيلَتِي وَلَا قَبِلْنَ مِنَ ٱلنَّاصِحِ ٱلشَّفِيقِ[1] وَلَا أَخْفَيْنَ دُونِي أَسْرَارَهُنَّ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّمِيمَةِ وَلَا يُطْلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ . وَقَدْ قِيلَ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ عَدُوِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي يَشْرَبُهُ وَيَغْتَسِلُ بِهِ وَٱلْفِرَاشِ ٱلَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَٱلْحُلَّةِ[2] ٱلَّتِي يَلْبَسُهَا وَٱلدَّابَّةِ ٱلَّتِي يَرْكَبُهَا . وَلَا يَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا ٱلثِّقَةَ[3] ٱلْأَمِينَ ٱلسَّالِمَ ٱلْبَاطِنِ وَٱلظَّاهِرِ وَيَكُونَ بَعْدَ ذٰلِكَ كُلِّهِ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُ . لِأَنَّ عَدُوَّهُ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ ثِقَاتِهِ فَرُبَّمَا كَانَ أَحَدُهُمْ لِعَدُوِّهِ صَدِيقًا فَيَصِلُ ٱلْعَدُوُّ إِلَى مُرَادِهِ مِنْهُ * فَقَالَ ٱلْمَلِكُ مَا أَهْلَكَ ٱلْبُومَ فِي نَفْسِي[4] إِلَّا ٱلْبَغْيُ[5] وَضَعْفُ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ وَمُوَافَقَتُهُ وُزَرَاءَ ٱلسُّوءِ . فَقَالَ ٱلْغُرَابُ صَدَقْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّهُ قَلَّمَا ظَفِرَ أَحَدٌ بِغِنًى وَلَمْ يَطْغَ[6] وَقَلَّمَا حَرَصَ ٱلرَّجُلُ عَلَى ٱلنِّسَاءِ وَلَمْ يَفْتَضِحْ[7] . وَقَلَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَلَمْ يَمْرَضْ . وَقَلَّ مَنْ وَثِقَ بِوُزَرَاءِ ٱلسُّوءِ وَسَلِمَ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي ٱلْمَهَالِكِ . وَكَانَ يُقَالُ

---

(١) الحريص على الاصلاح (٢) الثوب (٣) الموثوق به (٤) اي عندي
(٥) الظلم (٦) يسرف في المعاصي والظلم (٧) تنكشف مساوئه

لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبْرِ[1] فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ • وَلَا الْخَبُّ[2] فِي حُسْنِ الصَّدِيقِ • وَلَا السَّيِّئُ الْآدَابِ فِي الشَّرَفِ • وَلَا الشَّحِيحُ[3] فِي الْبِرِّ[4] وَلَا الْحَرِيصُ فِي قِلَّةِ الذُّنُوبِ • وَلَا الْمَلِكُ الْمُخْتَالُ[5] الْمُتَهَاوِنُ[6] بِالْأُمُورِ الضَّعِيفُ الْوُزَرَاءِ فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ وَصَلَاحِ رَعِيَّتِهِ * قَالَ الْمَلِكُ لَقَدِ احْتَمَلْتَ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصَنُّعِكَ[7] لِلْبُومِ وَتَضَرُّعِكَ إِلَيْهِنَّ • قَالَ الْغُرَابُ إِنَّهُ مَنِ احْتَمَلَ مَشَقَّةً يَرْجُو نَفْعَهَا وَنَحَّى[8] عَنْ نَفْسِهِ الْأَنَفَةَ[9] وَالْحَمِيَّةَ[10] وَوَطَّنَهَا عَلَى الصَّبْرِ[11] حَمِدَ غِبَّ[12] رَأْيِهِ • وَإِنَّهُ يُقَالُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ عَدُوَّهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَرْجُو هَلَاكَهُ وَرَاحَتَهُ مِنْهُ لَكَانَ ذٰلِكَ عِنْدَهُ خَفِيفًا هَيِّنًا • كَمَا صَبَرَ الْأَسْوَدُ[13] عَلَى حَمْلِ مَلِكِ الضَّفَادِعِ عَلَى ظَهْرِهِ وَشَبِعَ بِذٰلِكَ وَعَاشَ • قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ الْغُرَابُ زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ الْحَيَّاتِ كَبِرَ وَضَعُفَ بَصَرُهُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ • وَإِنَّهُ انْسَابَ[14] يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَيْنٍ كَثِيرَةِ

---

(١) الكبرياء (٢) الخداع (٣) البخيل (٤) الجنة (٥) المتكبر (٦) المحتضر والمستخف (٧) اظهارك عن نفسك ماليس فيك (٨) ابعد (٩) عزة النفس (١٠) النخوة والمروة والحماسة (١١) مهدها لفعله واقرّها عليها (١٢) عاقبة (١٣) الحية العظيمة وفيها سواد (١٤) جرى وتدافع في مشيه

ٱلضَّفادِعِ قَدْ كانَ يَأْتِيها قَبْلَ ذٰلِكَ فَيُصِيبُ مِنْ ضَفادِعِها رِزْقَهُ. فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلْكَآبَةِ وَٱلْحُزْنِ. فَقالَ لَهُ أَحَدُها ما لِي أَراكَ أَيُّها ٱلْأَسْوَدُ كَئِيبًا حَزِينًا. قالَ وَمَنْ أَحْرَى[(١)] بِطُولِ ٱلْحُزْنِ مِنِّي. وَإِنَّما كانَ أَكْثَرُ مَعِيشَتِي مِمّا كُنْتُ أُصِيبُ مِنَ ٱلضَّفادِعِ فَٱبْتُلِيتُ بِبَلاءٍ حَرُمَتْ عَلَيَّ ٱلضَّفادِعُ مِنْ أَجْلِهِ حَتَّى إِنِّي إِذا ٱلْتَقَيْتُ بِبَعْضِها لا أَقْدِرُ عَلَى إِمْساكِهِ * فَٱنْطَلَقَ ٱلضِّفْدِعُ إِلَى مَلِكِ ٱلضَّفادِعِ فَبَشَّرَهُ بِما سَمِعَ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ. فَأَتَى مَلِكُ ٱلضَّفادِعِ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ فَقالَ لَهُ كَيْفَ كانَ أَمْرُكَ. قالَ سَعَيْتُ مُنْذُ أَيّامٍ فِي طَلَبِ ضِفْدِعٍ وَذٰلِكَ عِنْدَ ٱلْمَساءِ فَٱضْطَرَرْتُهُ[(٢)] إِلَى بَيْتِ ناسِكٍ وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَفِي ٱلْبَيْتِ ٱبْنٌ لِلنّاسِكِ فَأَصَبْتُ إِصْبَعَهُ فَظَنَنْتُ أَنَّها ٱلضِّفْدِعُ فَلَدَغْتُهُ فَماتَ. فَخَرَجْتُ هارِبًا فَتَبِعَنِي ٱلنّاسِكُ فِي أَثَرِي وَدَعا عَلَيَّ وَلَعَنَنِي وَقالَ كَما قَتَلْتَ ٱبْنِيَ ٱلْبَرِيءَ ظُلْمًا وَتَعَدِّيًا أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصِيرَ مَرْكَبًا لِمَلِكِ ٱلضَّفادِعِ فَلا تَسْتَطِيعَ أَخْذَها وَلا أَكْلَ شَيْءٍ مِنْها إِلَّا ما يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُها. فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي مُقِرًّا بِذٰلِكَ راضِيًا بِهِ * فَرَغِبَ مَلِكُ ٱلضَّفادِعِ فِي

---

(١) اولى (٢) الجأته

رُكُوبِ ٱلْأَسْوَدِ وَظَنَّ أَنَّ ذٰلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرِفْعَةٌ فَرَكِبَهُ وَٱسْتَطَابَ ذٰلِكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسْوَدُ قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنِّي مَحْرُومٌ فَٱجْعَلْ لِي رِزْقًا أَعِيشُ بِهِ . قَالَ مَلِكُ ٱلضَّفَادِعِ لَعَمْرِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ إِذَا كُنْتَ مَرْكَبِي فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدِعَيْنِ يُؤْخَذَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُدْفَعَانِ إِلَيْهِ . فَعَاشَ بِذٰلِكَ وَلَمْ يَضُرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ ٱلذَّلِيلِ بَلِ ٱنْتَفَعَ بِذٰلِكَ وَصَارَ لَهُ رِزْقًا وَمَعِيشَةً

وَكَذٰلِكَ كَانَ صَبْرِي عَلَى مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ ٱلْتِمَاسًا لِهٰذَا ٱلنَّفْعِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي ٱجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ ٱلْأَمْنُ وَٱلظَّفَرُ وَهَلَاكُ ٱلْعَدُوِّ وَٱلرَّاحَةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ (١) ٱللِّينِ وَٱلرِّفْقِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ ٱسْتِئْصَالًا (٢) لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ ٱلْمُكَابَرَةِ وَٱلْعِنَادِ . فَإِنَّ ٱلنَّارَ لَا تَزِيدُ بِحِدَّتِهَا وَحَرِّهَا إِذَا أَصَابَتِ ٱلشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تُحْرِقَ مَا فَوْقَ ٱلْأَرْضِ مِنْهَا . وَٱلْمَاءُ بِلِينِهِ وَبَرْدِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ ٱلْأَرْضِ مِنْهَا وَيُقَالُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُهَا ٱلنَّارُ وَٱلْمَرَضُ وَٱلْعَدُوُّ وَٱلدَّيْنُ * قَالَ ٱلْغُرَابُ وَكُلُّ ذٰلِكَ كَانَ مِنْ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ وَأَدَبِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ (٣) وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ إِذَا طَلَبَ ٱثْنَانِ أَمْرًا ظَفِرَ بِهِ

(١) اي اهلاك (٢) يقال استأصل الشيء اي قطعه من اصله (٣) حظه

مِنْهُمَا أَفْضَلُهُمَا مُرُوَّةً . فَإِنِ ٱعْتَدَلَا(١) فِي ٱلْمُرُوَّةِ فَأَشَدُّهُمَا عَزْمًا(٢) فَإِنِ ٱسْتَوَيَا فِي ٱلْعَزْمِ فَأَسْعَدُهُمَا جَدًّا * وَكَانَ يُقَالُ مَنْ حَارَبَ ٱلْمَلِكَ ٱلْحَازِمَ ٱلْأَرِيبَ(٣) ٱلْمُتَضَرِّعَ(٤) ٱلَّذِي لَا تُبْطِرُهُ ٱلسَّرَّاءُ وَلَا تُدْهِشُهُ ٱلضَّرَّاءُ كَانَ هُوَ دَاعِيَ ٱلْحَتْفِ(٥) إِلَى نَفْسِهِ . وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مِثْلَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَالِمُ بِفُرُوضِ ٱلْأَعْمَالِ وَمَوَاضِعِ ٱلشِّدَّةِ وَٱللِّينِ وَٱلْغَضَبِ وَٱلرِّضَى وَٱلْمُعَاجَلَةِ وَٱلْأَنَاةِ(٦) ٱلنَّاظِرُ فِي أَمْرِ يَوْمِهِ وَغَدِهِ وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ لِلْغُرَابِ بَلْ بِرَأْيِكَ وَعَقْلِكَ وَنَصِيحَتِكَ وَيُمْنِ(٧) طَالِعِكَ(٨) كَانَ ذٰلِكَ . فَإِنَّ رَأْيَ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْعَاقِلِ ٱلْحَازِمِ أَبْلَغُ فِي هَلَاكِ ٱلْعَدُوِّ مِنَ ٱلْجُنُودِ ٱلْكَثِيرَةِ مِنْ ذَوِي ٱلْبَأْسِ وَٱلنَّجْدَةِ(٩) وَٱلْعَدَدِ وَٱلْعُدَّةِ(١٠) وَإِنَّ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِكَ عِنْدِي طُولَ لُبْثِكَ(١١) بَيْنَ ظَهْرَانَيِ(١٢) ٱلْبُومِ تَسْمَعُ ٱلْكَلَامَ ٱلْغَلِيظَ ثُمَّ لَمْ تَسْقُطْ بَيْنَهُنَّ بِكَلِمَةٍ . قَالَ

---

(١) تناسبا (٢) العزم عقد القلب على الشيء وتوطيد النفس على فعله (٣) الحاذق بكل عمل (٤) المتذلل لله تعالى (٥) الهلاك (٦) الحلم والتأني (٧) بركة (٨) الطالع عند المنجمين هو جزء من منطقة البروج يكون على الافق الشرقي في وقت مخصوص فان كان ذلك الوقت زمان ولادة شخص يقال له طالع ذلك الشخص وبحسب ذلك يحكمون له بالسعد او النحس (٩) الشجاعة والقتال (١٠) السلاح (١١) اقامتك (١٢) اي في وسطهم

الغرابُ لم أزل متمسّكاً بأدبك أيها الملك أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة والمؤاتاة(١)

قال الملك أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة . فقد منّ الله علينا بك منّة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام والشراب ولا النوم ولا القرار . وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ . ولا الرجل الشره(٢) الذي قد أطمعه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه(٣) له . ولا الرجل الذي قد ألحّ(٤) عليه عدوه وهو يخافه صباحاً ومساءً حتى يستريح منه قلبه . ومن وضع الحمل الثقيل عن يده أراح نفسه ومن أمن عدوه ثلج(٥) صدره * قال الغراب أسأل الله الذي أهلك عدوك أن يمتعك(٦) بسلطانك وأن يجعل في ذلك صلاح رعيتك ويشركهم في قرة العين(٧) بملكك . فإن الملك إذا لم يكن في ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زنمة(٨) العنز التي يمصها

---

(١) الملاينة والموافقة (٢) الشديد الحرص على الطعام (٣) يقضيه (٤) اي اقبل عليه وواظبه (٥) اطمأنّ (٦) دعاء بطول البقاء (٧) اي السرور (٨) لحمة تتدلى من عنق العنز ولها زنمتان

الْجَدْيُ وَهُوَ يَحْسَبُهَا حَلَمَةَ الضَّرْعِ (١) فَلا يُصادِفُ فِيها خَيْراً

قالَ الْمَلِكُ أَيُّها الْوَزِيرُ الصَّالِحُ كَيْفَ كانَتْ سِيرَةُ الْبُومِ وَمَلِكِها في حُرُوبِها وَفِيما كانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِها * قالَ الْغُرابُ كانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ بَطَرٍ وَأَشَرٍ (٢) وَخُيَلاءَ (٣) وَعَجْزٍ وَفَخْرٍ مَعَ ما فِيهِ مِنَ الصِّفاتِ الذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحابِهِ وَوُزَرائِهِ شَبِيهٌ بِهِ إِلاَّ الْوَزِيرَ الَّذِي كانَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِي فَإِنَّهُ كانَ حَكِيماً أَرِيباً فَيْلَسُوفاً (٤) حازِماً قَلَّما يُرَى مِثْلُهُ في عُلُوِّ الْهِمَّةِ وَكَمالِ الْعَقْلِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ * قالَ الْمَلِكُ وَأَيُّ خَصْلَةٍ كانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ * قالَ خَلَّتانِ إِحْداهُما رَأْيُهُ في قَتْلِي وَالأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صاحِبَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنِ اسْتَثْقَلَها . وَلَمْ يَكُنْ كَلامُهُ كَلامَ عُنْفٍ (٥) وَقَسْوَةٍ وَلٰكِنَّهُ كَلامُ رِفْقٍ وَلِينٍ حَتَّى إِنَّهُ رُبَّما أَخْبَرَهُ بِبَعْضِ عُيُوبِهِ وَلا يُصَرِّحُ بِحَقِيقَةِ الْحالِ بَلْ يَضْرِبُ لَهُ الأَمْثالَ وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ فَلا يَجِدُ مَلِكُهُ إِلَى الْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلاً وَكانَ مِمَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَلِكِهِ أَنَّهُ قالَ لا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسِيمٌ لا يَظْفَرُ بِهِ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ قَلِيلٌ وَلا يُدْرَكُ

---

(١) الضرع لذات الظلف كالثدي للمرأة والخلف للناقة (٢) نزق واختيال
(٣) كبرياء (٤) عالماً بالفلسفة وهي محبة الحكمة (٥) شدة وخشونة

إلا بالحزم، فإن الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه فإنه قد قيل إنه في قلة بقائه بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق النيلوفر (١) وهو في خفة زواله وسرعة إقباله وإدباره كالريح وفي قلة ثباته كاللبيب (٢) مع اللئام وفي سرعة اضمحلاله كحباب الماء (٣) من وقع المطر

فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغي أن يغتر بهم وإن هم أظهروا تودداً وتضرعاً

باب
القرد والغيلم (٤)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها

قال الفيلسوف إن طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها ومن ظفر بالحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم

---

(١) ضرب من الرياحين وقد مر (٢) العاقل (٣) ما يطفو فوقه من الفقاقيع وهي كرات تعلوه ممتلئة هواء (٤) ذكر السلحفاة

قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا كَانَ مَلِكَ ٱلْقِرَدَةِ يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ ۰ فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ ٱلْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَوَجَدَ شَجَرَةً مِنْ شَجَرِ ٱلتِّينِ فَٱرْتَقَى [1] إِلَيْهَا وَجَعَلَهَا مَقَامَهُ [2] ۰ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلتِّينِ إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي ٱلْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا [3] فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي ٱلْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذٰلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطْرِيحِ ٱلتِّينِ فِي ٱلْمَـاءِ ۰ وَثَمَّ [4] غَيْلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا ۰ فَلَمَّا كَثُرَ ذٰلِكَ ظَنَّ أَنَّ ٱلْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ وَأَلِفَ [5] كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ۰ وَطَالَتْ غَيْبَةُ ٱلْغَيْلَمِ عَنْ زَوْجَتِهِ فَجَزِعَتْ [6] عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذٰلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ فَٱغْتَالَهُ [7] فَقَالَتْ لَهَا إِنَّ زَوْجَكِ فِي ٱلسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ ٱلْقِرْدُ فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ [8] وَهُوَ ٱلَّذِي قَطَعَهُ عَنْكِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ

---

(١) صعد (٢) محل اقامته (٣) نغمة حسنة (٤) هناك (٥) اي صادقه
(٦) خافت (٧) اهلكه (٨) اي آكل وشارب معه

عِنْدَكِ حَتَّى تَحْتَالِي لِهَلاكِ ٱلْقِرْدِ . قَالَتْ وَكَيْفَ أَصْنَعُ . قَالَتْ جَارَتُهَا إِذَا وَصَلَ إِلَيْكِ فَتَمَارَضِي[1] فَإِذَا سَأَلَكِ عَنْ حَالِكِ فَقُولِي إِنَّ ٱلْأَطِبَّاءَ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْغَيْلَمَ ٱنْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ[2] ٱلْحَالِ مَهْمُومَةً فَقَالَ لَهَا مَالِي أَرَاكِ هٰكَذَا . فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا وَقَالَتْ إِنَّ زَوْجَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ . وَقَدْ وَصَفَ لَهَا ٱلْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ هٰذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي ٱلْمَاءِ وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ مَالِي قُدْرَةٌ عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا أَنْ أَغْدُرَ بِخَلِيلِي[3] وَصَاحِبِي وَإِثْمُهُ[4] عِنْدِي شَدِيدٌ وَأَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ هَلَاكُ زَوْجَتِي لِأَنَّ ٱلزَّوْجَةَ ٱلصَّالِحَةَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ لِأَنَّهَا عَوْنٌ[5] عَلَى أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ

ثُمَّ عَادَ إِلَى ٱلسَّاحِلِ حَزِينًا كَئِيبًا مُفَكِّرًا فِي نَفْسِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ[6] عَنِّي . قَالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَائِي فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أُكَافِئُكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ . وَأُرِيدُ أَنْ تُتِمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي فَإِنِّي

---

(١) اي تظاهري بانكِ مريضة (٢) رديئة (٣) بصديقي (٤) ذنبه اي ذنب هذا الغدر (٥) معينة (٦) اي ما منعك

ساكنٌ في جزيرةٍ طيّبةِ الفاكهةِ. فاركبْ ظهري لأسبحَ بكَ فإنَّ أفضلَ ما يلتمسهُ المرءُ من أخلائهِ أن يغشوا(١) منزلهُ وينالوا من طعامهِ وشرابهِ ويعرفهم أهلهُ وولدهُ وجيرانهُ. وأنت لم تطأْ(٢) منزلي ولم تذقْ لي طعاماً ولا شراباً وذلكَ منقصةٌ وعارٌ عليَّ. قال لهُ القردُ وما يريدُ المرءُ من خليلهِ إلّا أن يبذلَ لهُ ودَّهُ(٣) ويصفيَ لهُ قلبهُ وما سوى ذلكَ ففضولٌ(٤). قال الغيلمُ نعم غيرَ أنَّ الاجتماعَ على الطعامِ والشرابِ آكدُ(٥) للمودّةِ والأنسِ. لأنا نرى الدوابَّ إذا اعتلفتْ(٦) معاً ألفَ بعضها بعضاً وكان يقالُ لا ينبغي للعاقلِ أن يلحَّ على إخوانهِ في المسئلةِ فإنَّ العجلَ إذا أكثرَ مصَّ ضرعِ(٧) أمهِ نطحتهُ. فرغبَ القردُ في الذهابِ معهُ فقال حبّاً وكرامةً ونزلَ فركبَ ظهرَ الغيلمِ فسبحَ بهِ. حتى إذا تجاوزَ قليلاً عرضَ لهُ قبحُ ما أضمرَ في نفسهِ من الغدرِ فنكسَ رأسهُ ووقفَ وقال في نفسهِ كيفَ أغدرُ بخليلي لكلمةٍ قالتها امرأةٌ من الجاهلاتِ. وما أدري لعلَّ جارتي قد خدعتني وكذبتْ بما روتْ(٨) عن الأطباءِ. فإنَّ الذهبَ يجرَّبُ بالنارِ

---

(١) يأتوا (٢) تدس (٣) اي يقدم له الحب (٤) اي زيادة بلا فائدة
(٥) اي أكثر تأكيداً (٦) اطعمت العلف وهو ما تطعمه الدواب
(٧) الضرع للبقر ونحوها بمنزلة الثدي للمراة وقد مر (٨) نقلت

وَٱلرِّجالَ بِٱلأَخْذِ وَٱلْعَطاءِ وَٱلدَّوابَّ بِٱلْحَمْلِ وَٱلْجَرْيِ وَلا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُجَرِّبَ مَكْرَ ٱلنِّساءِ وَلا يَقْدِرُ عَلى كَيْدِهِنَّ وَكَثْرَةِ حِيَلِهِنَّ

فَقالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ ما لِي أَراكَ مُهْتَمًّا. قالَ ٱلْغَيْلَمُ إِنَّما هَمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةُ ٱلْمَرَضِ وَذٰلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ[(١)] مِنْ كَرامَتِكَ وَمُلاطَفَتِكَ. قالَ ٱلْقِرْدُ إِنَّ ٱلَّذِي أَعْرِفُ مِنْ حِرْصِكَ عَلى كَرامَتِي يَكْفِيكَ مَؤُونَةَ[(٢)] ٱلتَّكَلُّفِ. قالَ ٱلْغَيْلَمُ أَجَلْ[(٣)] وَمَضَى بِٱلْقِرْدِ ساعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثانِيَةً. فَساءَ ظَنُّ ٱلْقِرْدِ وَقالَ فِي نَفْسِهِ ما ٱحْتِباسُ ٱلْغَيْلَمِ وَإِبْطاؤُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ. وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي وَحالَ[(٤)] عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرادَ بِي سُوءًا. فَإِنَّهُ لا شَيْءَ أَخَفُّ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ ٱلْقَلْبِ. وَقَدْ يُقالُ يَنْبَغِي لِلْعاقِلِ أَنْ لا يَغْفُلَ عَنِ ٱلْتِماسِ ما فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ وَعِنْدَ ٱلْقِيامِ وَٱلْقُعُودِ وَعَلى كُلِّ حالٍ. فَإِنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلى ما فِي ٱلْقُلُوبِ. وَقَدْ قالَتِ ٱلْعُلَماءُ إِذا دَخَلَ قَلْبَ ٱلصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةٌ[(٥)] فَلْيَأْخُذْ بِٱلْحَزْمِ[(٦)] فِي ٱلتَّحَفُّظِ مِنْهُ وَلْيَتَفَقَّدْ ذٰلِكَ فِي

---

(١) اي ان اصل اليه (٢) ثقل وشدة (٣) نعم (٤) انقلب (٥) شك
(٦) الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة

لحظاته وحالاته فإن كان ما يظن حقاً ظفر بالسلامة وإن كان باطلاً ظفر بالحزم ولم يضره ذلك

ثم قال للغيلم ما يحبسك وما لي أراك مهتماً كأنك تحدث نفسك مرة أخرى . قال يهمني أنك تأتي منزلي فلا تجد أمري كما أحب لأن زوجتي مريضة . قال القرد لا تغتم[1] فإن الغم لا يغني عنك[2] شيئاً . ولكن التمس ما يصلح زوجتك من الأدوية والأغذية . فإنه يقال ليبذل ذوو المال مالهم في أربعة مواضع . في الصدقة وفي وقت الحاجة وعلى البنين وعلى الأزواج ولا سيما إذا كن صالحات . قال الغيلم صدقت . وقد قالت الأطباء إنه لا دواء لها إلا قلب قرد . فقال القرد في نفسه واسوءتاه[3] لقد أدركني الحرص والشره على كبر سني حتى وقعت في شر ورطة . ولقد صدق الذي قال يعيش القانع الراضي مستريحاً مطمئناً وذو الحرص والشره يعيش ما عاش في تعب ونصب[4] . وإني قد احتجت الآن إلى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه . ثم قال للغيلم وما منعك أصلحك الله أن تعلمني عند منزلي حتى كنت أحمل قلبي معي . فإن هذه سنة[5]

(١) لاتحزن (٢) اي لا ينفعك (٣) اي واحزني (٤) اعياء (٥) عادة

فِينَا مَعَاشِرَ[١] ٱلْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ[٢] قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرَمِ[٣] ٱلْمَزُورِ وَلَيْسَ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ وَأَيْنَ قَلْبُكَ ٱلْآنَ قَالَ خَلَّفْتُهُ فِي ٱلشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَٱرْجِعْ بِي إِلَى ٱلشَّجَرَةِ حَتَّى آتِيكَ بِهِ . فَفَرِحَ ٱلْغَيْلَمُ بِذٰلِكَ وَقَالَ لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أَغْدُرَ بِهِ ثُمَّ رَجَعَ بِٱلْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ ٱلسَّاحِلَ وَثَبَ[٤] عَنْ ظَهْرِهِ فَٱرْتَقَى ٱلشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى ٱلْغَيْلَمِ نَادَاهُ يَا خَلِيلِي[٥] ٱحْمِلْ قَلْبَكَ وَٱنْزِلْ فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ هَيْهَاتَ[٦] أَتَظُنُّ أَنِّي كَٱلْحِمَارِ ٱلَّذِي زَعَمَ ٱبْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْقِرْدُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدٌ فِي أَجَمَةٍ[٧] وَكَانَ مَعَهُ ٱبْنُ آوَى يَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ . فَأَصَابَ ٱلْأَسَدَ جَرَبٌ وَضَعُفَ شَدِيدًا وَجُهِدَ[٨] فَلَمْ يَسْتَطِعِ ٱلصَّيْدَ . فَقَالَ لَهُ ٱبْنُ آوَى مَا بَالُكَ يَا سَيِّدَ ٱلسِّبَاعِ قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ . قَالَ هٰذَا ٱلْجَرَبُ ٱلَّذِي قَدْ جَهَدَنِي وَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا قَلْبُ حِمَارٍ وَأُذُنَاهُ . قَالَ ٱبْنُ

(١) جماعات (٢) ترك (٣) نساء (٤) قفز (٥) يا صديقي (٦) اي بعد نزولي اليك (٧) واحدة الاجم وهو الشجر الكثيف الملتف (٨) أتعب

آوى ما أيسر هذا. وقد عرفت بمكان كذا حمارًا مع قصّار[١] يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به. ثمّ دلف[٢] إلى الحمار فأتاه وسلّم عليه وقال له ما لي أراك مهزولًا. قال لسوء تدبير صاحبي فإنّه لا يزال يجيع بطني ويثقل ظهري. وما تجتمع هاتان الحالتان على جسم إلّا أنحلتاه[٣] وأسقمتاه. فقال له كيف ترضى المقام معه على هذا. قال ما لي حيلة للهرب منه فلست أتوجّه إلى جهة إلّا أضرّ بي إنسان فكدّني[٤] وأجاعني. قال ابن آوى فأنا أدلّك على مكان معزول عن الناس لا يمرّ به إنسان خصيب المرعى فيه عانةٌ[٥] من الحمر[٦] ترعى آمنة مطمئنّة. قال الحمار وما يحبسنا[٧] عنها فانطلق بنا إليها. فانطلق به نحو الأسد وتقدّم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار. فخرج إليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلّص الحمار منه فأفلت هلعًا[٨] على وجهه. فلمّا رأى ابن آوى أنّ الأسد لم يقدر على الحمار قال له يا سيّد السباع أعجزت إلى هذه الغاية[٩] فقال له إن جئتني به مرّة أخرى فلن ينجو منّي أبدًا * فمضى

(١) محوّر الثياب اي مبيضها (٢) اسرع (٣) هزلتاه (٤) اتعبني (٥) قطيع من الحمير (٦) جمع حمار (٧) اي ما يمنعنا وقد تقدم (٨) اي ذهب مسرعًا مضطربًا (٩) اي الى هذا الحدّ

ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْحِمارِ فَقالَ لَهُ ما ٱلَّذِي جَرَى عَلَيْكَ. إِنَّ أَحَدَ ٱلْحُمُرِ رَآكَ غَرِيبًا فَخَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مُرَحِّبًا بِكَ وَلَوْ ثَبَتَّ لَآنَسَكَ وَمَضَى بِكَ إِلَى أَصْحابِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْحِمارُ ذٰلِكَ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى أَسَدًا قَطُّ صَدَّقَ ما قالَهُ ٱبْنُ آوَى وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ. فَسَبَقَهُ ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْأَسَدِ وَأَعْلَمَهُ بِمَكانِهِ وَقالَ لَهُ ٱسْتَعِدَّ لَهُ فَقَدْ خَدَعْتُهُ لَكَ فَلا يُدْرِكَنَّكَ ٱلضَّعْفُ فِي هٰذِهِ ٱلنَّوْبَةِ[1] فَإِنَّهُ إِنْ أَفْلَتَ لَنْ يَعُودَ مَعِي أَبَدًا وَٱلْفُرَصُ لا تُصابُ[2] فِي كُلِّ وَقْتٍ. فَجاشَ جَأْشُ ٱلْأَسَدِ[3] لِتَحْرِيضِ ٱبْنِ آوَى لَهُ وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ ٱلْحِمارِ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عاجَلَهُ بِوَثْبَةٍ ٱفْتَرَسَهُ بِها. ثُمَّ قالَ قَدْ ذَكَرَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ أَنَّهُ لا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ ٱلِاغْتِسالِ وَٱلطُّهُورِ. فَٱحْتَفِظْ بِهِ حَتَّى أَعُودَ فَآكُلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ وَأَتْرُكُ ما سِوَى ذٰلِكَ قُوتًا لَكَ. فَلَمَّا ذَهَبَ ٱلْأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ عَمَدَ ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْحِمارِ فَأَكَلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ رَجاءَ أَنْ يَتَطَيَّرَ[4] ٱلْأَسَدُ مِنْهُ فَلا يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا. ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكانِهِ فَقالَ لِٱبْنِ آوَى أَيْنَ قَلْبُ ٱلْحِمارِ وَأُذُناهُ. قالَ ٱبْنُ آوَى أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْقِلُ بِهِ

---

(١) الفرصة (٢) لا توجد (٣) اي حميت نفسه (٤) يتشاءم اي يعتقد الشوم وهو ضد البركة

وَأُذُنانِ يَسْمَعُ بِهِما لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَعْدَ ما أَفْلَتَ وَنَجا مِنَ ٱلْهَلَكَةِ

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ كَذٰلِكَ ٱلْحِمارِ ٱلَّذِي زَعَمَ ٱبْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلا أُذُنانِ. وَلٰكِنَّكَ ٱحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ وَٱسْتَدْرَكْتُ فارِطَ أَمْرِي [1]. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ٱلَّذِي يُفْسِدُهُ ٱلْحِلْمُ لا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْعِلْمُ. قالَ ٱلْغَيْلَمُ صَدَقْتَ إِلَّا أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ وَإِذا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدَّبَ لِصِدْقِهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ. وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ [2] أَمْكَنَهُ ٱلتَّخَلُّصُ مِنْها بِحِيلَتِهِ وَعَقْلِهِ كَالرَّجُلِ ٱلَّذِي يَعْثُرُ [3] عَلَى ٱلْأَرْضِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْها فِي نُهُوضِهِ

فَهٰذا مَثَلُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحاجَةَ فَإِذا ظَفِرَ بِها أَضاعَها

(١) اي طلبت واتيت مافاتني (٢) شدة (٣) يسقط

بابُ
ٱلنَّاسِكِ وَٱبْنِ عِرْسٍ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجْلانِ(١) فِي أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ(٢) وَلا نَظَرٍ فِي ٱلْعَواقِبِ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَثَبِّتاً لَمْ يَزَلْ نادِماً وَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى ما صارَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَقَدْ كانَ لَهُ وَدُوداً. قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ ناسِكاً مِنَ ٱلنُّسَّاكِ كانَ بِأَرْضِ جُرْجانَ وَكانَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ صالِحَةٌ لَها مَعَهُ صُحْبَةٌ. فَمَكَثا زَماناً لَمْ يُرْزَقا وَلَداً. ثُمَّ حَمَلَتْ بَعْدَ ٱلْإِياسِ(٣) فَسُرَّتِ ٱلْمَرْأَةُ وَسُرَّ ٱلنَّاسِكُ بِذٰلِكَ وَحَمِدَ ٱللّٰهَ تَعالى وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ ٱلْحَمْلُ(٤) ذَكَراً وَقالَ لِزَوْجَتِهِ أَبْشِرِي(٥) فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلاماً فِيهِ لَنا مَنافِعُ وَقُرَّةُ عَيْنٍ(٦) أَخْتارُ لَهُ أَحْسَنَ ٱلْأَسْماءِ وَأُحْضِرُ لَهُ جَمِيعَ

---

(١) المسرع (٢) تفكر وتامل (٣) قطع الرجاء (٤) الولد في البطن
(٥) افرحي (٦) اي سرور

ٱلْمُؤَدِّبِينَ. فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ مَا يَحْمِلُكَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ عَلَى أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمَا لَا تَدْرِي أَيَكُونُ أَمْ لَا. وَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلنَّاسِكَ ٱلَّذِي أَهْرَقَ[1] عَلَى رَأْسِهِ ٱلسَّمْنَ وَٱلْعَسَلَ. قَالَ لَهَا وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَتْ زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ تَاجِرٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ رِزْقُهُ مِنَ ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْهُ قُوتَهُ وَحَاجَتَهُ وَيَرْفَعُ ٱلْبَاقِيَ وَيَجْعَلُهُ فِي جَرَّةٍ فَيُعَلِّقُهَا فِي وَتَدٍ فِي نَاحِيَةِ ٱلْبَيْتِ حَتَّى ٱمْتَلَأَتْ. فَبَيْنَمَا ٱلنَّاسِكُ ذَاتَ يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ[2] عَلَى ظَهْرِهِ وَٱلْعُكَّازَةُ[3] فِي يَدِهِ وَٱلْجَرَّةُ مُعَلَّقَةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ تَفَكَّرَ فِي غَلَاءِ ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ. فَقَالَ سَأَبِيعُ مَا فِي هٰذِهِ ٱلْجَرَّةِ بِدِينَارٍ وَأَشْتَرِي بِهِ عَشْرَ أَعْنُزٍ[4] فَيَحْبَلْنَ وَيَلِدْنَ فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً. وَلَا تَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَصِيرَ مِعْزًا كَثِيرًا إِذَا وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا. ثُمَّ حَرَّرَ[5] عَلَى هٰذَا ٱلنَّحْوِ بِسِنِينَ فَوَجَدَ ذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ عَنْزٍ. فَقَالَ أَنَا أَشْتَرِي بِهَا مِئَةً مِنَ ٱلْبَقَرِ بِكُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْنُزٍ ثَوْرًا أَوْ بَقَرَةً وَأَشْتَرِي أَرْضًا وَبَذْرًا[6] وَأَسْتَأْجِرُ أَكَرَةً[7] وَأَزْرَعُ

(١) صبّ (٢) نائم (٣) عصا طويلة ذات زج «حديدة» في اسفلها
(٤) جمع عنز وهي الانثى من المعز (٥) قوّم وضبط (٦) حبًا يبذر في الارض
(٧) حرّاثين

عَلَى ٱلثِّيرانِ[١] وَأَنْتَفِعُ بِأَلْبانِ ٱلْإِناثِ وَنِتاجِها[٢] فَلا تَأْتِي عَلَيَّ خَمْسُ سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ ٱلزَّرْعِ مالاً كَثِيرًا فَأَبْنِي بَيْتًا فاخِرًا وَأَشْتَرِي إِماءً[٣] وَعَبِيدًا وَأَتَزَوَّجُ ٱمْرَأَةً صالِحَةً جَمِيلَةً فَتَحْمِلُ ثُمَّ تَأْتِي بِغُلامٍ سَرِيٍّ[٤] نَجِيبٍ[٥] فَأَخْتارُ لَهُ أَحْسَنَ ٱلْأَسْماءِ. فَإِذا تَرَعْرَعَ[٦] أَدَّبْتُهُ وَأَحْسَنْتُ تَأْدِيبَهُ وَأَشَدِّدُ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلْعُكَّازَةِ وَأَشارَ بِيَدِهِ إِلَى ٱلْجَرَّةِ فَكَسَرَها فَسالَ ما فِيها عَلَى وَجْهِهِ

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِكَيْ لا تَعْجَلَ بِذِكْرِ ما لا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ وَما لا تَدْرِي أَيَصِحُّ أَمْ لا يَصِحُّ. وَلٰكِنِ ٱدْعُ رَبَّكَ وَتَوَسَّلْ[٧] إِلَيْهِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ٱلتَّصاوِيرَ فِي ٱلْحائِطِ إِنَّما هِيَ ما دامَ بِناؤُهُ قائِمًا فَإِذا وَقَعَ وَتَهَدَّمَ لَمْ يُقْدَرْ عَلَيْها. فَٱتَّعَظَ[٨] ٱلنّاسِكُ بِما حَكَتْ زَوْجَتُهُ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلامًا جَمِيلًا فَفَرِحَ بِهِ أَبُوهُ وَبَعْدَ أَيّامٍ حانَ[٩] لَها أَنْ تَغْتَسِلَ. فَقالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلنّاسِكِ ٱقْعُدْ عِنْدَ ٱبْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى ٱلْحَمّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَعُودَ ثُمَّ إِنَّها ٱنْطَلَقَتْ إِلَى ٱلْحَمّامِ وَخَلَّفَتْ[١٠] زَوْجَها وَٱلْغُلامَ

---

(١) جمع ثور وهو الذكر من البقر (٢) اولادها (٣) جواري (٤) صاحب مروة في شرف (٥) كريم الحسب (٦) تحرك ونشأ (٧) اي اعمل عملاً تقرّب به اليه تعالى (٨) اي قبل الموعظة (٩) آن اي صار الوقت (١٠) تركت

فَلَمْ يَلْبَثْ(١) أَنْ جاءَ رَسُولُ ٱلْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ٱبْنِهِ غَيْرَ ٱبْنِ عِرْسٍ دَاجِنٍ(٢) عِنْدَهُ كانَ قَدْ رَبَّاهُ صَغِيراً فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ(٣) وَلَدِهِ. فَتَرَكَهُ ٱلنَّاسِكُ عِنْدَ ٱلصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِما ٱلْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ ٱلرَّسُولِ. فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ ٱلْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْداءُ فَدَنَتْ مِنَ ٱلْغُلامِ(٤) فَضَرَبَها ٱبْنُ عِرْسٍ فَوَثَبَتْ عَلَيْهِ فَقَتَلَها ثُمَّ قَطَّعَها وَٱمْتَلأَ فَمُهُ مِنْ دَمِها * ثُمَّ جاءَ ٱلنَّاسِكُ وَفَتَحَ ٱلْبابَ فَٱلْتَقاهُ ٱبْنُ عِرْسٍ كَالْمُشِيرِ لَهُ بِما صَنَعَ مِنْ قَتْلِ ٱلْحَيَّةِ. فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثاً بِالدَّمِ وَهُوَ مَذْعُورٌ(٥) طارَ عَقْلُهُ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ وَلَمْ يَتَثَبَّتْ(٦) فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوَّ(٧) فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ ٱلْحالِ وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ ما ظَنَّ مِنْ ذٰلِكَ وَلٰكِنْ عَجَّلَ عَلَى ٱبْنِ عِرْسٍ وَضَرَبَهُ بِعُكَّازَةٍ كانَتْ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ(٨) فَماتَ. وَدَخَلَ ٱلنَّاسِكُ فَرَأَى ٱلْغُلامَ سَلِيماً حَيّاً وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ. فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي ٱلْعَجَلَةِ لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقالَ لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هٰذا ٱلْوَلَدَ وَلَمْ أَغْدِرْ هٰذا ٱلْغَدْرَ * وَدَخَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحالِ فَقالَتْ لَهُ ما شَأْنُكَ(٩). فَأَخْبَرَها بِالْخَبَرِ مِنْ حُسْنِ فِعْلِ

(١) اي فلم يبطئ (٢) اليف (٣) مثل (٤) قربت اليه (٥) خائف
(٦) يتأنَّ (٧) يتفكر (٨) دماغه (٩) ما امرك

ٱبْنِ عِرْسٍ وَسُوءِ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ هٰذِهِ ثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ لِأَنَّ ٱلْأَمْرَ إِذَا فَرَطَ(١) مِثْلُ ٱلْكَلَامِ إِذَا خَرَجَ وَٱلسَّهْمِ إِذَا مَرَقَ(٢) لَا مَرَدَّ لَهُ

فَهٰذَا مَثَلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ بِٱلسُّرْعَةِ

باب

ٱلْجُرَذِ وَٱلسِّنَّوْرِ(٣)

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ وَأَحْدَقُوا(٤) بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَأَشْرَفَ(٥) مَعَهُمْ عَلَى ٱلْهَلَاكِ فَٱلْتَمَسَ ٱلنَّجَاةَ(٦) وَٱلْمَخْرَجَ بِمُوَالَاةِ(٧) بَعْضِ أَعْدَائِهِ وَمُصَالَحَتِهِ فَسَلِمَ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَأَمِنَ ثُمَّ وَفَى لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْهُمْ . وَأَخْبِرْنِي عَنْ مَوْضِعِ ٱلصُّلْحِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ

---

(١) سبق من غير روية (٢) نفذ في الرمية (٣) الهر وقد مر (٤) احاطوا
(٥) اطلع وقارب (٦) طلب الخلاص (٧) بمصادقة

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلْعَدَاوَةَ لا تَثْبُتَانِ عَلَى حالَةٍ أَبَدًا · وَرُبَّما حالَتِ(١) ٱلْمَوَدَّةُ إِلَى ٱلْعَداوَةِ وَصارَتِ ٱلْعَداوَةُ وِلايَةً(٢) وَصَداقَةً · وَلِهٰذا حَوادِثُ وَعِلَلٌ وَتَجارِبُ · وَذُو ٱلرَّأْيِ يُحْدِثُ لِكُلِّ ما يَحْدُثُ مِنْ ذٰلِكَ رَأْيًا جَدِيدًا · أَمَّا مِنْ قِبَلِ ٱلْعَدُوِّ فَبِٱلْبَأْسِ(٣) · وَأَمَّا مِنْ قِبَلِ ٱلصَّدِيقِ فَبِٱلِاسْتِئْناسِ(٤) · وَلا تَمْنَعُ ذا ٱلْعَقْلِ عَداوَةٌ كانَتْ فِي نَفْسِهِ لِعَدُوِّهِ مِنْ مُقارَبَتِهِ وَٱلِاسْتِنْجادِ(٥) بِهِ عَلَى دَفْعِ مَرْهُوبٍ(٦) أَوْ جَرِّ مَرْغُوبٍ · وَمَنْ عَمِلَ فِي ذٰلِكَ بِٱلْحَزْمِ ظَفِرَ(٧) بِحاجَتِهِ · وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْجُرَذِ وَٱلسِّنَّوْرِ حِينَ وَقَعا فِي ٱلْوَرْطَةِ فَنَجَوَا بِٱصْطِلاحِهِما جَمِيعًا مِنَ ٱلْوَرْطَةِ وَٱلشِّدَّةِ

قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ بَيْدَبا زَعَمُوا أَنَّ شَجَرَةً عَظِيمَةً كانَ فِي أَصْلِها جُحْرُ سِنَّوْرٍ يُقالُ لَهُ رُومِيٌّ · وَكانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرُ جُرَذٍ يُقالُ لَهُ فَرِيدُونُ · وَكانَ ٱلصَّيَّادُونَ كَثِيرًا ما يَتَداوَلُونَ(٨) ذٰلِكَ ٱلْمَكانَ يَصِيدُونَ فِيهِ ٱلْوَحْشَ وَٱلطَّيْرَ · فَأَتَى ذاتَ يَوْمٍ صَيَّادٌ فَنَصَبَ حِبالَتَهُ(٩) قَرِيبًا مِنْ مَوْضِعِ رُومِيٍّ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَقَعَ فِيها · فَخَرَجَ

(١) انقلبت (٢) نصرة ومحبة (٣) الشجاعة والشدة في الحرب (٤) الالفة
(٥) الاستعانة (٦) مخوف (٧) فاز (٨) يتعاقبونه مرة بعد اخرى
(٩) مصيدته

ٱلْجُرَذُ يَدِبُّ(١) وَيَطْلُبُ مَا يَأْكُلُ وَهُوَ حَذِرٌ(٢) مِنْ رُومِيٍّ. فَبَيْنَمَا هُوَ يَسْعَى إِذْ بَصُرَ بِهِ فِي ٱلشَّرَكِ فَسُرَّ وَٱسْتَبْشَرَ. ثُمَّ ٱلْتَفَتَ فَرَأَى خَلْفَهُ ٱبْنَ عِرْسٍ يُرِيدُ أَخْذَهُ وَفِي ٱلشَّجَرَةِ بُومًا يُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ. فَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَخَافَ إِنْ رَجَعَ وَرَاءَهُ أَخَذَهُ ٱبْنُ عِرْسٍ وَإِنْ ذَهَبَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا ٱخْتَطَفَهُ ٱلْبُومُ وَإِنْ تَقَدَّمَ أَمَامَهُ ٱفْتَرَسَهُ ٱلسِّنَّوْرُ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ هٰذَا بَلَاءٌ قَدِ ٱكْتَنَفَنِي(٣) وَشُرُورٌ تَظَاهَرَتْ(٤) عَلَيَّ وَمِحَنٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِي* وَبَعْدَ ذٰلِكَ فَمَعِي عَقْلِي فَلَا يُفْزِعُنِي أَمْرِي وَلَا يَهُولُنِي(٥) شَأْنِي وَلَا يَلْحَقُنِي ٱلدَّهَشُ(٦) وَلَا يَذْهَبُ قَلْبِي شُعَاعًا(٧). فَٱلْعَاقِلُ لَا يُفْرَقُ(٨) عِنْدَ سَدَادِ(٩) رَأْيِهِ وَلَا يَعْزُبُ(١٠) عَنْهُ ذِهْنُهُ عَلَى حَالٍ. وَإِنَّمَا ٱلْعَقْلُ شَبِيهٌ بِٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي لَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ(١١) وَلَا يَبْلُغُ ٱلْبَلَاءُ مِنْ ذِي ٱلرَّأْيِ مَجْهُودَهُ(١٢) فَيُهْلِكَهُ. وَتَحَقُّقُ ٱلرَّجَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مَبْلَغًا يُبْطِرُهُ وَيُسْكِرُهُ فَيَعْمَى(١٣) عَلَيْهِ أَمْرُهُ. وَلَسْتُ أَرَى لِي مِنْ هٰذَا ٱلْبَلَاءِ مُخَلِّصًا إِلَّا مُصَالَحَةَ ٱلسِّنَّوْرِ فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ(١٤) بِهِ مِنَ ٱلْبَلَاءِ مِثْلُ مَا قَدْ نَزَلَ بِي

---

(١) يمشي على هينته (٢) خائف (٣) احاطبي (٤) تعاونت (٥) يفزعني (٦) الحيرة (٧) متبددًا من الخوف (٨) اي لا يخاف (٩) اصابة (١٠) اي لا يغيب (١١) قعره (١٢) اي غاية جهده (١٣) يلتبس (١٤) حلّ

أَوْ بَعْضَهُ. وَلَعَلَّنَا إِنْ سَمِعَ كَلَامِيَ الَّذِي أُكَلِّمُهُ بِهِ وَوَعَى(١) عَنِّي صَحِيحَ خِطَابِي وَمَحْضَ(٢) صِدْقِيَ الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَا خِدَاعَ مَعَهُ فَفَهِمَهُ وَطَمِعَ فِي مَعُونَتِي إِيَّاهُ نَخْلُصُ جَمِيعًا

ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ دَنَا مِنَ السِّنَّوْرِ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ حَالُكَ. قَالَ لَهُ السِّنَّوْرُ كَمَا تُحِبُّ فِي ضَنْكٍ(٣) وَضِيقٍ. قَالَ وَأَنَا الْيَوْمَ شَرِيكُكَ فِي الْبَلَاءِ. وَلَسْتُ أَرْجُو لِنَفْسِي خَلَاصًا إِلَّا بِالَّذِي أَرْجُو لَكَ فِيهِ الْخَلَاصَ وَكَلَامِي هٰذَا لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلَا خَدِيعَةٌ. وَابْنُ عِرْسٍ هَا هُوَ كَامِنٌ(٤) لِي وَالْبُومُ يَرْصُدُنِي(٥) وَكِلَاهُمَا لِي وَلَكَ عَدُوٌّ. وَإِنِّي وَإِيَّاكَ وَإِنْ كُنَّا مُخْتَلِفَيِ الطِّبَاعِ لٰكِنَّا مُتَّفِقَا الْحَالَةِ. وَالَّذِينَ حَالَتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَطِبَاعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ تَجْمَعُهُمُ الْحَالَةُ وَإِنْ فَرَّقَتْهُمُ الطِّبَاعُ فَإِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِي الْأَمَانَ قَطَّعْتُ حَبَائِلَكَ وَخَلَّصْتُكَ مِنْ هٰذِهِ الْوَرْطَةِ(٦). فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ تَخَلَّصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِسَبَبِ صَاحِبِهِ كَالسَّفِينَةِ وَالرُّكَّابِ فِي الْبَحْرِ فَبِالسَّفِينَةِ يَنْجُونَ وَبِهِمْ تَنْجُو السَّفِينَةُ

فَلَمَّا سَمِعَ السِّنَّوْرُ كَلَامَ الْجُرَذِ وَعَرَفَ أَنَّهُ صَادِقٌ قَالَ لَهُ

---

(١) حفظ (٢) خالص (٣) ضعف (٤) مستتر (٥) يرقبني
(٦) الشدة وقد مرّ

إِنَّ قَوْلَكَ هٰذا لَشَبِيهٌ بِالْحَقِّ وَأَنا أَيْضًا راغِبٌ فِيما أَرْجُو لَكَ وَلِنَفْسِي بِهِ الْخَلاصَ. ثُمَّ إِنِّي إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ سَأَشْكُرُكَ ما بَقِيتُ قالَ الْجُرَذُ فَإِنِّي سَأَدْنو مِنْكَ فَأَقْطَعُ الْحَبائِلَ كُلَّها إِلَّا حَبْلًا واحِدًا أُبْقِيهِ لِأَسْتَوْثِقَ لِنَفْسِي(١) مِنْكَ وَأَخَذَ فِي تَقْرِيضِ(٢) حَبائِلِهِ ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ وَابْنَ عِرْسٍ لَمَّا رَأَيا دُنُوَّ الْجُرَذِ مِنَ السِّنَّوْرِ أَيِسا(٣) مِنْهُ وَانْصَرَفا* ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَبْطَأَ عَلَى رُومِيٍّ فِي قَطْعِ الْحَبائِلِ. فَقالَ لَهُ ما لِي لا أَراكَ جادًّا فِي قَطْعِ حَبائِلِي. فَإِنْ كُنْتَ قَدْ ظَفِرْتَ بِحاجَتِكَ فَتَغَيَّرْتَ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ وَتَوانَيْتَ(٤) فِي حاجَتِي فَما ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّ الْكَرِيمَ لا يَتَوانَى فِي حَقِّ صاحِبِهِ وَقَدْ كانَ لَكَ فِي سابِقِ مَوَدَّتِي مِنَ الْفائِدَةِ وَالنَّفْعِ ما قَدْ رَأَيْتَ وَأَنْتَ حَقِيقٌ(٥) أَنْ تُكافِئَنِي بِذٰلِكَ وَلا تَذْكُرَ الْعَداوَةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ. فَالَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصُّلْحِ حَقِيقٌ أَنْ يُنْسِيَكَ ذٰلِكَ مَعَ ما فِي الْوَفاءِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ وَما فِي الْغَدْرِ مِنْ سُوءِ الْعاقِبَةِ. فَإِنَّ الْكَرِيمَ لا يَكُونُ إِلَّا شَكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ تُنْسِيهِ الْخَلَّةُ(٦) الْواحِدَةُ مِنَ الْإِحْسانِ الْخِلالَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الْإِساءَةِ. وَقَدْ يُقالُ

---

(١) اي لاستأمن عليها (٢) تقطيع (٣) قطعا الرجاء (٤) اي لم تهتم (٥) اهل (٦) الخصلة

إِنَّ أَعْجَلَ الْعُقُوبَةِ عُقُوبَةُ الْغَدْرِ. وَمَنْ إِذَا تُضُرِّعَ إِلَيْهِ وَسُئِلَ الْعَفْوَ فَلَمْ يَرْحَمْ وَلَمْ يَعْفُ فَقَدْ غَدَرَ * قَالَ الْجُرَذُ إِنَّ الصَّدِيقَ صَدِيقَانِ طَائِعٌ وَمُضْطَرٌّ(١) وَكِلَاهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْمَنْفَعَةَ وَيَحْتَرِسَانِ مِنَ الْمَضَرَّةِ. فَأَمَّا الطَّائِعُ فَيُسْتَرْسَلُ(٢) إِلَيْهِ وَيُؤْمَنُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَأَمَّا الْمُضْطَرُّ فَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يُسْتَرْسَلُ إِلَيْهِ وَفِي بَعْضِهَا يُتَحَذَّرُ مِنْهُ. وَلَا يَزَالُ الْعَاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حَاجَاتِهِ(٣) لِبَعْضِ مَا يَتَّقِي وَيَخَافُ. وَلَيْسَ غَايَةُ التَّوَاصُلِ مِنْ كُلٍّ مِنَ الْمُتَوَاصِلَيْنِ إِلَّا طَلَبَ عَاجِلِ النَّفْعِ وَبُلُوغِ مَأْمُولِهِ(٤). وَأَنَا وَافٍ لَكَ بِمَا وَعَدْتُكَ وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ أَخَافُكَ تَخَوُّفَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ مَا أَلْجَأَنِي خَوْفُهُ إِلَى مُصَالَحَتِكَ وَأَلْجَأَكَ إِلَى قَبُولِ ذَلِكَ مِنِّي فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حِينًا. فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ فِي حِينِهِ فَلَا حُسْنَ لِعَاقِبَتِهِ. وَأَنَا قَاطِعٌ حَبَائِلَكَ كُلَّهَا غَيْرَ أَنِّي تَارِكٌ عُقْدَةً أَرْتَهِنُكَ بِهَا وَلَا أَقْطَعُهَا إِلَّا فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَعْلَمُ أَنَّكَ فِيهَا عَنِّي مَشْغُولٌ وَذَلِكَ عِنْدَ مُعَايَنَتِي الصَّيَّادَ * ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَطْعِ حَبَائِلِ السِّنَّوْرِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ وَافَى الصَّيَّادُ. فَقَالَ لَهُ السِّنَّوْرُ الْآنَ جَاءَ

(١) محتاج (٢) اي يركن اليه ويوثق به (٣) اي ياخذها رهنًا
(٤) اي ما يرجوه

وَقْتُ ٱلْجِدِّ فِي قَطْعِ حَبَائِلِي فَجَهَدَ ٱلْجُرَذُ نَفْسَهُ[1] فِي ٱلْقَرْضِ[2] حَتَّى إِذَا فَرَغَ وَثَبَ ٱلسِّنَّوْرُ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ عَلَى دَهَشٍ مِنَ ٱلصَّيَّادِ وَدَخَلَ ٱلْجُرَذُ بَعْضَ ٱلْأَجْحَارِ[3] وَجَاءَ ٱلصَّيَّادُ فَأَخَذَ حَبَائِلَهُ مُقَطَّعَةً ثُمَّ ٱنْصَرَفَ خَائِبًا

ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ خَرَجَ بَعْدَ ذٰلِكَ وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُوَ مِنَ ٱلسِّنَّوْرِ. فَنَادَاهُ ٱلسِّنَّوْرُ أَيُّهَا ٱلصَّدِيقُ ٱلنَّاصِحُ ذُو ٱلْبَلَاءِ[4] ٱلْحَسَنِ عِنْدِي مَا مَنَعَكَ مِنَ ٱلدُّنُوِّ إِلَيَّ لِأُجَازِيَكَ بِأَحْسَنِ مَا أَسْدَيْتَ[5] إِلَيَّ، هَلُمَّ[6] إِلَيَّ وَلَا تَقْطَعْ إِخَائِي[7] فَإِنَّهُ مَنِ ٱتَّخَذَ صَدِيقًا وَقَطَعَ إِخَاءَهُ وَأَضَاعَ صَدَاقَتَهُ حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَائِهِ وَأَيِسَ مِنْ نَفْعِهِ ٱلْإِخْوَانُ وَٱلْأَصْدِقَاءُ وَإِنَّ يَدَكَ[8] عِنْدِي لَا تُنْسَى وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكَافَأَةَ ذٰلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَانِي وَأَصْدِقَائِي وَلَا تَخَافَ مِنِّي شَيْئًا وَٱعْلَمْ أَنَّ مَا قِبَلِي[9] لَكَ مَبْذُولٌ[10]. ثُمَّ حَلَفَ وَٱجْتَهَدَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا قَالَ ☆ فَنَادَاهُ ٱلْجُرَذُ رُبَّ صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عَدَاوَةٌ كَامِنَةٌ وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلظَّاهِرَةِ. وَمَنْ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْهَا وَقَعَ مَوْقِعَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَرْكَبُ نَابَ ٱلْفِيلِ ٱلْهَائِجِ ثُمَّ يَغْلِبُهُ ٱلنُّعَاسُ

---

(١) اي جدّ وبذل قدرته (٢) القطع (٣) الاوكار (٤) الصنيع
(٥) احسنت (٦) كلمة بمعنى الدعاء الى الشيء كتعال (٧) صداقتي
(٨) احسانك (٩) اي ما عندي (١٠) موهوب

فيستيقظ تحت فراسن[1] الفيل فيدوسه ويقتله. وإنما سمي الصديق صديقاً لما يرجى من صدقه ونفعه وسمي العدو عدواً لما يخاف من اعتدائه وضرره. والعاقل إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة وإذا خاف ضر الصديق أظهر له العداوة. ألا ترى تتبع البهائم أماتها رجاء ألبانها فإذا انقطع ذلك انصرفت عنها وربما قطع الصديق عن صديقه بعض ما كان يصله منه فلم يخف شره لأن أصل أمره لم يكن عداوة. فأما من كان أصل أمره عداوة جوهرية[2] ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فإنه إذا زالت الحاجة التي حملته[3] على ذلك زالت صداقته فتحولت[4] وصارت إلى أصل أمره. كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد بارداً. وليس من أعدائي عدو أضر لي منك وقد اضطرني وإياك حاجة إلى ما أحدثنا من المصالحة وقد ذهب الأمر الذي احتجت إلي واحتجت إليك فيه. وأخاف أن يكون مع ذهابه عود العداوة. ولا خير للضعيف في قرب العدو القوي ولا للذليل في قرب العدو العزيز. ولا أعلم لك قبلي

---

(١) جمع فرسن وهو للفيل كالقدم للانسان (٢) اصلية (٣) اغرته وحرضته
(٤) انصرفت

حاجةً إلاَّ أنْ تكونَ تريدُ أكلي. ولا أعلمُ لي قبلَكَ حاجةً وليسَ عندي بكَ ثقةٌ: فإنّي قد علمتُ أنَّ الضعيفَ المحترِسَ منَ العدوّ القويّ أقربُ إلى السلامةِ منَ القويّ إذا اغترَّ بالضعيفِ واسترسلَ إليهِ. والعاقلُ يصالحُ عدوَّهُ إذا اضطُرَّ إليهِ ويصانعهُ[١] ويظهرُ لهُ ودَّهُ ويريهِ منْ نفسهِ الاسترسالَ إليهِ إذا لمْ يجدْ منْ ذلكَ بدًّا ثمَّ يعجّلُ الانصرافَ عنهُ حينَ يجدُ إلى ذلكَ سبيلاً

واعلمْ أنَّ سريعَ الاسترسالِ[٢] لا تُقالُ عثرتُهُ[٣]. والعاقلُ يفي لمنْ صالحهُ منْ أعدائهِ بما جعلَ لهُ منْ نفسهِ ولا يثقُ بهِ كلَّ الثقةِ ولا يأمنهُ على نفسهِ معَ القربِ منهُ وينبغي أنْ يبعدَ عنهُ ما استطاعَ. وأنا أودُّكَ منْ بعيدٍ وأحبُّ لكَ منَ البقاءِ والسلامةِ ما لمْ أكنْ أحبُّهُ لكَ منْ قبلُ وليسَ عليكَ أنْ تجازيني على صنيعي[٤] إلاَّ بمثلِ ذلكَ إذْ لا سبيلَ إلى اجتماعنا والسلامُ

(١) يداريه ويداهنه (٢) الاركان (٣) اي لا يرفع منها (٤) احساني

باب
الْمَلِكِ وَالطَّائِرِ فَنْزَةَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبا الْفَيلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا الْمَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ التِّراتِ[١] الَّذِينَ لا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنِ اتِّقاءِ[٢] بَعْضٍ

قالَ بَيْدَبا زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ كانَ يُقالُ لَهُ بَرِيدُونُ وَكانَ لَهُ طائِرٌ يُقالُ لَهُ فَنْزَةُ وَكانَ لَهُ فَرْخٌ . وَكانَ هٰذا الطَّائِرُ وَفَرْخُهُ يَنْطِقانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ وَكانَ الْمَلِكُ بِهِما مُعْجَبًا[٣] فَأَمَرَ بِهِما أَنْ يُجْعَلا عِنْدَ امْرَأَتِهِ وَأَمَرَها بِالْمُحافَظَةِ عَلَيْهِما . وَاتَّفَقَ أَنَّ امْرَأَةَ الْمَلِكِ كانَتْ حامِلًا فَوَلَدَتْ غُلامًا فَأَلِفَ الْفَرْخُ الْغُلامَ وَكِلاهُما طِفْلانِ يَلْعَبانِ جَمِيعًا . وَكانَ فَنْزَةُ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْجَبَلِ فَيَأْتِي بِفاكِهَةٍ لا تُعْرَفُ فَيُطْعِمُ ابْنَ الْمَلِكِ شَطْرَها[٤] وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَها . فَأَسْرَعَ ذٰلِكَ فِي نَشْأَتِهِما وَشَبابِهِما وَبانَ عَلَيْهِما أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ فَازْدادَ لِفَنْزَةَ إِكْرامًا

---

(١) اصحاب الدم والحقد (٢) اي من حذر وخوف (٣) مسرورا
(٤) نصفها

وَتَعْظِيماً وَمَحَبَّةً . حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَفَنْزَةُ غَائِبٌ فِي اجْتِنَاءِ الثَّمَرَةِ وَفَرْخُهُ فِي حِجْرِ[1] الْغُلَامِ حَدَثَ[2] مِنَ الْفَرْخِ مَا أَغْضَبَ الْغُلَامَ فَأَخَذَهُ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ * ثُمَّ إِنَّ فَنْزَةَ أَقْبَلَ فَوَجَدَ فَرْخَهُ مَقْتُولاً فَصَاحَ وَحَزِنَ وَقَالَ قُبْحاً لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وَفَاءَ . وَيْلٌ لِمَنِ ابْتُلِيَ[3] بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا حُرْمَةَ[4] وَلَا يُحِبُّونَ أَحَداً وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا طَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ غَنَاءٍ وَاحْتَاجُوا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ فَيُكْرِمُونَهُ لِذَلِكَ . فَإِذَا ظَفِرُوا بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ فَلَا وُدَّ وَلَا إِخَاءَ وَلَا إِحْسَانَ وَلَا غُفْرَانَ ذَنْبٍ وَلَا مَعْرِفَةَ حَقٍّ . هُمُ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى الرِّيَاءِ[5] وَالْفُجُورِ وَهُمْ يَسْتَصْغِرُونَ مَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ عَظِيمِ الذُّنُوبِ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْيَسِيرَ[6] إِذَا خُولِفَتْ فِيهِ أَهْوَاؤُهُمْ . وَمِنْهُمْ هَذَا الْكَفُورُ[7] الَّذِي لَا رَحْمَةَ لَهُ الْغَادِرُ بِإِلْفِهِ وَأَخِيهِ * ثُمَّ وَثَبَ فِي شِدَّةِ حَنَقِهِ عَلَى وَجْهِ الْغُلَامِ فَفَقَأَ عَيْنَيْهِ . ثُمَّ طَارَ فَوَقَفَ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ

وَبَلَغَ الْمَلِكَ ذَلِكَ فَجَزِعَ[8] أَشَدَّ الْجَزَعِ . ثُمَّ طَمِعَ أَنْ يَحْتَالَ

---

(١) حضن (٢) حصل (٣) جرب وامتحن (٤) الحرمة فعل ما لا يحل فعله
(٥) التظاهر بخلاف ما في الباطن (٦) القليل (٧) الجاحد النعمة (٨) حزن

له فيهلكه . فركب من ساعته وتوجه إلى ناحية الطائر حتى وقف قريباً منه وناداه وقال له إنك آمن فانزل يا فنزة فقال له أيها الملك إن الغادر مأخوذ بغدره وإنه إن أخطأه[1] عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل[2] حتى إنه يدرك الأعقاب[3] وأعقاب الأعقاب وإن ابنك غدر بابني فعجلت له العقوبة * قال الملك قد لعمري[4] غدر ابني بابنك وقد تناصفنا[5] جميعاً فليس لك قبلنا[6] وليس لنا قبلك وتر[7] مطلوب فارجع إلينا آمناً ولا تخف * قال فنزة لست براجع إليك أبداً فإن ذوي الرأي قد نهوا عن قرب الموتور[8] . فإنه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته إياك إلا وحشة منه وسوء ظن به . فإنك لا تجد للحقود الموتور أماناً هو أوثق لك من الذعر[9] منه ولا أجود من البعد عنه والاتقاء[10] له أولى . وقد كان يقال إن العاقل يعد أبويه أصدقاء والإخوة رفقاء والأزواج ألفاء[11] والبنين ذكراً والبنات خصماء والأقارب غرماء[12] ويعد نفسه فريداً وحيداً .

---

(١) اي لم يصبه (٢) المتاخر (٣) الاولاد (٤) لديني او اقسم بديني
(٥) انصف كل منا الاخر من نفسه اي استوفى حقه منه (٦) عندنا وقد مر
(٧) ثار (٨) من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه (٩) الخوف (١٠) التحفظ
(١١) جمع اليف وهو الصديق المؤنس (١٢) جمع غريم وهو الخصم

وَأَنَا ٱلْفَرِيدُ ٱلْوَحِيدُ ٱلْغَرِيبُ ٱلطَّرِيدُ[١] قَدْ تَزَوَّدْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ عِبْأً[٢] ثَقِيلاً لا يَحْمِلُهُ مَعِي أَحَدٌ وَأَنَا ذَاهِبٌ فَعَلَيْكَ مِنِّي ٱلسَّلامُ * قَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدِ ٱجْتَزَيْتَ[٣] مِنَّا فِيمَا صَنَعْنَاهُ بِكَ أَوْ كَانَ صَنِيعُكَ بِنَا مِنْ غَيْرِ ٱبْتِدَاءٍ مِنَّا بِٱلْغَدْرِ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ . وَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ بَدَأْنَاكَ فَمَا ذَنْبُكَ وَمَا ٱلَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ ٱلثِّقَةِ بِنَا . هَلُمَّ فَٱرْجِعْ فَإِنَّكَ آمِنٌ * قَالَ فَنْزَةُ أَعْلَمُ أَنَّ ٱلْأَحْقَادَ لَهَا فِي ٱلْقُلُوبِ مَوَاضِعُ مُمَكَّنَةٌ مُوجِعَةٌ . فَٱلْأَلْسُنُ لا تَصْدُقُ فِي خَبَرِهَا عَنِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْقَلْبُ أَعْدَلُ شَهَادَةً عَلَى ٱللِّسَانِ مِنَ ٱللِّسَانِ عَلَى ٱلْقَلْبِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ قَلْبِي لا يَشْهَدُ لِلِسَانِكَ بِصِدْقِهِ وَلا قَلْبَكَ لِلِسَانِي

قَالَ ٱلْمَلِكُ أَلا تَعْلَمُ أَنَّ ٱلضَّغَائِنَ[٤] وَٱلْأَحْقَادَ تَكُونُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ ٱلنَّاسِ . فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ كَانَ عَلَى إِمَاتَةِ ٱلْحِقْدِ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى تَرْبِيَتِهِ * قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ ذٰلِكَ لَكَمَا ذَكَرْتَ وَلٰكِنْ لا يَنْبَغِي لِذِي ٱلرَّأْيِ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ٱلْمَوْتُورَ ٱلْحَقُودَ نَاسٍ مَا وُتِرَ[٥] بِهِ أَوْ مَصْرُوفٌ عَنْهُ . وَذُو ٱلرَّأْيِ يَتَخَوَّفُ ٱلْمَكْرَ

---

(١) المنفي والهارب (٢) حملاً (٣) اي جازيتنا على عملنا (٤) بمعنى الاحقاد (٥) اصيب

وَٱلْخَدِيعَةَ وَٱلْحِيلَ وَيَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْعَدُوِّ لَا يُسْتَطَاعُ بِٱلشِّدَّةِ وَٱلْمُكَابَرَةِ[1] حَتَّى يُصَادَ بِٱلرِّفْقِ وَٱلْمُلَايَنَةِ كَمَا يُصْطَادُ ٱلْفِيلُ ٱلْوَحْشِيُّ بِٱلْفِيلِ ٱلدَّاجِنِ[2] * قَالَ ٱلْمَلِكُ إِنَّ ٱلْعَاقِلَ ٱلْكَرِيمَ لَا يَتْرُكُ إِلْفَهُ وَلَا يَقْطَعُ إِخْوَانَهُ وَلَا يُضَيِّعُ ٱلْحِفَاظَ[3] وَإِنْ هُوَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ . حَتَّى إِنَّ هٰذَا ٱلْخُلُقَ يَكُونُ فِي أَوْضَعِ[4] ٱلدَّوَابِّ مَنْزِلَةً . فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱللَّعَّابِينَ يَلْعَبُونَ بِٱلْكِلَابِ ثُمَّ يَذْبَحُونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا وَيَرَى ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي قَدْ أَلِفَهُمْ ذٰلِكَ فَيَمْنَعُهُ مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ أُلْفَتُهُ إِيَّاهُمْ

قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ ٱلْأَحْقَادَ مَخُوفَةٌ حَيْثُ كَانَتْ وَأَخْوَفُهَا وَأَشَدُّهَا مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ ٱلْمُلُوكِ . فَإِنَّ ٱلْمُلُوكَ يَدِينُونَ[5] بِٱلِٱنْتِقَامِ وَيَرَوْنَ ٱلدَّرَكَ[6] وَٱلطَّلَبَ بِٱلْوِتْرِ مَكْرُمَةً وَفَخْرًا . وَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَغْتَرُّ[7] بِسُكُونِ ٱلْحِقْدِ إِذَا سَكَنَ . فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحِقْدِ فِي ٱلْقَلْبِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مُحَرِّكًا مَثَلُ ٱلْجَمْرِ ٱلْمَكْنُونِ[8] مَا لَمْ يَجِدْ حَطَبًا . فَلَيْسَ يَنْفَكُّ ٱلْحِقْدُ مُطَّلِعًا[9] إِلَى ٱلْعِلَلِ[10] كَمَا تَبْتَغِي ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ . فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً ٱسْتَعَرَ[11] ٱسْتِعَارَ ٱلنَّارِ فَلَا يُطْفِئُهُ حُسْنُ كَلَامٍ وَلَا

(١) المعاندة والمنازعة (٢) الاليف وقد مرّ (٣) المراعاة (٤) اخس وادنى (٥) يجعلون دينهم الانتقام (٦) اللحاق (٧) لاينخدع (٨) المستتر (٩) اي مديمًا النظر (١٠) الاسباب (١١) اتقد واشتعل

لِينٌ وَلا رِفْقٌ وَلا خُضُوعٌ وَلا تَضَرُّعٌ وَلا مُصَانَعَةٌ(١) وَلا شَيْءٌ دُونَ تَلَفِ(٢) الْأَنْفُسِ وَذَهَابِ الْأَرْوَاحِ . مَعَ أَنَّهُ رُبَّ وَاتِرٍ يَطْمَعُ فِي مُرَاجَعَةِ الْمَوْتُورِ لِمَا يَرْجُو أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ النَّفْعِ لَهُ وَالدَّفْعِ عَنْهُ . وَلٰكِنِّي أَنَا أَضْعَفُ مِنْ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ يَذْهَبُ بِهِ مَا فِي نَفْسِكَ * وَبَعْدُ فَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ لِي عَلَى مَا تَقُولُ مَا كَانَ ذٰلِكَ عَنِّي مُغْنِيًا(٣) أَيْضًا وَلا أَزَالُ فِي خَوْفٍ وَوَحْشَةٍ وَسُوءِ ظَنٍّ مَا اصْطَحَبْنَا(٤) فَلَيْسَ الرَّأْيُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا الْفِرَاقَ وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ(٥)

قَالَ الْمَلِكُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ ضَرًّا وَلا نَفْعًا . وَأَنَّهُ لا شَيْءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ صَغِيرًا وَلا كَبِيرًا يُصِيبُ أَحَدًا إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَكَمَا أَنَّ خَلْقَ مَا يُخْلَقُ وَوِلادَةَ مَا يُولَدُ وَبَقَاءَ مَا يَبْقَى لَيْسَ لِلْخَلائِقِ مِنْهُ شَيْءٌ كَذٰلِكَ فَنَاءُ مَا يَفْنَى وَهَلاكُ مَا يَهْلِكُ . وَلَيْسَ لَكَ فِي الَّذِي فَعَلْتَ بِابْنِي ذَنْبٌ وَلا لِابْنِي فِيمَا صَنَعَ بِابْنِكَ ذَنْبٌ . إِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ كُلُّهُ قَدَرًا مَقْدُورًا وَكِلانَا لَهُ عِلَّةٌ وَسَبَبٌ فَلا تُؤَاخِذْ بِمَا أَتَانَا بِهِ الْقَدَرُ * قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ الْقَدَرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ . لٰكِنْ لا يَمْنَعُ ذٰلِكَ الْحَازِمَ مِنْ تَوَقِّي الْمَخَاوِفِ

---

(١) مداراة ومداهنة (٢) هلاك (٣) اي ما كان ذلك يجدي نفعاً
(٤) اي مدة اصطحابنا (٥) ابلغك اباه

وَالاحْتِرَاسِ مِنَ الْمَكَارِهِ . وَإِلاَّ كَانَ الْمَرِيضُ غَيْرَ مُصِيبٍ فِي طَلَبِهِ الطَّبِيبَ وَكَانَ أَهْلُ الْمَصَائِبِ يَتْرُكُونَ النَّظَرَ فِيمَا فِيهِ الْفَرَجُ لَهُمْ . وَلا يَنْفَعُ الْحَذَرُ وَالاحْتِرَاسُ مَعَ الْقَضَاءِ لَكِنَّ الْعَاقِلَ يَجْمَعُ مَعَ التَّصْدِيقِ بِالْقَدَرِ الأَخْذَ بِالْحَزْمِ وَالْقُوَّةِ لَعَلَّ مَا يَسْتَسْلِمُ[١] إِلَيْهِ لا يَكُونُ مَقْدُوراً[٢] عَلَيْهِ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي بِغَيْرِ مَا فِي نَفْسِكَ . وَالأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ لِأَنَّ ابْنَكَ قَتَلَ ابْنِي وَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ ابْنِكَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَفِيَ[٣] بِقَتْلِي وَتَخْتِلَنِي[٤] عَنْ نَفْسِي وَالنَّفْسُ تَأْبَى الْمَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ الْفَاقَةُ[٥] بَلاءٌ وَالْحُزْنُ بَلاءٌ وَقُرْبُ الْعَدُوِّ بَلاءٌ وَفِرَاقُ الأَحِبَّةِ بَلاءٌ وَالسُّقْمُ بَلاءٌ وَالْهَرَمُ[٦] بَلاءٌ وَرَأْسُ الْبَلايَا كُلِّهَا الْمَوْتُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي نَفْسِ الْمُوجَعِ الْحَزِينِ مِمَّنْ ذَاقَ مِثْلَ مَا بِهِ . فَأَنَا مِمَّا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ لِلْمَثَلِ الَّذِي عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ وَلا خَيْرَ لِي فِي صُحْبَتِكَ . فَإِنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي بِابْنِكَ وَلَنْ أَتَذَكَّرَ صَنِيعَ ابْنِكَ بِابْنِي إِلاَّ أَحْدَثَ ذَلِكَ لِقُلُوبِنَا تَغْيِيراً * قَالَ الْمَلِكُ لا خَيْرَ فِي مَنْ لا يَسْتَطِيعُ الإِعْرَاضَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَلا يَنْسَاهُ

(١) ينقاد (٢) امراً محتوماً (٣) تنال حاجتك فتطيب نفسك (٤) تخدعني
(٥) الفقر (٦) الشيخوخة

وَيُهْمِلُهُ بِحَيْثُ لَا يَذْكُرُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي نَفْسِهِ مَوْقِعٌ * قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي فِي بَاطِنِ قَدَمِهِ قَرْحَةٌ(١) إِنْ هُوَ حَرَصَ عَلَى ٱلْمَشْيِ لَا بُدَّ أَنْ تَنْكَأَ(٢) قَرْحَتُهُ . وَٱلرَّجُلَ ٱلْأَرْمَدَ ٱلْعَيْنِ إِذَا ٱسْتَقْبَلَ بِهَا ٱلرِّيحَ تَعَرَّضَ لِأَنْ تَزْدَادَ رَمَدًا . وَكَذٰلِكَ ٱلْوَاتِرُ إِذَا دَنَا مِنَ ٱلْمَوْتُورِ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ . وَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ ٱلدُّنْيَا إِلَّا تَوَقِّي ٱلْمَهَالِكِ وَٱلْمَتَالِفِ(٣) وَتَقْدِيرُ(٤) ٱلْأُمُورِ وَقِلَّةُ ٱلِٱتِّكَالِ عَلَى ٱلْحَوْلِ(٥) وَٱلْقُوَّةِ وَقِلَّةُ ٱلِٱغْتِرَارِ بِمَنْ لَا يَأْمَنُ . فَإِنَّهُ مَنِ ٱتَّكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ فَحَمَلَهُ ذٰلِكَ عَلَى أَنْ يَسْلُكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلْمَخُوفَ فَقَدْ سَعَى فِي حَتْفِ(٦) نَفْسِهِ . وَمَنْ لَا يُقَدِّرُ لِطَاقَتِهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَحَمَّلَ نَفْسَهُ مَا لَا تُطِيقُ(٧) وَلَا تَحْمِلُ فَقَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ . وَمَنْ لَمْ يُقَدِّرْ لُقْمَتَهُ وَعَظَّمَهَا فَوْقَ مَا يَسَعُ فُوهُ فَرُبَّمَا غَصَّ بِهَا فَمَاتَ . وَمَنِ ٱغْتَرَّ بِكَلَامِ عَدُوِّهِ وَٱنْخَدَعَ لَهُ وَضَيَّعَ ٱلْحَزْمَ فَهُوَ أَعْدَى(٨) لِنَفْسِهِ مِنْ عَدُوِّهِ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ ٱلنَّظَرُ فِي ٱلْقَدَرِ(٩) ٱلَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ وَلَا مَا يُصْرَفُ عَنْهُ . وَلٰكِنْ عَلَيْهِ ٱلْعَمَلُ بِٱلْحَزْمِ وَٱلْأَخْذُ بِٱلْقُوَّةِ وَمُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ فِي ذٰلِكَ . وَٱلْعَاقِلُ لَا يَثِقُ بِأَحَدٍ مَا

---

(١) جراحة متقادمة (٢) تقشر (٣) بمعنى المهالك (٤) قياس (٥) القدرة (٦) هلاك (٧) اي ما يصعب عليها (٨) اشد عداوة (٩) قضاء الله وحكمه

ٱسْتَطَاعَ وَلا يُقِيمُ عَلَى خَوْفٍ يَجِدُ عَنْهُ مَذْهَبًا . وَأَنَا كَثِيرُ ٱلْمَذَاهِبِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَذْهَبَ وَجْهًا إِلَّا أَصَبْتُ فِيهِ مَا يُغْنِينِي . فَإِنَّ خِلَالًا(١) خَمْسًا مَنْ تَزَوَّدَهُنَّ كَفَيْنَهُ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَآنَسْنَهُ فِي كُلِّ غُرْبَةٍ وَقَرَّبْنَ لَهُ ٱلْبَعِيدَ وَأَكْسَبْنَهُ ٱلْمَعَاشَ وَٱلْإِخْوَانَ * أُولَاهُنَّ كَفُّ ٱلْأَذَى(٢) * وَٱلثَّانِيَةُ حُسْنُ ٱلْأَدَبِ * وَٱلثَّالِثَةُ مُجَانَبَةُ ٱلرِّيَبِ(٣) وَٱلرَّابِعَةُ كَرَمُ ٱلْخُلُقِ * وَٱلْخَامِسَةُ ٱلنُّبْلُ(٤) فِي ٱلْعَمَلِ * وَإِذَا خَافَ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا طَابَتْ نَفْسُهُ عَنِ ٱلْمَالِ(٥) وَٱلْأَهْلِ وَٱلْوَلَدِ وَٱلْوَطَنِ فَإِنَّهُ يَرْجُو ٱلْخَلَفَ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلَا يَرْجُو عَنِ ٱلنَّفْسِ خَلَفًا . وَشَرُّ ٱلْمَالِ مَا لَا إِنْفَاقَ مِنْهُ . وَشَرُّ ٱلْأَزْوَاجِ ٱلَّتِي لَا تُوَاتِي(٦) بَعْلَهَا . وَشَرُّ ٱلْوَلَدِ ٱلْعَاصِي ٱلْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ(٧) وَشَرُّ ٱلْإِخْوَانِ ٱلْخَاذِلُ(٨) لِأَخِيهِ عِنْدَ ٱلنَّكَبَاتِ(٩) وَٱلشَّدَائِدِ وَٱلَّذِي يُحْصِي(١٠) ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَتْرُكُ ٱلْحَسَنَاتِ . وَشَرُّ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِي يَخَافُهُ ٱلْبَرِيءُ وَلَا يُوَاظِبُ(١١) عَلَى حِفْظِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . وَشَرُّ ٱلْبِلَادِ بِلَادٌ لَا خِصْبَ(١٢) فِيهَا وَلَا أَمْنَ وَإِنَّهُ لَا أَمْنَ لِي عِنْدَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَلَا طُمَأْنِينَةَ لِي فِي جِوَارِكَ .

---

(١) خصالاً (٢) التعدي (٣) الشكوك ونحوها (٤) الذكاء والنجابة (٥) اي تركه (٦) اي لا توافق زوجها (٧) الذي لا يفي حق التربية (٨) التارك النصرة والمعونة (٩) المصائب (١٠) يعد (١١) يداوم (١٢) اي لا رفاهة عيش

ثُمَّ وَدَّعَ ٱلْمَلِكَ وَطَارَ

فَهٰذَا مَثَلُ ذَوِي ٱلْأَوْتَارِ[1] ٱلَّذِينَ لَا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ يَثِقَ بِبَعْضٍ

بَابُ
ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوِي ٱلنَّاسِكِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي يُرَاجِعُ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ عُقُوبَةٌ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ أَوْ جَفْوَةٌ[2] مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ ٱلْمَلِكَ لَوْ لَمْ يُرَاجِعْ مَنْ أَصَابَتْهُ مِنْهُ جَفْوَةٌ عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ظُلِمَ أَوْ لَمْ يُظْلَمْ لَأَضَرَّ ذٰلِكَ بِٱلْأُمُورِ. وَلٰكِنَّ ٱلْمَلِكَ حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ مَنِ ٱبْتُلِيَ بِذٰلِكَ وَيَخْبُرَ[3] مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُوثَقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمَانَتِهِ فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ حَقِيقٌ بِٱلْحِرْصِ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ. فَإِنَّ

(١) الثارات (٢) الجفوة نقيض الانس والمواصلة (٣) يختبر

ٱلْمُلْكَ لا يُسْتَطاعُ ضَبْطُهُ إِلاَّ مَعَ ذَوِي ٱلرَّأْيِ وَهُمُ ٱلْوُزَراءُ وَٱلْأَعْوانُ(١) . وَلا يُنْتَفَعُ بِٱلْوُزَراءِ وَٱلْأَعْوانِ إِلاَّ بِٱلْمَوَدَّةِ وَٱلنَّصِيحَةِ وَلا مَوَدَّةَ وَلا نَصِيحَةَ إِلاَّ لِذَوِي ٱلرَّأْيِ وَٱلْعَفافِ . وَأَعْمالُ ٱلسُّلْطانِ كَثِيرَةٌ وَٱلَّذِينَ يَحْتاجُ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلْعُمَّالِ وَٱلْأَعْوانِ كَثِيرُونَ . وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ ما ذَكَرْتُ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْعَفافِ قَلِيلٌ . فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْبُرَ وُزَراءَهُ وَذَوِي رَأْيِهِ وَيَرَى ما عِنْدَ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلتَّدْبِيرِ وَما يَنْطَوِي عَلَيْهِ . فَإِذا ٱسْتَقَرَّ ذٰلِكَ عِنْدَهُ جَعَلَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ ما يَصْلُحُ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُدَبِّرَهُ . وَأَنْ لا يُوَجِّهَ إِلَى ٱلْأَعْمالِ إِلاَّ مَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ وَأَمانَتِهِ وَعِفَّتِهِ . ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ إِنْفاذُ(٢) مَنْ يَثِقُ بِهِ لِلْكَشْفِ عَنْ أَعْمالِهِمْ وَتَفَقُّدِ أُمُورِهِمْ بِٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ حَتَّى لا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسانُ مُحْسِنٍ وَلا إِساءَةُ مُسِيءٍ . فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ تَهاوَنَ(٣) ٱلْمُحْسِنُ وَٱجْتَرَأَ ٱلْمُسِيءُ وَفِي عُرْضِ(٤) ذٰلِكَ تَهْلِكُ ٱلرَّعِيَّةُ وَيَفْسُدُ ٱلْمُلْكُ . وَٱلْمَثَلُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْأَسَدِ وَٱبْنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ . قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ ٱبْنَ آوَى كانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ

---

(١) المساعدون (٢) ارسال (٣) استخف (٤) جانب

الدِّحالِ [١] وَكانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا مَعَ بَناتِ آوى وَذِئابٍ وَثَعالِبَ وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ ما يَصْنَعْنَ وَلا يُغيرُ [٢] كَما يُغِرْنَ وَلا يُهْرِيقُ [٣] دَمًا وَلا يَأْكُلُ لَحْمًا وَلا يَظْلِمُ طَرْفَةَ عَيْنٍ * فَخاصَمَهُ تِلْكَ ٱلسِّباعُ وَقُلْنَ نَحْنُ لا نَرى سيرَتَكَ [٤] وَلا رَأْيَكَ ٱلَّذي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ مَعَ أَنَّ تَزَهُّدَكَ لا يُغْني عَنْكَ [٥] شَيْئًا • وَأَنْتَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَكونَ إِلَّا كَأَحَدِنا تَسْعى مَعَنا وَتَفْعَلُ فِعْلَنا • وَأَيُّ شَيْءٍ يُشْبِهُ كَفَّكَ عَنِ ٱلدِّماءِ وَعَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ * قالَ ٱبْنُ آوى إِنَّ صُحْبَتي إِيّاكُنَّ لا تُؤَثِّمُني [٦] إِذا لَمْ أُؤَثِّمْ نَفْسي لِأَنَّ ٱلْآثامَ لَيْسَتْ مِنْ قِبَلِ ٱلْأَماكِنِ وَٱلْأَصْحابِ وَلٰكِنَّها مِنْ قِبَلِ ٱلْقُلوبِ وَٱلْأَعْمالِ • وَلَوْ كانَ صاحِبُ ٱلْمَكانِ ٱلصّالِحِ يَكونُ عَمَلُهُ فيهِ صالِحًا وَصاحِبُ ٱلْمَكانِ ٱلسَّيِّءِ يَكونُ عَمَلُهُ فيهِ سَيِّئًا كانَ حينَئِذٍ مَنْ قَتَلَ ٱلنّاسِكَ في مِحْرابِهِ [٧] لَمْ يَأْثَمْ وَمَنِ ٱسْتَحْياهُ [٨] في مَعْرَكَةِ ٱلْقِتالِ أَثِمَ • وَإِنّي إِنَّما صَحِبْتُكُنَّ بِنَفْسي وَلَمْ أَصْحَبْكُنَّ بِقَلْبي وَأَعْمالي لِأَنّي أَعْرِفُ ثَمَرَةَ ٱلْأَعْمالِ فَلَزِمْتُ حالي • وَإِنَّما صَحِبْتُكُنَّ مَوَدَّةً مِنّي لَكُنَّ • فَإِنْ كانَتْ صُحْبَتي تَضُرُّكُنَّ فَٱلْأَماكِنُ وَٱلْمَواضِعُ كَثيرَةٌ

---

(١) جمع دحل وهو ثقب فمه ضيق واسفله متسع (٢) يغزو (٣) يريق
(٤) اي لا نعتقد سلوكك (٥) اي لا ينفعك (٦) اي لا توقعني في الاثم
(٧) غرفته (٨) استبقاه حيًا

وَثَبَتَ ابْنُ آوَى عَلَى حَالِهِ تِلْكَ وَاشْتَهَرَ بِالنُّسْكِ وَالتَّزَهُّدِ حَتَّى بَلَغَ ذٰلِكَ أَسَدًا كَانَ مَلِكَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ . فَرَغِبَ فِيهِ لِمَا بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ الْعَفَافِ وَالنَّزَاهَةِ وَالزُّهْدِ وَالْأَمَانَةِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَآنَسَهُ فَوَجَدَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى غَرَضِهِ . ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى صُحْبَتِهِ وَقَالَ لَهُ تَعْلَمُ أَنَّ عُمَّالِي (١) كَثِيرٌ وَأَعْوَانِي جَمٌّ غَفِيرٌ (٢) وَأَنَا مَعَ ذٰلِكَ إِلَى الْأَعْوَانِ مُحْتَاجٌ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ عَفَافٌ وَأَدَبٌ وَعَقْلٌ وَدِينٌ . وَقَدِ اخْتَبَرْتُكَ فَوَجَدْتُكَ كَذٰلِكَ فَازْدَدْتُ فِيكَ رَغْبَةً . وَأَنَا مُوَلِّيكَ (٣) مِنْ عَمَلِي جَسِيمًا وَرَافِعُكَ إِلَى مَنْزِلَةٍ شَرِيفَةٍ وَجَاعِلُكَ مِنْ خَاصَّتِي (٤) *قَالَ ابْنُ آوَى إِنَّ الْمُلُوكَ أَحِقَّاءُ (٥) بِاخْتِيَارِ الْأَعْوَانِ فِيمَا يَهْتَمُّونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ مِمَّنْ لَهُمُ الْخِبْرَةُ بِذٰلِكَ . وَهُمْ أَحْرَى (٦) أَنْ لَا يُكْرِهُوا (٧) عَلَى ذٰلِكَ أَحَدًا فَإِنَّ الْمُكْرَهَ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُبَالَغَةَ (٨) فِي الْعَمَلِ وَإِنِّي لِعَمَلِ السُّلْطَانِ كَارِهٌ وَلَيْسَ لِي بِهِ تَجْرِبَةٌ وَلَا بِالسُّلْطَانِ (٩) رِفْقٌ (١٠) وَأَنْتَ مَلِكُ السِّبَاعِ وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ عَدَدٌ

---

(١) جمع عامل وهو في اصطلاح ارباب السياسة الرئيس والوالي (٢) اي جمعٌ كثير (٣) اي جاعلك واليًا (٤) اي المقربين اليّ (٥) اي لهم الحق باختيار الاعوان اي بانتقاء المساعدين (٦) اولى (٧) اي لا يجبروا (٨) الاجتهاد (٩) بالتسلط (١٠) لطف وهو ضد العنف

كَثِيرٌ فِيهِمْ أَهْلُ نُبْلٍ (١) وَقُوَّةٍ وَلَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ حِرْصٌ وَعِنْدَهُمْ بِهِ وَبِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ. فَإِنِ اسْتَعْمَلْتَهُمْ أَغْنَوْا عَنْكَ (٢) وَاغْتَبَطُوا (٣) لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذٰلِكَ * قَالَ الْأَسَدُ دَعْ (٤) عَنْكَ هٰذَا فَإِنِّي غَيْرُ مُعْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ * قَالَ ابْنُ آوَى إِنَّمَا يَقْدِمُ عَلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ غَيْرَ هَائِبٍ رَجُلَانِ لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا. إِمَّا مُصَانِعٌ (٥) يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ. وَإِمَّا هَيِّنٌ (٦) لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ. وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ السُّلْطَانَ بِالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ غَيْرَ خَالِطٍ ذٰلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ فَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى ذٰلِكَ. لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ. أَمَّا الصَّدِيقُ فَيُنَافِسُهُ فِي مَنْزِلَتِهِ (٧) وَيَبْغِي عَلَيْهِ (٨) فِيهَا وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا. وَيَشِي (٩) عَلَيْهِ كَذِبًا. فَإِذَا لَقِيَتِ الْوِشَايَةُ أُذُنًا وَاعِيَةً (١٠) مِنَ الْمَلِكِ كَانَ فِي ذٰلِكَ هَلَاكُهُ. وَأَمَّا عَدُوُّ السُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ (١١) عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ وَإِغْنَائِهِ عَنْهُ فَيَعْمَلُ عَلَى هَلَاكِهِ (١٢) وَيَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (١٣) فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هٰذَانِ الصِّنْفَانِ فَقَدْ

---

(١) ذكاء ونجابة (٢) نفعوك (٣) حصلوا على حسن حال ومسرة (٤) اترك
(٥) مدار ومداهن (٦) ضعيف ذليل (٧) اي يعارضه ويرغب فيها
(٨) يظلمه (٩) من الوشاية وهي الافساد (١٠) اي قابلة لما تسمع
(١١) يحقد (١٢) اي يسعى فيه (١٣) اي ينتظر حوادث الدهر ليوقعه فيها

تعرض للهلاك

قال الأسد لا يكونن بغي أصحابي عليك وحسدهم إياك وعداوة أعدائي لك مما يعرض في نفسك[1] فأنت معي وأنا أكفيك ذلك[2] وأبلغ بك من درجات الكرامة والإحسان على قدر همتك* قال ابن آوى إن كان الملك يريد الإحسان إلي فليدعني[3] في هذه البرية أعيش آمنا قليل الهم. راضيا بعيشي من الماء والعشب. فإني قد علمت أن صاحب السلطان يصل إليه من الأذى والخوف في ساعة واحدة ما لا يصل إلى غيره في طول عمره وأنه يتصل إليه النفع ساعة واحدة ثم هو في الخوف سرمدا[4]. وإن قليلا من العيش في أمن وطمأنينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب[5]* قال الأسد قد سمعت مقالتك فلا تخف شيئا مما أراك تخاف منه. ولست أجد بدا من الاستعانة بك في أمري* قال ابن آوى أما إذا أبى[6] الملك إلا ذلك فليجعل الملك لي عهدا إن بغى علي أحد من أصحابه ممن هو فوقي مخافة على منزلته أو ممن هو دوني لينازعني[7]

(١) اي يخطر في بالك (٢) امنعه عنك (٣) يتركني (٤) دائمًا. (٥) تعب
(٦) اي لم يرد (٧) يخاصمني

عَلَى مَنْزِلَتِي. فَذَكَرَ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ مِنْهُمْ ذَاكِرٌ بِلِسَانِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ مَا يُرِيدُ بِهِ تَحْرِيشَ[1] ٱلْمَلِكِ عَلَيَّ. أَنْ لَا يَعْجَلَ فِي أَمْرِي وَأَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُ عِنْدَهُ مِنْ ذٰلِكَ وَيَفْحَصَ عَنْهُ ثُمَّ لِيَصْنَعْ مَا بَدَا لَهُ. فَإِذَا وَثِقْتُ مِنْهُ بِذٰلِكَ أَعَنْتُهُ بِنَفْسِي فِيمَا يَجِبُ إِطَاعَةً لَهُ وَعَمِلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي[2] بِنَصِيحَةٍ وَٱجْتِهَادٍ وَحَرَصْتُ عَلَى أَنْ لَا أَجْعَلَ لَهُ عَلَى نَفْسِي سَبِيلًا[3] * قَالَ ٱلْأَسَدُ لَكَ عَلَيَّ ذٰلِكَ وَزِيَادَةٌ. ثُمَّ وَلَّاهُ خَزَائِنَهُ[4] وَٱخْتَصَّ بِهِ[5] دُونَ أَصْحَابِهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ ٱلْأَسَدِ ذٰلِكَ غَاظَهُمْ وَسَاءَهُمْ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ[6] وَٱتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يُحَرِّشُوا عَلَيْهِ ٱلْأَسَدَ * وَكَانَ ٱلْأَسَدُ قَدِ ٱسْتَطَابَ لَحْمًا فَعَزَلَ[7] مِنْهُ مِقْدَارًا وَأَمَرَ ٱبْنَ آوَى بِٱلِٱحْتِفَاظِ بِهِ وَأَنْ يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ مَوْضِعِ طَعَامِهِ وَأَحْرَزِهِ[8] لِيُعَادَ عَلَيْهِ. فَأَخَذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِ ٱبْنِ آوَى فَخَبَأُوهُ فِيهِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. ثُمَّ حَضَرُوا يُكَذِّبُونَهُ إِذَا جَرَتْ فِي ذٰلِكَ حَالٌ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ دَعَا ٱلْأَسَدُ بِغَدَائِهِ فَفَقَدَ ذٰلِكَ

(١) اي القاء العداوة بيني وبينه (٢) اي فيما جعلني عليه واليًا (٣) اي حجة يعتلّ بها (٤) اي جعل له السلطة عليها (٥) اي فضله على غيره واحبه (٦) جعلوه جمعًا اي غير متفرّق (٧) نحّى وافرز (٨) امنعه

اللَّحْمَ وَالْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ. وَابْنُ آوى لَمْ يَشْعُرْ[١] بِمَا صُنِعَ فِي حَقِّهِ مِنَ الْمَكِيدَةِ وَهُوَ غَائِبٌ فِي خِدْمَةِ الْأَسَدِ وَأَشْغَالِهِ. فَحَضَرَ الَّذِينَ عَمِلُوا الْمَكِيدَةَ[٢] وَقَعَدُوا فِي الْمَجْلِسِ. ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ اللَّحْمِ وَشَدَّدَ فِيهِ وَفِي السُّؤَالِ عَنْهُ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ الْمُخْبِرِ النَّاصِحِ إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نُخْبِرَ الْمَلِكَ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ وَإِنْ شَقَّ[٣] ذٰلِكَ عَلَى مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ* وَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ آوى هُوَ الَّذِي ذَهَبَ بِاللَّحْمِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَأْكُلَهُ دُونَ الْمَلِكِ قَالَ الْآخَرُ مَا أَرَاهُ يَفْعَلُ هٰذَا. وَلٰكِنِ انْظُرُوا وَافْحَصُوا فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلَائِقِ شَدِيدَةٌ* فَقَالَ الْآخَرُ لَعَمْرِي مَا تَلْبَثُ السَّرَائِرُ[٤] أَنْ تُعْرَفَ. وَأَظُنُّكُمْ إِنْ فَحَصْتُمْ عَنْ هٰذَا وَجَدْتُمُ اللَّحْمَ فِي بَيْتِ ابْنِ آوى. وَكُلُّ شَيْءٍ يُذْكَرُ مِنْ عُيُوبِهِ وَخِيَانَتِهِ نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ* قَالَ الْآخَرُ لَئِنْ وَجَدْنَا هٰذَا حَقًّا لَمْ تَكُنْ[٥] بِالْخِيَانَةِ فَقَطْ وَلٰكِنْ مَعَ الْخِيَانَةِ كُفْرُ[٦] النِّعْمَةِ وَالْجَرَاءَةُ عَلَى الْمَلِكِ* قَالَ الْآخَرُ أَنْتُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُكَذِّبَكُمْ. وَلٰكِنْ سَيَتَبَيَّنُ هٰذَا لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِهِ مَنْ يُفَتِّشُهُ* قَالَ الْآخَرُ إِنْ كَانَ الْمَلِكُ

---

(١) اي لم يعلم (٢) المكر والاحتيال (٣) صعب (٤) الخفايا (٥) اي هذه الفعلة (٦) انكار

مفتشا منزله فليعجل فإن عيونه(١) وجواسيسه مبثوثة(٢) بكل مكان. ولم يزالوا في هذا الكلام وأشباهه حتى وقع(٣) في نفس الأسد ذلك. فأمر بابن آوى فحضر

فقال له أين اللحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به. قال دفعته(٤) إلى صاحب الطعام ليقربه إلى الملك. فدعا الأسد بصاحب الطعام وكان ممن شايع(٥) وبايع(٦) مع القوم على ابن آوى فقال ما دفع إلي شيئا. فأرسل الأسد أمينا إلى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللحم فأتى به الأسد. فدنا من الأسد ذئب لم يكن يتكلم في شيء من ذلك وكان يظهر أنه من العدول(٧) الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق. فقال بعد أن اطلع الملك على خيانة ابن آوى لا يعفون عنه(٨) فإنه إن عفا عنه لم يطلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب فأمر الأسد بابن آوى أن يخرج وإن لم يحتفظ به(٩). فقال بعض جلساء الملك إني لأعجب من رأي الملك ومعرفته بالأمور كيف يخفى عليه أمر هذا ولم يعرف

(١) جماعاته (٢) متفرقة (٣) أثر (٤) أعطيته (٥) تابع ووالى
(٦) عاهدهم وانقاد إليهم (٧) أي العادلين (٨) أي لا يتركن عقوبته
(٩) أي لا يجعل تحت الحفظ

خبه[(١)] ومخادعته · وأعجب من هذا أني أراه سيصفح عنه بعد الذي ظهر منه · فأرسل الأسد بعضهم رسولا إلى ابن آوى يلتمس منه العذر عن أمره · فرجع إليه الرسول برسالة كاذبة اختلقها[(٢)] · فغضب الأسد من ذلك وأمر بابن آوى أن يقتل* فعلمت أم الأسد أنه قد عجل في أمره فأرسلت إلى الذين أمروا بقتله أن يرجئوه[(٣)] · ودخلت على ابنها فقالت يا بني بأي ذنب أمرت بقتل ابن آوى فأخبرها بالأمر · فقالت يا بني عجلت وإنما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة وبالتثبت · والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأي ومن لم ينظر في أموره نظر مفكر كان نظره كنظر الذي يكون بعينيه سبل[(٤)] فيخيل له[(٥)] أن أمامهما كهيئة شعرة · وكان كالرجل الجاهل الذي يسمع صوت البعوضة[(٦)] في الليل فيظنها لشدة صوتها شيئا فإذا وصلت إليه علم أنها ليست بشيء · وليس أحد أحوج إلى التؤدة[(٧)] والتثبت من الملوك · فإن المرأة بزوجها والولد بوالديه والمتعلم بالمعلم والجند بالقائد والناسك

---

(١) خبثه وغشه (٢) افتراها (٣) يؤخروه (٤) شبه غشاوة تعرض في العين من انتفاخ عروق الملتحمة الباطنة فيكون الغشاء رقيقا يشبه نسج العنكبوت (٥) يتوهم (٦) واحدة البعوض وهو المعروف بالناموس (٧) الرزانة والتأني

بِالدِّينِ وَالْعامَّةَ بِالْمُلُوكِ وَالْمُلُوكَ بِالتَّقْوَى وَالتَّقْوَى بِالْعَقْلِ وَالْعَقْلَ بِالتَّثَبُّتِ وَالأَناةِ[١]. وَرَأْسُ الْحَزْمِ لِلْمَلِكِ مَعْرِفَةُ أَصْحابِهِ وَإِنْزالُهُمْ مَنازِلَهُمْ عَلَى طَبَقاتِهِمْ[٢] وَاتِّهامُهُ[٣] بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَلاكِ بَعْضٍ سَبِيلاً لَفَعَلَ

وَقَدْ جَرَّبْتَ ابْنَ آوَى وَبَلَوْتَ[٤] رَأْيَهُ وَأَمانَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مادِحاً لَهُ راضِياً عَنْهُ. وَقَدْ أَتْهَمْتَهُ بِشَيْءٍ لا صِحَّةَ لَهُ وَلا تَعْلَمُ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ عَمَلُ أَهْلِ الْكَذِبِ وَالْحَسَدِ وَالْخِيانَةِ مِنْ وُزَرائِكَ. لِأَنَّ الْمَلِكَ إِذا تَهاوَنَ فِي أَمْرِ وُزَرائِهِ وَتَغافَلَ عَنْهُمْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ ما تُكْرَهُ عاقِبَتُهُ. وَالْمَلِكُ أَخْبَرُ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ أَنَّ الأَشْرارَ يَحْسُدُونَ الأَخْيارَ وَيَرْقُبُونَهُمْ لِيُوقِعُوا بِهِمْ[٥]. وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَخِينَهُ[٦] بَعْدَ ارْتِضائِهِ إِيَّاهُ وَائْتِمانِهِ لَهُ. وَمُنْذُ مَجِيئِهِ إِلَى الآنَ لَمْ يَطَّلِعْ لَهُ عَلَى خِيانَةٍ إِلاَّ عَلَى الْعِفَّةِ وَالنَّصِيحَةِ وَما كانَ مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ أَنْ يُعَجِّلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طابَقِ[٧] لَحْمٍ. وَأَنْتَ أَيُّها الْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ تَنْظُرَ فِي حالِ ابْنِ آوَى وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَعَرَّضُ لِلَّحْمِ وَلا يَأْكُلُهُ فَكَيْفَ لِلَّحْمِ اسْتَوْدَعْتَهُ

---

(١) الحلم والرفق (٢) مراتبهم (٣) ادخاله التهمة والظن (٤) اختبرت
(٥) اي ليهلكوهم (٦) يحاول خيانته (٧) ظرف يطبخ فيه

إياه. ولعل الملك إن فحص عن ذلك ظهر له أن ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الأمر وهم الذين ذهبوا باللحم إلى بيته فوضعوه فيه. فإن الحدأة[١] إذا كان في رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطير. والكلب إذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب. وابن آوى منذ كان إلى اليوم نافع وكان محتملاً لكل ضرر في جنب منفعة تصل إليك ولكل عناء[٢] يكون لك فيه راحة ولم يكن يطوي[٣] دونك سراً

فبينما أم الأسد تقص عليه هذه المقالة إذ دخل عليه بعض ثقاته فأخبره ببراءة ابن آوى. فقالت أم الأسد إن الملك بعد أن اطلع على براءة ابن آوى حقيق أن لا يتساهل مع من سعى به[٤] لئلا يتجرأوا على ما هو أعظم من ذلك. ولكن يعاقبهم عليه لكي لا يعودوا إلى مثله. ولا تحتقر ما فعلوا معك فإن العشب وإن كان لا قوة له يصنع منه الحبل الذي يوثق[٥] به الفيل. فإنه لا ينبغي للعاقل أن يراجع في أمر الكفور[٦] للحسنى والجريء على الغدر والزاهد في الخير والذي لا يوقن[٧]

---

(١) طائر وقد مرّ (٢) تعب (٣) يكتم (٤) نمّ عليه ووشى به (٥) يقيد
(٦) الجاحد والمنكر (٧) لا يعلم

بِٱلْآخِرَةِ وَيَنْبَغِي أَنَّهُ يُجْزَى بِعَمَلِهِ · وَقَدْ عَرَفْتَ سُرْعَةَ ٱلْغَضَبِ وَفَرْطَ[1] ٱلْهَفْوَةِ[2] وَمَنْ سَخِطَ بِٱلْيَسِيرِ لَمْ يَبْلُغْ رِضاهُ بِٱلْكَثِيرِ · وَٱلْأَوْلَى لَكَ أَنْ تُرَاجِعَ ٱبْنَ آوى وَتَعْطِفَ عَلَيْهِ وَلا يُؤْيِسَنَّكَ[3] مِنْ مُناصَحَتِهِ ما فَرَطَ[4] مِنْكَ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْإِساءَةِ · فَإِنَّ مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ لا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حالٍ مِنَ ٱلْأَحْوالِ وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِٱلصَّلاحِ وَٱلْكَرَمِ وَحُسْنِ ٱلْعَهْدِ وَٱلشُّكْرِ وَٱلْوَفاءِ وَٱلْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ وَٱلسَّلامَةِ مِنَ ٱلْحَسَدِ وَٱلْبُعْدِ مِنَ ٱلْأَذى[5] وَٱلِاحْتِمالِ لِلْإِخْوانِ وَٱلْأَصْحابِ وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمُ ٱلْمُؤُونَةُ[6] · وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِٱلشَّراسَةِ وَلُؤْمِ ٱلْعَهْدِ وَقِلَّةِ ٱلشُّكْرِ وَٱلْوَفاءِ وَٱلْبُعْدِ عَنِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْوَرَعِ[7] وَٱتَّصَفَ بِٱلْجُحُودِ[8] لِثَوابِ[9] ٱلْآخِرَةِ وَعِقابِها · وَقَدْ عَرَفْتَ ٱبْنَ آوى وَجَرَّبْتَهُ وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُواصَلَتِهِ

فَدَعا ٱلْأَسَدُ بِٱبْنِ آوى وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ[10] مِمَّا كانَ مِنْهُ وَوَعَدَهُ خَيْرًا وَقالَ إِنِّي مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرادُّكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ · فَقالَ ٱبْنُ آوى أَوَلَيْسَ هذا ٱلَّذِي خِفْتُ مِنْهُ فِي أَوَّلِ ٱتِّصالِي بِكَ وَٱلَّذِي

---

(١) سبق وعجلة (٢) السقطة والزلة (٣) يقطع املك (٤) اسيء ما سبق وتقدم (٥) التعدي (٦) اي الكلفة (٧) التقوى (٨) الانكار (٩) الثواب الجزاء على الاعمال خيرًا او شرًا واكثر استعماله في ثواب الآخرة (١٠) اي احتج لنفسه بما يسقط عنها اللوم

لأَجْلِهِ امْتَنَعْتُ مِمَّا عَرَضْتَهُ عَلَيَّ مِنْ صُحْبَتِكَ وَتَوَلِّي خِدْمَتِكَ. وَإِنَّ شَرَّ الْأَخِلَّاءِ⁽¹⁾ مَنِ الْتَمَسَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ أَخِيهِ وَمَنْ كَانَ غَيْرَ نَاظِرٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ لِأَجْلِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ ذٰلِكَ بَيْنَ الْأَخِلَّاءِ* وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَيَّ مَا عَلِمَ وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَطْمَئِنَّ⁽²⁾ إِلَى مَنْ عَاقَبَهُ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ مِنْ نَزْعِهِ عَنْ عَمَلِهِ أَوْ أَخْذِ مَالِهِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ أَوْ مَنْ كَانَ لِلْكَرَامَةِ أَهْلًا⁽³⁾ فَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ ذٰلِكَ وَلَمْ يُعْطِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ. أَوْ كَانَ مَظْلُومًا وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَمْرِهِ. أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ فَلَمْ يُصِبْ مَا يَرْجُوهُ. أَوْ كَانَ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ اجْتَرَمُوا جَرِيمَةً⁽⁴⁾ هُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ فَأُخِذَ⁽⁵⁾ هُوَ بِهَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَخُلِّيَ سَبِيلُهُمْ⁽⁶⁾ فَأَمْثَالُ هٰؤُلَاءِ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْحَبَهُمْ. وَأَنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَحَدُ هٰؤُلَاءِ. فَلَعَلَّ الْمَلِكَ يَقُولُ إِنَّ ابْنَ آوَى لَا يَنْسَى الَّذِي لَقِيَهُ مِنَ الْهَوَانِ⁽⁷⁾ فَيَقْتَصُّ مِنِّي. وَأَنَا يَعْلَمُ اللّٰهُ أَنْ لَيْسَ فِي قَلْبِي شَيْءٌ مِنْ قِبَلِ هٰذَا وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَفْعَلُوا بِي ذٰلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَا يَغْلُظَنَّ⁽⁸⁾ عَلَى نَفْسِ الْمَلِكِ مَا أُخْبِرُهُ أَنِّي بِهِ غَيْرُ وَاثِقٍ وَأَنَّهُ لَا

---

(١) الاصدقاء (٢) يسكن ويؤمن (٣) مستحقاً (٤) اذنبوا ذنباً
(٥) عوقب (٦) اي تُركوا (٧) الذل والاحتقار (٨) لا يصعبن

يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْحَبَهُ * وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْحَبَ مَنْ كانَ مِثْلِي وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفُضَهُ أَصْلاً . فَإِنَّ ذا ٱلسُّلْطانِ(١) إِذا عُزِلَ كانَ مُسْتَحِقًّا لِلْكَرامَةِ في حالَةِ إِبْعادِهِ وَٱلإِقْصاءِ(٢) لَهُ * فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلأَسَدُ إِلَى كَلامِهِ ثُمَّ قالَ لَهُ إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِباعَكَ وَأَخْلاقَكَ وَجَرَّبْتُ أَمانَتَكَ وَوَفاءَكَ وَعَرَفْتُ كَذِبَ مَنْ مَحَلَ بِكَ(٣) وَإِنِّي مُنْزِلُكَ مِنْ نَفْسِي مَنْزِلَةَ ٱلأَخْيارِ ٱلْكُرَماءِ وَٱلْكَرِيمُ تُنْسِيهِ ٱلْخَلَّةُ(٤) ٱلْواحِدَةُ مِنَ ٱلإِحْسانِ ٱلْخِلالَ ٱلْكَثِيرَةَ مِنَ ٱلإِساءَةِ . وَقَدْ عُدْنا إِلَى ٱلثِّقَةِ بِكَ فَعُدْ إِلَى ٱلثِّقَةِ بِنا فَإِنَّهُ كائِنٌ لَنا وَلَكَ بِذٰلِكَ غِبْطَةٌ وَسُرُورٌ * فَعادَ ٱبْنُ آوى إِلَى وِلايَةِ ما كانَ يَلِي(٥) وَضاعَفَ لَهُ ٱلأَسَدُ ٱلْكَرامَةَ وَلَمْ تَزِدْهُ ٱلأَيّامُ إِلاَّ تَقَرُّبًا مِنْهُ

بابُ
ٱللَّبُؤَةِ(٦) وَٱلإِسْوارِ(٧) وَٱلشَّعْهَرِ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ

(١) صاحب السلطة (٢) اي والمبالغة في ابعاده (٣) اي كادك بسعاية
(٤) الخصلة وقدمرَّ (٥) اي الى ما كان يملك امره ويقوم به (٦) انثى الاسد
(٧) الصياد الجيد الرمي بالسهام

فَٱضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ مَنْ يَدَعُ ضَرَّ غَيْرِهِ إِذا قَدَرَ عَلَيْهِ بِما يُصِيبُهُ مِنَ ٱلضَّرَرِ وَيَكُونُ لَهُ مِمَّا يَنْزِلُ بِهِ واعِظٌ وَزاجِرٌ عَنِ ٱرْتِكابِ ٱلظُّلْمِ وَٱلْعَداوَةِ لِغَيْرِهِ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّهُ لا يُقْدِمُ عَلَى طَلَبِ ما يَضُرُّ بِٱلنَّاسِ وَما يَسُوءُهُمْ إِلاَّ أَهْلُ ٱلْجَهالَةِ وَٱلسَّفَهِ⁽¹⁾ وَسُوءِ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْعَواقِبِ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرَةِ وَقِلَّةِ ٱلْعِلْمِ بِما يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ مِنْ حُلُولِ ٱلنِّقْمَةِ⁽²⁾ وَبِما يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَبِعَةِ⁽³⁾ ما ٱكْتَسَبُوا مِمَّا لا تُحِيطُ بِهِ ٱلْعُقُولُ. وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنْ ضَرَرِ بَعْضٍ بِٱتِّفاقٍ عَرَضَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَبالُ⁽⁴⁾ ما صَنَعَ لَمْ يَسْلَمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ. فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي ٱلْعَواقِبِ لَمْ يَأْمَنِ ٱلْمَصائِبَ وَكانَ حَقِيقًا أَنْ لا يَسْلَمَ مِنَ ٱلْمَعاطِبِ⁽⁵⁾. وَرُبَّما ٱتَّعَظَ ٱلْجاهِلُ وَٱعْتَبَرَ⁽⁶⁾ بِما يُصِيبُهُ مِنَ ٱلْمَضَرَّةِ مِنَ ٱلْغَيْرِ فَٱرْتَدَعَ⁽⁷⁾ عَنْ أَنْ يَغْشَى⁽⁸⁾ أَحَدًا بِمِثْلِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلظُّلْمِ وَٱلْعُدْوانِ وَحَصَلَ لَهُ نَفْعُ ما كَفَّ عَنْهُ مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي ٱلْعاقِبَةِ * وَمِثْلُ ذٰلِكَ حَدِيثُ ٱللَّبُؤَةِ وَٱلْإِسْوارِ وَٱلشَّعْهَرِ

قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

---

(١) الخفة والطيش (٢) المكافاة بالعقوبة (٣) لحوق شر وضرر (٤) شدة وسوء عاقبة (٥) المهالك (٦) بمعنى اتعظ (٧) انكف (٨) يأتي

قال الفيلسوف زعموا ان لبوة كانت في غيضة[1] ولها شبلان[2] وانها خرجت في طلب الصيد وخلفتهما[3] في كهفهما[4] فمر بهما اسوار فحمل[5] عليهما ورماهما[6] فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما[7] وانصرف بهما الى منزله. ثم انها رجعت فلما رأت ما حل[8] بهما من الامر الفظيع[9] اضطربت ظهرا لبطن وصاحت وضجت. وكان الى جنبها شعهر فلما سمع ذلك من صياحها قال لها ما هذا الذي تصنعين وما نزل بك اخبريني به. قالت اللبوة شبلاي مر بهما اسوار فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما ونبذهما[10] في العراء[11]. قال لها الشعهر لا تضجي وانصفي من نفسك[12] واعلمي ان الدنيا دار مكافاة ففاعل الخير يحمده وفاعل الشر يجني ثمره. وان هذا الاسوار لم يأت اليك[13] شيئا الا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله وتأتين مثل ذلك الى غير واحد ممن كان يجد[14] بحميمه[15] ومن يعز

---

(١) مجتمع شجر (٢) مثنى شبل وهو ولد الاسد (٣) تركتهما (٤) ملجأها اي محل اقامتها (٥) كر (٦) اي بالسهام (٧) اي شدهما في مؤخر رحل ركوبته (٨) نزل (٩) الشنيع (١٠) طرحهما (١١) الفضاء لا يستتر فيه بشيء (١٢) اي استوفي حقك منها (١٣) يفعل بك (١٤) يحزن (١٥) اسي بقريبه الذي يهتم بامره

عَلَيْهِ مِثْلَ ما تَجِدِينَ بِشِبْلَيْكِ. فَاصْبِرِي مِنْ غَيْرِكِ(١) عَلَى ما صَبَرَ غَيْرُكِ عَلَيْهِ مِنْكِ. فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ كَما تَدِينُ تُدانُ(٢) وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ ٱلثَّوابِ وَٱلْعِقابِ وَهُما عَلَى قَدَرِهِ فِي ٱلْكَثْرَةِ وَٱلْقِلَّةِ كَالزَّرْعِ إِذا حَضَرَ ٱلْحَصادُ أَعْطَى عَلَى حَسَبِ بَذْرِهِ

قالَتِ ٱللَّبُؤَةُ بَيِّنْ لِي ما تَقُولُ وَأَفْصِحْ لِي عَنْ إِشارَتِهِ. قالَ ٱلشَّعْهَرُ كَمْ أَتَى لَكِ مِنَ ٱلْعُمْرِ قالَتِ ٱللَّبُؤَةُ كَذا وَكَذا سَنَةً. قالَ ٱلشَّعْهَرُ ما كانَ قُوتُكِ فِيهِ. قالَتِ ٱللَّبُؤَةُ لَحْمَ ٱلْوَحْشِ. قالَ ٱلشَّعْهَرُ وَمَنْ كانَ يُطْعِمُكِ إِيَّاهُ. قالَتِ ٱللَّبُؤَةُ كُنْتُ أَصِيدُ ٱلْوَحْشَ وَآكُلُهُ. قالَ ٱلشَّعْهَرُ أَرَأَيْتِ ٱلْوُحُوشَ ٱلَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَ أَما كانَ لَها آباءٌ وَأُمَّهاتٌ. قالَتْ بَلَى. قالَ ٱلشَّعْهَرُ فَما بالِي(٣) لا أَرَى وَلا أَسْمَعُ لِأُولئِكَ ٱلْآباءِ وَٱلْأُمَّهاتِ مِنَ ٱلْجَزَعِ(٤) ما أَرَى وَأَسْمَعُ لَكِ. أَما إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِكِ ما نَزَلَ إِلَّا لِسُوءِ نَظَرِكِ فِي ٱلْعَواقِبِ وَقِلَّةِ تَفَكُّرِكِ فِيها وَجَهالَتِكِ بِما يَرْجِعُ عَلَيْكِ مِنْ ضَرِّها. فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱللَّبُؤَةُ ذٰلِكَ مِنْ كَلامِ ٱلشَّعْهَرِ عَرَفَتْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا جَنَتْ عَلَى نَفْسِها(٥) وَأَنَّ عَمَلَها كانَ جَوْرًا وَظُلْمًا. فَتَرَكَتِ ٱلصَّيْدَ

---

(١) اي على ما اصابك منه (٢) اي كما تذل تذل (٣) اي ما شاني او ما حالي
(٤) اي من عدم الصبر (٥) اي مما جرّته اليها من الذنوب

وَانْصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ إِلَى أَكْلِ الثِّمَارِ وَالنُّسْكِ(١) وَالْعِبَادَةِ فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ وَرَشَانٌ(٢) كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَكَانَ عَيْشُهُ مِنَ الثِّمَارِ. قَالَ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّجَرَ عَامَنَا(٣) هٰذَا لَمْ تَحْمِلْ لِقِلَّةِ الْمَاءِ. فَلَمَّا أَبْصَرْتُكِ تَأْكُلِينَهَا وَأَنْتِ آكِلَةُ اللَّحْمِ فَتَرَكْتِ رِزْقَكِ وَطَعَامَكِ وَمَا قَسَمَ اللّٰهُ لَكِ وَتَحَوَّلْتِ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكِ فَانْتَقَصْتِهِ(٤) وَدَخَلْتِ عَلَيْهِ فِيهِ(٥). عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَ الْعَامَ أَثْمَرَتْ كَمَا كَانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ الْيَوْمِ وَإِنَّمَا أَتَتْ قِلَّةُ الثَّمَرِ مِنْ جِهَتِكِ. فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثِّمَارِ وَوَيْلٌ لِمَنْ عَيْشُهُمْ مِنْهَا مَا أَسْرَعَ هَلَاكَهُمْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا لِأَكْلِهَا * فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبُوءَةُ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ الْوَرَشَانِ تَرَكَتْ أَكْلَ الثِّمَارِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى أَكْلِ الْعُشْبِ وَالْعِبَادَةِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا انْصَرَفَ بِضُرٍّ يُصِيبُهُ عَنْ ضُرِّ النَّاسِ كَاللَّبُوءَةِ الَّتِي انْصَرَفَتْ لِمَا لَقِيَتْ فِي

(١) البعد عن العادة (٢) طائر يقال ساق حر وهو ذكر القماري لان حكاية صوته ساق حر او الساق الحمام والحر فرخه يعني انه فرخ الحمام (٣) اي في عامنا (٤) اخذت منه (٥) اي اتيته دخيلاً والدخيل من دخل في قوم وانتسب اليهم وليس منهم يعني انها دخيلة في الامر

شبليها عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان وأقبلت على النسك والعبادة

والناس أحق بحسن النظر في ذلك فإنه قد قيل ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك فإن في ذلك العدل وفي العدل رضى الله تعالى ورضى الناس

باب

إيلاذ وبلاذ وإيراخت

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلاً في الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبت بها سلطانه ويكون ذلك رأس أمره وملاكه[1]. الحلم أم المروءة أم الشجاعة أم الجود

قال بيدبا إن أحق ما يحفظ به الملك ملكه[2] الحلم وبه تثبت السلطنة[3]. والحلم رأس الأمور وملاكها وأجود ما كان

(١) قوامه (٢) ما يملكه ويتصرف به (٣) المملكة

في الملوك . كالذي زعموا أنه كان ملك يدعى بلاذ وكان له وزير يدعى إيلاذ وكان متعبدًا ناسكًا . وإن الملك نام ذات ليلة فرأى في منامه ثمانية أحلام أفزعته فاستيقظ مرعوبًا . فدعا بالبراهمة[1] وهم النساك ليعبروا رؤياه[2] . فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى فقالوا بأجمعهم لقد رأى الملك عجبًا . فإن أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله . قال الملك قد أمهلتكم . فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا في منزل أحدهم وائتمروا[3] بينهم . وقالوا قد وجدتم علمًا واسعًا تدركون به ثأركم وتنتقمون من عدوكم وقد علمتم أنه قتل منا بالأمس اثني عشر ألفًا . وها هو قد أطلعنا على سره وسألنا تفسير رؤياه فهلم نغلظ[4] له القول ونخيفه حتى يحمله الفرق[5] والجزع[6] على أن يفعل الذي نريد . ونأمره فنقول ادفع إلينا أحباءك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم . فإنا قد نظرنا في كتبنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر إلا بقتل من نسمي لك . فإن قال الملك ومن تريدون أن تقتلوا

---

(١) كهنة الهنود (٢) اي يفسروها ويخبروه بآخر ما يأول اليه امرها

(٣) تشاوروا (٤) نخشن (٥) الخوف (٦) نقيض الصبر

سَمُّوهُمْ لِي . قُلْنا نُرِيدُ ٱلْمَلِكَةَ إِيراخْتَ أُمَّ جُوِيرَ ٱلْمَحْمُودَةَ أَكْرَمَ نِسائِكَ عَلَيْكَ . وَنُرِيدُ جُوِيرَ أَحَبَّ بَنِيكَ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ . وَنُرِيدُ كالَ ٱلْكاتِبَ صاحِبَ سِرِّكَ وَسَيْفَكَ ٱلَّذِي لا يُوجَدُ مِثْلُهُ وَٱلْفِيلَ ٱلْأَبْيَضَ ٱلَّذِي لا تَلْحَقُهُ ٱلْخَيْلُ وَٱلْفَرَسَ ٱلَّذِي هُوَ مَرْكَبُكَ فِي ٱلْقِتالِ . وَنُرِيدُ ٱلْفِيلَيْنِ ٱلْعَظِيمَيْنِ ٱللَّذَيْنِ يَكُونانِ مَعَ ٱلْفِيلِ ٱلذَّكَرِ . وَنُرِيدُ ٱلْبُخْتِيَّ[١] ٱلسَّرِيعَ ٱلْقَوِيَّ . وَنُرِيدُ كَبارِيُونَ ٱلْحَكِيمَ ٱلْفاضِلَ ٱلْعالِمَ بِٱلْأُمُورِ لِنَنْتَقِمَ مِنْهُ بِما فَعَلَ بِنا * ثُمَّ نَقُولُ لَهُ إِنَّما يَنْبَغِي لَكَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ أَنْ تَقْتُلَ هٰؤُلاءِ ٱلَّذِينَ سَمَّيْناهُمْ لَكَ ثُمَّ تَجْعَلَ دِماءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلَأُهُ ثُمَّ تَقْعُدُ فِيهِ . فَإِذا خَرَجْتَ مِنَ ٱلْحَوْضِ ٱجْتَمَعْنا نَحْنُ مَعاشِرَ ٱلْبَراهِمَةِ مِنَ ٱلْآفاقِ[٢] ٱلْأَرْبَعَةِ نَجُولُ حَوْلَكَ فَنَرْقِيكَ[٣] وَنَتْفُلُ[٤] عَلَيْكَ وَنَمْسَحُ عَنْكَ ٱلدَّمَ وَنَغْسِلُكَ بِٱلْماءِ وَٱلدُّهْنِ ٱلطَّيِّبِ . ثُمَّ تَقُومُ إِلَى مَنْزِلِكَ ٱلْبَهِيِّ فَيَدْفَعُ ٱللهُ بِذٰلِكَ ٱلْبَلاءَ ٱلَّذِي نَتَخَوَّفُهُ عَلَيْكَ * فَإِنْ صَبَرْتَ أَيُّها ٱلْمَلِكُ وَطابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبّائِكَ ٱلَّذِينَ ذَكَرْنا لَكَ وَجَعَلْتَهُمْ فِداكَ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلْبَلاءِ وَٱسْتَقامَ لَكَ مُلْكُكَ وَسُلْطانُكَ

(١) واحد البخت وهي الابل الخراسانية (٢) الجهات (٣) اي فنعمل لك السحر (٤) نبصق

وَٱسْتَخْلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ. وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْصَبَ[1] مُلْكُكَ أَوْ تَهْلِكَ. فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيمَا نَأْمُرُهُ قَتَلْنَاهُ شَرَّ قِتْلَةٍ

فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَا ٱئْتَمَرُوا فِيهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّامِنِ وَقَالُوا لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا تَفْسِيرَ مَا رَأَيْتَ وَفَحَصْنَا عَنِ ٱلرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَنَا. فَلْيَكُنْ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلطَّاهِرُ ٱلصَّالِحُ وَٱلْكَرَامَةُ. وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ تَخْلُوَ بِنَا[2] وَتُؤَمِّنَنَا. فَأَخْرَجَ ٱلْمَلِكُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ وَخَلَا بِهِمْ فَحَدَّثُوهُ بِٱلَّذِي ٱئْتَمَرُوا فِيهِ. فَقَالَ لَهُمُ ٱلْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ ٱلْحَيَاةِ إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ هُمْ عَدِيلُ[3] نَفْسِي. وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ وَٱلْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ وَلَسْتُ كُلَّ ٱلدَّهْرِ مَلِكًا. وَإِنَّ ٱلْمَوْتَ عِنْدِي وَفِرَاقَ ٱلْأَحْبَابِ سَوَاءٌ فَضْلًا عَمَّا أَرْتَكِبُهُ مِنَ ٱلْإِثْمِ فِي قَتْلِهِمْ * قَالَ لَهُ ٱلْبَرَاهِمِيُّونَ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ أَخْبَرْنَاكَ. فَأَذِنَ لَهُمْ فَقَالُوا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ. فَٱحْتَفِظْ بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ هٰذَا ٱلَّذِي فِيهِ لَكَ ٱلرَّجَاءُ ٱلْعَظِيمُ عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينٍ وَقَرَّ عَيْنًا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ

---

(١) اي يؤخذ منك قهرًا (٢) تنفرد بنا ولم يكن معك احد (٣) مثل

الَّذِينَ شَرُفْتَ وَكَرُمْتَ بِهِمْ وَلَا تَدَعِ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ وَتَأْخُذْ بِالضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِيثَارًا(١) لِمَنْ تُحِبُّ * وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يُحِبُّ الْحَيَاةَ مَحَبَّةً لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ مِنَ الْأَحْبَابِ إِلَّا لِيَتَمَتَّعَ(٢) بِهِ فِي حَيَاتِهِ . وَإِنَّمَا قِوَامُ نَفْسِكَ بَعْدَ اللّٰهِ بِمُلْكِكَ . وَإِنَّكَ لَمْ تَنَلْ مُلْكَكَ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ(٣) وَالْعَنَاءِ الْكَثِيرِ فِي الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ وَيَهُونَ عَلَيْكَ فَاسْتَمِعْ كَلَامَنَا وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ مُنَاهَا(٤) وَدَعْ مَا سِوَاهَا فَإِنَّهُ لَا خَطَرَ لَهُ(٥) * فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ الْبَرَاهِمِيِّينَ قَدْ أَغْلَظُوا لَهُ فِي الْقَوْلِ وَاسْتَجْرَأُوا عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ اشْتَدَّ غَمُّهُ وَحُزْنُهُ وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْهِمْ(٦) . وَدَخَلَ إِلَى حُجْرَتِهِ(٧) فَخَرَّ(٨) عَلَى وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ السَّمَكَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْمَاءِ . وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ مَا أَدْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي الْهَلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي . وَلَنْ أَنَالَ الْفَرَحَ مَا عِشْتُ وَلَيْسَ مُلْكِي بِبَاقٍ عَلَيَّ إِلَى الْأَبَدِ وَلَسْتُ بِالْمُصِيبِ سُؤْلِي فِي مُلْكِي . وَإِنِّي لَزَاهِدٌ فِي الْحَيَاةِ إِذَا لَمْ أَرَ إِيرَاخْتَ وَجُوِيرَ . وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِمُلْكِي

---

(١) تفضيلاً (٢) لينتفع (٣) اي بالتعب الشديد (٤) ماتتمناه (٥) اي لاشرف له ولا علو منزلة (٦) من وسطهم (٧) غرفته (٨) سقط

إِذا هَلَكَ وَزِيرِي إِيلاذُ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذا هَلَكَ فِيلِي الْأَبْيَضُ وَفَرَسِي الْجَوادُ وَكَيْفَ أُدْعَى مَلِكًا وَقَدْ قَتَلْتُ مَنْ أَشارَ الْبَراهِمَةُ بِقَتْلِهِ وَما أَصْنَعُ بِالدُّنْيا بَعْدَهُمْ

ثُمَّ إِنَّ الْحَدِيثَ فَشا(١) فِي الْأَرْضِ بِحُزْنِ الْمَلِكِ وَهَمِّهِ. فَلَمَّا رَأَى إِيلاذُ ما نالَ(٢) الْمَلِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ فَكَّرَ فِي حِكْمَتِهِ وَنَظَرَ وَقالَ ما يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقْبِلَ الْمَلِكَ فَأَسْأَلَهُ عَنْ هٰذا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ نالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوَنِي. ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى إِيراخْتَ فَقالَ إِنِّي مُنْذُ خَدَمْتُ الْمَلِكَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا إِلَّا بِمَشُورَتِي وَرَأْيِي. وَأَراهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا لا أَعْلَمُ ما هُوَ وَلا أَراهُ يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا. وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خالِيًا مَعَ جَماعَةِ الْبَرْهَمِيِّينَ مُنْذُ لَيالٍ وَقَدِ احْتَجَبَ(٣) عَنَّا فِيها. وَأَنا خائِفٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرارِهِ فَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يُشِيرُوا عَلَيْهِ بِما يَضُرُّهُ وَيُدْخِلُ عَلَيْهِ مِنْهُ السُّوءَ. فَقُومِي وَادْخُلِي عَلَيْهِ فَاسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَأَخْبِرِينِي بِما هُوَ عَلَيْهِ وَأَعْلِمِينِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ. فَلَعَلَّ الْبَرْهَمِيِّينَ قَدْ زَيَّنُوا لَهُ أَمْرًا وَحَمَلُوهُ عَلَى خُطَّةٍ(٤) قَبِيحَةٍ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ خُلُقِ الْمَلِكِ أَنَّهُ إِذا غَضِبَ لا يَسْأَلُ

(١) شاع (٢) اصاب (٣) تستر (٤) اي امر

أَحَدًا وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ صَغِيرُ ٱلْأُمُورِ وَكَبِيرُهَا * فَقَالَتْ إِيرَاخْتُ إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْمَلِكِ بَعْضُ ٱلْعِتَابِ فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ فِي هٰذِهِ ٱلْحَالِ. فَقَالَ لَهَا إِيلَاذُ لَا تَحْمِلِي[1] عَلَيْهِ ٱلْحِقْدَ فِي مِثْلِ هٰذَا وَلَا يَخْطُرَنَّ ذٰلِكَ عَلَى بَالِكِ فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى ٱلدُّخُولِ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاكِ. وَقَدْ سَمِعْتُهُ كَثِيرًا يَقُولُ مَا ٱشْتَدَّ غَمِّي وَدَخَلَتْ عَلَيَّ إِيرَاخْتُ إِلَّا سُرِّيَ[2] ذٰلِكَ عَنِّي. فَقُومِي إِلَيْهِ وَٱصْفَحِي عَنْهُ وَكَلِّمِيهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ تَطِيبُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَذْهَبُ ٱلَّذِي يَجِدُهُ[3] وَأَعْلِمِينِي بِمَا يَكُونُ جَوَابُهُ فَإِنَّ بِذٰلِكَ لَنَا وَلِأَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ أَعْظَمَ ٱلرَّاحَةِ

فَٱنْطَلَقَتْ إِيرَاخْتُ فَدَخَلَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ فَجَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَتْ مَا ٱلَّذِي بِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمَحْمُودُ وَمَا ٱلَّذِي سَمِعْتَ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ فَإِنِّي أَرَاكَ مَحْزُونًا فَأَعْلِمْنِي بِمَا بِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ مَعَكَ وَنُوَاسِيَكَ[4] بِأَنْفُسِنَا. فَقَالَ ٱلْمَلِكُ أَيَّتُهَا ٱلْمَرْأَةُ لَا تَسْأَلِينِي عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدِينِي غَمًّا وَحُزْنًا. فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلِينِي عَنْهُ قَالَتْ أَوَقَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ هٰذَا.

---

(١) لا تظهري (٢) كُشِف (٣) يحزنه (٤) من المؤاساة وهي ان ينزل الانسان غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه

إِنَّما أَحْمَدُ(١) ٱلنَّاسِ عَقْلاً مَنْ إِذا نَزَلَتْ(٢) بِهِ ٱلنَّازِلاتُ(٣) كانَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ ضَبْطًا وَأَكْثَرَهُمُ ٱسْتِماعًا مِنْ أَهْلِ ٱلنُّصْحِ حَتَّى يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ ٱلنَّازِلَةِ بِٱلْحِيلَةِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلْبَحْثِ وَٱلْمُشاوَرَةِ فَعَظِيمُ ٱلذَّنْبِ لا يَقْنَطُ(٤) مِنَ ٱلرَّحْمَةِ. وَلا تُدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ فَإِنَّهُما لا يَرُدَّانِ شَيْئًا مَقْضِيًّا(٥) إِلَّا إِنَّهُما يُنْحِلانِ(٦) ٱلْجِسْمَ وَيَشْفِيانِ ٱلْعَدُوَّ(٧). وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْمُصِيبَةِ عِبادَةٌ وَسَوْفَ تَحْمَدُ أَمْرَكَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي. قالَ لَها ٱلْمَلِكُ لا تَسْأَلِينِي عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ(٨). وَٱلَّذِي تَسْأَلِينَنِي عَنْهُ لا خَيْرَ فِيهِ لِأَنَّ عاقِبَتَهُ هَلاكِي وَهَلاكُكِ وَهَلاكُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَمَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي. وَذاكَ أَنَّ ٱلْبَراهِمَةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْ قَتْلِكِ وَقَتْلِ جُوَيْرَ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَوَدَّتِي وَلا خَيْرَ فِي ٱلْعَيْشِ بَعْدَكُمْ وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهٰذا إِلَّا ٱعْتَراهُ(٩) ٱلْحُزْنُ

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذٰلِكَ إِيراخْتُ جَزِعَتْ وَمَنَعَها عَقْلُها أَنْ تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ جَزَعًا فَقالَتْ أَيُّها ٱلْمَلِكُ لا تَجْزَعْ فَنَحْنُ لَكَ ٱلْفِداءُ وَلَكَ

---

(١) تفضيل من الحمد بمعنى الشكر والمدح (٢) حلّت (٣) المصائب الشديدة (٤) لا يقطع الرجا (٥) محكوماً به (٦) يسقمان ويهزلان (٧) اي يقضيان حاجته التي كان متلهفاً عليها (٨) اي اوقعتني في المشقة وهي الصعوبة والعناء (٩) اصابه وغشيه

فِي سِوايَ وَمِثْلِي ما تقرُّ بِهِ(١) عَيْنُكَ . وَلٰكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ أَيُّها الْمَلِكُ حاجَةً يَحْمِلُنِي عَلَى طَلَبَتِها حُبِّي لَكَ وَإِيثارِي(٢) إِيَّاكَ وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ . قالَ الْمَلِكُ وَما هِيَ . قالَتْ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لا تَثِقَ بَعْدَها بِأَحَدٍ مِنَ الْبَراهِمَةِ وَلا تُشاوِرَهُمْ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِكَ ثُمَّ تُشاوِرَ فِيهِ ثِقاتِكَ(٣) مِراراً . فَإِنَّ الْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَسْتَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ مَنْ قَتَلْتَ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ إِذا لَقِيتَ جَوْهَراً لا خَيْرَ فِيهِ فَلا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيَهُ مَنْ يَعْرِفُهُ وَأَنْتَ أَيُّها الْمَلِكُ لا تَعْرِفُ أَعْداءَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَراهِمَةَ لا يُحِبُّونَكَ وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ بِالْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً . وَلا تَظُنَّ أَنَّ هٰؤُلاءِ لَيْسُوا مِنْ أُولٰئِكَ . وَلَعَمْرِي ما كُنْتَ جَدِيراً أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِرُؤْياكَ وَلا أَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلَيْها(٤) . وَإِنَّما قالُوا لَكَ ما قالُوا لِأَجْلِ الْحِقْدِ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحِبَّاءَكَ وَوَزِيرَكَ فَيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . وَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتَ مِنْهُمْ فَقَتَلْتَ مَنْ أَشارُوا بِقَتْلِهِ ظَفِرُوا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلَى مُلْكِكَ فَيَعُودُ الْمُلْكُ إِلَيْهِمْ كَما كانَ . فَإِنَّ الشَّجَرَةَ إِذا أُرِيدَ قَلْعُها عُمِدَ(٥) أَوَّلاً إِلَى

(١) تفرح وتسرّ (٢) تفضيلي (٣) اي امنائك الذين تعتمد عليهم (٤) اي تظهرها عليهم (٥) قصد

أُصُولِهَا وَمَا تَنَبَّتَ بِهِ فِي الْأَرْضِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ قُلِعَتْ فَهَانَ قَلْعُهَا . فَانْطَلِقْ إِلَى كَبَارِيُونَ الْحَكِيمِ فَهُوَ فَطِنٌ عَالِمٌ فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ وَاسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهَا وَتَأْوِيلِهَا[1]

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذٰلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الْغَمِّ . فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ فَرَكِبَهُ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى كَبَارِيُونَ الْحَكِيمِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ وَقَامَ مُطَأْطِئًا[2] الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ مَا بَالُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَمَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ قَصَصْتُهَا عَلَى الْبَرَاهِمَةِ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ ذٰلِكَ عَظِيمُ أَمْرٍ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ تَعْبِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ وَأَخْشَى أَنْ يُغْصَبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ إِنْ شِئْتَ قَصَصْتَ عَلَيَّ أَحْلَامَكَ وَإِنْ شِئْتَ قَصَصْتُهَا عَلَيْكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا رَأَيْتَ جَمِيعِهِ . قَالَ الْمَلِكُ بَلْ مِنْ فِيكَ[3] أَحْسَنُ . قَالَ الْحَكِيمُ لَا يَحْزُنْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هٰذَا الْأَمْرُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ ☆ أَمَّا السَّمَكَتَانِ الْحَمْرَاوَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى ذَنَبَيْهِمَا فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ هَيْمُونَ بِعِقْدَيْنِ مُكَلَّلَيْنِ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ

---

(١) تفسيرها (٢) خافضًا (٣) فمك

قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافِ رِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُومُ (١) بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا
الْوَزَّتَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ
فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ بَلْخَ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُهُمَا
فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا تَدِبُّ (٢) عَلَى رِجْلِكَ
الْيُسْرَى فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ صِنْجِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ
خَالِصِ الْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ * وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي رَأَيْتَ كَأَنَّهُ
خُضِبَ (٣) بِهِ جَسَدُكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَازَرُونَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ
يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةَ أُرْجُوَانٍ (٤) يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ * وَأَمَّا
مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسْلِكَ جِسْمَكَ بِالْمَاءِ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ رِهْزِينَ
مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِثِيَابِ كَتَّانٍ مِنْ لِبَاسِ الْمُلُوكِ * وَأَمَّا مَا
رَأَيْتَ مِنْ أَنَّكَ عَلَى جَبَلٍ أَبْيَضَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَيْدُورَ
مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِفِيلٍ أَبْيَضَ لَا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ
عَلَى رَأْسِكَ شَبِيهًا بِالنَّارِ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ الْأَرْزَنِ مَنْ يَقُومُ
بَيْنَ يَدَيْكَ بِإِكْلِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ * وَأَمَّا
الطَّائِرُ الَّذِي رَأَيْتَهُ ضَرَبَ رَأْسَكَ بِمِنْقَارِهِ فَلَسْتُ مُفَسِّرًا ذَلِكَ
الْيَوْمَ وَلَيْسَ بِضَارِّكَ فَلَا تَوْجَلَنَّ (٥) مِنْهُ وَلَكِنَّ فِيهِ بَعْضَ

(١) ينتصب (٢) تسري (٣) لُوِّن (٤) ثوب احمر (٥) اي فلا تخافنَّ

ٱلسُّخْطِ[1] وَٱلْإِعْرَاضِ[2] عَمَّا تُحِبُّهُ * فَهٰذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَأَمَّا هٰذِهِ ٱلْبُرُدُ[3] وَٱلرُّسُلُ فَإِنَّهَا تَأْتِيكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَمِيعًا فَتَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ سَجَدَ لِكِبَارِيُونَ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَتِ ٱلْبَشَائِرُ بِقُدُومِ ٱلرُّسُلِ فَخَرَجَ ٱلْمَلِكُ فَجَلَسَ عَلَى ٱلسَّرِيرِ[4] وَأَذِنَ لِلْأَشْرَافِ وَجَاءَتْهُ ٱلْهَدَايَا كَمَا أَخْبَرَهُ كِبَارِيُونُ ٱلْحَكِيمُ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ ٱشْتَدَّ عَجَبُهُ وَفَرَحُهُ مِنْ عِلْمِ كِبَارِيُونَ وَقَالَ مَا وُفِّقْتُ حِينَ قَصَصْتُ رُؤْيَايَ عَلَى ٱلْبَرَاهِمَةِ فَأَمَرُونِي بِمَا أَمَرُونِي بِهِ * وَلَوْلَا أَنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى تَدَارَكَنِي لَهَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ . وَكَذٰلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلَّا مِنَ ٱلْأَخِلَّاءِ ذَوِي ٱلْعُقُولِ . وَإِنَّ إِيرَاخْتَ أَشَارَتْ بِٱلْخَيْرِ فَقَبِلْتُهُ وَرَأَيْتُ بِهِ ٱلنَّجَاحَ . فَضَعُوا ٱلْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَأْخُذَ مِنْهَا مَا ٱخْتَارَتْ . ثُمَّ قَالَ لِإِيلَاذَ خُذِ ٱلْإِكْلِيلَ وَٱلثِّيَابَ وَٱحْمِلْهَا وَٱتْبَعْنِي بِهَا . وَدَعَا ٱلْمَلِكُ إِيرَاخْتَ وَحُورَقْنَاهَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِإِيلَاذَ دَعِ[5] ٱلْكُسْوَةَ وَٱلْإِكْلِيلَ بَيْنَ يَدَيْ إِيرَاخْتَ لِتَأْخُذَ

---

(١) الغضب (٢) الصدّ والهجر (٣) جمع بريد وهي الخيل التي تأتي عليها الرسل (٤) اي على تخته (٥) اترك

أَيَّهَا شاءَتْ . فَوُضِعَتِ ٱلْهَدَايَا بَيْنَ يَدَيْ إِيرَاخْتَ فَأَخَذَتْ مِنْهَا ٱلْإِكْلِيلَ وَأَخَذَتْ حُورَقْنَاهُ كُسْوَةً مِنْ أَفْخَرِ ٱلثِّيَابِ وَأَحْسَنِهَا * وَإِنَّ إِيرَاخْتَ صَنَعَتْ لِلْمَلِكِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَرُزًّا بِحَلَاوَةٍ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِٱلصَّحْفَةِ(١) وَٱلْإِكْلِيلُ عَلَى رَأْسِهَا وَٱتَّفَقَ أَنَّ حُورَقْنَاهُ لَبِسَتْ تِلْكَ ٱلْكُسْوَةَ وَمَرَّتْ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ فَٱلْتَفَتَ ٱلْمَلِكُ إِلَى إِيرَاخْتَ فَقَالَ إِنَّكِ جَاهِلَةٌ حِينَ أَخَذْتِ ٱلْإِكْلِيلَ وَتَرَكْتِ ٱلْكُسْوَةَ ٱلَّتِي لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِثْلُهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ إِيرَاخْتُ مَدْحَ ٱلْمَلِكِ لِحُورَقْنَاهَ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهَا وَتَجْهِيلَهَا هِيَ وَذَمَّ رَأْيِهَا أَخَذَهَا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْغَيْرَةُ(٢) وَٱلْغَيْظُ فَضَرَبَتْ بِٱلصَّحْفَةِ رَأْسَ ٱلْمَلِكِ فَسَالَ ٱلْأَرُزُّ عَلَى وَجْهِهِ وَكَانَ ذٰلِكَ تَمَامَ تَعْبِيرِ ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي عَبَّرَهَا كَبَارِيُونُ * فَقَامَ ٱلْمَلِكُ مِنْ مَكَانِهِ وَدَعَا بِإِيلَاذَ وَقَالَ أَلَا تَرَى وَأَنَا مَلِكُ ٱلْعَالَمِ كَيْفَ حَقَّرَتْنِي(٣) هٰذِهِ ٱلْجَاهِلَةُ وَفَعَلَتْ بِي مَا تَرَى فَٱنْطَلِقْ بِهَا وَٱقْتُلْهَا وَلَا تَرْحَمْهَا

فَخَرَجَ إِيلَاذُ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ وَقَالَ لَا أَقْتُلُهَا حَتَّى يَسْكُنَ عَنْهُ ٱلْغَضَبُ فَٱلْمَرْأَةُ عَاقِلَةٌ سَدِيدَةُ ٱلرَّأْيِ مِنَ ٱلْمَلِكَاتِ ٱلَّتِي

---

(١) اناء يوضع فيه الطعام ويعرف بالصحن (٢) الحمية وكراهة الشركة في حقها
(٣) اذلتني واهانتني

لَيْسَ لَهَا عَدِيلٌ(١) فِي ٱلنِّسَاءِ . وَلَيْسَ ٱلْمَلِكُ بِصَابِرٍ عَنْهَا وَقَدْ خَلَّصَتْهُ مِنَ ٱلْمَوْتِ وَعَمِلَتْ أَعْمَالًا صَالِحَةً وَرَجَاؤُنَا فِيهَا عَظِيمٌ . وَلَسْتُ آمَنُهُ أَنْ يَقُولَ لِمَ لَمْ تُؤَخِّرْ قَتْلَهَا حَتَّى تُرَاجِعَنِي . فَلَسْتُ قَاتِلَهَا حَتَّى أَنْظُرَ رَأْيَ ٱلْمَلِكِ فِيهَا ثَانِيَةً . فَإِنْ رَأَيْتُهُ نَادِمًا حَزِينًا عَلَى مَا فَعَلَ جِئْتُ بِهَا حَيَّةً وَكُنْتُ قَدْ عَمِلْتُ عَمَلًا عَظِيمًا وَأَنْجَيْتُ(٢) إِيرَاخْتَ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَحَفِظْتُ قَلْبَ ٱلْمَلِكِ وَٱتَّخَذْتُ عِنْدَ عَامَّةِ ٱلنَّاسِ بِذٰلِكَ يَدًا(٣) . وَإِنْ رَأَيْتُهُ فَرِحًا مُسْتَرِيحًا مُصَوِّبًا رَأْيَهُ(٤) فِي ٱلَّذِي فَعَلَهُ فَقَتْلُهَا لَا يَفُوتُ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَوَكَّلَ بِهَا خَادِمًا مِنْ أُمَنَائِهِ وَأَمَرَهُ بِخِدْمَتِهَا وَحِرَاسَتِهَا حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ ٱلْمَلِكِ . ثُمَّ خَضَبَ سَيْفَهُ(٥) بِٱلدَّمِ وَدَخَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ كَٱلْكَئِيبِ(٦) ٱلْحَزِينِ فَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَكَ فِي إِيرَاخْتَ . فَلَمْ يَلْبَثِ ٱلْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ عَنْهُ ٱلْغَضَبُ وَذَكَرَ جَمَالَ إِيرَاخْتَ وَفَضْلَهَا وَٱشْتَدَّ أَسَفُهُ عَلَيْهَا وَجَعَلَ يُعَزِّي نَفْسَهُ عَنْهَا وَيَتَجَلَّدُ(٧) . وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَسْأَلَ إِيلَاذَ أَحَقًّا أَمْضَى أَمْرَهُ فِيهَا أَمْ لَا . وَرَجَا لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِيلَاذَ أَنْ لَا يَكُونَ

---

(١) نظير (٢) خلّصت (٣) جاهًا ووقارًا (٤) حاكمًا له بالصواب
(٥) لوّنه (٦) المغتمّ (٧) يتكلف الجلادة وهي الصبر

قَدْ فعلَ ذٰلكَ · وَنظَرَ إِلَيْهِ إِيلاذُ بِفَضْلِ عقْلِهِ فعلِمَ ٱلَّذي بِهِ · فقالَ لَهُ لا تهتَمَّ وَلا تحْزَنْ أَيُّها ٱلْمَلِكُ فإِنَّهُ لَيسَ في ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ منْفَعَةٌ وَلٰكِنَّهُما يُنْحِلانِ ٱلْجِسْمَ وَيُفْسِدانِهِ · فَٱصْبِرْ أَيُّها ٱلْمَلِكُ عَلَى ما لَسْتَ بِقادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا · وَإِنْ أَحَبَّ ٱلْمَلِكُ أَنْ أُحَدِّثَهُ بِحَدِيثٍ يُسَلِّيهِ · قالَ حَدِّثْني

قالَ إِيلاذُ زَعَمُوا أَنَّ حَمامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَأَا عُشَّهُما مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ · فَقالَ ٱلذَّكَرُ لِلأُنْثَى إِنَّا إِذا وَجَدْنا فِي ٱلصَّحارَى(١) ما نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنا شَيْئًا · فَإِذا جاءَ ٱلشِّتاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلصَّحارَى شَيْءٌ رَجَعْنا إِلَى ما فِي عُشِّنا فَأَكَلْناهُ فَرَضِيَتِ ٱلأُنْثَى بِذٰلِكَ وَقالَتْ لَهُ نِعِمَّا(٢) رَأَيْتَ · وَكانَ ذٰلِكَ ٱلْحَبُّ نَدِيًّا(٣) حِينَ وَضَعاهُ فِي عُشِّهِما · فَٱنْطَلَقَ ٱلذَّكَرُ فَغابَ · فَلَمَّا جاءَ ٱلصَّيْفُ يَبِسَ ٱلْحَبُّ وَتَضَمَّرَ(٤) فَلَمَّا رَجَعَ ٱلذَّكَرُ رَأَى ٱلْحَبَّ ناقِصًا · فَقالَ لَها أَلَيْسَ كُنَّا جَمَعْنا رَأْيَنا عَلَى أَنْ لا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَ أَكَلْتِهِ · فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّها ما أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا وَجَعَلَتْ تَتَنَصَّلُ(٥) إِلَيْهِ فَلَمْ يُصَدِّقْها وَجَعَلَ يَنْقُرُها(٦) حَتَّى ماتَتْ · فَلَمَّا

---

(١) الفلوات (٢) اي نعم الراي رايك (٣) مبتلاًّ (٤) رق ولطف

(٥) تتبرّأ (٦) يضربها بمنقاره

جاءَتِ ٱلْأَمْطارُ وَدَخَلَ ٱلشِّتاءُ تَنَدَّى ٱلْحَبُّ وَٱمْتَلأَ ٱلْعُشُّ كَما كانَ . فَلَمّا رَأَى ٱلذَّكَرُ ذٰلِكَ نَدِمَ . ثُمَّ ٱضْطَجَعَ إِلَى جانِبِ حَمامَتِهِ وَقالَ . ما يَنْفَعُنِي ٱلْحَبُّ وَٱلْعَيْشُ بَعْدَكِ إِذا طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ . وَإِذا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلا أَقْدِرُ عَلَى تَدارُكِ[١] ما فاتَ . ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ[٢] طَعاماً وَلا شَراباً حَتَّى ماتَ إِلَى جانِبِها

وَٱلْعاقِلُ لا يَعْجَلُ فِي ٱلْعَذابِ وَٱلْعُقُوبَةِ وَلا سِيَّما مَنْ يَخافُ ٱلنَّدامَةَ كَما نَدِمَ ٱلْحَمامُ ٱلذَّكَرُ . وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضاً أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ ٱلْجَبَلَ وَعَلَى رَأْسِهِ طَبَقٌ مِنَ ٱلْعَدَسِ فَوَضَعَ ٱلطَّبَقَ عَلَى ٱلْأَرْضِ لِيَسْتَرِيحَ . فَنَزَلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِلْءَ كَفِّهِ مِنَ ٱلْعَدَسِ وَصَعِدَ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةٌ فَنَزَلَ فِي طَلَبِها فَلَمْ يَجِدْها وَٱنْتَثَرَ[٣] ما كانَ فِي يَدِهِ مِنَ ٱلْعَدَسِ أَجْمَعُ * وَأَنْتَ أَيْضاً أَيُّها ٱلْمَلِكُ عِنْدَكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ تَدَعُهُمْ[٤] وَتَطْلُبُ ما لا تَجِدُ * فَلَمّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إِيراخْتُ قَدْ هَلَكَتْ فَقالَ إِيهاً[٥] إِيلاذُ[٦] مِنْ كَلِمَةٍ واحِدَةٍ فَعَلْتَ ما أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ

---

(١) طلب واثبات (٢) يأكل (٣) تساقط متفرقاً (٤) تتركهم (٥) كلمة يراد بها التبعيد والاستغراب (٦) اي يا ايلاذ

ساعتك وتعلقت بحرف واحد كان مني ولم تتثبت(١) في الأمر. قال إيلاذ إن الذي قوله واحد لا يختلف هو الله الذي لا تبديل لكلماته ولا اختلاف لقوله * قال الملك لقد أفسدت أمري وشددت حزني بقتل إيراخت. قال إيلاذ اثنان ينبغي لهما أن يحزنا. الذي يعمل الإثم في كل يوم والذي لا يعمل الخير قط. لأن فرحهما في الدنيا ونعيمها قليل وندامتهما إذا يعاينان الجزاء طويلة لا يستطاع إحصاؤها * قال الملك لئن رأيت إيراخت حية لا أحزن على شيء أبدا. قال إيلاذ اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا. المجتهد في البر(٢) كل يوم والذي لم يأثم(٣) قط * قال الملك ما أنا بناظر إلى إيراخت أكثر مما نظرت. قال إيلاذ اثنان لا ينظران. الأعمى والذي لا عقل له. وكما أن الأعمى لا ينظر السماء ونجومها ولا ينظر البعد والقرب كذلك الذي لا عقل له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من المسيء * قال الملك لو رأيت إيراخت لاشتد فرحي. قال إيلاذ اثنان هما الفرحان البصير والعالم. فكما أن البصير يبصر أمور العالم وما فيه من الزيادة والنقصان والبعيد والقريب

(١) تتأنى (٢) الصلاح والعدل ونحوهما (٣) اي لم يعمل ما لا يحل

فَكَذَلِكَ ٱلْعَالِمُ يُبْصِرُ ٱلْبِرَّ وَٱلْإِثْمَ وَيَعْرِفُ أَعْمَالَ ٱلْآخِرَةِ وَيَتَبَيَّنُ لَهُ نَجَاتُهُ وَيُهْدَى إِلَى صِرَاطٍ(١) مُسْتَقِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَشْتَفِ(٢) مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى إِيرَاخْتَ بَعْدُ · قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ لَا يَشْتَفِيَانِ أَبَدًا · مَنْ يَكُونُ هَمُّهُ جَمْعَ ٱلْمَالِ وَٱدِّخَارَهُ · وَمَنْ يَأْمُلُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُ مَا لَا يَجِدُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَبَاعَدَ مِنْكَ يَا إِيلَاذُ وَنَأْخُذَ ٱلْحَذَرَ وَنَلْزَمَ ٱلْاِتِّقَاءَ(٣) · قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ يَنْبَغِي أَنْ يُتَبَاعَدَ مِنْهُمَا · ٱلَّذِي يَقُولُ لَا بِرَّ وَلَا إِثْمَ وَلَا عِقَابَ وَلَا ثَوَابَ وَلَا شَيْءَ عَلَيَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ · وَٱلَّذِي لَا يَكَادُ يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِمُحَلَّلٍ وَلَا أُذُنَهُ عَنِ ٱسْتِمَاعِ ٱلسُّوءِ وَلَا نَفْسَهُ عَنْ خَاصَّةِ غَيْرِهِ وَلَا قَلْبَهُ عَمَّا تَهُمُّ بِهِ نَفْسُهُ(٤) مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْحِرْصِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ صَارَتْ يَدَيَّ مِنْ إِيرَاخْتَ صِفْرًا(٥) · قَالَ إِيلَاذُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ أَصْفَارٌ · ٱلنَّهْرُ ٱلَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ وَٱلْأَرْضُ ٱلَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَلِكٌ وَٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا بَعْلٌ(٦) وَٱلْجَاهِلُ ٱلَّذِي لَا يَعْرِفُ ٱلْخَيْرَ مِنَ ٱلشَّرِّ * قَالَ ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ يَا إِيلَاذُ لَتُلَقَّى ٱلْجَوَابَ(٧) · قَالَ إِيلَاذُ ثَلَاثَةٌ يُلَقَّوْنَ ٱلْجَوَابَ · ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي يُعْطِي وَيَقْسِمُ مِنْ خَزَائِنِهِ ·

---

(١) طريق (٢) اكتف (٣) التحفظ (٤) تقصده وتعزم عليه ولم تفعله
(٥) خالية (٦) زوج (٧) تلهمه وتوفق له

وَٱلْمَرْأَةُ ٱلْمُهْدَاةُ(١) إِلَى مَنْ تَوَدُّ مِنْ ذَوِي ٱلْحَسَبِ(٢). وَٱلرَّجُلُ ٱلْعَالِمُ ٱلْمُوَفَّقُ لِلْخَيْرِ* قَالَ ٱلْمَلِكُ أَهْلَكْتَ إِيرَاخْتَ يَا إِيلَاذُ بِغَيْرِ حَقٍّ. قَالَ إِيلَاذُ ثَلَاثَةٌ هُمُ ٱلزَّائِغُونَ(٣) عَنِ ٱلْحَقِّ. ٱلَّذِي يَلْبَسُ ٱلثِّيَابَ ٱلْبِيضَ ثُمَّ يَنْفُخُ بِٱلْكِيرِ(٤) فَيُسَوِّدُهَا بِٱلدُّخَانِ. وَٱلْقَصَّارُ(٥) ٱلَّذِي يَلْبَسُ ٱلْجَوْرَبَيْنِ(٦) ٱلْجَدِيدَيْنِ وَرِجْلَاهُ أَبَدًا فِي ٱلْمَاءِ. وَٱلَّذِي يَقْتَنِي ٱلْفَرَسَ ٱلْكَرِيمَ لِلرُّكُوبِ ثُمَّ يَلْتَهِي عَنْهُ فَلَا يَرْكَبُهُ فَيَبْطَرُ قَالَ ٱلْمَلِكُ لَيْتَنِي أَنْظُرُ إِلَى إِيرَاخْتَ قَبْلَ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا. قَالَ إِيلَاذُ ٱلَّذِينَ يَطْلُبُونَ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ. مَنْ لَا وَرَعَ لَهُ وَهُوَ يَرْتَجِي ثَوَابَ ٱلْأَبْرَارِ. وَٱلْبَخِيلُ ٱلَّذِي يَلْتَمِسُ بِبُخْلِهِ أَنْ يَنَالَ مَنْزِلَةَ ٱلسَّخِيِّ(٧). وَٱلْفَاجِرُ ٱلَّذِي يَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَيَأْمُلُ أَنَّ رُوحَهُ مِنْ أَرْوَاحِ ٱلشُّهَدَاءِ(٨)* قَالَ ٱلْمَلِكُ أَنَا ٱلَّذِي جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَجَرَرْتُ ٱلْبَلَاءَ إِلَيْهَا. قَالَ إِيلَاذُ أُولَئِكَ فِي ٱلنَّاسِ خَمْسَةٌ. ٱلَّذِي يَتَعَرَّضُ لِلْقِتَالِ وَهُوَ أَعْزَلُ(٩). وَٱلْبَخِيلُ يَجْمَعُ مَالَهُ فِي مَنْزِلِهِ وَلَا أَحَدَ مَعَهُ فَيَقْصِدُهُ ٱللُّصُوصُ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَأْخُذُونَ مَالَهُ. وَٱلْكَبِيرُ

---

(١) المزفوفة (٢) المفاخر (٣) المائلون (٤) الزق الذي ينفخ فيه الحداد (٥) الذي يدق الثياب ويبيضها (٦) مثنى جورب وهو ما يعرف عند العامة بالكلسات (٧) الكريم (٨) جمع شهيد وهو القتيل في سبيل الله (٩) اي لا سلاح معه

يَخْطُبُ ٱلصَّغِيرَةَ وَٱلْقَبِيحُ يَخْطُبُ ٱلْجَمِيلَةَ · وَٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي تُحِبُّ وَلَدَهَا وَهُوَ شَاطِرٌ(١) عَارِمٌ(٢) فَهِيَ تَسْتُرُ أُمُورَهُ وَتُخْفِيهَا ثُمَّ هُوَ يَكُونُ تَعَبًا لَهَا وَوَبَالًا(٣) عَلَيْهَا * قَالَ ٱلْمَلِكُ قَدْ وَضَعْتُ ٱلْأَمْرَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فِي قَتْلِي إِيرَاخْتَ · قَالَ إِيلَاذُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ ثَلَاثَةٌ · وَهُمُ ٱلطَّائِرُ ٱلَّذِي يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ خَوْفًا مِنْ سُقُوطِهَا عَلَيْهِ وَٱلْكُرْكِيُّ ٱلَّذِي يَقُومُ عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَضَعُ ٱلثَّانِيَةَ عَلَى ٱلْأَرْضِ خَوْفَ أَنْ يَخْسِفَهَا(٤) · وَٱلْغَنِيُّ ٱلْبَخِيلُ إِذَا أَكَلَ لَا يَشْبَعُ يَخَافُ عَلَى مَالِهِ مِنَ ٱلنَّفَادِ · كَالْخَرَاطِينِ(٥) ٱلَّتِي طَعَامُهَا ٱلتُّرَابُ تَقْصِدُ ٱلْإِقْلَالَ مِنَ ٱلْأَكْلِ مِنْهُ لِئَلَّا يَنْفَدَ(٦) وَيَفْنَى · وَكَالْكَلْبِ ٱلَّذِي يَلَغُ(٧) مِنَ ٱلنَّهْرِ بِلِسَانِهِ وَلَا يَعُبُّ(٨) مِنْهُ حِذَارَ أَنْ يَجِفَّ · وَٱلْخُفَّاشُ(٩) ٱلَّذِي يَطِيرُ بِٱللَّيْلِ لَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ بِٱلنَّهَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَصْطَادَهُ ٱلنَّاسُ لِحُسْنِهِ وَهُوَ أَقْبَحُ ٱلطَّيْرِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَمْ أَحْزَنْ قَطُّ حُزْنِي عَلَى إِيرَاخْتَ · قَالَ إِيلَاذُ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ إِذَا كُنَّ فِي ٱلْمَرْأَةِ كَانَتْ أَهْلًا(١٠) أَنْ يُحْزَنَ عَلَيْهَا · إِذَا كَانَتْ عَفِيفَةً كَرِيمَةَ ٱلْحَسَبِ وَٱلنَّسَبِ · عَاقِلَةً ·

---

(١) الشاطر من اعيا اهله خبثًا (٢) شرس مؤذٍ (٣) عاقبة سيئة (٤) يغرقها او يخرقها (٥) هي ديدان حمر طوال توجد في الارض الندية لا مفرد لها (٦) يفرغ (٧) من الولوغ وهو شرب الكلب (٨) من العب وهي شرب الدواب (٩) الوطواط (١٠) مستحقة

جَمِيلَةً · مُوَافِقَةً لِزَوْجِهَا مُحِبَّةً لَهُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَيْسَ تَأْخُذُنِي سِنَةٌ⁽¹⁾ وَلَا نَوْمٌ مِنْ حُزْنِي عَلَى إِيرَاخْتَ · قَالَ إِيلَاذُ اثْنَانِ لَا يَهْجَعَانِ⁽²⁾ وَلَا يَسْتَرِيحَانِ · ٱلْكَثِيرُ ٱلْمَالِ وَلَيْسَ لَهُ خَازِنٌ⁽³⁾ وَلَا أَمِينٌ وَٱلشَّدِيدُ ٱلْمَرَضِ وَلَا طَبِيبَ لَهُ

ثُمَّ إِنَّ إِيلَاذَ لَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكَ قَدِ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْأَمْرُ سَكَتَ · فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ مَا بَالُكَ يَا إِيلَاذُ سَكَتَّ · قَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنِّي قَدْ تَجَاسَرْتُ عَلَيْكَ فِيمَا ٱمْتَحَنْتُكَ بِهِ إِرَادَةَ أَنْ أَعْلَمَ مَا آلَ⁽⁴⁾ إِلَيْهِ أَمْرُكَ فِي إِيرَاخْتَ · وَأَرَانِي قَدْ تَجَاوَزْتُ طَوْرِي⁽⁵⁾ فِي ذٰلِكَ وَبَانَ لِي مِنْ حِلْمِكَ وَعَقْلِكَ مَا أَذْهَلَنِي إِذْ لَمْ يَبْدُ مِنْكَ مَعَ مَا ٱجْتَرَأْتُ بِهِ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْغَضَبِ وَلَا تَغَيَّرْتَ عَنْ حَالِكَ · وَهَا أَنَا شَاكِرٌ لِعَفْوِكَ وَصَفْحِكَ وَتَجَاوُزِكَ عَنِّي⁽⁶⁾ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مِنِّي إِلَّا نُصْحًا لِلْمَلِكِ وَٱسْتِطْلَاعًا لِأَمْرِهِ⁽⁷⁾ فَٱعْفُ عَنِّي إِنْ شِئْتَ أَوْ فَعَاقِبْنِي بِمَا تَرَاهُ فَإِنَّ إِيرَاخْتَ بِٱلْحَيَاةِ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ ٱشْتَدَّ فَرَحُهُ وَقَالَ يَا إِيلَاذُ إِنَّمَا مَنَعَنِي مِنَ ٱلْغَضَبِ مَا أَعْرِفُ مِنْ نَصِيحَتِكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ وَكُنْتُ أَرْجُو لِمَعْرِفَتِي بِعِلْمِكَ أَنْ لَا تَكُونَ قَدْ

---

(١) نعاس (٢) لا ينامان (٣) متولي حفظ ماله وانفاقه (٤) رجع
(٥) قدري (٦) اي عفوك وعدم مؤاخذتك اياي (٧) اي لانظر ماعنده وما الذي يظهر لي منه

قتلت إيراخت . فإنها وإن تكن أتت عظيماً وأغلظت[1] في القول لم تأته عداوة ولا طلب مضرة ولكنها فعلت ذلك للغيرة وقد كان ينبغي لي أن أعرض عن ذلك وأحتمله . ولكنك يا إيلاذ أردت أن تختبرني وتتركني في شك من أمرها . وقد اتخذت عندي أفضل الأيادي[2] وأنا لك شاكر فانطلق فأتني بها * فخرج من عند الملك فأتى إيراخت وأمرها أن تتزين ففعلت ذلك وانطلق بها . فلما دخلت سجدت للملك ثم قامت بين يديه وقالت أحمد الله تعالى ثم أحمد الملك الذي أحسن إلي . قد أذنبت الذنب العظيم الذي لم أكن للبقاء أهلاً بعده فوسعه[3] حلمه وكرم طبعه ورأفته . ثم أحمد إيلاذ الذي أخر أمري وأنجاني من الهلكة لعلمه برأفة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره[4] ووفاء عهده * وقال الملك لإيلاذ ما أعظم يداك[5] عندي وعند إيراخت وعند العامة إذ قد أحييتها بعد ما أمرت بقتلها . فأنت الذي وهبها لي اليوم فإني لم أزل واثقاً بنصيحتك وتدبيرك وقد ازددت اليوم عندي كرامة وتعظيماً . وأنت محكم في ملكي تعمل فيه بما ترى وتحكم عليه

---

(١) خشنت وعنفت (٢) النعم (٣) احاط به (٤) اصله (٥) نعمتك واحسانك

بما تريدُ فقد جعلتُ ذلك إليك ووثقتُ بك . قال إيلاذُ أدامَ اللهُ لك أيُّها المَلِكُ المُلْكَ والسُّرورَ فلستُ بمحمودٍ على ذلك فإنما أنا عبدُك . لكنَّ حاجتي أن لا يعجلَ المَلِكُ في الأمرِ الجسيمِ الذي يندمُ على فعلِهِ وتكونُ عاقبتُهُ الغمَّ والحزنَ ولا سيَّما في مثلِ هذهِ المرأةِ النَّاصحةِ المشفقةِ(١) التي لا يوجدُ في الأرضِ مثلُها . فقال المَلِكُ بحقٍّ قلتَ يا إيلاذُ وقد قبلتُ قولَكَ ولستُ عاملاً بعدَها عملاً كبيراً ولا صغيراً فضلاً عن مثلِ هذا الأمرِ العظيمِ الذي ما سلمتُ منهُ إلَّا بعدَ المؤامرةِ(٢) والنظرِ والتردُّدِ ومشاورةِ أهلِ المودَّةِ والرَّأي

ثمَّ أحسنَ المَلِكُ جائزةَ إيلاذَ ومكَّنهُ(٣) من أولئكَ البراهمةِ الذينَ أشاروا بقتلِ أحبابِهِ فأطلقَ فيهمِ السَّيفَ . وقرَّتْ عينُ(٤) المَلِكِ وعيونُ عظماءِ أهلِ مملكتِهِ وحمدوا اللهَ وأثنوا على كباريونَ لسعةِ علمِهِ وفضلِ حكمتِهِ لأنَّهُ بعلمِهِ خلَصَ المَلِكُ ووزيرُهُ الصالحُ وامرأتُهُ الصالحةُ

---

(١) الحريصة (٢) المشاورة (٣) اي جعل له عليهم سلطاناً وقدرة (٤) سرّ وفرح

باب

النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

قالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبا الْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا الْمَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الَّذِي يَدَعُ صَنْعَةَ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَيُشاكِلُهُ(١) وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلا يُدْرِكُهُ(٢) وَيَرْجِعُ إِلَى الَّذِي كانَ عَلَيْهِ فَلا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيَبْقَى حَيْرانَ مُتَرَدِّدًا

قالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ بِأَرْضِ الْكَرْخِ ناسِكٌ عابِدٌ مُجْتَهِدٌ . فَنَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ ذاتَ يَوْمٍ فَدَعا النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ بِتَمْرٍ لِيُطْرِفَهُ(٣) بِهِ فَأَكَلا مِنْهُ جَمِيعًا . ثُمَّ قالَ الضَّيْفُ ما أَحْلَى هٰذا التَّمْرَ وَأَطْيَبَهُ فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلادِي الَّتِي أَسْكُنُها وَلَيْتَهُ كانَ فِيها . ثُمَّ قالَ أَرَى أَنْ تُساعِدَنِي عَلَى أَنْ آخُذَ مِنْهُ ما أَغْرِسُهُ فِي أَرْضِنا فَإِنِّي لَسْتُ عارِفًا بِثِمارِ أَرْضِكُمْ هٰذِهِ وَلا بِمَواضِعِها . قالَ لَهُ النَّاسِكُ لَيْسَ لَكَ فِي ذٰلِكَ راحَةٌ فَإِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْكَ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ لا يُوافِقُ أَرْضَكُمْ . مَعَ أَنَّ بِلادَكُمْ كَثِيرَةُ الْأَثْمارِ فَما حاجَةٌ مَعَ

---

(١) يوافقه ويماثله (٢) اي لا يصل اليه (٣) ليقدمه له ومنه الطرفة وهي الشيء المستحسن المعجب

كَثْرَةِ ثِمارِها إِلى ٱلتَّمْرِ مَعَ وَخامَتِهِ[١] وَقِلَّةِ مُناسَبَتِهِ لِلْجَسَدِ . ثُمَّ قالَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ إِنَّهُ لا يُعَدُّ سَعِيداً مَنْ طَلَبَ ما لا يَجِدُ . وَإِنَّكَ سَعِيدُ ٱلْجَدِّ[٢] إِذا قَنِعْتَ بِٱلَّذِي تَجِدُ وَتَزَهَّدُ فِيما لا تَجِدُ * وَكانَ هٰذا ٱلنَّاسِكُ يُحْسِنُ ٱلْعِبْرانِيَّةَ فَسَمِعَهُ ٱلضَّيْفُ يَتَكَلَّمُ بِها مَرَّةً فَٱسْتَحْسَنَ كَلامَهُ وَأَعْجَبَهُ فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَعالَجَ فِي ذٰلِكَ نَفْسَهُ أَيَّاماً . فَقالَ ٱلنَّاسِكُ لَهُ ما أَخْلَقَكَ[٣] أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ مِنْ كَلامِكَ وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلامِ ٱلْعِبْرانِيَّةِ فِي مِثْلِ ما وَقَعَ فِيهِ ٱلْغُرابُ . قالَ ٱلضَّيْفُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلنَّاسِكُ زَعَمُوا أَنَّ غُراباً رَأَى حَجَلَةً تَدْرُجُ[٤] وَتَمْشِي فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُها وَطَمِعَ أَنْ يَتَعَلَّمَها فَراضَ[٥] عَلَى ذٰلِكَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكامِها وَأَيِسَ[٦] مِنْها وَأَرادَ أَنْ يَعُودَ إِلَى مِشْيَتِهِ ٱلَّتِي كانَ عَلَيْها فَإِذا هُوَ قَدِ ٱخْتَلَطَ مَشْيُهُ وَتَخَلَّعَ[٧] فِيهِ وَصارَ أَقْبَحَ ٱلطَّيْرِ مَشْياً

وَإِنَّما ضَرَبْتُ لَكَ هٰذا ٱلْمَثَلَ لِما رَأَيْتُ مِنْ إِنَّكَ تَرَكْتَ لِسانَكَ ٱلَّذِي طُبِعْتَ عَلَيْهِ وَأَقْبَلْتَ عَلَى لِسانِ ٱلْعِبْرانِيَّةِ وَهُوَ

---

(١) عدم موافقته (٢) الحظ (٣) ما اولاك (٤) تمشي مشية من يصعد على الدرج (٥) درّب وعوّد (٦) قطع (٧) تفكك

لا يُشاكِلُكَ[١] . وَأَخافُ أَنْ لا تُدْرِكَهُ وَتَنْسَى لِسانَكَ وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ لِسانًا . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ يُعَدُّ جاهِلًا مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْأُمُورِ ما لا يُشاكِلُهُ وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يُؤَدِّبْهُ عَلَيْهِ آباؤُهُ وَأَجْدادُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يُعْرَفْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ وَذَوِي قَرابَتِهِ فَإِنَّ الْعاقِلَ لا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ[٢]

وَالْوُلاةُ أَيُّها الْمَلِكُ وَأَرْبابُ[٣] الْأَمْرِ أَوْلَى بِالْانْتِباهِ إِلَى هٰذا الشَّأْنِ وَمَنْعِ حُدُوثِهِ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ فِيهِ مَضَرَّةً لَهُمْ بِما يُجَرِّئُ[٤] الْأَنْفُسَ عَلَى مُنازَعَتِهِمْ فِي مَنازِلِهِمْ وَيُغْرِيها[٥] بِمُقاوَمَتِهِمْ فِي أَحْكامِهِمْ لِما فِيهِ مِنْ إِطْماعِ السَّفَلَةِ[٦] فِي مَراتِبِ أَهْلِ الطَّبَقَةِ[٧] الْعالِيَةِ وَمُزاحَمَةِ اللَّئِيمِ لِلْكَرِيمِ وَالْجاهِلِ لِلْعالِمِ وَالْخامِلِ[٨] لِلنَّسِيبِ وَالدَّنِيءِ لِلشَّرِيفِ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يُفْضِي[٩] إِلَى تَشَوُّشِ الْعالَمِ وَفَسادِ الْأُمُورِ وَاخْتِلاطِ الطَّبَقاتِ وَضَياعِ الْمَراتِبِ وَالْأَقْدارِ وَالْأُمُورُ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ تَجْرِي عَلَى مِثالٍ واحِدٍ يَنْتَهِي إِلَى الْأَمْرِ الْخَطِيرِ[١٠] الْجَسِيمِ مِنْ مُزاحَمَةِ الْمَلِكِ عَلَى مُلْكِهِ وَمُضادَّتِهِ فِيهِ

(١) لا يوافقك (٢) حدّه (٣) اصحاب (٤) يشجع (٥) يحرّضها
(٦) الادنياء (٧) الرتبة (٨) الساقط (٩) يبلغ وينتهي (١٠) الرفيع

باب
السَّائِحِ وَالصَّائِغِ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلَّذِي يَضَعُ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو ٱلشُّكْرَ عَلَيْهِ .

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ أَيُّها ٱلْمَلِكُ لَيْسَ أَضْيَعُ مِنْ جَمِيلٍ يُصْنَعُ مَعَ غَيْرِ شاكِرٍ وَلا أَخْسَرُ مِنْ صانِعِهِ . كَما أَنَّهُ لا بَذْرَ أَنْمى مِنْ بَذْرِ ٱلْجَمِيلِ فِي قُلُوبِ ٱلشَّاكِرِينَ وَلا تِجارَةَ أَرْبَحُ مِنْ تِجارَتِهِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ جَدِيرٌ أَنْ يَصْنَعَ ٱلْمَعْرُوفَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّهُ إِنْ ضاعَ ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ لا يَضِيعُ عِنْدَ ٱللّٰهِ . وَلا سِيَّما إِلَى ذَوِي ٱلشُّكْرِ وَٱلْوَفاءِ كَيْفَ كانَتْ مَنْزِلَتُهُمْ فَلَعَلَّهُ ٱحْتاجَ إِلَيْهِمْ يَوْمًا مِنَ ٱلدَّهْرِ فَيُكافِئُوهُ عَلَيْهِ * غَيْرَ أَنَّ ٱلْمُلُوكَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ ذَوِي ٱلْعُقُولِ إِذا تَعَمَّدُوا بِمَعْرُوفِهِمْ أَحَدًا يَخْتَصُّونَهُ بِهِ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَضَعُوهُ مَوْضِعَهُ وَلا يُضَيِّعُوهُ عِنْدَ مَنْ لا يَحْتَمِلُهُ(١) وَلا يَقُومُ بِشُكْرِهِ . فَيَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ لا يَصْطَفُوا(٢) أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ ٱلْخِبْرَةِ

(١) بثقله ويشكره (٢) لا يختاروا

بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره. فإن من أقدم على المشهور بالاستقامة والعفة واسترسل إليه[1] من غير اختبار ولا تجربة كان مخاطراً في ذلك مشرفاً[2] منه على هلاك وفساد. ألا ترى أن الطبيب الرفيق[3] العاقل لا يكتفي في مداواة المريض بالمعاينة فقط. لكنه لا يقدم على علاجه إلا بعد تعرف أحواله والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته فإذا عرف ذلك كله أقدم على معالجته. ولا ينبغي أن يختصوا بذلك قريباً لقرابته ولا أحداً من خاصتهم لشرفه إذا كان غير محتمل للصنيعة[4] فإنه إنما شرف بتشريفهم إياه. ولا أن يمنعوا معروفهم وجميلهم عن بعيد لبعده أو خامل لخموله إذا كان عارفاً بحق ما يصطنع إليه[5] مؤدياً لشكر ما أنعم عليه. وقد قيل لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر أحداً من الناس حتى البهائم ولكنه خليق أن يبلوهم[6] ويختبرهم ويكون ما يصنع إليهم على قدر ما يرى منهم فقد يكون الخير عند من يظن به الشر والشر عند من يظن به الخير

وإن طبائع[7] الخلق أيها الملك مختلفة وليس مما خلقه الله

---

(١) امنه وركن اليه (٢) مطلعاً (٣) اللطيف النافع (٤) الاحسان (٥) يحسن (٦) يجربهم (٧) جمع طبيعة وهي السجية التي طبع عليها الانسان

مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ أَوْ يَسْبَحُ فِي الْمَاءِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَرُبَّمَا تَحَذَّرَ الْعَاقِلُ مِنَ النَّاسِ فَلَمْ يَأْمَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ وَأَخَذَ ابْنَ عِرْسٍ فَأَدْخَلَهُ فِي كُمِّهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْآخَرِ وَأَخَذَ الطَّيْرَ الْجَارِحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ نَصِيبًا . وَمِنَ النَّاسِ الْبَرُّ(١) وَالْفَاجِرُ(٢) وَمِنْ هٰؤُلَاءِ كُلُّ كَفُورٍ كَنُودٍ(٣) حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَنْ حُرْمَةٍ(٤) وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَقَدْ مَضَى فِي ذٰلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً(٥) فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحَيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَبْرٌ(٦) . وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلَى الرَّكِيَّةِ فَبَصُرَ بِالرَّجُلِ وَالْحَيَّةِ وَالْقِرْدِ وَالْبَبْرِ . فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ لَسْتُ أَعْمَلُ لِآخِرَتِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخَلِّصَ هٰذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هٰؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ . فَقَدْ قِيلَ لَمْ يُؤْجَرْ مَأْجُورٌ بِأَعْظَمَ مِنْ أَجْرِ مَنِ اسْتَحْيَا نَفْسًا هَالِكَةً وَلَا عُوقِبَ مُعَاقَبٌ بِأَشَدَّ

---

(١) الصالح (٢) الفاسق العاصي (٣) الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى المواهب (٤) الحرمة ما لا يحل فعله (٥) بئر ذات ماء (٦) اسد هندي

مِنْ عِقابِ مَنْ كَفَّ عَنْ ذٰلِكَ وَهُوَ قادِرٌ عَلَيْهِ وَلَوْ بِمَشَقَّةٍ[١] ما خَلا ذَهابَ نَفْسِهِ * فَأَخَذَ حَبْلاً وَأَدْلاهُ إِلَى ٱلْبِئْرِ فَتَعَلَّقَ بِهِ ٱلْقِرْدُ لِخِفَّتِهِ فَخَرَجَ ثُمَّ أَدْلاهُ ثانِيَةً فَٱلْتَفَّتْ بِهِ ٱلْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ ثُمَّ أَدْلاهُ ثالِثَةً فَتَعَلَّقَ بِهِ ٱلْبَبْرُ فَأَخْرَجَهُ. فَشَكَرْنَ لَهُ صَنِيعَهُ وَقُلْنَ لَهُ لا تُخْرِجْ هٰذا ٱلرَّجُلَ مِنَ ٱلرَّكِيَّةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنْ شُكْرِ ٱلْإِنْسانِ. ثُمَّ قالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ إِنَّ مَنْزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقالُ لَها نُوادَرَخْتُ. فَقالَ لَهُ ٱلْبَبْرُ أَنا أَيْضاً فِي أَجَمَةٍ[٢] إِلَى جانِبِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ. قالَتِ ٱلْحَيَّةُ وَأَنا فِي سُورِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنا يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ وَٱحْتَجْتَ إِلَيْنا فَصَوِّتْ عَلَيْنا حَتَّى نَأْتِيَكَ فَنَجْزِيَكَ بِما أَسْدَيْتَ[٣] إِلَيْنا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ. فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلسّائِحُ إِلَى ما ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ ٱلْإِنْسانِ وَأَدْلَى ٱلْحَبْلَ فَأَخْرَجَ ٱلصّائِغَ فَسَجَدَ لَهُ وَقالَ لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي[٤] مَعْرُوفاً فَإِنْ مَرَرْتَ يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نُوادَرَخْتَ فَٱسْأَلْ عَنْ مَنْزِلِي وَأَنا رَجُلٌ صائِغٌ وَٱسْمِي فُلانٌ لَعَلِّي أُكافِئُكَ بِما صَنَعْتَ إِلَيَّ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ فَٱنْطَلَقَ ٱلصّائِغُ إِلَى مَدِينَتِهِ وَٱنْطَلَقَ ٱلسّائِحُ إِلَى وِجْهَتِهِ[٥] * فَعَرَضَ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلسّائِحَ ٱتَّفَقَتْ لَهُ حاجَةٌ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ

(١) بتعب شديد (٢) غابة (٣) احسنت (٤) صنعت اليّ (٥) الناحية التي يقصدها

فَٱنْطَلَقَ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْقِرْدُ فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ رِجْلَيْهِ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ ٱلْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلٰكِنِ ٱقْعُدْ حَتَّى آتِيكَ وَٱنْطَلَقَ ٱلْقِرْدُ وَأَتَاهُ بِفَاكِهَةٍ طَيِّبَةٍ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّائِحَ ٱنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْبَبْرُ فَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا فَٱطْمَئِنَّ سَاعَةً حَتَّى آتِيكَ . فَٱنْطَلَقَ ٱلْبَبْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ ٱلْحِيطَانِ إِلَى بِنْتِ ٱلْمَلِكِ فَقَتَلَهَا وَأَخَذَ حَلْيَهَا[1] فَأَتَاهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ ٱلسَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ * فَقَالَ فِي نَفْسِهِ هٰذِهِ ٱلْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَتْنِي هٰذَا ٱلْجَزَاءَ فَكَيْفَ لَوْ أَتَيْتُ إِلَى ٱلصَّائِغِ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا[2] لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هٰذَا ٱلْحَلْيَ فَيَسْتَوْفِي ثَمَنَهُ فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ وَهُوَ أَعْرَفُ بِثَمَنِهِ . فَٱنْطَلَقَ ٱلسَّائِحُ فَأَتَى إِلَى ٱلصَّائِغِ فَلَمَّا رَآهُ رَحَّبَ بِهِ[3] وَأَدْخَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِٱلْحَلْيِ مَعَهُ عَرَفَهُ وَكَانَ هُوَ ٱلَّذِي صَاغَهُ لِٱبْنَةِ ٱلْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ ٱلصَّائِغُ ٱطْمَئِنَّ[4] حَتَّى آتِيكَ بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَا فِي ٱلْبَيْتِ ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي[5] . أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَأَدُلَّهُ عَلَى ذٰلِكَ

(١) ما تتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة الكريمة (٢) ضيق الحال فقيرا
(٣) اي قال له مرحبا بك (٤) اسكن هنا (٥) وقتي

فَتَحْسُنُ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ · فَانْطَلَقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنِ الَّذِي قَتَلَ ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حَلْيَهَا عِنْدِي فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَأَتَى بِالسَّائِحِ فَلَمَّا نَظَرَ الْحَلْيَ مَعَهُ لَمْ يُمْهِلْهُ وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ وَيُطَافَ بِهِ[1] فِي الْمَدِينَةِ وَيُصْلَبَ * فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ جَعَلَ السَّائِحُ يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ لَوْ أَنِّي أَطَعْتُ الْقِرْدَ وَالْحَيَّةَ وَالْبَبْرَ فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَخْبَرْتَنِي مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ[2] أَمْرِي إِلَى هٰذَا الْبَلَاءِ وَجَعَلَ يُكَرِّرُ هٰذَا الْقَوْلَ · فَسَمِعَتْ مَقَالَتَهُ تِلْكَ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهَا أَمْرُهُ فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خَلَاصِهِ · فَانْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتْ[3] ابْنَ الْمَلِكِ فَدَعَا الْمَلِكُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَرَقَوْهُ[4] لِيَشْفُوهُ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ[5] شَيْئًا

ثُمَّ مَضَتِ الْحَيَّةُ إِلَى أُخْتٍ[6] لَهَا مِنَ الْجِنِّ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَمَا وَقَعَ فِيهِ فَرَقَّتْ لَهُ وَانْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ وَتَرَاءَتْ[7] لَهُ وَقَالَتْ إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ حَتَّى يَرْقِيكَ هٰذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا · وَانْطَلَقَتِ الْحَيَّةُ إِلَى السَّائِحِ فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ السِّجْنَ وَقَالَتْ لَهُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنْ

---

(١) اي يُركَّب على حيوان ويدار به (٢) يَنتهِ (٣) لسعت (٤) عالجوه بعلاج الملسوع (٥) اي فلم ينفعوه (٦) صديقةٍ (٧) تظاهرت

اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ إِلَى هٰذَا الْإِنْسَانِ وَلَمْ تُطِعْنِي وَأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ مِنْ سُمِّهَا وَقَالَتْ لَهُ إِذَا جَاءُوا بِكَ لِتَرْقِيَ ابْنَ الْمَلِكِ فَاسْقِهِ مِنْ مَاءِ هٰذَا الْوَرَقِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ وَإِذَا سَأَلَكَ الْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ فَاصْدُقْهُ فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى* وَإِنَّ ابْنَ الْمَلِكِ أَخْبَرَ أَبَاهُ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيَكَ السَّائِحُ الَّذِي حُبِسَ ظُلْمًا. فَدَعَا الْمَلِكُ بِالسَّائِحِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ فَقَالَ لَا أُحْسِنُ الرُّقَى وَلٰكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَى فَسَقَاهُ فَبَرِئَ الْغُلَامُ. فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِذٰلِكَ وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ فَشَكَرَهُ الْمَلِكُ وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً وَأَمَرَ بِالصَّائِغِ أَنْ يُصْلَبَ فَصَلَبُوهُ لِكَذِبِهِ وَانْحِرَافِهِ عَنِ الشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ بِالْقَبِيحِ

ثُمَّ قَالَ الْفَيْلَسُوفُ لِلْمَلِكِ فَفِي صَنِيعِ الصَّائِغِ بِالسَّائِحِ وَكُفْرِهِ(١) لَهُ بَعْدَ اسْتِنْقَاذِهِ(٢) إِيَّاهُ وَشُكْرِ الْبَهَائِمِ لَهُ وَتَخْلِيصِ بَعْضِهَا إِيَّاهُ عِبْرَةٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ وَفِكْرَةٌ لِمَنِ افْتَكَرَ وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ قَرُبُوا أَوْ بَعُدُوا لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ صَوَابِ الرَّأْيِ وَجَلْبِ الْخَيْرِ وَصَرْفِ(٣) الْمَكْرُوهِ

(١) جحده نعمته (٢) تخليصه (٣) ابعاد

بــاب
ابْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحابِهِ

قالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَإِنْ كانَ ٱلرَّجُلُ لا يُصِيبُ ٱلْخَيْرَ إِلاَّ بِعَقْلِهِ وَرَأْيِهِ وَتَثَبُّتِهِ[1] في ٱلْأُمُورِ كَما يَزْعُمُونَ فَما بالُ ٱلرَّجُلِ ٱلْجاهِلِ يُصِيبُ ٱلرِّفْعَةَ وَٱلْخَيْرَ وَٱلرَّجُلُ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعاقِلُ قَدْ يُصِيبُ ٱلْبَلاءَ وَٱلضُّرَّ * قالَ بَيْدَبا كَما أَنَّ ٱلْأَعْمَى لا يُبْصِرُ إِلاَّ بِقَلْبِهِ وَلا يَمْشِي إِلاَّ بِجَسِّهِ[2] مَعَ ٱلْمُهْلَةِ وَٱلتَّأَنِّي . كَذٰلِكَ يَنْبَغِي لِلْإِنْسانِ أَنْ يَسْلُكَ في ٱلْأُمُورِ بِعَيْنِ ٱلْعَقْلِ وَٱلْبَصِيرَةِ وَٱلْعِلْمِ وَبِٱلتَّثَبُّتِ وَٱلْأَناةِ فَقَلَّ أَنْ يَعْثُرَ عَلَى هٰذا . غَيْرَ أَنَّ ٱلْقَضاءَ وَٱلْقَدَرَ قَدْ يَغْلِبانِ عَلَى ذٰلِكَ كَما قَدْ يَعْثُرُ ٱلْبَصِيرُ وَيَسْلَمُ ٱلضَّرِيرُ[3] . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحابِهِ . قالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ[4] ٱصْطَحَبُوا في طَرِيقٍ واحِدَةٍ أَحَدُهُمُ ٱبْنُ مَلِكٍ وَٱلثّانِي ٱبْنُ تاجِرٍ وَٱلثّالِثُ ٱبْنُ شَرِيفٍ ذُو جَمالٍ وَٱلرّابِعُ ٱبْنُ أَكّارٍ[5] . وَكانُوا جَمِيعاً مُحْتاجِينَ وَقَدْ

---

(١) تأنّيه (٢) بلمسه (٣) الذاهب البصر (٤) النفر ما بين الثلاثة الى العشرة (٥) حرّاث اي زرّاع .

أصابهم ضرر وجهد(١) شديد في موضع غربة لا يملكون إلا ما عليهم من الثياب. فبينما هم يمشون إذ فكروا في أمرهم وكان كل إنسان منهم راجعا إلى طباعه وما كان يأتيه منه الخير. فقال ابن الملك إن أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر. والذي قدر على الإنسان يأتيه على كل حال والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور * وقال ابن التاجر العقل أفضل من كل شيء * وقال ابن الشريف الجمال أفضل مما ذكر ثم قال ابن الأكار ليس في الدنيا أفضل من الاجتهاد في العمل * فلما قربوا من مدينة يقال لها مطرون جلسوا في ناحية منها يتشاورون. فقالوا لابن الأكار انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا. فانطلق ابن الأكار وسأل عن عمل إذا عمله الإنسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر. فعرفوه أن ليس في تلك المدينة شيء أعز(٢) من الحطب وكان الحطب منها على فرسخ. فانطلق ابن الأكار فاحتطب(٣) طنا(٤) من الحطب وأتى به المدينة فباعه بدرهم واشترى به طعاما. وكتب على باب المدينة عمل يوم واحد إذا جهد به الرجل بدنه قيمته

(١) تعب (٢) اقل واندر وجودا (٣) جمع حطبا (٤) حزمة

دِرْهَمٍ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِٱلطَّعَامِ فَأَكَلُوا

فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ قَالُوا يَنْبَغِي لِلَّذِي قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ[1] مِنَ ٱلْجَمَالِ أَنْ تَكُونَ نَوْبَتُهُ[2] * فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلشَّرِيفِ لِيَأْتِيَ ٱلْمَدِينَةَ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ أَنَا لَسْتُ أُحْسِنُ عَمَلًا فَمَا يُدْخِلُنِي ٱلْمَدِينَةَ . ثُمَّ ٱسْتَحْيَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ وَهَمَّ[3] بِمُفَارَقَتِهِمْ فَٱنْطَلَقَ حَتَّى أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ فَغَلَبَهُ ٱلنَّوْمُ فَنَامَ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ وَبَصُرَ بِهِ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ أَنْ يُصَوِّرَهُ وَيَكْتَسِبَ مِنْ صُورَتِهِ إِذَا عَمِلَ مِنْهَا صُوَرًا وَبَاعَهَا فَأَيْقَظَهُ[4] وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُصَوِّرَهُ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ أَجَازَهُ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ . فَخَرَجَ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ جَمَالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي مِئَةَ دِرْهَمٍ وَأَتَى بِٱلدَّرَاهِمِ إِلَى أَصْحَابِهِ * فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ قَالُوا لِٱبْنِ ٱلتَّاجِرِ ٱنْطَلِقْ أَنْتَ فَٱطْلُبْ لَنَا بِعَقْلِكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هٰذَا شَيْئًا . فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى بَصُرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سُفُنِ ٱلْبَحْرِ كَثِيرَةِ ٱلْمَتَاعِ[5] قَدْ قَدِمَتْ إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلتُّجَّارِ يُرِيدُونَ أَنْ يَبْتَاعُوا مِمَّا

(١) اشرف واكرم (٢) وقته (٣) قصد ولم يفعل (٤) نبهه (٥) المتاع ما ينتفع به من الحوائج

فِيهَا مِنَ ٱلْمَتَاعِ . فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلْمَرْكَبِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ٱرْجِعُوا يَوْمَنَا هٰذَا لَا نَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئًا حَتَّى يَكْسُدَ(١) ٱلْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ فَيُرَخِّصُوهُ(٢) عَلَيْنَا مَعَ أَنَّا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَسَيَرْخُصُ فَخَالَفَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ ٱلطَّرِيقَ وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ ٱلْمَرْكَبِ فَٱبْتَاعَ مِنْهُمْ مَا فِيهِ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ نَسِيئَةً(٣) وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ مَتَاعَهُ إِلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلتُّجَّارُ ذٰلِكَ خَافُوا أَنْ يَذْهَبَ ذٰلِكَ ٱلْمَتَاعُ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَأَرْبَحُوهُ عَلَى مَا ٱشْتَرَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَأَحَالَ(٤) عَلَيْهِمْ أَصْحَابَ ٱلْمَرْكَبِ بِٱلْبَاقِي وَحَمَلَ رِبْحَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ عَقْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَنُهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ * فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلرَّابِعُ قَالُوا لِٱبْنِ ٱلْمَلِكِ ٱنْطَلِقْ أَنْتَ وَٱكْتَسِبْ لَنَا بِقَضَائِكَ وَقَدَرِكَ فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلْمَلِكِ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَجَلَسَ عَلَى دَكَّةٍ(٥) فِي بَابِ ٱلْمَدِينَةِ

وَٱتَّفَقَ بِٱلْقَدَرِ أَنْ مَاتَ مَلِكُ تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ وَلَمْ يُخَلِّفْ وَلَدًا وَلَا أَحَدًا ذَا قَرَابَةٍ . فَمَرُّوا عَلَيْهِ بِجِنَازَةِ ٱلْمَلِكِ وَلَمْ يَحْزَنْ وَكُلُّهُمْ يَحْزَنُونَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَكْتَرِثْ لِمَا هُمْ فِيهِ . فَأَنْكَرُوا(٦)

(١) اي لا ينفق (٢) يجعلوه رخيصاً (٣) تأخيراً اي الى وقت اخر (٤) اي نقل الدين الذي في ذمته الى ذمتهم (٥) بناء يسطح اعلاه للجلوس عليه (٦) جهلوا

حالَهُ وَشَتَمَهُ(١) ٱلْبَوَّابُ وَقالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ يالَئِيمُ وَمــا يُجْلِسُكَ عَلى بابِ ٱلْمَدِينَةِ وَلا نَراكَ تَحْزَنُ لِمَوْتِ ٱلْمَلِكِ وَلا تَهْتَمُّ وَطَرَدَهُ ٱلْبَوَّابُ عَنِ ٱلْبابِ . فَلَمَّا ذَهَبُوا عادَ ٱلْغُلامُ فَجَلَسَ مَكانَهُ . فَلَمَّا دَفَنُوا ٱلْمَلِكَ وَرَجَعُوا بَصُرَ بِهِ ٱلْبَوَّابُ فَغَضِبَ وَقالَ لَهُ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ ٱلْجُلُوسِ فِي هٰذا ٱلْمَوْضِعِ وَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ . فَلَمَّا كانَ مِنَ ٱلْغَدِ وَقَدِ ٱجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ يَتَشاوَرُونَ فِي مَنْ يُمَلِّكُونَهُ عَلَيْهِمْ وَيَخْتَلِفُونَ بَيْنَهُمْ إِذْ دَخَلَ ٱلْبَوَّابُ فَقالَ لَهُمْ إِنِّي رَأَيْتُ أَمْسِ غُلاماً جالِساً عَلَى ٱلْبابِ وَلَمْ أَرَهُ يَحْزَنُ لِحُزْنِنا كَأَنَّ ٱلأَمْرَ لَيْسَ عِنْدَهُ بِعَظِيمٍ وَتَلُوحُ(٢) عَلَيْهِ لَوائِحُ(٣) ٱلْعِزَّةِ وَٱلشَّرَفِ . فَكَلَّمْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي فَطَرَدْتُهُ عَنِ ٱلْبابِ فَلَمَّا عُدْتُ رَأَيْتُهُ جالِساً فَأَدْخَلْتُهُ ٱلسِّجْنَ مَخافَةَ أَنْ يَكُونَ عَيْناً(٤) ✲ فَبَعَثَ أَشْرافُ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى ٱلْغُلامِ فَجاءُوا بِهِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حالِهِ وَما أَقْدَمَهُ إِلَى مَدِينَتِهِمْ . فَقالَ أَنا ٱبْنُ مَلِكِ فَوِيرانَ . وَإِنَّهُ لَمَّا ماتَ والِدِي غَلَبَنِي أَخِي عَلَى ٱلْمُلْكِ وَقَدْ كانَ أَبِي عَهِدَ إِلَيَّ(٥) بِهِ فَغَصَبَنِي إِيَّاهُ فَهَرَبْتُ مِنْ يَدِهِ حَذَراً(٦) عَلَى نَفْسِي حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى هٰــذِهِ ٱلْغايَةِ . فَلَمَّا ذَكَرَ ٱلْغُلامُ ما ذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ عَرَفَهُ بَعْضُ مَنْ كانَ يَغْشَى(٧) بِلادَ أَبِيهِ مِنْهُمْ

(١) سبَّهُ (٢) تبدو (٣) اشارات (٤) جاسوساً (٥) اوصى لي (٦) خوفاً (٧) يأتي

وَأَثْنَوْا عَلَى أَبِيهِ خَيْرًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَشْرَافَ ٱخْتَارُوا ٱلْغُلَامَ أَنْ يُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوا بِهِ . وَكَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ سُنَّةٌ(١) إِذَا مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا حَمَلُوهُ عَلَى فِيلٍ أَبْيَضَ وَطَافُوا(٢) بِهِ حَوَالَيِ ٱلْمَدِينَةِ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ مَرَّ بِبَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَرَأَى ٱلْكِتَابَةَ عَلَى ٱلْبَابِ فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ إِنَّ ٱلِاجْتِهَادَ وَٱلْجَمَالَ وَٱلْعَقْلَ وَمَا أَصَابَ ٱلْإِنْسَانَ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مِنَ ٱللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدِ ٱعْتَبَرَ ذٰلِكَ بِمَا سَاقَ ٱللّٰهُ إِلَيَّ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْخَيْرِ * ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ(٣) مُلْكِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ ٱلَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فَأَحْضَرَهُمْ فَأَشْرَكَ صَاحِبَ ٱلْعَقْلِ مَعَ ٱلْوُزَرَاءِ وَضَمَّ صَاحِبَ ٱلِاجْتِهَادِ إِلَى أَصْحَابِ ٱلزَّرْعِ وَوَلَّى صَاحِبَ ٱلْجَمَالِ إِحْدَى مَصَالِحِهِ .

ثُمَّ جَمَعَ عُلَمَاءَ أَرْضِهِ وَذَوِي(٤) ٱلرَّأْيِ مِنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ أَمَّا أَصْحَابِي فَقَدْ تَيَقَّنُوا(٥) أَنَّ ٱلَّذِي رَزَقَهُمُ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ ٱلْخَيْرِ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءِ ٱللّٰهِ وَقَدَرِهِ . وَإِنَّمَا أُحِبُّ أَنْ تَعْلَمُوا ذٰلِكَ وَتَسْتَيْقِنُوهُ فَإِنَّ ٱلَّذِي مَنَحَنِي(٦) ٱللّٰهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِنَّمَا كَانَ بِقَدَرٍ وَلَمْ

---

(١) طريقة (٢) داروا (٣) تخت (٤) اصحاب (٥) علموا وتحققوا
(٦) اعطاني اياه

يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا ٱجْتِهَادٍ . وَمَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ طَرَدَنِي أَخِي أَنْ يُصِيبَنِي مَا يُعَيِّشُنِي مِنَ ٱلْقُوتِ فَضْلًا عَنْ أَنْ أُصِيبَ هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ . وَمَا كُنْتُ أُؤَمِّلُ أَنْ أَكُونَ بِهَا لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْنًا وَجَمَالًا وَأَشَدُّ ٱجْتِهَادًا وَأَحْزَمُ(١) رَأْيًا فَسَاقَنِي ٱلْقَضَاءُ إِلَى أَنِ ٱعْتَزَزْتُ(٢) بِقَدَرٍ مِنَ ٱللّٰهِ وَكَانَ فِي ذٰلِكَ ٱلْجَمْعِ شَيْخٌ فَنَهَضَ حَتَّى ٱسْتَوَى(٣) قَائِمًا وَقَالَ إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامِ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ . وَلٰكِنَّ ٱلَّذِي بَلَغَ بِكَ ذٰلِكَ وُفُورُ(٤) عَقْلِكَ وَحُسْنُ ظَنِّكَ وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ وَرَجَاءَنَا لَكَ وَقَدْ عَرَفْنَا مَا ذَكَرْتَ وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا وَصَفْتَ . وَٱلَّذِي سَاقَ ٱللّٰهُ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلًا(٥) لَهُ لِمَا قَسَمَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلرَّأْيِ . وَإِنَّ أَسْعَدَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ مَنْ رَزَقَهُ ٱللّٰهُ رَأْيًا وَعَقْلًا . وَإِنَّمَا أَحْسَنَ ٱللّٰهُ إِلَيْنَا بِقَضَائِهِ إِذْ وَفَّقَكَ(٦) لَنَا عِنْدَ مَوْتِ مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ * ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ آخَرُ فَحَمِدَ ٱللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ(٧) وَقَالَ إِنَّ شَأْنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ لَكَمَا ذَكَرْتَ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ أَحَدَ ٱلسُّيَّاحِ حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ

---

(١) احكم (٢) تشرفت (٣) استقام واعتدل (٤) كمال (٥) مستحقاً
(٦) من التوفيق وهو تسهيل طريق الخير وسد طريق الشر (٧) مدحه

إِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ سَائِحًا رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ. فَلَمَّا بَدَا لِي رَفْضُ الدُّنْيَا فَارَقْتُ ذٰلِكَ الرَّجُلَ وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي مِنْ أُجْرَتِي دِينَارَيْنِ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَأَسْتَبْقِيَ الْآخَرَ فَأَتَيْتُ السُّوقَ فَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَّادِينَ زَوْجَيْ هُدْهُدٍ[(١)] فَسَاوَمْتُهُ[(٢)] فِيهِمَا لِأُطْلِقَهُمَا فَأَبَى الصَّيَّادُ أَنْ يَبِيعَهُمَا إِلَّا بِدِينَارَيْنِ فَاجْتَهَدْتُ أَنْ يَبِيعَنِيهِمَا بِدِينَارٍ وَاحِدٍ فَأَبَى. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَشْتَرِي أَحَدَهُمَا وَأَتْرُكُ الْآخَرَ. ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُمَا يَكُونَانِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى فَأُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا. فَأَدْرَكَتْنِي لَهُمَا رَحْمَةٌ فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ وَابْتَعْتُهُمَا بِدِينَارَيْنِ. وَأَشْفَقْتُ[(٣)] إِنْ أَرْسَلْتُهُمَا فِي أَرْضٍ عَامِرَةٍ أَنْ يُصَادَا وَلَا يَسْتَطِيعَا أَنْ يَطِيرَا مِمَّا لَقِيَا مِنَ الْجُوعِ وَالْهُزَالِ[(٤)] وَلَمْ آمَنْ عَلَيْهِمَا الْآفَاتِ[(٥)]. فَانْطَلَقْتُ بِهِمَا إِلَى مَكَانٍ كَثِيرِ الْمَرْعَى وَالْأَشْجَارِ بَعِيدٍ عَنِ النَّاسِ وَالْعُمْرَانِ فَأَرْسَلْتُهُمَا فَطَارَا وَوَقَعَا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ. فَلَمَّا صَارَا فِي أَعْلَاهَا شَكَرَا لِي وَسَمِعْتُ أَحَدَهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ لَقَدْ خَلَّصَنَا هٰذَا السَّائِحُ

---

(١) طائر ذو خطوط والوان كثيرة (٢) يقال ساوم بالسلعة اذا غالى بها اي عرضها بثمن فدفع له المشتري اقل منه وهكذا الى ان يتفقا على ثمن متوسط بين ما يطلب البائع ويدفعه الشاري (٣) خفت (٤) الضعف (٥) العاهات او الاعراض المفسدة

مِنَ ٱلْبَلَاءِ ٱلَّذِي كُنَّا فِيهِ وَٱسْتَنْقَذَنَا وَنَجَّانَا مِنَ ٱلْهَلَكَةِ وَإِنَّا لَخَلِيقَانِ أَنْ نُكَافِئَهُ بِفِعْلِهِ . وَإِنَّ فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ جَرَّةً مَمْلُوءَةً دَنَانِيرَ[1] أَفَلَا نَدُلُّهُ عَلَيْهَا فَيَأْخُذَهَا . فَقُلْتُ لَهُمَا كَيْفَ تَدُلَّانِنِي عَلَى كَنْزٍ لَمْ تَرَهُ ٱلْعُيُونُ وَأَنْتُمَا لَمْ تُبْصِرَا ٱلشَّبَكَةَ . فَقَالَا إِنَّ ٱلْقَضَاءَ وَٱلْقَدَرَ ٱلَّذِي يَتَسَلَّطُ عَلَى ٱلْقَمَرِ وَٱلشَّمْسِ فَيَكْسِفُهُمَا وَعَلَى ٱلْحُوتِ فِي قَعْرِ ٱلْبَحْرِ فَيُصْطَادُ إِذَا نَزَلَ صَرَفَ ٱلْعُيُونَ عَنْ مَوْضِعِ ٱلشَّيْءِ وَغَشَّى[2] عَلَى ٱلْبَصَرِ . وَإِنَّمَا صَرَفَ ٱلْقَضَاءُ أَعْيُنَنَا عَنِ ٱلشَّرَكِ وَلَمْ يَصْرِفْهَا عَنْ هٰذَا ٱلْكَنْزِ لِتَنْتَفِعَ أَنْتَ بِهِ . فَٱحْتَفَرْتُ وَٱسْتَخْرَجْتُ ٱلْبَرْنِيَّةَ[3] وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ دَنَانِيرَ فَدَعَوْتُ لَهُمَا بِٱلْعَافِيَةِ وَقُلْتُ لَهُمَا ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمَا مِمَّا رَأَى وَأَنْتُمَا تَطِيرَانِ فِي ٱلسَّمَاءِ وَأَخْبَرْتُمَانِي بِمَا تَحْتَ ٱلْأَرْضِ . فَقَالَا لِي أَيُّهَا ٱلْعَاقِلُ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ ٱلْقَدَرَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ

فَلْيَعْرِفْ أَهْلُ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْأُمُورِ أَنَّ جَمِيعَ ٱلْأَشْيَاءِ بِقَدَرِ ٱللّٰهِ وَقَضَائِهِ وَأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يَجْلِبُ إِلَى نَفْسِهِ مَحْبُوبًا وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا مَكْرُوهًا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ تَعَالَى * فَلْتَثِقْ نُفُوسُ أَهْلِ ٱلْفِكْرِ بِذٰلِكَ

---

(١) جمع دينار وهو قطعة ذهب من المعاملات القديمة (٢) غطّى (٣) الجرّة

وَتَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ راحةً لِلْمُبْتَلَى [١] وَداعِياً [٢] لِمَنْ تُؤَاتِيهِ [٣] ٱلْمَقَادِيرُ إِلَى شُكْرِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

بَاب

ٱلْحَمامَةِ وَٱلثَّعْلَبِ وَمالِكِ ٱلْحَزِينِ [٤]

وَهُوَ آخِرُ ٱلْكِتَابِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ سَمِعْتُ هٰذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَرَى ٱلرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلا يَراهُ لِنَفْسِهِ • قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْحَمامَةِ وَٱلثَّعْلَبِ وَمالِكِ ٱلْحَزِينِ • قالَ ٱلْمَلِكُ وَما مَثَلُهُنَّ

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ زَعَمُوا أَنَّ حَمامَةً كانَتْ تُفْرِخُ فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذاهِبَةٍ فِي ٱلسَّماءِ • فَكانَتِ ٱلْحَمامَةُ تَشْرَعُ [٥] فِي نَقْلِ ٱلْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ ٱلنَّخْلَةِ فَلا يُمْكِنُها ما تَنْقُلُ مِنَ ٱلْعُشِّ وَتَجْعَلُهُ تَحْتَ ٱلْبَيْضِ إِلاَّ بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لِطُولِ ٱلنَّخْلَةِ وَسُحْقِها [٦]

(١) المصاب (٢) سبباً (٣) تساق اليه (٤) طائر من طيور الماء قيل دعي بذلك لانه لا يزال يقعد بقرب الماء ومواضع نبعها من الانهار فاذا نشفت يحزن على ذهابها ويبقى حزيناً كئيباً وربما ترك الشرب حتى يموت عطشاً خوفاً من زيادة نقصها من شربه منها (٥) تبدأ (٦) علوها

وَكَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ مِنَ ٱلنَّقْلِ بَاضَتْ ثُمَّ حَضَنَتْ بَيْضَهَا[١] فَإِذَا ٱنْقَاضَ[٢] وَأَدْرَكَ[٣] فِرَاخُهَا جَاءَهَا ثَعْلَبٌ قَدْ تَعَهَّدَ[٤] ذَٰلِكَ مِنْهَا لِوَقْتٍ قَدْ عَلِمَهُ رَيْثَمَا[٥] يَنْهَضُ فِرَاخُهَا فَوَقَفَ بِأَصْلِ ٱلنَّخْلَةِ فَصَاحَ بِهَا وَتَوَعَّدَهَا[٦] أَنْ يَرْقَى[٧] إِلَيْهَا أَوْ تُلْقِيَ[٨] إِلَيْهِ فِرَاخَهَا فَتُلْقِيهَا إِلَيْهِ فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ أَدْرَكَ لَهَا فَرْخَانِ إِذْ أَقْبَلَ مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ فَوَقَعَ[٩] عَلَى ٱلنَّخْلَةِ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْحَمَامَةَ كَئِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةَ ٱلْهَمِّ قَالَ لَهَا يَا حَمَامَةُ مَا لِي أَرَاكِ كَاسِفَةَ ٱلْبَالِ[١٠] سَيِّئَةَ ٱلْحَالِ. فَقَالَتْ لَهُ يَا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ إِنَّ ثَعْلَبًا دُهِيتُ بِهِ[١١] كُلَّمَا كَانَ لِي فَرْخَانِ جَاءَنِي يَتَهَدَّدُنِي وَيَصِيحُ فِي أَصْلِ ٱلنَّخْلَةِ فَأَفْرَقُ مِنْهُ[١٢] فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرْخَيَّ. قَالَ لَهَا مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ إِذَا أَتَاكِ لِيَفْعَلَ مَا تَقُولِينَ فَقُولِي لَهُ لَا أُلْقِي إِلَيْكَ فَرْخَيَّ فَٱرْقَ[١٣] إِلَيَّ وَغَرِّرْ بِنَفْسِكَ[١٤] فَإِذَا فَعَلْتَ ذَٰلِكَ وَأَكَلْتَ فَرْخَيَّ طِرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي* فَلَمَّا عَلَّمَهَا مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ هَٰذِهِ ٱلْحِيلَةَ طَارَ فَوَقَعَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ. وَأَقْبَلَ ٱلثَّعْلَبُ فِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي عَرَفَ فَوَقَفَ

---

(١) ضمته تحت جناحيها ورخمت عليه للتفريخ (٢) انكسر وخرج منه الفرخ (٣) بلغ (٤) تفقّد وعرف (٥) مقدار الزمن الذي (٦) تهددها (٧) يصعد (٨) تطرح (٩) نزل (١٠) بمعنى سيئة الحال (١١) اصبت منه بمنكر (١٢) اخافه (١٣) فاصعد (١٤) اي عرضها للهلكة

تَحْتَ ٱلنَّخْلَةِ ثُمَّ صاحَ كَما كانَ يَفْعَلُ فَأَجابَتْهُ ٱلْحَمامَةُ بِما عَلَّمَها مالِكٌ ٱلْحَزِينُ. فَقالَ لَها أَخْبِرِينِي مَنْ عَلَّمَكِ هٰذا . قالَتْ عَلَّمَنِي مالِكٌ ٱلْحَزِينُ* فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مالِكًا ٱلْحَزِينَ عَلَى شاطِئِ ٱلنَّهْرِ فَوَجَدَهُ واقِفًا . فَقالَ لَهُ ٱلثَّعْلَبُ يا مالِكُ ٱلْحَزِينُ إِذا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قالَ عَنْ شِمالِي . قالَ فَإِذا أَتَتْكَ عَنْ شِمالِكَ أَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قالَ أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي . قالَ فَإِذا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَكُلِّ ناحِيَةٍ أَيْنَ تَجْعَلُهُ . قالَ أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَناحَيَّ . قالَ وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَناحَيْكَ . ما أُراهُ(١) يَتَهَيَّأُ لَكَ(٢) . قالَ بَلَى . قالَ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ فَلَعَمْرِي يا مَعْشَرَ ٱلطَّيْرِ لَقَدْ فَضَّلَكُمُ ٱللّٰهُ عَلَيْنا إِنَّكُنَّ تَدْرِينَ فِي ساعَةٍ واحِدَةٍ مِثْلَ ما نَدْرِي فِي سَنَةٍ . وَتَبْلُغْنَ ما لا نَبْلُغُ وَتُدْخِلْنَ رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ ٱلْبَرْدِ وَٱلرِّيحِ . فَهَنِيئًا لَكُنَّ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ . فَأَدْخَلَ ٱلطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَناحَيْهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ ٱلثَّعْلَبُ مَكانَهُ فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ(٣) هَمْزَةً دَقَّ(٤) عُنُقَهُ . ثُمَّ قالَ يا عَدُوَّ نَفْسِهِ تَرَى ٱلرَّأْيَ لِلْحَمامَةِ وَتُعَلِّمُها ٱلْحِيلَةَ لِنَفْسِها وَتَعْجِزُ عَنْ ذٰلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْكَ عَدُوُّكَ . ثُمَّ قَتَلَهُ وَأَكَلَهُ* أَلْهَمَنا ٱللّٰهُ

(١) اظنه (٢) يمكنك (٣) ضغطه وعضه (٤) كسر

أَنْ نَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْتَمِرِينَ (١) لِمَا يَأْمُرُونَ وَٱلْمُنْتَصِحِينَ بِمَا يَنْصَحُونَ

فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْمَنْطِقُ (٢) بِٱلْفَيْلَسُوفِ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ سَكَتَ ٱلْمَلِكُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْفَيْلَسُوفُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَلَكْتَ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَظًّا وَبَلَغْتَ مَا أَمَّلْتَهُ مِنْ خَيْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فِي سُرُورٍ مِنْكَ وَقُرَّةِ عَيْنٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِكَ وَمُسَاعَدَةِ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ لَكَ. فَإِنَّهُ قَدْ كَمُلَ فِيكَ ٱلْحِلْمُ وَٱلْعِلْمُ وَحَسُنَ مِنْكَ ٱلْعَقْلُ وَٱلنِّيَّةُ وَتَمَّ فِيكَ ٱلْبَأْسُ وَٱلْجُودُ وَٱتَّفَقَ مِنْكَ ٱلْقَوْلُ وَٱلْعَمَلُ. فَلَا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلَا عَيْبٌ. وَقَدْ جَمَعْتَ ٱلنَّجْدَةَ (٣) وَٱللِّينَ فَلَا تُوجَدُ جَبَانًا عِنْدَ ٱللِّقَاءِ وَلَا ضَيِّقَ ٱلصَّدْرِ عِنْدَ مَا يَنُوبُكَ (٤) مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ شَمْلَ بَيَانِ ٱلْأُمُورِ وَشَرَحْتُ لَكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْهَا تَزَلُّفًا (٥) إِلَى رِضَاكَ وَٱبْتِغَاءً (٦) لِطَاعَتِكَ فَأَبْلَغْتُكَ فِي ذٰلِكَ غَايَةَ نُصْحِي وَٱجْتَهَدْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظَرِي وَمَبْلَغِ (٧) فِطْنَتِي * وَٱللّٰهُ تَعَالَى يَقْضِي حَقِّي

---

(١) الممتثلين (٢) النطق (٣) الشجاعة والشدة (٤) يصيبك (٥) تقربًا (٦) طلبًا (٧) نهاية

بِحُسْنِ ٱلنِّيَّةِ مِنْكَ فِي إِعْمَالِ فِكْرِكَ وَعَقْلِكَ فِيمَا وَضَعْتُ لَكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ ٱلْمَنْصُوحُ بِأَوْلَى بِٱلنَّصِيحَةِ مِنَ ٱلنَّاصِحِ وَلَا ٱلْآمِرُ بِٱلْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ ٱلْمُطِيعِ لَهُ فِيهِ * فَٱفْهَمْ ذٰلِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَلَا حَوْلَ[1] وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ

إِنْتَهَى

---

(١) الحول القدرة على التصرّف

فهرس

وقد قسمناه الى مقدمة وخمسة ابواب

الباب الاول : في القواعد الاربع البسيطة والثاني : في حساب الاعداد المركبة وجداول النقود والاوزان والمكاييل والثالث : في حساب الكسور الاصطلاحية والرابع : في الروابط التجارية ومراجعة الفواتير الاجنبية واستخراج الجهولات كتبديل العملة وتصفيتها واستجلابها . وحساب الفائظ وتعديل الوفاء وحساب الثمرة والمزيج والشراكة والنسبة من الحسابات التي لا بد للتاجر من معرفتها صفحاته ٨٠ وثمنه ٤ غروش

ترويض الاذهان في تقويم البلدان

بقلمنا ايضاً

وهو مختصر في فن الجغرافية لطلبة المدارس الابتدائية

يتضمن الكلام عن مبادئ الجغرافية واصطلاحاتها وعن القارات الخمس وما في كل منها من الممالك مع بيان حدود ومساحة كل مملكة منها على حدة وعدد سكانها واسماء اشهر مدنها وجبالها وصحاريها وبحيراتها وانهارها ومعادنها ونوع تربتها ونباتاتها وحيواناتها وحواصلها وتجارتها وهوائها وحال سكانها ودياناتهم وعوائدهم مما يفيد ليس تلامذة المدارس فقط بل كل من رغب في معرفة هذا الفن الجليل وقد وضعناه على طريقة السؤال والجواب تسهيلاً للتلامذة وزيناه برسوم وصور عديدة لزيادة الايضاح ثمنه ٥ غروش